معهد المخطوطات العربية
INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

عبقرية التأليف العربي

علاقات النصوص والاتصال العلمي

أ. د/ كمال عرفات نبهان

الوعي الإسلامي
الإصدار المائة
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

معهد المخطوطات العربية
INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS

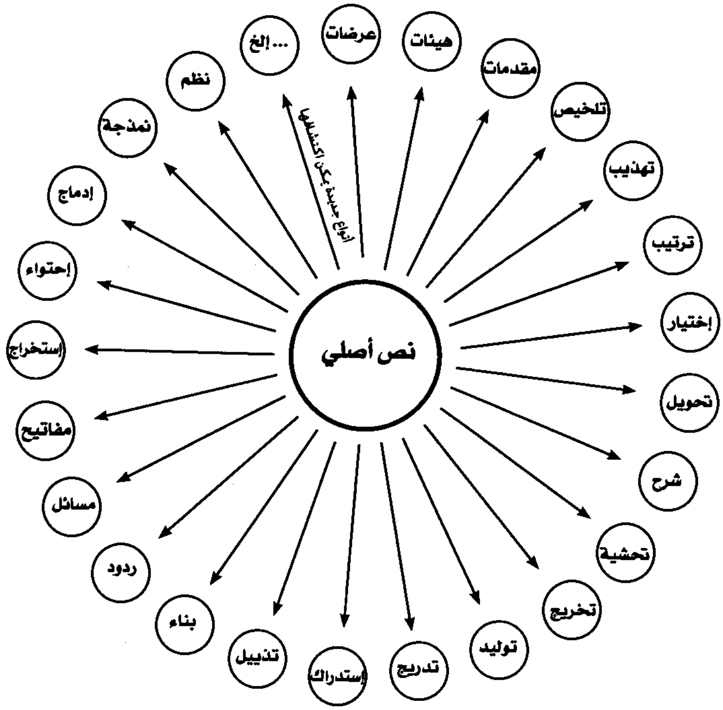
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

عبقرية التأليف العربي

علاقات النصوص والاتصال العلمي

أ.د/ كمال عرفات نبهان

الوعي الإسلامي
الإصدار المائة
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م



عبقرية التأليف العربي

علاقات النصوص والاتصال العلمي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي

الطبعة الأولى
الإصدار المائة
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

العنوان:
ص.ب ٢٣٦٦٧
الصفاة ١٣٠٩٧ الكويت
هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw

الإشراف العام:
رئيس التحرير
فيصل يوسف أحمد العلي

إهـــــــداء

إلى العالم الجليل.. الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة..

المبدأ والمثال.. الذي أنعم الله عليه بالعلم والمروءة والمحبة..

ولله نور في السماوات وفي القلوب..

أهدي هذا العمل في التأليف العربي، وفي العقل العربي..

وهو الرائد في هذا الميدان.. وصفوة هذا الزمان..

كمال عرفات نبهان

تصدير

بقلم رئيس تحرير مجلّة «الوعي الإسلامي»

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلَّمه البيان، ووهب له العقل ليعقل عن ربه ما شرعه وأبان، وأنزل القرآن تبصرة للعقول والأذهان، وأرسل رسوله بالهدى والبلاغ والتبيان، وقيَّضَ من عباده من نظم العلم بأفصح لسان، أحمده حمداً يملأ الميزان.

وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، كل يوم هو في شأن، وأشهد أن سيِّدنا ونبيِّنا محمداً عبده ورسوله، المبعوث إلى الناس كافة بالدليل والبرهان، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أمّا بعد:

فإنَّ العلم والثقافة العربية ميدانٌ خصبٌ لكلِّ متعلِّم؛ إذا أراد أن يستزيد من الإحاطة بلغته، ودينه، ومبادئ أمَّته، التي حملت مشعل الحضارة الإنسانيَّة والتُّراث العلمي، واعتنت بجميع العلوم والثَّقافات القديمة؛ فتَرْجَمَتْها وطوَّرَتْها، وأضافَتْ إليها المزيد من الاختراعات والاكتشافات في شتَّى العلوم.

ثم أوجدت العلوم الشرعية الخاصة بها التي لم يسبقها إليها غيرها، وبدأت بهذه العلوم من مبادئها الأولية ومنطلقاتها الرئيسية، ثم تطورت ونضجت وازدهرت.

وقد مَنَّ الله على أمة الإسلام بالحظوة في كثرة التآليف، وأوتيت في ذلك من الحظوظ ما لم تؤته أمة من أمم الحضارات السابقة، وتشهد على ذلك كتبُهم المصنفة في ضروب العلم وأنواع العرفان.

وأدلت مجلَّة «**الوعي الإسلامي**» ـ كعادتها ـ بدلوها في هذا الميدان الخصب؛ فجمعت طاقاتها وإمكاناتها العلميّة والمادِّيَّة للعناية بهذا التراث العريق، وإخراجه بالحلة التي تتناسب مع أصالته التاريخية، وقيمته العلمية؛ فَتيسَّر لها ـ بفضل الله تعالى ـ إخراج عدد ليس بالقليل من هذه الكتب والمصنفات.

وكان لها نصيب وافر من الحفاوة والتكريم في كثير من المجتمعات داخل الكويت وخارجها، وذلك لما تميَّزت به هذه الإصدارات من أصالةٍ، وقوّةٍ، ووضوحِ منهج، ومراعاةٍ لمصلحة المثقَّف، وحاجته العلميّة.

ومن هذه الإصدارات النافعة، كتاب:

«عبقرية التأليف العربي..
علاقات النصوص والاتصال العلمي»

تأليف: الأستاذ الدكتور كمال عرفات نبهان
أستاذ علم المعلومات وعميد المكتبات
بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا ـ ٦ أكتوبر
ومدير مركز دراسات المعلومات والنصوص العربية ـ ٦ أكتوبر

و«**مجلة الوعي الإسلاميّ**» إذ تقدّم هذا الإصدار لقرائها الكرام، فإنها تتوجه بخالص الشكر والتقدير لإدارة «**معهد المخطوطات العربية**» ـ التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية في القاهرة، والذي أُسِّس سنة ١٩٤٦م ـ متمثلة بمديرها الدكتور فيصل الحفيان حفظه الله ورعاه، وفريق عمله الكريم، ولمن ساهم وأعان على إصدار هذا الكتاب.

... نسأل الله لهم التوفيق والسداد.

والحمد لله رب العالمين

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة[1]

من المسلَّمات أن الكتاب هو مصدر الحياة الدينية والعقلية والثقافية والاجتماعية منذ عُرفت الكتابة، وتنطبق هذه المسلَّمة على سائر الأمم من أصحاب الحضارات.

ولا تكتمل أسباب المعرفة الراقية إلا بالحفاظ على الكتاب نصًّا وتأليفًا وشرحًا وتعقيبًا، وأن يكون هذا الحفاظ في إطار من الأمانة وسياج من العناية؛ ومن ثَمَّ لا تكتمل هاتان الفضيلتان إلا بابتناء المكتبة التي يسهر على العناية بها مكتبيون قادرون على التعامل معها اقتناءً وخدمةً وصيانةً وترميمًا.

ومن الناحية التاريخية حرصت الأمم ذات الحضارات؛ كاليونان

(١) عالم ومفكر وأستاذ الأدب العربي والحضارة الإسلامية بجامعة عين شمس وبيروت والإمارات العربية، وأم درمان، وبنسلفانيا ومنيسوتا (أمريكا).
- أول مؤلف لكتاب أكاديمي موسوعي عن مناهج التأليف عند العلماء العرب.
- عميد آداب عين شمس وعميد الدراسات العليا بجامعة الإمارات (سابقًا).
- ألَّف مكتبة ثرية في مجالات: الأدب العربي، والتفسير، وإعجاز القرآن، والسيرة النبوية، والفقه، والحضارة، والسياسة، والمذاهب الإسلامية، والتراجم والتاريخ، والاجتماع، والموسوعات العربية، ومصادر التأليف، في كتب وبحوث ومقالات.

والرومان والفرس والعرب على إنشاء المكتبات للحفاظ على عطاء عقول أبنائها، وعلى ثمرات ما قد قبستها هذه العقول من عطاء الحضارات الأخرى على اختلاف أمكنتها وتباين أزمانها.

ولعل أشهر تلك المكتبات التاريخية عندنا نحن العرب والمصريين مكتبة الإسكندرية التي أنشأها البطالمة بعناية واقتدار وإحاطة، ثم ورثها الرومان الذين حكموا مصر سبعة قرون، ولم يستطيعوا إبان حكمهم الطويل أن يحافظوا على هذه المكتبة الثرية العتيدة، فبدَّدوا كنوزها، وأحرقوا عصارة العقول البشرية التي كانت تسكن ذلك البنيان، ولم يكتفوا بذلك بل عمدت أجيالهم التالية إلى نسبة هذه الجريمة الكبيرة إلى العرب الذين يأمر دينهم بإنشاء المكتبات والحفاظ على الكتاب أيًّا كان لونه أو نوعه أو محتواه.

وكانت أولى آيات كتاب الله ـ القرآن ـ المنزلة على رسوله محمد ﷺ قول الله تعالى: «اِقرأ»، والقراءة لا تكون إلا مما هو مسطور في الكتاب، والتسطير لا يكون إلا بالعلم، ومن ثَمَّ فإن الآية الكاملة هي قول الله ﷻ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ ـ ٥].

بل إن القرآن الكريم نفسه من أسمائه «الكتاب»، وقد يعني الكتاب كتابًا سماويًّا آخر غير القرآن؛ فالتوراة والإنجيل يطلق عليهما الكتاب، واليهود والنصارى يطلق عليهم في القرآن الكريم أهل الكتاب. ومن الآيات التي ذكر فيها الكتاب بمعنى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]، وقوله ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله سبحانه: ﴿كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢]، وقوله ﷻ: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

هذا مقام الكتاب عند الله سبحانه أطلقه بلفظه على القرآن الكريم الذي هو كلام ربِّ العالمين. وإن احتفال الرسول ﷺ بالعلم هو امتداد ووحي لكلام الله. ولما كان الإسلام هو دين المعرفة والعلم والتوحيد، فإن الرسول ﷺ يقول: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»، ثم يؤكد طلب العلم بالحفاظ عليه، ولا يكون الحفاظ إلا بالكتاب فيقول ﷺ: «**قيدوا العلم بالكتاب**».

من هنا كان احتفال المسلمين بالكتاب، وتبعًا لذلك بالمكتبات، فمن المكتبات النفيسة الشهيرة في الإسلام مكتبة الخليفة العباسي المأمون، ومكتبات بغداد، ومكتبة الخليفة الحكم بن عبد الرحمٰن الناصر، ومكتبة آل فطيس في قرطبة، ومكتبات القرويين في فاس، ومكتبة الزيتونة في تونس، ومكتبات القاهرة في عهد الفاطميين ثم في عهد المماليك، و«مكتبة الظاهرية» في دمشق، والنظاميات الإحدى عشرة في بغداد وبلخ ونيسابور وهراة وأصبهان وعسكر مكرم والبصرة ومَرْو وآمل وطبرستان والموصل وطوس من مدن العراق العربي والعراق العجمي (إيران حاليًّا)، وغيرها الكثير من مكتبات بخارى وسمرقند وشاش والمشرق الإسلامي الآسيوي الفسيح.

كانت هذه المكتبات على كثرتها تضيق بمؤلفات العلماء المسلمين وغير المسلمين ممن يعيشون في الوطن الإسلامي المترامي الأطراف، حيث العلماء المسلمون يُثرون العقول بكتبهم النفيسة في وقت مبكر منذ منتصف القرن الهجري الإسلامي الثاني، التي لا يزال كثير منها بين أيدينا، **مثل**: كتب المفضل الضَّبي (ـ ١٧٥هـ)، والنضر بن شميل (ـ ٢٠٤هـ)، والهيثم بن عدي (ـ ٢٠٧هـ)، والأصمعي (ـ ٢١٦هـ)، وكلها كتب نفيسة ونصوص قيمة.

ثم تلا هؤلاء قوافل من العلماء المنهجيين المتخصِّصين مثل: الجاحظ، وابن قتيبة الدِّينَوري، وأبي العباس المبرِّد، وأبي علي القالي،

وهؤلاء الأربعة من الشهرة بمكان، وهم الذين قال عنهم ابن خلدون جملته الشهيرة: إن من قرأ كتب «البيان والتبيين» للجاحظ، و«أدب الكاتب» لابن قتيبة، و«الكامل» للمبرد، و«النوادر» للقالي، ولم يتخرج في الأدب، فلا أَشَبَّ الله له قرنًا.

لقد بدأت الكتب المتخصِّصة التي تجود بها قرائح العلماء تصقل عقول العرب وغير العرب من المسلمين، فكثرت كتب الطبقات والأمالي والحماسات والوَفَيات والموسوعات، وكتب العلوم بين رياضة وهندسة وفلك وكيمياء وفيزياء وحيوان ونبات وغيرها، مما يحتم ـ بداهة ـ نشأة علم جديد هو علم الببليوجرافيا، وكثير من ظواهر علوم المكتبات والمعلومات.

هذا العلم الجليل ـ علم المكتبات ـ ظهر متأخرًا بعض الشيء، وربما في خفر واستحياء، مع أن الكتاب العربي كان يغزو مشارق الأرض ومغاربها، ولكنه ظهر على أي حال في إطار من ثراء العطاء وسياج من وفرة المحتوى وفيض العقول، ولعل أول هذا العطاء تمثَّل ـ طبقًا لمعلوماتنا ـ في كتاب «المؤتلف والمختلف» في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم للآمدي: أبي القاسم الحسن بن بشر، المتوفى سنة (٣٧٠هـ)، وهو نفسه صاحب كتاب «الموازنة» بين البحتري وأبي تمام، وهو كتاب نقد أدبي رائد لا يستغني عن قراءته طالب أو أستاذ، ثم تجيء الحلقة الثانية من التأليف في المكتبة العربية ممثلة في ابن النديم محمد بن إسحاق المتوفى سنة (٤٣٨هـ)، وكتابه الأكثر شهرة المعروف بـ«الفهرست» الذي قيل عنه: إنه أنفع وأجمع ما كتب في موضوعه، ثم تمضي قرون خمسة لكي يطل على علم المكتبات أحمد بن مصطفى المعروف بـ «طاش كوبري زاده» المتوفى سنة (٩٦٨هـ) بكتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» وهو من احتواء العلم تأليفًا وتصنيفًا بقدر محمود، ومن نفائسه غير الذائعة كتاب «الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية».

وفي العصر الحديث بُذلت بعض المحاولات في هذا الحقل مكلَّلة

بالقَبول، منها: «معجم المطبوعات العربية والمعربة» ليوسف إليان سركيس المتوفى بالقاهرة سنة (١٩٣٢م)، ثم كتاب «مناهج التأليف عند العلماء العرب» لكاتب هذه السطور، وكتاب «مع المكتبة العربية» للعالم الجليل تلميذنا وحبيبنا الدكتور عبد الرحمٰن عطية، وهو جهد كبير أنبت ثمرة نفيسة يانعة تفتحت في حلب الشهباء، ثم شاع فَوْحُها في أجواء المعرفة في الأوساط الجامعية والمحافل الأدبية. وفي الفترة نفسها من أيامنا هذه أهدى إلى المكتبة العربية الأستاذ الدكتور محمد ماهر حمادة كتابه الجليل: «المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصادرها»، وثمة كتب أخرى غابت عنا أسماؤها بُذلت في هذا الحقل الخصيب.

أما المحاولة الكبرى غير المسبوقة التي نكتب هذه السطور كمقدمة لها، فهي ذلك العمل العلمي الذي أنجزه صديقنا العالم الجليل الأستاذ الدكتور كمال عرفات نبهان، بعنوان «العلاقات بين النصوص في التأليف العربي»، ويحدد وصفه لكتابه النفيس بأنه «منهج جديد لعلم الببليوجرافيا التكوينية».

والحق إنّ هذا الجهد يمثل نجمًا جديدًا في سماء علم المكتبات والمعلومات: منهجًا، ومحتوى، وتحليلًا، وتعمقًا، وابتكارًا. ويتكوّن الكتاب من مقدمة وثلاثة أبواب تشتمل في جملتها على اثني عشر فصلًا: ثلاثة منها في الباب الأول، وسبعًا في الباب الثاني، واثنين في الباب الثالث والأخير، ويضم الفصل الواحد عددًا من المباحث التي يغوص المؤلف في كيانها طولًا وعرضًا وعمقًا، عارضًا بضاعته الثمينة، ودراساته المتكاملة، وإضافاته الجديدة، وتحليلاته المبتكرة، وتحديداته ومصطلحاته غير المسبوقة، ما يجعل القارئ لا يلقي بالًا لما اصطلح على تسميته باتساق الأبواب والفصول عددًا وحجمًا، ذلك أن مقصد المؤلف الجليل يتمثل في وضع المعلومة في مكانها الذي هي جزء منه، فالعبرة عنده بكمال الجوهر وبلوغ المقصد.

ولنا بعد ذلك أن نَسْتَكْنِه خواطر هذا العالم الجليل، مصطحبين بعض النصوص التي قدم بها بحثه النفيس لقارئه، ولكن علينا ألا نغفل الجهد والوقت اللذين صاحبا الدكتور كمال لسنوات طويلة ناهزت الثلاثين عامًا، انتهت به إلى تقديم هذا الكتاب الفريد في عالم المكتبات إلى المكتبة العربية.

يقول العالم الجليل في تقديم كتابه في كلمات قصيرة عميقة ما نصُّه: «ينهض هذا البحث بدراسة التأليف بوصفه ظاهرة اتصالية، ويركز على دراسة المصادر المقروءة التي يعتمد عليها المؤلف في المراحل التكوينية للتأليف، وعلاقة ذلك بالإنتاج الفكري للمؤلف الذي يقوم بدور المرسل في هذا النموذج من الاتصال».

ويزيد الأستاذ المؤلف قارئه تعريفًا بمنهجه قائلًا: «من بين الأشكال المتعددة لاستخدام المصادر من جانب المؤلف، يوجد شكل متميز هو اعتماد المؤلف على نص أو نصوص محددة، بحيث يتخذ من النص بأكمله محورًا يدور التأليف حوله، أو يرتبط به تلخيصًا أو شرحًا أو معارضة أو استدراكًا أو تذييلًا . . . إلخ».

وبمناسبة إشارة المؤلف إلى المصادر إشارة سريعة، فإن الأمانة في هذا السياق تقتضي أن نذكِّر القارئ بأن الأستاذ المؤلف رجع إلى مئتين وأربعين مرجعًا عربيًّا وظَّفها في عمله هذا الكبير توظيفًا مباشرًا، وأما مراجعه الأجنبية فقد بلغت عشرين مرجعًا أساسيًّا، وذلك بخلاف المئات من المؤلفات التي اتخذها عينة لدراسة علاقات النصوص والتأليف العربي.

لنعد مرة أخرى إلى الأستاذ المؤلف نستوضحه مزيدًا من التعرف على فكره ومنهجه حيث يتبدَّى ذلك في قوله: «وقد **ابْتُكِرَتْ وصِيغَتْ** - الفعل هنا مبني للمجهول تواضعًا وأدبًا مع القارئ - **مصطلحات خاصة**

لوصف علاقات التأليف النَّصِّي، وأمكن اكتشاف وتعريف سبعة أشكال للببليوجرام ـ أي: مخطط علاقات التأليف ـ مستمدة من واقع العينة، تمثل نماذج اتصالية تأليفية شديدة التعقيد والتشويق والجدة». ويقول أيضًا في تعريفها بمزيد من مفردات منهجه: «إنه يطرح تصنيفًا جديدًا لأنواع وعلاقات التأليف النصي مستمدًا من واقع العينة، ويتميز هذا التصنيف بأنه ليس تصنيفًا للمعرفة ولكنه تصنيف لأنواع من التأليف».

ويضيف المؤلف الأستاذ الدكتور كمال عرفات نبهان مزيدًا من تحديد منهجه وفكره ومقصده حيث يقول: «ويمثل التأليف النصِّي المحوري ظاهرة مهمة في التأليف العربي القديم خاصة، وهو موضوع هذه الدراسة التي تهدف إلى معرفة مختلف أشكال العلاقات بين النصوص، وتصنيفها وتوضيح أبعادها وخصائصها، وإبراز أهم نماذجها». ثم يَلفت نظر القارئ إلى أهمية توضيح مسألتين يعتبرها على جانب كبير من الأهمية:

أولاهما: أن التأليف النصِّي ليس ظاهرة قديمة وحسب، بل هو ظاهرة مستمرة، واستمرارها ضروري، ليس في الثقافة العربية وحدها، بل في كل الثقافات، حيث إن النصوص تمثل واحدة من ظواهر الاتصال والمعلومات التي تتكون حولها في بعض الأحيان مدارات خاصة، تتمثل في التأليف المرتبط بها أو النابع منها، شرحًا أو انتقادًا أو نقدًا.

وثانيهما: أن هذه الدراسة ليست تأريخًا للتأليف العربي، فذلك مجال آخر له طبيعته ومناهجه الخاصة، ولكن هذه الدراسة تُخضع بعض ظواهر التأليف كحالات للدراسات الاستقرائية من أجل الخروج بتصنيف لعلاقات التأليف النَّصِّي وتحديد خصائصه وتسمياته.

وبسبب ذلك اتجهت نية الأستاذ المؤلف إلى دراسة التأليف عن طريق نوعين من العينة: أولاهما: **عينة من الكتب**، وثانيهما: **عينة من المؤلفين**.

وإذا كان لنا أن نعقد صحبة بين المؤلف الجليل لهذا «النَّصِّ» النفيس، فليكن مفتاح تلك الصحبة من خلال الفصل الذي عنوانه: «النَّصُّ: مفهومه وخصائصه».

وإن اختيارنا لهذا الفصل لا يعني تميزه عن غيره من فصول الكتاب، فإن كل الفصول الاثني عشرة جديرة بالتميز، ولكن لأنه من أكثر الفصول ارتباطًا واقترابًا من الطبيعة العامة لهذا السفر الجليل في نوعيته التأليفية.

يستهلُّ المؤلف الأستاذ الدكتور كمال عرفات نبهان بقوله: «تُعدّ كلمة النص text ـ يكتبها بالعربية وبترجمتها الدقيقة الإنجليزية ـ أكثر الكلمات استخدامًا بالرغم من صعوبة تحديدها وتعريفها»، ثم يذكر عدة مفاهيم في محاولة للاقتراب من معناها، وهي: ١ ـ المفهوم البنيوي. ٢ ـ الخصائص الاتصالية للنص. ٣ ـ الخصائص الاجتماعية والثقافية للنص. ٤ ـ علاقة النص بطبيعة الموضوع. ٥ ـ استمرارية النصوص.

فعن المفهوم البنيوي للنص يقول المؤلف: «يمكن القول بأن النص هو الكلمات أو العلامات التي يستخدمها المؤلف بدلًا من الكلمات في عملٍ مخطوط أو مطبوع لكي تحمل من وجهة نظره فكرة أو إيحاء أو إحساسًا أو تركيبًا من ذلك، وتتحدد وجهتها ـ كرسالة ـ من خلال سياقها وبنيتها؛ ولذلك يحتاج النص إلى ضمانات توثيقية عن طريق تسجيله ليتحقق له الاستمرار والبقاء في صورة محددة ثابتة (ولو نسبيًّا)، وإلا أصبحت هناك عدة أوجه للنص، قد تصبح عدة نصوص وعدة رسائل، ومن أدق الكلمات التي استخدمت للدلالة على الرغبة في تثبيت النص لفظ: «مبنى الكتاب» الذي يرد عند المسعودي (ـ ٣٤٦هـ)».

وعن الخصائص الاتصالية للنصّ يقول المؤلف: «إذا تجاوزنا الأحوال التي يكون فيها النص ذا صبغة مقدسة؛ لأن الإحاطة بخصائصه وعلاقاته أوسع من إطار البحث، وإذا تناولنا النص في إطاره الاتصالي

كرسالة، فإننا نقتصر على التعامل مع ثلاثة عناصر رئيسية في النموذج الاتصالي للقراءة، وهي: المؤلف، النص، القارئ. وفي هذه الحالة يمكن القول بأن النص بقدر ما يكون مغلقًا كبنية من الكلمات أو العلاقات، فإنه يكون قابلًا للتفتح عن طريق التفسير وتشكيل المعنى... والقاعدة الحاكمة في هذا المجال هي: أن الإدراك يتم في ضوء الخبرة؛ ولذلك يفترض أن فهم القارئ للنص سيتم في ضوء خبرته ومعرفته السابقة التي تعد مصدرًا لتلك المعاني التي يتم استدعاؤها عند المطابقة والتعرف على رموز الكتابة في النص... وفي كل الظروف يمكن التمييز بين عنصرين متقابلين وإن لم يكونا متضادين وهما: منطوق النص، ومفهوم النص، أو ما يمكن أن يُؤَوَّلَ أو يُفَسَّر به».

وعن الخصائص الاجتماعية والثقافية للنصّ يشرح الأستاذ الدكتور المؤلف هذه الخصائص بقوله: «في أي مجتمع أو ثقافة نجد هنالك عناصر ثقافية عديدة، بعضها يُحرص على تدوينه وتوثيقه، أمَّا أكثرها فيُتَدَاول شفاهًا، ومن هنا نجد أنفسنا في مواجهة «النص واللّانصّ»، ويكتسب النص أهميته بالنسبة لثقافة معينة حينما تعترف هذه الثقافة بمدلوله. وتتكون مقومات أي ثقافة من مجموعة من النصوص».

ويستطرد الأستاذ الدكتور المؤلف مقررًا أنه في ظل الحضارة العربية الإسلامية تتضح ملامح أو شروط معينة لمؤلف النص، ويشير إلى ذكر «كليطو» نموذجًا تحليليًّا لبعض تراجم كتاب «وفيات الأعيان» تتضح فيه بعض هذه الشروط، وهي أن المؤلف الحجة ليست له طفولة، وأنه يولد حينما يلتقي بشيوخه (أي: بحفّاظ النصوص وخزنتها). وعندما يجيزه شيوخه يصبح في مستواهم ويقوم بتبليغ النصوص، ويصبح أحد أعمدة الثقافة، بل إن اسمه يتغير بإضافة ألقاب تحدد وضعه الجديد.

وعن علاقة النص بطبيعة الموضوع يذكر الأستاذ المؤلف أنه في هذا المنهج يمكن ملاحظة بعض المعالم، ذلك أن النص في كثير

من الموضوعات الدينية كان يعتبر إمام الفن، وفي مجال القانون يوجد ما يسمى «بمدرسة التزام النص» أو مدرسة «الشرح على المتون»، وهي مدرسة فرنسية تحيط نصوص القانون بقدر كبير من التقديس، ويذكر الأستاذ الدكتور المؤلف أن لهذا النص جذورًا بعيدة في تاريخ الفكر الإسلامي.

ويضيف أن ثبات النص هو قيمة في حد ذاتها في مجال النص الديني أولًا، وفي مجال النص التشريعي في بعض الأحوال، كما أنه قيمة في حد ذاتها في مواجهة الأخطار التي تتهدد ثقافة معينة. ويعرض المؤلف للنص الأدبي فيذكر أنه يفقد قيمته الفنية والجمالية إذا اختلَّت بنيته وصورته التي أبدعها الأديب، وأما في المجالات العلمية كالطب والفيزياء وغيرها فإننا لا نجد هذه القداسة أو الأهمية للنص في ذاته، وإنما تكمن أهميته في محتواه، ويمضي الأستاذ المؤلف فيذكر أن كثيرًا من النصوص العلمية قد حظيت باهتمام نسبي في الثقافة العربية القديمة، كما ألفت عنها مؤلفات فرعية كالتلخيص والنظم والرد عليها.

ويحاول الأستاذ المؤلف حصر العوامل التي تمنح بعض النصوص قدرة على الاستمرارية والبقاء، وتجاوز الزمن وقوانين التغيير في عدة عوامل، يذكر منها: قدسية النص، ومصداقيته إذا كان إخباريًّا أو تاريخيًّا، والمنفعة أو الوظيفة، والدلالة والفكرة، والجمالية والإمتاع، وأصالة المنهج.

إن الأستاذ الجليل الدكتور كمال عرفات مؤلف هذا الكتاب يأتي بجديد في كل فصل من فصول هذا الكتاب النفيس، ويختتم كل فصل بمعنى جديد أو مجدد، فمصطلح «النص» يعدّ جديدًا عند بعض العلماء، ويعدّ مجددًا عند بعضهم الآخر، وإن استعماله يكاد يكون محصورًا على علماء الببليوجرافيا وقلة من البلاغيين، ويؤكد الأستاذ الجليل على تعريف أي مصطلح أصيل في سياق زمانه أو الأزمنة التالية لتأليفه.

وإن كان الأستاذ المؤلف يسوق لنا هذا المعنى في ثوب لفظي آخر، فهو في حين ما «النص»، وفي حين آخر «النص الأصلي»، ويفرق بين المصطلحين الأصيلين؛ ذلك أن مصطلح «النص» يستخدم هنا بدلًا من كلمة كتاب؛ لأن الكتاب في تصور المؤلف الجليل أكثر ارتباطًا بالشكل المادي للورق والكتابة والتجليد وما إلى ذلك، وأما «النص الأصلي» فهو نص تُؤلَّف بعده نصوص تابعة، وهو من الناحية النظرية يمثل لحظة تاريخية وببليوجرافية يتم انتقاؤها أو عزلها من السياق المتصل للتأليف، واعتبارها نقطة بداية فارقة أو شديدة الاستقلال من أجل حصر المؤلفات التابعة للنص، ويمضي المؤلف الجليل على رِسْلِهِ في انطلاقاته البناءة مُسَجِّلًا أنه يمكن أن يطلق على هذا النص ـ أي: النص الأصلي ـ تسميات أخرى، مثل: النص الأول، والنص المحرك، والنص الفاعل، والنص الأساس، والنص المحوري. وهي تسميات برغم صحتها ونقائها أقرب إلى المصطلحات التي يتبناها علم المنطق منها إلى المصطلحات الببليوجرافية.

ولعل من الخير ألّا نصرف النظر عن الباب الثالث والأخير من هذا العمل الأكاديمي الكبير، ويتكوَّن من فصلين على جانب كبير من الفائدة، أحدهما ـ وهو الفصل الحادي عشر ـ عنوانه: هيكل تصنيف علاقات التأليف النصي، ويحمل الفصل الثاني عشر عنوان: ملاحظات عامة حول التأليف النصِّي.

يشتمل الفصل الحادي عشر على تصنيف علاقات التأليف النصي التي أمكن استنباطها من خلال استقراء عيّنة الكتب العشوائية المنتظمة والعمْدية، ومن خلال المعاينة والفحص للمؤلفات ذاتها، ويُطرح هذا التصنيف كأساس مبدئي وبذري ـ والكلام لا يزال للأستاذ المؤلف ـ قابل للتطوير والتعديل والإضافة، وكان من الممكن أن يتضمن أكثر مما هو موجود من علاقات، لولا الارتباط بسند أدبي واضح بقدر الإمكان،

ويضيف المؤلف القول بأنها ـ أي: المؤلفات ـ كثيرة التداخل، وغالبًا ما توجد أكثر من علاقة في عمل واحد، مثل: تداخل التلخيص مع التذييل، أو تداخل الشرح مع الاستدراك وغير ذلك كثير، والاقتباس والاستلهام والنمذجة والتقليد؛ الأمر الذي جعل المؤلف يقدم جدولًا تفصيليًّا يتضمن تأصيلًا واضحًا برغم تداخله ـ وما أكثر الجداول الدقيقة التي قام الأستاذ المؤلف بتأليفها وتنسيقها بحكمة واقتدار ووضعها في أماكنها المناسبة من هذا الجهد النفيس الرائد ـ نقول برغم تداخله، يكون تحت نظر القارئ ليوضح له ما قد يكون استبهم فهمه أو استغلق بيانه، وهو جدول نفيس، لا شك في أنه استغرق ـ هو وغيره ـ من الأستاذ الدكتور المؤلف ـ جهدًا لا يصبر على تجميعه وتنسيقه في إيضاح غير ذي لبسٍ إلا مَن كَرَّس جهده وعقله وعلمه زمانًا ومكانًا لهذا الطراز المستجدّ من وسائل المعرفة.

فإذا انتقلنا بالحديث إلى الفصل الثاني عشر، فقد أسلفنا القول بأنه يحمل عنوان: «ملاحظات عامة حول التأليف النصِّي»، ومدلول هذا العنوان أن الأستاذ المؤلف قد جعل منه دليلًا للقارئ حول قضايا بعينها لفتت نظره وجلبت انتباهه، وهي بمثابة الخاتمة لهذا العمل العلمي الكبير سجل فيها قضايا بعينها اعتبرها ذات أهمية خاصة وإن ذُكرت تحت مسمَّى ملاحظات عامة؛ ولذلك يقول المؤلف الجليل في صددها ما نصُّه: «يمكن أن تطرح الملاحظات العامة التالية حول التأليف النصِّي، سعيًا وراء تفهّم بعض جوانبه، وربط ما ورد مفصَّلًا من قبل».

وإن الملاحظات التي طرحها الأستاذ المؤلف تشمل عشر قضايا وإن كان قد أطلق عليها ـ تواضعًا وتلطفًا ـ مسمَّى ملاحظات، وقد بدا لنا أن نطرحها مجملة، ثم نعود إلى معالجة ما يحتاج إلى مزيد من القول.

والملاحظات العشر هي:

١ ـ المحورية والتمركز.

٢ ـ الاستخدام الكامل للنصوص.
٣ ـ الاستجابة والملاءمة.
٤ ـ حدود التكرار والإبداع في التأليف النصِّي.
٥ ـ تقاليد التأليف.
٦ ـ تكامل التأليف النصِّي وأصول الصنعة.
٧ ـ الخصائص التراكمية للعلم والنصوص.
٨ ـ خدمة النصوص وتطويرها.
٩ ـ مصفوفات علاقات التأليف النصِّي.
١٠ ـ النموذج الاتصالي للتأليف النصِّي.

إن هذه الموضوعات قضايا ببليوجرافية عضوية أساسية، وقد عالجها عالمنا الجليل الاستاذ الدكتور كمال عرفات نبهان **علاجًا شافيًا في مواضعها في الفصول الإحدى عشرة التي تشكل بالإضافة إلى هذا الفصل عملًا علميًّا ذا سبق وجدة وإبداع**، ولكن طبيعة العالِم تجعله يتخيل أنه بعمله هذا الذي أنجزه، وأن قضايا بعينها قد تحتاج إلى مزيد من الإبانة، فيعمد إلى كتابة خاتمة يضمِّنها ما قد تصور أنه لم يوفه حقه من الأداء، تلك طبيعة كل العلماء الأمناء الأصلاء الذين يَنْتَظِمُ عِقدُهم عالِمَنَا الجليلَ مؤلِّفَ هذا الكتاب.

الحق أن هذا العمل الأكاديمي الجليل متعة عقلية ووثيقة بل وثائق علمية، وأن تتويجَ الكتاب بهذه «الملاحظات» إنما هو نوع من التأكيد على هذه القضايا التي لها وجاهتها وخصوصيتها، وسوف أجدني ذا ميل إلى مشاركة العالِم الجليل في بعض هذه القضايا مشاركة إيجابية في نطاق الصحبة والاتفاق.

لقد لفت نظري موضوع الاستجابة والملاءمة الذي أثاره الأستاذ المؤلف، وجعله عنوانًا لملاحظته الثالثة. إنه يعالج هذه القضية بعمق ووضوح؛ ذلك أن الربط بين الاستجابة والملاءمة ضرورة من ضرورات

المنهج الأصيل حين يبدو أن أشكال وعلاقات التأليف النصّي مرتبطة بوظائف معينة وخاصة في ما يتصل بتسهيل التحصيل في عملية التعلم أو بتيسير الاسترجاع في عمليات قرائية أخرى، فالتأليف النصّي في جوهره ـ طبقًا لقول الأستاذ المؤلف ـ وفي معظم أشكاله وعلاقاته منصبٌّ على خدمة حاجات محددة. ويبدو الشكل ـ أيضًا ـ مرتبطًا بالمحتوى الذي يسعى النص إلى توصيله؛ ذلك أن التلخيص والشرح والاستدراك والتذييل والبناء والتدريج وغيرها لا يمكن أن تنفصل عن التأثر والتأثير في المحتوى، وإن ما نجده في مجال علوم الحديث من ارتباط جوهري يين أشكال وعلاقات التأليف وبين طبيعة واحتياجات وشروط هذا العلم هي من أوضح هذه العلاقات.

وإن من أبرز الأمثلة على ذلك أنواع، التأليف النصّي التي خدمت «علم الحديث» كالأطراف والمستخرجات والتجريدات والتجنيسات في موضوعات معينة، والوحدانيات والثنائيات والثلاثيات. . . حتى الأربعينات والمئات الحديثيّة، وإعادة الترتيب والتكملات والتذييلات في تراجم المحدِّثين والزوائد والتلخيصات والتهذيبات والتدريجات بين وجيز ووسيط ومطول، على أننا ننبه أن ذلك يتم في نطاق أحكام الجرح والتعديل.

ويستشهد الأستاذ المؤلف في هذا السياق بالإمام ابن عمر العتابي حين ألَّف شرحًا لكتاب الزيادات في فروع الحنفية لمحمد بن الحسن الشيباني، وبظاهرة تلخيص ابن منظور المصري لحوالي خمسمائة كتاب، وقد أوفى الأستاذ المؤلف هذا الموضوع في جلاء ونقاء مع الاستشهادات بأعمال كبار العلماء.

وعن قضية تقاليد التأليف ـ وهي الملاحظة الخامسة ـ يعالج المؤلف هذه القضية في بساطة ويسر بقوله: «لا يمكن وصف حضارة ذات أربعة عشر قرنًا بكلمات محدودة، ولكن من الممكن وصف اتجاه غالب كانت له آثار معينة».

ويقرر الأستاذ المؤلف أن تقاليد التأليف عند العلماء المسلمين لها مظاهر إيجابية كثيرة، كما أن لها بعض مظاهر سلبية، ويسجل المظاهر الإيجابية **على النحو التالي**:

١ ـ الحرص على التوثيق والتدقيق في مصدر المعلومات.

٢ ـ الحرص على الإشارة إلى المصدر.

٣ ـ تقنين العلاقة بين الطالب والأستاذ في إطارٍ بَنَّاءٍ تنتقل فيه الخبرة والمنهج والنصوص، وخاصة في نظام الإجازة، وفي إطارٍ أخلاقي أدبي يربط بالولاء الطالبَ بشيوخه، ويُكسِبه ذلك الولاء فضلًا يفيض على أجيال تالية.. ويتجلى ذلك في اعتزاز العلماء بذكر شيوخهم في مؤلفات خاصة هي برامج الشيوخ بأنواعها.

ويذكر الأستاذ المؤلف أن أدبيات التأليف تتجلَّى في ما ينبه إليه حاجي خليفة من احترام العلماء القدماء والإشارة إليهم بتأدُّب وإنصاف في ما عسى أن يكون موضع نقد أو تصويب، وانتحال الأعذار إما لسهو إنساني أو لتصحيف الوراقين.

كانت تلك الملاحظات التي أثارها الأستاذ الدكتور كمال عرفات نبهان في فصل مستقل بذاته هو الفصل الأخير من كتابه بمثابة تأكيد لأصالة البحث وعظمة الاضطلاع بتأليفه على هذا النهج الدقيق الأمين الرصين بحيث يُعد الكتاب فاتحة للتأليف الأصيل في فرع دقيق من فروع المعرفة الإنسانية الراقية هو فرع التأليف العربي.

إن العالم الجليل الأستاذ كمال عرفات، يقدم هذا الجهد الشامخ في هدوء عُرف به، وفي تواضع هو من صحيح تكوينه الخُلقي والعلمي والإنساني فيقول: إنه يطرح تصنيفًا جديدًا لأنواع وعلاقات التأليف النصِّي، مستمدًّا من واقع العينة، ويتميز هذا التصنيف بأنه ليس تصنيفًا للمعرفة، ولكنه تصنيف لأنواع من التأليف.

ويقول في موضع آخر في أسلوب مسربل بتواضع العلماء:

«لا يخفى أن الدرب جديد غير ممهد، وأن التعامل مع الظاهرة جديد برغم قِدمها، وهي أكبر من أن يحيط بها باحث واحد في حدود طاقاته وخبرته، ولا يغري بالبداية إلا الأمل في غرس بذرة تنمو، والثقة في أن كل متخصص في مجاله سوف يغتفر جرأة الباحث على الاستشهاد بنصوصه».

حيًّا الله العالم الجليل الدكتور كمال عرفات نبهان على عطائه الخصيب الذي قدمه للمعرفة الإنسانية، في نطاق من أدب التأليف، وأمانة العرض، وسلامة المنهج، وتواضع العلماء، ونسأل الله العلي القدير أن يكلأه بحفظه ورعايته.

✍ مصطفى الشكعة

مصر الجديدة

الثلاثاء ١٢/٧/٢٠٠٥م

المقدمة

يتناول هذا الكتاب موضوع التأليف بوصفه ظاهرة اتصال، واستجابة لحاجات علمية وتعليمية وثقافية، ومن أجل ذلك ظهرت آليات وأصول في صنعة التأليف وتكوين النصوص في التأليف العربي ـ الإسلامي.

وقد أجريت هذه الدراسة من مدخل ببليوجرافي ومعلوماتي واتصالي.

ومن بين أنواع التأليف المختلفة، يوجد شكل متميز، وهو اعتماد المؤلف على كتاب سبق ظهوره، يهتم به ويتخذ منه محورًا يدور حوله كتابُه الجديد، في شكل شرح أو تلخيص أو تهذيب أو تذييل أو استدراك أو معارضة أو محاكمة... إلخ.

وهذا النوع هو ما أسميه «التأليف النصِّي المحوري»، وهو يمثل ظاهرة مهمة استمرت في التأليف العربي ـ الإسلامي في مختلف عصوره، ولا زالت بعض مظاهره موجودة حتى الآن، كما أن بعض أنواعه موجودة في الثقافات الأجنبية، ففي الإنجليزية مثلًا توجد لمسرحيات شكسبير ملخصات وتهذيبات للكبار والصغار.

وكان كثير من الكتب في الحضارة العربية ـ الإسلامية يمثل «مشروعًا» فكريًا قابلًا للتطوير وتحسين السلالة، ويُعَدُّ الكتاب موضع الاهتمام «أصلًا» قابلًا للتلقي والإضافة والتصحيح والمعارضة والتكملة والاستمرار، يقوم بذلك مؤلفون في عصره أو في عصور تالية لتأليفه، ويظل هذا الكتاب المهم «مدوَّنة» قَيْد التأليف المتتابع والمتنوع في

مدارات موصولة، في زمن يطول أو يقصر، ويستمر التأليف المرتبط بالنص حتى تبلغ منظومة المؤلفات (الأصل وتوابعه) صورة مثالية في ثبوتها الأخير، في شكل «عائلة النص». وقد يتحول بعض النصوص التابعة «بدوْره» إلى مركز تدور حوله المؤلفات، ليأخذ التأليف شكل الشجرة المتفارعة التي تضم القديم والجديد.

وكانت هذه المؤلفات تسعى إلى تحقيق «الإحاطة والتمام» حول عدد من الكتب الأمهات في مختلف المجالات، وقد حظي صحيح البخاري مثلًا بنحو أربعة وتسعين مؤلَّفًا يدور حوله، وألفية ابن مالك بنحو اثنين وسبعين مؤلَّفًا، وكثرت المؤلفات أيضًا على الكشاف للزمخشري، والقانون في الطب لابن سينا، والبُردة للبوصيري، وغيرها . . .

وكان موقع النص الإمام أو الكتاب الأم بين توابعه من النصوص، يقابل موقع الأستاذ بين طلابه، في تعادل بين «المعرفي والسوسيولوجي».

ولا تزال الحضارة العربية ـ الإسلامية تخفي أسرارًا في صنعة التأليف وآلياته، أحاول أن أفك بعض طلاسمها وتداخلها وتعقيداتها، ضمن منظومة من الوظائف الاتصالية والعلمية والتعليمية.

وعلى سبيل المثال نجد وظيفة الحفظ تتحقق في أشكال المختصرات والمنظومات، ووظيفة متابعة التغطية في الذيول والصلات، والتصحيح وتكملة النقص في الاستدراك، والفهم في الشروح والحواشي والتعليقات، والسيطرة على النص في التهذيب، والجدل والمناقشة والمعارك الفكرية في الردود والمحاكمات، ومفاتيح الاسترجاع من النصوص في الأطراف والكشافات، وتنمية النصوص واستثمارها في البناء على النص، وكانت المؤلَّفات تتفارع على الأصل وفروعه وفروع

الفروع، حتى تصل أحيانا إلى الرتبة الرابعة من التفارع والتشجير، لتتحقق وظائف التكامل والتواصل والتصحيح والتركيم... إلخ.

ـ وربما يتفرد هذا الكتاب بتقديم مجالات وأشياء جديدة تمامًا في موضوع التأليف العربي والعالمي أيضًا، **ومن ذلك**:

ـ تعريف التأليف عمومًا والعربي خصوصًا، وتمييز أنواعه، **وهي**:

التأليف الإبداعي، والتأليف الوثائقي، والتأليف النصِّي المحوري (الذي يرتكز على نص واحد)، والجذور العربية للتأليف من التدوين والتصنيف.

ـ تعريف المؤلف وخصائصه في الثقافة العربية والإسلامية.

ـ تعريف النص وتمييز أشكاله المختلفة.

ـ طرح نظرية أسميتها «الببليوجرافيا التكوينية»، وهي جديدة في مضمونها وتسميتها، وهي تؤسس مجالًا جديدًا في دراسة التأليف وعلاقات النصوص والضبط الببليوجرافي «التكويني»، وتضيف بُعدًا جديدًا في علم الببليوجرافيا وعلم المعلومات، وتقدم بداية نظرية وميدانية لتأسيس علم النصوص العربية.

ـ ابتكار نظام لوصف تمثيل علاقات النصوص داخل عائلة النص، هو «مخطط علاقات النصوص»، الذي أسميته: «Bibliogram»، وهي كلمة جديدة على اللغة الإنجليزية تم تركيبها لأول مرة، ويتفرع منه «المخطط الزمني لعلاقات النصوص» وقد أسميته: Biblio - chronogram لأول مرة أيضًا، لوصف الامتداد الزمني لتأثير النص في ظهور المؤلفات المتفارعة عليه وتمثيله، وقد بلغ تأثير بعض النصوص إلى ثمانية قرون.

ـ اكتشاف وتسمية سبعة أشكال من الببليوجرام في التأليف العربي.

ـ تحليل علاقات التفارع للنصوص على نص أصلي، وابتكار مصطلحات جديدة لوصف هذه العلاقات وتسميتها.

ـ وقد أمكن تحديد نحو ستين نوعًا من التأليف النصِّي، وتحديد خصائص كل نوع وطبيعة الجهد العلمي في تأليفه، ووظائفه الاتصالية العلمية، وعلاقاته مع الأنواع الأخرى من التأليف النصِّي.

ـ كما أمكن تصنيف هذه الأنواع من التأليف وجدولة الوظائف المقابلة لها ونماذج استخدامها.

ـ ويحدد الكتاب آليات التأليف العربي في **الخطوط الرئيسة التالية**:

ـ التأليف التمهيدي للنص (ويتمثل في المقدمات بأنواعها).

ـ تشغيل النص (مثل: التلخيص، والتهذيب...).

ـ تحويل النص (مثل: الترجمة، وتغيير بيئة النص ونَظْمه... إلخ).

ـ مصاحَبة النص (مثل: الشروح بأنواعها).

ـ خدمة النص ومحاورته (مثل: الكشافات، والأطراف، ومعارك النصوص..) ـ نمذجة النص ـ احتواء النص... إلخ.

ـ استقراء ظواهر مهمة في التأليف العربي، مثل: ظاهرة تكامل النصوص، وتواصل النصوص، وتراكم النصوص.

ـ استقراء بعض الخصائص السوسيولوجية للاتصال العلمي في الحضارة العربية وانعكاس العلاقات الاجتماعية في المجتمع العلمي على علاقات النصوص وأشكال التأليف والاتصال العلمي، ويظهر ذلك في الفصل الثاني عشر.

ـ ويحتوي الكتاب على كثير من المصطلحات التي تمَّت صياغتها لتكون رصيدًا للببليوجرافي، وعالِم المعلومات والمخطوطات والنصوص، ومؤرخ العلم، وناقد الأدب، ومجالات أخرى كثيرة، ومن ذلك: المجانَسَة، والتدريج، والمَعْجَمَة، والمَوْسَعَة، والتزمين، والنمذجة، والمُقَايسة الببليوجرافية... إلخ، مع الحرص على البحث عن مقابل لها بالإنجليزية لوصل الحلقات بين الحضارات.

تبدو الحضارة العربية ـ الإسلامية «حضارة كتاب»، بدأت عبقريتها بالمثل الأعلى في النَّسق الديني، وهو القرآن الكريم، الذي كان المحرك الأصل لكل هذه الفعاليات في التأليف، الذي أصبح لديه استراتيجيات متطورة، ارتكزت على دينامية الاستجابة لكل حاجة من حاجات الفكر والعلم والتعليم، وعلى إدراك أهمية النص في الحضارة، سواء كان مرويًّا أو مكتوبًا.

وقد تجلَّى الإخلاص للنص في الحضارة العربية ـ الإسلامية في ما يقدمه هذا الكتاب حول التأليف النصِّي، وحيث يتجلَّى مدى إدراكها لقيمة النص في التجربة الإنسانية، فهو مخزن القيم المعرفية والأخلاقية، وذاكرة الحضارة، وركيزة التوازن العقلي والنفسي والاجتماعي، فالنص ثابت والفهم متحرك، والنصوص تمتلك جدلية محيِّرة، فهي تستوعب الحقيقة والخيال، والخير والشر، والتسامح والتعصب، وهي مثل الطاقة تتشكل وتتحول، كما أنها فضاءات يُحلّق فيها العقل المبدع المنتصر، وسجون يُكبَّل فيها العقل المهزوم، وهي خادم للأذكياء وطاغية على الأغبياء، والنصوص تتجاوز الزمان والبيئة، والحلم والواقع، والثورة والجمود.

وعلى عكس كثير من مؤلفي القرون السابقة، الذين كانوا يَصِلوُن كتبهم بما سبقها في محبة وتواضع ووفاء، نجد كثيرًا من المعاصرين يؤكدون على التمايز على غيرهم لأسباب تنافسية أو مادية، بينما يكوِّم بعضهم أعمالًا لا تمثل تمايزات لافتة، وكثير من كتبهم يعتمد على النهب والارتجال والهشاشة المنهجية والفكرية، والتخفي في زحام الجهل والفوضى، باستثناء إبداعات رائعة في العلم والأدب.

كما أن هناك في التأليف العربي عبر العصور ما وصل إلى مستوى هزيل من التكرار في مدارات ضحلة حول تراث الأسلاف، لأسباب معظمها تعليمي مغلق، ولكن ذلك لا يقاس إلى جانب مظاهر العبقرية في هذا التأليف.

وهذا الكتاب الذي استغرق زهرة العمر وزهوة الفكر، لا أقدمه تَرَفًا، وإنما كمشروع حضاري وإنساني، وتبليغ يُدوِّي في أفق الوعي والإنجاز العلمي والحضاري!!

ولا بد أن يأتي يوم وقوم ينجزون ما يطرحه، من أجل تطوير علم النصوص العربية والببليوجرافيا التكوينية، والحصر الشامل لكل النصوص في ببليوجرام شامل يربط النص بعائلته وأجداده وآبائه وتوابعه من النصوص، مستفيدًا من تكنولوجيا المعلومات، وحينئذ سوف توضع الذاكرة العربية الإسلامية في قلب الحضارة الإنسانية، وتتجسد خريطة للعقل والذكاء والتأليف الذي أسهم في بنائها.

وخير ختام هو أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى علّامة عصرنا الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة، الذي شرفني بقراءة مخطوط الكتاب ومناقشته، وبتقديمه الكريم، وهو صاحب السبق والريادة في التأليف في موضوع «التأليف» من مدخل منهجي وتاريخي، في كتابه: مناهج التأليف عند العلماء العرب ـ قسم الأدب، الذي أرّخ فيه لنشأة التدوين والكتابة والإنشاء، وتطور مؤلفات وموسوعات الأدب العربي وتميُّز مؤلفيها وإبداعهم.

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الدكتور عبد الستار الحلوجي الذي كان في حوار مثمر مع هذا النص وصاحبه منذ عقود من الزمن في رحاب الجامعة والصداقة الدائمة الطيبة.

كما أهدي الشكر إلى زوجتي مباهج وابنتي آية وابني محمود على صبرهم ومساعداتهم الكريمة..

والله الموفق...

✍ كمال عرفات نبهان

مدينة ٦ أكتوبر ـ الجيزة ـ مصر

أول يوليو/تموز ٢٠٠٦م

الباب الأول

المداخل والتعريفات

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: موضوع الكتاب ومجاله (التأليف النصِّي).

الفصل الثاني: المنهج والعيِّنة.

الفصل الثالث: الإطار التنظيري وأدوات الوصف لعلاقات النصوص.

الفصل الأول

موضوع الكتاب ومجاله

(التأليف النصِّي)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التأليف.

المبحث الثاني: التأليف النصِّي المحوري.

المبحث الثالث: أسباب وظروف اختيار البحث.

المبحث الرابع: الدراسات السابقة في الموضوع.

المبحث الأول

تعريف التأليف

من الضروري قبل أن يبدأ هذا الكتاب بالحديث عن جوانب من التأليف العربي أن نحدد المقصود بالتأليف، ورغم عبقرية التأليف وفنونه في التأليف العربي فإن تعريفه **اصطلاحيًّا** لم ينل ما يستحقه في الكتابات والمراجع الببليوجرافية العربية التراثية أو المعاصرة، كما كان تعريفه اللغوي في المعاجم العربية هائمًا غير واضح، وقد أشار حاجي خليفة وقليل غيره إلى التأليف إشارة عابرة.

ورغم يقيني بأن هؤلاء العلماء كان في ذهنهم وعملهم تصورات واضحة لحدود **التأليف والتصنيف والتدوين** وغيرها من مصطلحات هذا المجال، فإن الإلف والتمكن قد يهوّنان على العالم تعريف ما يعرفه ويتقنه ويمارسه اعتمادًا على ذيوع المعنى ورسوخ المهارة وتأصُّل الصَّنْعَة، حيث لا ينتبه الصانع إلى شرح أسرار صنعته، كما لم يوضح صانع الأهرام كيف صنعها.

تعريف التأليف

تُعدُّ كلمة التأليف في اللغة العربية أكثر الكلمات استخدامًا للدلالة على تكوين الإنتاج الفكري والفني وإيجاده، كما كانت ـ أحيانًا ـ تترادف مع كلمات أخرى مثل «التصنيف» التي نشأت مبكرًا مع نشأة الكتاب والتأليف في الحضارة العربية الإسلامية.

ولكن من المهم أن نلاحظ أن العقل العربي في بداية الاشتغال

بالعلم والفكر قد ميَّز أن ما يقوم به بعد التدوين هو التصنيف، وقد اعتبر جمع الحديث النبوي في كتب الجوامع أو السنن أو المدونات، أو جمع اللغة في معجم لغوي تصنيفًا، وأطلق على من يجمعها «مصنِّف» الكتاب وليس مؤلفه؛ لأنه في هذه الأحوال يعمل ويحلل ويبوب المعاني والألفاظ التي ليست من إبداعه أو خلقه، بل هي نصوص ومفردات وألفاظ سابقة عليه يقوم **بخدمتها وتصنيفها** بكل ما تعنيه كلمة **التصنيف** من جمع للمتشابه وترتيب للعام ثم الخاص... إلخ.

وقد ميَّز حاجي خليفة (ـ ١٠٦٧هـ) بين التأليف والتصنيف بشكل موجز، حيث قال: «التصنيف هو جعل الشيء أصنافًا مميزة، أما التأليف فهو إيقاع الألفة بين الكلام، مع التمييز بين الأنواع»[١].

ويبدو هنا أن التصنيف يخدم ويرتب النصوص ليحافظ على المعاني محتفظًا بألفاظها، أما التأليف فيشمل حرية التصرف في الكلمات والصياغة، وكان هذا المفهوم شائعًا في كتابات أبي حيان التوحيدي (ـ ٤١٤هـ)، حيث اعتبر أن المؤلف هو من يقوم بجمع الكلمات ليؤلف بينها وينظمها لينتج أعمالًا أدبية أو علمية أو غيرها[٢].

ولم تأخذ لفظة التأليف في لسان العرب بُعدًا اصطلاحيًّا، بل تناولها لغويًّا بقوله: «التأليف من ألَّفتُ الشيء إذا وصلتُ بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب»[٣].

كما يعرّف الجرجاني (ـ ٨١٦هـ)، التأليف بأنه «جعل الأشياء الكثيرة بحيث يُطلق عليها اسم الواحد»[٤].

---

(١) كشف الظنون: «المقدمة»، ١٦/ ٣٥.
(٢) طيبة صالح الشذر، ألفاظ الحياة الثقافية، ص٤٥.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة: (ألف).
(٤) الجرجاني، علي بن محمد علي، التعريفات، ص٥٠.

ويمكن أن نضع تعريفًا محددًا للتأليف يشمل خلاصة ما تم استقراؤه من التأليف العربي القديم، والتأليف بمصطلحه الببليوجرافي والمعلوماتي والأدبي الحديث، كما يلي[1]:

١ ـ يقابل التأليف في اللغة الإنجليزية كلمتين هما: (authorship) و(composition).

٢ ـ والتأليف هو وضع أي عمل عقلي علمي أو أدبي أو فني في صورة قابلة للفهم أو التذوق والإحساس.

٣ ـ وفي شكل مسجل يمكن استرجاعه بالقراءة أو المشاهدة أو السماع أو اللمس... إلخ.

٤ ـ وهو عمل تركيبي تتعاون في إتمامه عناصر لا تُحصى من: الثقافة، والتحصيل، والاتصال، والتأمل، والإحساس، والخيال، والتحليل، والنقد، والرأي، والبرهنة، والتعديل، والتطوير، والتركيب، والانتقال من المسائل الجزئية إلى التنظير أو النظرة الشاملة، وكذلك الانتقال من النظرة الشاملة إلى المسائل الجزئية.

٥ ـ وتدخل في التأليف عناصر الابتكار والإبداع، والعناصر الفكرية والعاطفية والتنظيم والتشكيل في المضمون، وأسلوب العرض العلمي أو الأدبي أو الفني، ويشمل ذلك الألفاظ والمعاني، أو مفردات التعبير الفني في الرسم والنحت والموسيقى.

٦ ـ ويشمل كل مجالات الفكر والمعرفة والفنون بأنواعها التشكيلية والتعبيرية.

---

(١) انظر:

أ ـ جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص٥٧. (التأليف).

ب ـ مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم مصطلحات الأدب، ص٤٩. (التأليف).

ج ـ Harrod, L.M.Harrod's lib. Gloss. P51. (authorship).

٧ - والتأليف مرتبط بالفرد ورؤيته وتفكيره وتعبيره الشخصي، وينتج عنه عمل يُنسب إلى مؤلف فرد Personal author مسؤول عن المحتوى الفكري أو الفني للعمل، ويبرز فيه الجانب الذاتي في التفكير أو الابتكار والإبداع والأصالة، ويمكن أن يشترك فيه أكثر من مؤلف.

٨ - ويشمل التأليف في مفهومه الأوسع، ما ينتجه مؤلف الموسيقى Composer والفنان (الرسام والنحَّات والمصور والمصمِّم... إلخ)، وكل من يمكن أن يُنسب إليه العمل الذي ابتدعه بشكل محدد.

٩ - وعادة ما يتم - على أساس نظري بحت - تمييز المؤلِّف عن المحرِّر والمحقق editor، والمترجِم translator، والمصنِّف compiler... إلخ، إذا لم يكن أي من هؤلاء مسؤولًا عن المحتوى الفكري، ولكن هذه الأعمال تمتزج فيها عناصر التجهيز أو الإعداد أو المعالجة أو النقد والتقييم لإنتاج شخص آخر (باللغة نفسها أو بلغة أخرى)، بعناصر التصرف الذاتي والاجتهاد والإبداع والقراءة الخاصة للنص (أو الرؤية والتفسير)، وهنا قد يحدث التداخل بين التأليف وهذه الأنواع من العمل التأليفي، أو التداخل بين الإبداع الفردي والمعالجة التوثيقية أو التنظيمية أو التحريرية... إلخ.

١٠ - ونظرًا لارتباط التأليف بالمَلَكات أو المواهب والتميز الفردي والدوافع الإبداعية، فقد كان التأليف قديمًا وسابقًا على ظهور الكتابة والكتب، فالشعراء وصُنَّاع الأساطير والحكايات منذ أقدم العصور مؤلفون حتى ولو لم يدركوا الكتابة والتسجيل.

والخلاصة: إن المؤلف (author) هو الكاتب الأصلي لعمل أدبي، أو علمي، وهو المبدع، أو المبتكر، أو الصانع، أو من يكتب بخبرة ومهارة، ويكون مسؤولًا عن محتويات النص.

التأليف سابق على حضارات الكتابة

يمكن القول بأن أي إنسان له نشاط عقلي يقوم من خلاله بشكل أو بآخر بتأليف تصورات وتفسيرات عند معايشته للمجتمع والطبيعة، كما يصل بعض الناس إلى نظم الشعر وقول النثر والإسهام في الأساطير والحكايات والأمثال المتواترة عبر العصور، مما قد يشكل التأليف الجماعي في صورته النهائية، وقد أَطلقتُ على ذلك تسمية التأليف باعتباره تعبيرًا ذاتيًّا عن الشخص قد يصل إلى الإبداع، وقد حدث ذلك في كل الحضارات والمجتمعات البدائية والمتقدمة، سواء كانت أمية أو كاتبة.

وقد ظهر مؤلفون مبدعون كتبوا أفكارهم في مصر القديمة، وحضارات ما بين النهرين والصين وإيران وغيرها.

تأليف الشعر والنثر قبل الإسلام

حدث ذلك في مجتمع العرب قبل الإسلام، في مجال الشعر والخطابة، وإن كان لم يدوَّن إلا نادرًا (مثلما حدث عند كتابة المعلَّقات)، وأي مجموعة أو ديوان للشعر يعتبر من تأليف صاحبه؛ لأنه نبع من ذاته ورؤيته وإبداعه، سواء كان مرويًّا أو مكتوبًا.

وعندما عرف المجتمع العربي الإسلامي التدوين والتصنيف شمل ذلك موروث التأليف في الشعر والخطابة والأمثال والحكايات في الجاهلية والإسلام.

تطور مراحل التأليف عند العرب

إذا تتبَّعنا مراحل التأليف منذ نشأة الثقافة العربية ـ الإسلامية المكتوبة، **يمكننا أن نرصد المراحل التالية**:

أولًا: الرواية والحفظ والسماع في المرحلة الشفهية في بداية

الإسلام: (رواة الشعر والأنساب ـ حفاظ القرآن فور نزوله ـ المحدِّثون بالحديث النبوي).

ثانيًا: التدوين: تدوين القرآن الكريم ـ تدوين السيرة والفقه والحديث النبوي وغيرها (الجمع والتسجيل من الرواة ومن الصحف والكتابات المتفرقة).

ثالثًا: التصنيف: تبويب النصوص المدونة والروايات الشفهية، **ويشمل**:

أ ـ التصنيف بحسب الموضوعات والأبواب، أو الترتيب الهجائي، أو الطبقي في الحديث والفقه والتفسير والسير والتاريخ والأدب وكتب الطبقات والتراجم وغيرها، وصناعة الموسوعات والمعاجم الكبرى.

ب ـ التصنيف بحسب أسماء رواة الحديث من الصحابة، مثل: مسند ابن حنبل، أو أسماء الأشخاص في التراجم، أو الترتيب الزمني.

ج ـ أعمال علمية لخدمة المصنفات وتنقيتها وتكملتها، مثل: المستدركات والمستخرجات والتهذيبات... إلخ.

رابعًا: الترجمة من اللغات الأخرى، وخدمة الترجمات بالتحرير والاستدراك والشرح والتعليق والمناقشة والمعارضة والتلخيص.

خامسًا: التأليف المكتوب: الإبداع والمسؤولية الفردية في الشعر والمقالات والتأليف العلمي والتاريخي والتراجمي والجغرافي... إلخ، والنقد والتنظير في اللغة والعَروض والفلسفة والتاريخ... إلخ.

وفي ما يلي عرض لأهم هذه المراحل(١):

---

(١) انظر هذه المراحل بالتفصيل في كتاب: كمال عرفات نبهان، تعريف التأليف، تحت الطبع.

أولًا: الرواية والحفظ والسماع:

الرواية الشفهية[1]: هي أن ينقل شخص عن الآخرين نثرًا أو نظمًا، مشافهة وليس كتابة، كما كانت الحال في ما ينقله رواة العرب من الشعراء ومن الأعراب في البوادي ومن رواة الأنساب والحكايات والتواريخ وغيرها. وكانت الرواية الشفهية وسيلة العرب قبل الإسلام في نقل تراثهم الفكري من السَّلف إلى الخَلَف، وكانت تحترف هذه الرواية طبقة من الناس[2]، وكان لكل شاعر راوية أو رواة يمثلون دواوين ناطقة متحركة.

وعندما نزل القرآن الكريم حفظته طبقة من الحفاظ، إلى جانب كتابته في قطع مجزأة من مواد الكتابة حتى تم تدوينه مكتوبًا.

ورغم التدوين والتصنيف في ما بعد، ظلت للرواية والسماع أهمية بالغة في التعليم، تسانده الكتب التي حفظت صورة الرواية والإسناد في صور مكتوبة في مجالات متعددة من العلم.

ثانيًا: التدوين:

هو نقل نص معين من نظام تسجيل إلى نظام تسجيل آخر، وخصوصًا التسجيل المكتوب لكلمات منطوقة عادة، مثلما حدث عندما نقل العرب الروايات الشفهية من ذاكرة الحفاظ والرواة إلى نص مكتوب.

ويشمل التدوين الجمع والترتيب، ويُعرِّف الجرجاني (ـ ٨١٦هـ) التدوين بأنه: «إدناء البعض من البعض، وهو عكس التفرق أو التشتت أو الاختلاط»[3].

---

(١) الرواية الشفهية = Oral narration أو Oral tradition.

(٢) مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية، ص١٠٥.

(٣) Wahba, Magdi: A dictionary of literary terms, p576.

ويُعد تدوين القرآن الكريم من أهم ظواهر المعلومات في التاريخ العربي والإنساني، وقد حدث بعد وفاة الرسول ﷺ وبدأه أبو بكر (ـ ١٣هـ) بوصية من عمر بن الخطاب (ـ ٢٣هـ)، عندما جمع القرآن من الكتابات المتفرقة ومن قراءة الحفاظ[(١)]، واكتمل التدوين في عصر عثمان بن عفان (ـ ٣٥هـ).

ولم يكن العرب يعرفون التدوين من قبل، بل كانوا مغرمين بالحفظ والرواية الشفهية، ونادرًا ما دوِّنت بعض قصائد الشعر وبعض الأمثال قبل الإسلام[(٢)].

ومنذ منتصف القرن الأول الهجري تطورت ظاهرة التدوين بعد الانتهاء من تدوين القرآن، وبدأت كتابة السير والمغازي، وتدوين الروايات حول ملوك العرب والعجم في كتابين لابن شريه الجرهمي (ـ ح٦٧هـ) وهما «الأمثال»، و«أخبار الملوك الماضين»[(٣)]، وتدوين التفسير مثل تفسير الرياحي (ـ ٩٠هـ)، ومجاهد بن جبير (ـ ١٠١هـ)[(٤)].

وفي الحقبة منذ أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي كان نشاط العرب في التدوين يشبه نشاطهم في فتوح البلدان، فقد نظم العلماء العرب أنفسهم فرقًا مثل فرق الجيش، كل فرقة تغزو الجهل أو الفوضى في ناحيتها، وتخضعها لنظامها، فكانت فرق للغة والحديث والنحو والكلام... إلخ[(٥)].

وحظي الحديث النبوي باهتمام خاص في التدوين.

---

(١) مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص٥١.

(٤) كشف الظنون، ١/ ٤٢٧.

(٥) حسين نصار، المعجم العربي، ١/ ٣٢ ـ ٣٣.

وقد مرَّ بثلاث مراحل[1]:

١ ـ كتابة الحديث:

فقد سجلت الأحاديث في عصر الصحابة وأوائل التابعين في كراريس صغيرة سُميت بالصحيفة أو الجزء، وكان ذلك بشكل شخصي، ورُوي أن أول من دوَّن الحديث هو عبد الله بن عمرو بن العاص (ـ ٦٥هـ) في صحيفة سمَّاها: «الصادقة»، كما جمع همام بن المنبه (ـ ١٣١هـ) صحيفة أخرى سمَّاها: «الصحيحة».

٢ ـ تدوين الحديث:

فقد جُمعت الكتابات المتفرقة في الربع الأخير من القرن الأول والربع الأول من القرن الثاني الهجري، إلى جانب الروايات الشفهية.

٣ ـ تصنيف الحديث:

شهدت هذه المرحلة بداية التنظيم المنهجي للأحاديث المدونة، سواء حسب الأبواب الفقهية، أو حسب أسماء الصحابة[2]، وبدأ ذلك بمحاولة محمد بن مسلم الزُّهري (ـ ١٢٤هـ)، ثم جاء الإمام مالك (ـ ١٧٩هـ)، وابن حنبل (ـ ٢٤١هـ) ليجمع حوالي ثلاثين ألف حديث، واكتملت مدوَّنات الحديث في الكتب الستة الجامعة في القرن الثالث الهجري.

واستمر تدوين المدونات التاريخية والأدب، وغيرها من العلوم النقلية والعقلية.

ثالثًا: تصنيف الكتب:

كان التصنيف هو المرحلة التالية للتدوين، للاستفادة من هذا

---

(١) سزكين، تاريخ التراث العربي، ١/١١٨ ـ ١١٩.

(٢) المرجع السابق، ص١١٩.

المخزون الهائل وغير المنظم من العلم، وقد استخدم العلماء العرب لفظة «التصنيف» بوعي دقيق وأمانة للتعبير عن طبيعة الجهد العلمي ونوعية الكتب التي اشتغلوا بها، رغم أن تعريفهم لما يتفقون عليه من أصول هذه الصنعة كان مجرد كلمات محدودة، وكان أكثرها وضوحًا عند السيوطي وحاجي خليفة، وكانت كلمة التأليف تستخدم أحيانًا كمرادف لكلمة تصنيف، ولكن تركيز العلماء على القول: «تصنيف فلان...»؛ تعني: أن الحدود والخصائص كانت واضحة في أذهانهم عندما صنفوا في الحديث والتفسير والسيرة والفقه والمعاجم اللغوية وغيرها؛ لأن محتوى هذه الكتب ليس من تأليفهم وإنما هم يخدمونه ويشتغلون به.

ويمكن القول بأنه كلما زاد دور النصوص غلبت طبيعة التصنيف، وكلما زاد دور المؤلف غلبت طبيعة التأليف، وغلبت بالتالي درجة الحرية في التعامل مع النصوص والأفكار، والاعتراض والجدل والمناقشة لما تحتويه.

ويمكن أن نميز خصائص التصنيف في ما يلي:

١ ـ اشتغال المصنِّف بأقوال السابقين عليه، «فالكتب المصنفة مضطرة إلى غيرها»[(١)]؛ لأنها تقوم أساسًا على النقول والروايات المنسوبة إلى مصادرها.

٢ ـ يقوم المصنِّف بتجميع الحقائق والأقوال والمقتبسات من أعمال دينية وعلمية وأدبية مختلفة، وترتيبها بطريقة من الطرق «وجعلها أصنافًا مميزة»[(٢)].

٣ ـ كان من الضروري أن يتأهل العالم للتصنيف بالاطلاع على حقائق العلم[(٣)].

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٤٢٧.

(٢) كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٣٥.

(٣) السيوطي، التعريف بآداب التأليف، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، القاهرة، =

٤ ـ الاجتهاد في التحقيق والمراجعة، ومعرفة مختلف كلام الأئمة وما اتفقوا فيه وما اختلفوا والصحيح والضعيف[١].

٥ ـ تهذيب ما يصنفه مع وضوح العبارة والإيجاز والبعد عن الاستغلاق أو الركاكَة[٢]، وشمل التصنيف شرح النصوص وذكر أصلها في سلاسل من الإسناد في كثير من الأحيان، ولم يقتصر ذلك على النقول الدينية فقط، بل شمل المجالات الأخرى.

٦ ـ كانت المصادر التي يعتمد عليها المصنف كما يلي:

أ ـ التدوين، وكانت المدونات تتسم غالبًا بالجمع دون تبويب حتى القرن الثاني الهجري[٣]، فقد كان الهدف الأساسي منها حفظ النصوص من الضياع أو الخلط أو التشويه.

ب ـ الروايات والسماعات من أساتذة المصنف، ومن المصادر الموثوقة من الرواة، مما يكوِّن رصيدًا يحفظه ثم يعيد تصنيفه.

٧ ـ وبعد أن كان الجمع هو الصفة العامة للتدوين في مراحله الأولى، أخذ التصنيف يتطور ويتنوع شيئًا فشيئًا حتى نضج واكتمل بظهور كتب الموطآت والمصنفات والمسانيد والسنن والجوامع والمستخرجات والمستدركات، وقد أصبحت هذه الكتب المصادر الرئيسة للحديث في ما بعد، وتنوعت مناهج العلماء في تأليفها[٤].

٨ ـ كانت مناهج التصنيف في الحديث نموذجًا تأثر به التصنيف

= مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٥م، ص١٨.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) محمد الصباغ، الحديث النبوي: مصطلحه، بلاغته، كتبه، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٩٧٧م، ص٤٥.

(٤) يوسف عبد الرحمٰن المرعشلي، علم فهرسة الحديث، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ، ص١٤.

وكذلك التأليف في بقية العلوم النقلية وكذلك العقلية إلى حد كبير، فقد تأثر به التفسير والفقه والسيرة والتراجم والتاريخ ومعاجم اللغة وغيرها.

٩ ـ شمل التصنيف إنتاج الكتب والرسائل.

١٠ ـ وإذا كان تعريفنا للتأليف يعتمد على تغليب نسبة مسؤولية المؤلف الشخصية عما يكتب، فإن التصنيف كان يعتمد على أمانة المصنف في عرض النصوص وإسنادها بسلسلة من الرواة والمصادر، والموضوعية الشديدة، وكان إنكار الذات لدى المصنف، هو المقابل للمسؤولية الشخصية للمؤلف، رغم أن كثيرًا من المصنفات كانت أعمالًا هائلة وإبداعًا من المذهل أن يكون من إنتاج شخص واحد، مثل ابن منظور والسيوطي مثلًا.

*** التداخل بين جهود التصنيف والتأليف عند كثير من العلماء:**

كان كثير من المصنفين من كبار العلماء الموسوعيين أصحاب الفضل في فنون الأدب والعلم المختلفة، وكانت لهم وجهات نظرهم واجتهاداتهم وتحليلهم وفهمهم للنصوص التي يصنفونها، ولذلك كان التصنيف يتداخل مع ما يبدعه ويؤلفه هؤلاء من اجتهاد وتحليل ونظر، إلى جانب العبقرية التي كانت تمثل بنية تحتية أو «برامج»[١] في الإعداد والابتكار في الترتيب المنهجي للنصوص.

رابعًا: ظهور المؤلف «الكاتب» في الثقافة العربية:

توافرت خصائص التأليف في كثير من الكتب العربية منذ وقت مبكر، ويعتبر أصحابها مؤلفين وليسوا مصنفين، ومن أمثلة ذلك كتاب

(١) يمكن تشبيه هذه البنية التحتية ببرامج الكمبيوتر في عصرنا وهي تختفي في ذاكرة الحاسب ولكنها تتحكم في التشغيل، وهكذا كانت مثلًا نظم الترتيب المتحكمة في المعاجم اللغوية أو الطبقات أو التراجم أو كتب الحديث بأنواعها... إلخ.

سيبويه (ـ ١٨٠هـ) في اللغة والنحو، وخير وصف له قول حاجي خليفة: «إن الكتب المصنفة في العلوم **مضطرة إلى غيرها**، وكتاب سيبويه لا يحتاج إلى غيره»[1]. وكان سيبويه في «كتابه» ذا شخصية واضحة، وكان يستوعب ما سمعه من العرب، ويرجح ما يراه صائبًا من آراء العلماء، ويستخدم القياس كثيرًا لاستنباط القواعد والفروع، وشمل كتابه أحكامًا في القراءات والتجويد والبلاغة والشعر وصناعته، وقد اعتمد على تأليف من سبقوه مثل الخليل بن أحمد (ـ ١٧٥هـ)، وابن حبيب، ولكنه لم يكن في كتابه «يصنف أقوال غيره»[2]، بل قام بالإبداع والتنظير والتأليف.

وكان أستاذه الخليل بن أحمد يصنف الكتب ولكنه كان مؤلفًا أيضًا، حينما أبدع تأليف أوزان الشعر أو تقنينها، وحينما أبدع الترتيب الصوتي للحروف العربية وبدأها بحرف العين، وحينما أبدع في اكتشاف تقاليب الكلمات. أما تجميعه لألفاظ اللغة في «معجم العين»، فهو تصنيف، وهكذا اجتمع في معجمه التأليف والتصنيف.

وقد استخدم أبو حيان التوحيدي لفظ: «المنشئ» ليعني من يضع الكتب والمؤلفات[3]؛ أي: المؤلف المبدع، كما نجد التوحيدي يقرن لفظة التأليف بالنظم والرصف في الأدب، وكذلك بتأليف الأعمال العلمية وغيرها، ونلاحظ ارتقاء كلمة «التأليف» عندما أصبح التفاضل بين البلغاء يسمَّى تأليفًا، كما ذكر في كتابه «الإمتاع والمؤانسة»[4].

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٤٢٦ ـ ١٤٢٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) طيبة صالح الشذر، ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، ص٤٥، ٩٧٠.

(٤) المرجع السابق، ص٩٢، والإشارة إلى الإمتاع والمؤانسة، ٢/ ١٣٢.

وإلى جانب المجالات السابقة في الإبداع، نجد التأليف المباشر المعبر عن ذات المؤلف في المجالات التالية: العلم والرياضيات والفلسفة والسير الذاتية، عندما عبر المؤلفون العرب والمسلمون عن تجارب ذاتية ومعاناة وصراع فكري داخلي، وكتابات شهود العيان لما شاهدوه بأنفسهم مثل «تاريخ الوزراء» للصولي، الذي كان شاهد عيان لكثير من الحوادث[1]، وما كتبه أبو شامة عن الحروب الصليبية، وكذلك كتب الرحلات التي وصفت مشاهدات المؤلفين وتجاربهم، وقد ظهر الاهتمام بالتأليف حول «الأوائل» من الشعراء والكُتَّاب الذين سبقوا غيرهم إلى الابتكار والإبداع أو التجديد في ما كان موجودًا، وذلك بسبكه أو صياغته بشكل أجمل وأفضل[2]، وهؤلاء يعتبرون مؤلفين، حيث تزداد درجة المسؤولية عن الأفكار والمعلومات والألفاظ في بنية النص.

وهكذا اكتملت عناصر التأليف العربي وتأسست على بنية أساسية قوية من تدوين العلم وتصنيف الكتب، وتكاملت مع ما أضافته الترجمة إلى الذاكرة العربية، ودارت عجلة التأليف والإبداع والتطور.

---

(١) روزنتال، فرانتز، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص١٧٨.

(٢) المرجع السابق، ص١٧٢.

المبحث الثاني

التأليف النصِّي المحوري

يعتمد التأليف على عدة مصادر اتصالية، من أهمها المصادر المقروءة أو الوثائق المدوَّنة للثقافة والمعرفة، التي يستقي منها المؤلف خبرة الأجيال السابقة، ويضيف عليها من جهده وتجربته ورؤيته.

ويمكن أن يقسم التأليف من حيث مصادره إلى **نوعين رئيسين**:

النوع الأول: التأليف الإبداعي

وهو الذي ينطلق فيه المؤلف معبرًا عن نفسه بغير ارتباط بوثائق معينة أو منهج معين يلزمه بتوثيق مصادر أقواله؛ **كالشعر والدراما** وأنواع كثيرة من القصة والأدب... إلخ.

ورغم أن كثيرًا من الأنواع السابقة لا يستغني فيها المؤلف عن القراءة، وقد يصل به الأمر إلى قراءات مطولة ومحددة لضبط وقائع ودراسة حالات معينة تاريخية أو سيكولوجية أو غيرها؛ تمهيدًا للتأليف الإبداعي فيها، كما عبر عن ذلك كثير من الأدباء المبدعين الذين وضَّحوا كيف يجهزون لأعمالهم الأدبية، إلا أن الإنتاج الإبداعي في النهاية لا يلتزم بالإشارة إلى مصادر الأفكار والمعلومات كما تلتزم أنواع أخرى من التأليف، (فهذا غير ممكن ـ مثلًا ـ في القصيدة أو المسرحية أو القصة، باستثناء الأعمال التاريخية البحتة الملتزمة بقائمة للمصادر).

النوع الثاني: التأليف الوثائقي

وهو التأليف الذي يعتمد على أشكال متعددة من الاتصال لتجهيز المواد المُنْتَجَة، ومن أهم أشكال الاتصال هذه الاتصال القرائي بالمصادر والمراجع، وكل أشكال الوثائق التي تحتوي على خبرة الإنسان المسجلة وتوثيقها، وقد أَطلَقْتُ على هذا النوع تسمية «**التأليف الوثائقي**»؛ لأن من معاييره العلمية والأكاديمية أن يشير ـ في أحسن أحواله ومستوياته ـ إلى مصادر الأفكار والمعلومات التي يأخذها عن الآخرين، وتمييزه عما يخص المؤلف من فكر أو إنتاج علمي أو إبداعي يصاحب ما أخذه عن مصادر أخرى.

والتأليف الوثائقي يتسع ـ في ما عدا الإنتاج الإبداعي السابق ـ لكل أنواع المعرفة، بدءًا من النقد الأدبي إلى سائر العلوم الإنسانية والاجتماعية والبحثيَّة والتطبيقية... إلخ.

ويمكن أن نميز في التأليف الوثائقي بين نوعين أساسين:

أولًا: التأليف الاستشهادي.

ثانيًا: التأليف النَّصِّي المِحْوَرِي.

وفي ما يلي تعريف لكل منهما:

أولًا: التأليف الاستشهادي:

وهو التأليف المعتمِد على عدة مصادر ومراجع، ويمكن أن نسمِّيه «**التعامل الأفقي مع مصادر متعددة**»، حيث يستشهد المؤلف ويقتبس أجزاء تَهُمُّه من مؤلفات كثيرة، ويصل الأمر في بعض الحالات إلى مجرد ملامسة النصوص في استشهاد سريع، لغوي أو تاريخي أو علمي... إلخ.

ويتعامل المؤلف في هذه الحالة مع عدد من المراجع والمصادر يزيد أو ينقص بحسب طبيعة البحث وظروفه، وعندما يلتزم المؤلف بذكر

المراجع والمصادر التي رجع إليها، فإنه يوضح حدود اتصاله العلمي بالإنتاج الفكري السابق، ومدى استفادته منه، أو نوعية علاقته وموقفه الفكري والمنهجي من هذا الإنتاج؛ توضيحًا لأبعاد الاتصال العلمي ومسار المعلومات من ناحية، وتحقيقًا لمبدأ الأمانة العلمية من ناحية أخرى.

وفي إطار هذا النوع من التأليف، لا يمكن في الغالب نسبة العمل في مجموعه، أو أجزاء مميزة منه، إلى نص سابق بالتحديد، بل هو **تأليف جديد** ينهل من منابع عديدة، في إطار منهجه وموضوعه، ويمتزج فيه كل ذلك ليصبح كيانًا جديدًا، بصرف النظر عن تقييم محتواه الفكري.

ثانيًا: التأليف النَّصِّي المِحْوَرِي:

وهو يعني: التأليف الذي يعتمد في الغالب على نص محدد، لكي يتخذه **محورًا للتأليف**، وهو ما يمكن أن نسمِّيه بـ: «**التعامل الرأسي مع نص معين**»، وفي هذه الحالة يقوم النص الجديد على أساس غرض محدد هو الارتباط بنص سابق، سواء بالإفادة منه أو خدمته بأي شكل من الأشكال، بشرحه، أو تلخيصه، أو الاستدراك، أو التكملة عليه... إلخ.

وفي بعض الأحيان يقوم التأليف النصِّي على نصَّين أو أكثر، سواء بالتلخيص، أو الإدماج، أو المقارنة... إلخ، وفي هذه الحالة لا يختلف الموقف عن التأليف النصِّي المعتمد على نص واحد، فهو لا يزال تأليفًا نصيًّا يتعامل مع النصوص الأصلية التي يرتبط بها بإحاطة وشمول، وتحكمه علاقة محورية بهذه النصوص، تشبه علاقة القرابة المحددة، وليس كالتأليف الاستشهادي الذي يتعامل مع المؤلفات الكثيرة الأخرى عن طريق الاستفادة من جزئيات محدودة بها.

وفي مجال التأليف النصِّي، يُتخذ النص السابق كبيئة أو وسط Medium ينمو فيه أو منه، أو يُبنَى عليه نص جديد، فالنص الجديد يُستَنْبَت

أساسًا في هذه البيئة (أي: النص الأصلي المحوري)، وقد تُستكمل بعض المعلومات من مصادر أخرى، بالإضافة إلى خبرة المؤلف القائم بالتلخيص أو الشرح أو الاستدراك. ولكن الأساس هو نص محوري سابق، يرتكز عليه التأليف التالي، ويبني عليه،أو ينقده أو يكمله.. إلخ.

وقد استدعى تشخيص العلاقات بين النصوص الأصلية المحورية والنصوص المتعلقة بها، أن نميز بين ثلاثة أشكال لهذه العلاقات هي على التوالي: **التأليف التابع، والتأليف المرتبِط، والتأليف المستخدِم** للنص الأصلي. ولا يعني ذلك تقييمًا لمحتوى هذه المؤلَّفات؛ فقد يكون العمل المتعلق بالنص عملًا علميًّا فذًّا يفوق النص الأصلي، وقد يكون عكس ذلك، ولكن التسمية مرتبطة بوصف **العلاقة النصِّية** في هذا النوع من التأليف، وفي إطار **الصنعة وفنون وآليات التأليف**.

وترتبط «**العلاقة**» في التأليف، بـ«**وظيفة ما**»، وكل من العلاقة والوظيفة، لا يمكن وصفهما في ذاتهما بالجودة أو الرداءة، فالشرح كـ«**علاقة ووظيفة**» في التأليف، يحتفظ بأهميته في كل العصور.

ولذلك فإن هذه الدراسة حينما **ترصد وتصِف وتحلِّل** علاقات التأليف بين المؤلفات التي أتاحتها عينة الكتب وآلياتها، لا تختص بتقييم المحتوى الفكري لهذه المؤلفات[1].

---

(١) ومن المهم أن نشير إلى التفرقة الدقيقة بين طريقتي عالِم المعلومات وأخصائي المعلومات في التعامل مع الكتب، فالأول لا يختص بمضمون الكتاب، والثاني ينبغي أن يعرف ويتعامل مع مضمون الكتاب، وتلتزم هذه الدراسة بطريقة عالِم المعلومات.

انظر:

The A.L.A Glossary of library and information science / ed. by Heartsill Young. Chicago, ALA, p188: ((information scientist)) & ((information specialist)).

ويمثل التأليف النصِّي المحوري ظاهرة مهمة في التأليف العربي القديم خاصة، وهو موضوع هذه الدراسة، التي تهدف إلى معرفة مختلف **أشكال العلاقات بين النصوص، وتصنيفها وتوضيح أبعادها وخصائصها** وإبراز أهم **نماذجها**.

ومن المهم توضيح مسألتين هامتين، هما:

١ ـ ليس التأليف النصِّي ظاهرة قديمة فحسب، بل هو ظاهرة مستمرة، واستمرارها ضروري ليس في الثقافة العربية وحدها، بل في كل الثقافات، حيث إن النصوص تمثل واحدة من ظواهر الاتصال والمعلومات، التي تتكون حولها في بعض الأحيان مدارات خاصة، تتمثل في التأليف المرتبط بها أو النابع منها، شرحًا أو انتقادًا أو نقدًا... إلخ.

٢ ـ ليست هذه الدراسة تأريخًا للتأليف العربي، فذلك مجال آخر له طبيعته ومناهجه الخاصة، ولكن هذه الدراسة تُخضع بعض ظواهر التأليف كحالات للدراسة الاستقرائية، من أجل الخروج بتصنيف لعلاقات التأليف النصِّي، وتحديد خصائصه وتسمياته وآلياته، ووظائف كل نوع من أنواع تفارع النصوص أو علاقات النصوص، مثل: وظيفة التلخيص، أو الاستدراك، أو التذييل، أو الشرح، أو الهجوم، أو التأييد... إلخ.

المبحث الثالث

أسباب اختيار البحث وظروفه

اتجهت نية المؤلف إلى دراسة التأليف، منذ كان يُجري دراسة الماجستير، حول موضوع ميول القراءة عند الكبار.

وقد أجريت هذه الدراسة على عينة من القراء بمدينة القاهرة، وكان الإطار النظري لها هو علم الاتصال. وقد درس الخصائص الاتصالية للقراءة كجزء من نموذج الاتصال، الذي يشمل المرسِل ـ الرسالة ـ الوسيلة ـ المتلقي. وكانت القراءة في هذا الإطار تمثل الاتصال السطري، عن طريق الكلمة المقروءة، وقد حاول المؤلف حينئذ طرح تعريف محدد للسلوك القرائي.

ومن خلال هذه الدراسة السابقة، انبثقت فكرة دراسة التأليف، باعتبار أن العنصر السابق على القراءة هو التأليف، وهو وثيق الصلة بدورة الاتصال القرائي؛ لأن التأليف ذاته يعتمد على القراءة والمصادر المقروءة في مرحلة اتصالية سابقة على الإرسال، ثم يوجه رسالة إلى قارئ جديد في دوائر لا حصر لها من التلقي والتفسير والمعرفة.

وقد اتضح أن التأليف من هذه الزاوية **المعلوماتية ـ الببليوجرافية**، لم يحظ بالدراسة من قبل بشكل محدد وواضح.

ويشمل الاتصال القرائي المقصود رجوع المؤلف إلى نص واحد يخدمه ويؤلف عملًا يرتبط به ويدور في محوره، كأن يشرحه أو يلخصه أو يهذبه أو يستدرك عليه أو يذيِّل بعده... إلخ، أو مزجه بين التركيز

على نص معين، والرجوع إلى قراءات ومراجع متعددة.

واتجهت النية إلى دراسة التأليف عن طريق نوعين من العينة:

أولًا: عينة من الكتب.

ثانيًا: عينة من المؤلفين.

وأجري البحث على كل من العينتين، واستغرق ذلك سبع سنوات من الباحث، أجرى أثناءها مسحًا ببليوجرافيًّا على المؤلفات العربية في ١٤ قرنًا، وهي المستخدمة في هذا البحث، وأجرى بحثًا آخر تستخدم فيه استمارة استبيان تم توزيعها على مؤلفين عرب في مجالات الأدب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وامتد النطاق الجغرافي للعينة باتساع الوطن العربي، ولقي البحث اهتمامًا طيبًا من مؤلفين أظهروا روعة العطاء بقدر ما لهم من روعة الإبداع والفكر، وكان أسبقهم إلى ذلك الأستاذ نجيب محفوظ، ثم توالت الردود من كثير من المؤلفين الأفاضل في مصر والمغرب وتونس والكويت ولبنان والسعودية والبحرين وقطر وغيرها.

وقد تطوع بالمساعدة في توزيع الاستمارات وتلقي الاستجابات وإرسالها للباحث أساتذة وإخوة أكدوا من جديد أن العلم يزدهر بالمودة والعطاء.

وتم توزيع بيانات الاستبيان باستخدام الحاسب الآلي، وذلك بمعونة نخبة من الشباب الذين تفخر بهم مصر.

وحينما بدأت في فحص النتائج، اتضح أن عينة الكتب التي تغطي التأليف العربي (**النَّصِّي**)، قد احتلت الموقع بأكمله، ووجدت أن الموضوع ينبغي أن يأخذ حقه ومكانه من البحث والعرض، بدلًا من أن يكون جزءًا من بحث؛ ولذلك خصَّصت هذه الدراسة لتغطية موضوع التأليف النصي وعلاقاته.

ولقد وجدت نفسي في مواجهة ظواهر نادرة ورائعة في التأليف

العربي في كل عصوره، بل وجدت أن أهون القرون عند المؤرخين التي تأتي بعد القرن الرابع الهجري، والتي سُميت ظلمًا بعصور التكرار والنقل.. قرونًا حافلة بالإبداع في صنعة التأليف والتنظيم والترتيب وصنع الموسوعات والكشافات وغيرها من ألوان التأليف وعلاقاته، رغم ما شهدت من عذابات النضال ضد أعداء من الشرق والغرب طيلة قرون عديدة.

وكانت زاوية الرؤية للمؤلف زاوية (**اتصالية ـ معلوماتية ـ ببليوجرافية**)، يتأمل إبداع الصنعة ودوران آلة التأليف وميكانيزماته وعلاقاته وعملياته، فإذا بها تعزف سمفونية رائعة لم نسمعها من قبل في اتساقها وتناغمها وتنويعاتها.

ويبقى الأمل في إتمام البحث الآخر المتصل بعينة المؤلفين، وهو ينصبُّ على التأليف الاستشهادي وأساليب المؤلفين في استخدام المصادر وبعض أشكال الاتصال الأخرى في التأليف، وهو يُعد متممًا للتأليف النصي الذي عولج بهذه الدراسة.

لماذا علاقات التأليف النصّي؟

وجد المؤلف أثناء عمله أكثر من أربعين عامًا في مجالات المكتبات وعلم المعلومات، أن المكتبيين العرب يتعاملون مع المؤلفات تصنيفًا وفهرسة وحصرًا ببليوجرافيًا، وهم يجتهدون في تطبيق أحدث التقنيات والنظم في الوصف الببليوجرافي والتصنيف وغيرهما، ولكن بعضهم حينما تمر بين يديه مؤلفات كالذيول والاستدراكات والشروح والحواشي والردود وغيرها، لا تسعفه خلفيته النظرية والدراسية والخِبروية في إدراك العلاقات بين هذه النصوص ونصوص أخرى سابقة أو لاحقة عليها.

ويرى المؤلف أن توضيح طبيعة الجهد العلمي في عمليات التأليف

النصِّي المختلفة، بتفصيل وتقنين، سيوضح إلى أي مدى يمكن نسبة العمل المرتبط بنص سابق، إلى مؤلفه الجديد أو المؤلف الأصلي، ومثال ذلك: تحديد مسؤولية مُهذِّب النص، ومُلَخِّصه، والمُنتَقِي منه. . . إلخ.

كما أن من الضروري أن تصاغ مصطلحات تشير إلى الأدوار والعمليات المختلفة التي يقوم بها المؤلفون، لوصف مسؤوليتهم عن التأليف بدقة وإحاطة، فإذا كان المفهرس يكتب أمام بعض المسؤولين عن التأليف كلمات مثل: (محقق، مراجع، مترجم. . . إلخ)، فإننا بحاجة إلى صياغة وتقنين، وتوحيد مصطلحات جديدة ومتعددة للدلالة على وظائف وأدوار أخرى لا تزال غامضة أو ملتبسة مثل:

مُهذِّب (من تهذيب النص).

مُلَخِّص (من تلخيص النص).

ناظِم (من نَظم النص).

مُستدرِك (من الاستدراك على النص).

مُذيِّل (من التذييل على النص).

مُنتَقٍ (من الانتقاء من النص).

مُستخرِج (من استخراج النص من نصوص أخرى).

مُكشِّف (من تكشيف النص).

مُطرِّف (من صُنع الأطراف للنص).

مُدمِج (من إدماج عدة نصوص)... إلخ.

ويُعتبر إدراك مثل هذه العلاقات أمرًا حيويًا لتكملة الوصف الببليوجرافي وإضافة المداخل اللازمة لتغطية النص، والإشارة في الوقت نفسه إلى النصوص (المؤلَّفات) الأصلية التي يتصل بها هذا العمل؛ **كالنص الأصلي** الذي تم تلخيصه، أو البناء عليه، أو شرحه. . . إلخ.

كما أن مجال المكتبات يخلو من دراسات تقنن هذه العلاقات وتعطيها التسميات والأوصاف المناسبة، حتى تتضح ملامحها للببليوجرافيين العرب وغيرهم، فيتمكنوا من خدمتها وتهيئة أفضل نظم الوصف والاختزان والاسترجاع للبيانات الببليوجرافية للمؤلَّفات العربية، ويرجع ذلك إلى اعتمادنا على التقنينات الأجنبية في الوصف الببليوجرافي، ونقص الجهود العربية المتعمقة في طبيعة التأليف العربي وخصائصه.

ولقد اهتم كثير من الباحثين والعلماء العرب والمستشرقين بالعلاقات بين النصوص العربية، وظل اهتمامهم منحصرًا في إطار علمهم وتخصُّصهم، ولكن آن لخبراء المعلومات والببليوجرافيا والمهتمين بالتأليف العربي والمخطوطات أن يقتحموا هذه المجالات؛ أداء لواجب المعرفة، وتطويرًا لمناهجهم ومجالهم ووسائلهم، واستقلالًا بدرجة أو بأخرى عن المؤسسات التي تطرح لنا تقنيات العمل الببليوجرافي وأدواته بصورة تعميمية تناسب كل الشعوب والأمم والثقافات؛ لأن كل أمة إلى جانب انتمائها إلى مسار الفكر الإنساني عمومًا، تتحمل وحدها عبء خدمة ومعرفة خصائص ثقافتها، وأشكال التأليف، والأبعاد المميزة لإنتاجها الفكري، وإضافة تفاصيل أكثر خصوصية إلى نماذج الاتصال العلمي وفنون الببليوجرافيا وعلم المعلومات وأساليبهما ونظرياتهما.

ويحرك المؤلف إحساس بأنه قد آن الأوان لعلم المكتبات؛ لأن يوسع من آفاقه[(١)]، فبدلًا من أن يقنع بتجهيز المعلومات وإتاحة مصادرها

---

(١) بخصوص حاجة علم المكتبات إلى مزيد من جهود وأساليب البحث، وإلى دراسة مزيد من مجالات المعرفة. انظر المرجع التالي:

Busha, Charles H. Library science research: The path to progress - in A library science research reader and bibliographic guide / ed. by C.H. Busha - Littleton (Colorado), Libraries Unlimited, 1981, p.p 1-37.

وأوعيتها، أصبح عليه أن يقتحم غرفة توليد المعلومات، وأن يتعرف إلى عمليات التأليف بمختلف أشكالها، من خلال سلسلة متصلة من البحث؛ حتى يصبح تعامله مع المعلومات نابعًا من نظرة متكاملة لطبيعة المعلومات وبنيتها، مما يكسبه مزيدًا من القدرة على السيطرة عليها.

ويأمل المؤلف أن يتاح من خلال هذه الدراسة إيجاد **تصنيف وهيكلة لعلاقات التأليف**، وصياغة **المصطلحات والتعريفات** المبدئية التي توضح العمليات والعلاقات المتعددة والمتشابكة في مجال **التأليف النصِّي** العربي، بحيث يمكن إيجاد **النماذج الببليوجرافية والبرامج المتطورة في الكمبيوتر** لاستيعاب هذه العلاقات واحتواء المؤلفات العربية في إطارها الصحيح والمناسب، عند إعداد مراصدنا الببليوجرافية في المستقبل، بحيث تجمع بين التقنين والتحديد، وبين تكنولوجيا الاختزان والاسترجاع.

المبحث الرابع

الدراسات السابقة في الموضوع

تتبع المؤلف الإنتاج الفكري ـ العربي والأجنبي ـ لمعرفة ما يمكن الوصول إليه من دراسات سابقة حول موضوع علاقات التأليف بين النصوص، وتصنيف هذه العلاقات، وتحديد سماتها وخصائصها، وقد لجأ المؤلف طيلة سنوات خمس إلى البحث تحت عدد من رؤوس الموضوعات المفردة والمركبة عن طريق الربط بينها بأدوات مثل: (و)، (أو)؛ من أجل الحصول على أكبر قدر من الإنتاج الفكري في الموضوعات المطلوبة، **وأهمها**:

1 - Authorship.

2 - Authorship and texts.

3 - Authorship or citations or reading or writing.

4 - Authorship, Techniques or types.

5 - Biblliometrics.

6 - Writing.

7 - Textual Relations.

8 - texts and Authorship.

وقد أشارت المراصد الببليوجرافية إلى مئات من المؤلفات في مجال التأليف من مداخل متعددة، وتم التركيز على أهمها وأقربها احتمالًا، للحصول على مستخلَصات Abstracts للتعرف على محتواها، ولم يتضح في النهاية وجود دراسات محددة في مجال علاقات النصوص

والتأليف النصِّي كما تهتم به هذه الدراسة، كما لم يتوصل المؤلف من خلال المصادر الأخرى إلى دراسات في الموضوع، سواء في ما يتعلق بالتأليف النصِّي باللغة العربية، أو بلغات أجنبية.

وفي مجال التأليف العربي، ينبغي الإشارة إلى مصدرين هامَّين، وردت بهما إشارات بالغة العمق حول بعض علاقات النصوص، **وهما**:

أولًا: «**كشف الظنون**»، **لحاجي خليفة** (ـ ١٠٦٧هـ).

ثانيًا: «**أبجد العلوم**»، **للقِنَّوجِي** (ـ ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م).

وفي ما يلي عرض للمسائل التي وردت بهما:

أولًا:

تحدَّث حاجي خليفة في مقدمته لـ«كشف الظنون»، في الباب الثالث عن المؤلفين والمؤلفات، وفي «الترشيح» الأول تحدث عن أقسام التدوين وأصناف المدونات، وقد أشار إلى أن كتب العلوم كثيرة لاختلاف أغراض المصنفين في الوضع والتأليف، ولكنها تنحصر من جهة المعنى في قسمين:

الأول: إما أخبار مرسلة، وهي كتب التواريخ، وإما أوصاف وأمثال ونحوها قَيَّدَها النَّظْم، وهي دواوين الشعر.

الثاني: قواعد العلوم، وهي تنحصر من جهة المقدار في ثلاثة أصناف:

الأول: مختصرات.

والثاني: مبسوطات تقابل المختصر.

والثالث: متوسطات[1].

---

(١) كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٣٥. وانظر: مبحث تدريج النصوص بهذا الكتاب.

وفي «الترشيح» الثاني أشار إلى الشرح وبيان الحاجة إليه والأدب فيه، وقد تحدث عن أنواع مختلفة للشرح(١).

ويلاحظ في تعليق حاجي خليفة على المؤلفات في كشف الظنون، أنه يستند إلى رصيد متميز وواضح من المعرفة الببليوجرافية بأنواع المؤلفات وعلاقاتها النصِّية، فهو حينما يتحدث عن بعض الشروح، يميز الشرح بأنه ممزوج، أو بِقَالَ أقول. . . إلخ، كما يميز الحاشية بأنها تامة، أو غير تامة، ويحدد وجود بعض المستويات للكتاب الواحد؛ كالمختصرات والمتوسطات والمبسوطات، كما يحدد العلاقات المختلفة للمؤلفات بالنص الأصلي، وهو ما يسمِّيه بـ«المتعلقات»، «بناء على أن المتن أصل والفرع أولى أن يذكر عقيب أصله»(٢).

ولكن حاجي خليفة لم يستطرد في التوضيح والبيان النظري لما اتضح ـ تطبيقيًّا ـ أنه يعرفه من علاقات التأليف، ويبدو أن شدة الألفة والتمكن من الموضوع تجعل المؤلف زاهدًا في الكتابة عنه أو تُهوِّن في نظره من قيمة تسجيله وتدوينه.

ثانيًا:

وفي «أبجد العلوم»، للقِنَّوجِي (ـ ١٣٠٧هـ)، نجد معظم المسائل المذكورة من قبل في «كشف الظنون» منقولة بنصِّها الكامل(٣)، ولكنه يضيف بعدها مباشرة «ترشيحًا» رابعًا، في بيان «مقدمة العلم ومقدمة الكتاب»، يتحدث فيه عن تعريف المقدمة بشكل عام، والفروق بين مقدمات العلم ومقدمات الكتب، وما ينبغي أن تحتويه مقدمة الكتاب،

---

(١) كشف الظنون، المقدمة، ١/٣٦ ـ ٣٧. وانظر: مبحث الشرح بهذا الكتاب.

(٢) كشف الظنون، المقدمة، ١/٢.

(٣) القنوجي، أبجد العلوم، ١/١٨٨ ـ ١٩٦.

وينقل في هذا الترشيح عن المصادر التالية[١]:

- عبد الحكيم بن محمد السيالكوتي البنجابي الهندي (ـ ١٠٦٧هـ) في: (حاشية شرح الشمسية).

- عصام الدين بن عربشاه الإسفراييني (ـ ٩٤٥هـ) في: (الأطول)[٢].

- رفيع الدين الدهلوي (ـ ١٨١٧م)[٣].

كما يهتم القنوجي بالإشارة إلى الشروح والحواشي، وإلى ما يمكن أن يضيفه الشارح والمُحَشِّي إذا زاد على الأصل، وشروط ذلك، والمصطلحات التي تستخدم للإشارة إلى وجود قصور في الأصل واشتماله على حشو وإبهام، وإلى تدخل الشارح، مثل كلمات: «حاصله...» أو «مُحَصَّله...» أو «تحريره...» أو «تنقيحه...»، والكلمات التي تستخدم عند إقامة شيء مقام الآخر، مثل: كلمة «نَزَلَ مَنْزِلَتَه»، و«أُنيب مَنَابَهُ» و«أُقيم مقَامُه»...[٤].

وفي ما يتعلق ببقية الدراسات العربية في مجال التأليف، لم أتوصل إلى دراسات مباشرة حول التأليف النصِّي، ويمكن القول بأنها تتناول التأليف من عدة مداخل أخرى، أهمها:

١ ـ المدخل الإنشائي الديواني: ويتمثل في كتب الإنشاء، **ومن أهمها**:

أ ـ «تسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل بتمثيل المماثلات وتصنيف المخاطبات»، للحميدي (ـ ٤٨٨هـ)[٥].

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٦ ـ ٢٠٣.

(٢) وهو شرح على تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، للقزويني (ـ ٧٣٩هـ). (كشف الظنون ١/ ٤٧٧).

(٣) لم يذكر القنَّوجي عنوانًا محددًا لكتاب معين لهذا المؤلف.

(٤) القنوجي، المرجع السابق، ص٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٥) طبع بالتصوير عن مخطوطة أحمد الثالث باستانبول، ونشره معهد تاريخ =

ب ـ «صبح الأعشى في صناعة الإنشا»، للقلقشندي (ـ ٨٢١هـ).

وهي تركز على فنون الإنشاء وتحرير الرسائل الديوانية والرسمية.

٢ ـ المدخل الإبداعي السيكولوجي، كما يتمثل في دراسات مصطفى سويف ومدرسته[١].

٣ ـ المدخل البلاغي، مثل صناعة الشعر والنثر.

٤ ـ مدخل النشر والقياسات الكمية لاتجاهاته وتوزيعاته الموضوعية والمكانية[٢]، ويشمل هذا الاتجاه التركيز على التأليف المعاصر في إقليم معين؛ كمصر، والسعودية، أو التركيز على فترة تاريخية في إقليم معين؛ كالهند[٣]، وموريتانيا[٤]، وغيرهما.

٥ ـ المدخل المنهجي، سواء من ناحية المنهج العلمي لدى العلماء العرب وانعكاسه على التأليف، مثل دراسة:

أ ـ روزنتال، فرانتز. مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي[٥]،

أو دراسة منهج التأليف في موضوع معين كالأدب، مثل دراسة:

ب ـ مصطفى الشكعة. مناهج التأليف عند العلماء العرب: قسم

= العلوم الإسلامية، فرانكفورت، ١٩٨٥م، مع مقدمة لفؤاد سزكين.

(١) كما تتمثل في دراسات مصري عبد الحميد حنورة وغيره.

(٢) كما تتمثل في دراسات روبير إسكاربيه، وأهمها: ثورة الكتاب، نقل إلى العربية بإشراف اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو، طبعة منقحة بمعرفة المؤلف، بيروت، اليونسكو، د.ت، (٢٤٤ص).

(٣) انظر: دراسة جميل أحمد، حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٧م، ص٦٤٧.

(٤) انظر دراسة: خليل النحوي، آلاف المؤلفات ومئات المؤلفين في مجال التاريخ، الفكر (تونس)، ص٢٣، ع٢ (نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٧م)، ص٦٤ ـ ٨٣.

(٥) ترجمة: أنيس فريحة، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م، ص٢٣٠.

الأدب[1]. وتعد هذه الدراسة العربية الطليعية الأولى، وأوفى دراسة لمناهج التأليف العربي في نطاق الأدب، رصد فيها العلامة الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة هذه الظاهرة منذ فجر التحرك العقلي العربي والإسلامي في مطلع القرن الأول الهجري، وظاهرة التدوين للقرآن والحديث النبوي ومختلف العلوم، ثم رصد حركة الكتابة والإنشاء وتطورها، ورواد التأليف في الأدب، وكُتب الأمالي وطبقات الشعراء والاختيارات الشعرية والحماسات، ثم التراجم، وعرض للأدب الأندلسي والمغاربي، ثم للموسوعات حتى العصر المملوكي.

٦ ـ المدخل الوظيفي كدراسة تأليف المراجع، مثل: المعاجم، والموسوعات، وكتب التراجم وغيرها، وهناك كثير من المؤلفات حول هذا الموضوع.

٧ ـ المدخل التطبيقي للتأليف وطرق كتابة البحوث، مثل: كيفية تجميع البيانات وتبويبها وعرضها، وتحفل المكتبة العربية بكثير من المؤلفات في هذا المجال، وخاصة في ما يتعلق بكيفية إجراء الأبحاث والرسائل العلمية.

٨ ـ مدخل آداب التأليف وطرق كتابة البحوث، مثل كتاب السيوطي: «التعريف بآداب التأليف»[2].

٩ ـ المدخل (التاريخي ـ الوعائي)، وأهم دراسة في هذا المجال هي دراسة: عبد الستار الحلوجي: «المخطوط العربي منذ نشأته إلى أواخر القرن الرابع الهجري»[3].

---

(١) مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب: قسم الأدب، ط ١٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٩م.

(٢) القاهرة، ١٣٣٧هـ.

(٣) الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٧٨م، ص٣٠٢.

وهي تركز على الدراسة التأريخية للمخطوط العربي من الناحية المادية والفنية، كما تعالج تاريخ الكتابة وحركة التأليف والترجمة والوراقة، وطرق المؤلفين في التأليف التحريري المباشر أو الإملاء على الطلاب.

١٠ ـ المدخل الببليوجرافي النصِّي Textual bibliography إلى التأليف، من أجل توفير خلفية لتحقيق النصوص، وقد صاغ «جريج» نظرية بهذا الخصوص[١]، كما أعد أحمد بدر دراسة نظرية في هذا المجال[٢]. وهناك أمثلة وحالات مهمة أوردها كل من: عبد السلام هارون في كتابه: «تحقيق النصوص ونشرها»[٣]، وبرجستراسر في كتابه: «أصول نقد النصوص ونشر الكتب»[٤]. ويحتوي كل منهما على تفاصيل مهمة في مجال التأليف النصِّي وعلاقات النصوص.

وكثير من الدراسات المتعلِّقة بالموضوعات السابقة متاح للباحثين[٥].

وهناك معالجات جزئية للموضوع، وإشارات سريعة حول بعض أشكال النصوص التابعة، مثل: الملخصات، أو الحواشي، وغيرهما،

---

(١) Tansell, G.T. Thomas. Greg's theory of copy - text and the editing of American literature. In (Tansell, G.T. Selected studies in bibliography, Charlottesville, The Univ. Pr. Of Verginia, 1979, p.p245 - 308.

(٢) أحمد بدر، تحقيق النصوص والببليوجرافيا النصية في بحوث علم المكتبات، عالم الكتب (الرياض)، مج٧، ع١، (مارس/آذار ١٩٨٦م)، ص٣٣ ـ ٤١.

(٣) ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧م، (١٤٣ص).

(٤) القاهرة، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، ١٩٦٩م، (١٤٢ص).

(٥) من أهم المراجع الحصرية في هذا المجال:
محمد فتحي عبد الهادي، الدليل الببليوجرافي للإنتاج الفكري العربي في مجال المعلومات (١٩٧٦ ـ ١٩٨٠م)، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٣م، (٢٣١ص).

في مؤلفات عديدة، تنتمي إلى ما يمكن تسميته بـ «المناطق المجاورة من العلم»، التي يمكن أن تساند دراسة التأليف بشكل عام، مثل كتب الأدب والتراجم وغيرهما، وهي تثري موضوع البحث بإضافاتها الجزئية، ولكنها لا تصب مباشرة في موضوع الدراسة.

وكما تعوَّد الباحث من مفاجآت تطالعنا بين آن وآخر من كنوز العلم المخبوءة في المؤلفات العربية، فإنه يأمل أن يجد من المصادر ما يثري الخلفية النظرية الببليوجرافية في مجال التأليف العربي كما كانت لدى العرب أنفسهم، ومن خلال تقاليد التأليف وفنونه التي كانت ـ ولا شك ـ واضحة عندهم أكثر مما نشهد في عصرنا، مما يتجلَّى في تسمياتهم الواعية في كثير من الأحيان للمؤلفات وعنونتهم لها بما يحدد الوظيفة والعلاقة بين نص وآخر عندما يستلزم الأمر[١].

وتبقى المؤلفات نفسها في النهاية، هي المصدر الأساسي والسند الأدبي لهذه الدراسة.

(١) يمكن أن نقارن بين تعريف وظيفة مقدمة الكتاب وتحديدها كما أوضحها واستخدمها المؤلفون القدماء بدقة ووضوح، وبين استخدام كلمات مثل: مقدمة، ومدخل في كثير من عناوين الكتب العربية الحديثة، بغير تحديد أو فهم دقيق للوظيفة المقصودة من هذه التسميات.

الفصل الثاني

المنهج والعينة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج البحث.

المبحث الثاني: عينة البحث.

المبحث الأول

منهج البحث

من أجل تحقيق الهدف من هذه الدراسة، وهو **دراسة وتعريف وهيكلة وتصنيف علاقات التأليف النصي**، وهي **العلاقات التوالدية والتكوينية بين نص وآخر**، كان من الضروري أن تعتمد الدراسة على وجود **حالات فعلية** من المؤلفات، يتحقق فيها كل نوع من علاقات التأليف، لكي يتم التعرف عليه، وتحديد خصائصه، وتسميته، وإدراجه في مكانه المناسب في هيكل التصنيف.

والتصنيف المطلوب، ليس تصنيفًا للمعرفة أو للكتب وأوعية المعلومات في المكتبات، ولكنَّ المقصود هو تصنيف علاقات التأليف المتبادلة بين النصوص، ولعل هذه أول محاولة في هذا المجال.

والحرص على وجود مؤلفات فعلية تُستقى منها علاقات التأليف، هو حرص على ما يسمَّى في مصطلح التصنيف بـ «**السَّنَد الأدبي**» **Literary warrant**، وهو يعني: «بناء نظام في التصنيف، يقوم على أساس من التواجد الفعلي للمواد التي تُصنَّف، أكثر مما يقوم على اعتبارات نظرية بحتة»[(١)].

---

(١) أ ـ The A.L.A Glossary of library and information science... p155.

ب ـ وتلك هي الطريقة المتبعة في تصنيف مكتبة الكونجرس، ففي مقابل كل مصطلح في التصنيف لا بد أن يوجد إنتاج فكري يبرر وجوده.

انظر: ملز، ج. نظم التصنيف الحديثة في المكتبات: أسسها النظرية =

ومن خلال البحث عن حالات أو موضوعات تمتلك صفات مشتركة تسلكها كأعضاء في قسم واحد، يمكن أن يقوم تصنيفٌ لهذه الحالات أو الموضوعات، ويعتبر التصنيف في هذه الحالة، عملية **استقرائية** خاصة بتكوين أقسام واسعة من أقسام أضيق منها، وهي تنتقل من الجزئي إلى الكلي، ومن الخاص إلى العام[(١)].

ويعني ذلك: أن الدراسة تقوم على **الاستقراء**، والبدء بالحقائق الجزئية المتمثلة في **مؤلفات لها علاقات نصية** بمؤلفات أخرى، واستنباط الحقائق الكلية، والهيكل العام **لتصنيف العلاقات**.

ويعتمد الاستقراء على الانتخاب والانتقاء للحقائق، أثناء جمع الحالات والأمثلة الجزئية المنفصلة، وتصنيفها، وتمييز وعزل **الخصائص المشتركة** بينها، وتجميعها في **مجموعات رئيسة**، لا تلبث أن تؤسس أقسامًا رئيسة من علاقات **التأليف النصِّي وعملياته**[(٢)].

وفي مثل هذه الدراسة، ليس من الضروري البدء بفروض مطلقة منذ البداية، فالاستقراء يؤخر الفروض حتى يتم الانتهاء من جميع الجزئيات، ثم يأتي نوع من الفروض هو **الفرض المُقَيَّد**، الذي يخضع للفحص من خلال الجزئيات مرة أخرى، ليعرف هل هو صحيح أم غير صحيح؟ وفي هذه المرة، يكون هناك بحث أكثر تحديدًا عن أمثلة وحالات تسند الفرض وتقترن بالاستنباط الذي يرافق الاستقراء وينتج عنه[(٣)].

وفي أثناء عمليات الاستقراء والاستنباط في هذه الدراسة، كانت

= وتطبيقاتها العملية، ترجمة: عبد الوهاب أبو النور، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦م، ص١٧٦.

(١) ملز، ج. المرجع السابق، ص١٣.

(٢) انظر: أسس الاستقراء في المرجع التالي:
- شوقي ضيف، البحث الأدبي: طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص٣٧.

(٣) المرجع السابق، ص٣٨، ٤٤، ٤٦.

مثل هذه **الفروض المقيدة** تظهر في كل خطوة من خطوات البحث، بخصوص علاقات وخصائص وعمليات في التأليف، تحتاج إلى مزيد من الفحص والشواهد والأمثلة، وإلى مزيد من التأكد لنفي الخلط بينها، ولتمييز المشترك بين أكثر من علاقة وأكثر من عملية في التأليف، خاصة **مع تشابك ظاهرة التأليف النصِّي وتداخلها وتركيبها**.

ولم يشأ المؤلف أن يُثقل الدراسة بهذه الفروض والتساؤلات التي تم التحقق منها في آلاف الفحوص والاستشارات **البيليوجرافية** والمرجعية لكثير من المراجع، وبالرجوع إلى **المؤلفات ذاتها**، والاتصال العلمي **بالمتخصِّصين** بقدر الإمكان، ولعل عرض المادة يوضح بين ثناياه ذلك الحوار والتدقيق والاختبار والفحص والربط والفصل والتمييز والترجيح بين كثير من الخصائص والعلاقات المدروسة.

ومن أجل تحقيق هذا المنهج الاستقرائي، اتبعت طريقة **المسح البيليوجرافي** لعينة من المؤلفات كما سيتضح عند الحديث عن العينة.

ولا يهم في مجال العينة أن يكون هذا الكتاب أو ذاك في مجال موضوعي أو آخر، وإنما المهم هو أن تكون له **علاقة نصِّية محورية بنص أو نصوص أخرى**.

ويعتمد البحث في الأساس على ما جادت به العينة، أو بالأحرى: المادة الخام، أو المصادر الأولية، وهي المؤلفات ذاتها.

ولم يكن الطريق ممهدًا ولا الحقائق جاهزة ميسورة، وكان من الضروري أن تترك الظاهرة نفسها تتكلم، وأن يكون «البحث عن الطريق وسط الغابة لا خارجها»(١).

وأصبحت المؤلفات تتحدث **بشيء آخر بخلاف محتواها العلمي**

---

(١) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية، ط٢، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥م، ص١١.

والفكري، فقد أصبحت تتحدث عن **علاقات تأليفها وصلات النسب والقرابة** بينها وبين مؤلفات أخرى، وتولَّى البحث جمع أقوالها من خلال **الاستقراء والمسح الببليوجرافي**.

ولما كانت العينة مصدرًا للإمداد بالسند الأدبي لما تتوصل إليه الدراسة، لم يعد من المهم حصر عدد المفردات أو التكرارات داخل كل نوع من علاقات التأليف، وربما يكون هناك نوع من علاقات التأليف التي يتم التوصل إليها يستند إلى عدد محدود من المؤلفات التي تمثل سندًا أدبيًّا له، وفي بعض الأحوال اعتبر وجود حالة واحدة من العلاقات بين النصوص، كافيًا **لتسمية** هذا النوع، وإدراجه ضمن هيكل التصنيف، على أساس أنه وجد بالفعل، وربما يكون له مثيل أو أكثر في التأليف العربي، لم تدركه العينة، أو لم يدركه الحصر الببليوجرافي في المراجع الببليوجرافية المستخدمة بالبحث.

كما أن خطر التحيز غير قائم؛ لأن الأحكام ليست قاطعة، وإنما المقصود هو حصر أبعاد ظاهرة معينة، وإثبات حضور لعلاقات التأليف الممكنة. وما يمكن أن يكون أحكامًا أو استنتاجات خاطئة في أنواع أخرى من البحوث نتيجة للتحيز في العينة، يمكن ـ لو حدث هنا ـ أن يكون غيابًا لعلاقات تأليف جديدة، ومن المعروف أن أي تصنيف لظاهرة من الظواهر، يظل ـ مهما طال به الزمن ـ مشروعًا **قابلًا للزيادة والتطوير والتعديل**.

وقد حاولت بقدر الإمكان في العينة أن تكون ممثلة في حدود ما نعلمه عن التأليف العربي، عن طريق الببليوجرافيات والفهارس والمؤلفات ذاتها.

والأمر الحيوي بالنسبة لهذه الدراسة، هو أن يصدق استنتاج الباحث **لأنواع العلاقات**، وفي حدود الممكن لأي عمل ببليوجرافي، **قام المؤلف بما يلي**:

١ ـ معاينة كثير من **المؤلفات** بنفسه، ودراسة **مقدمات** مؤلفيها ومحققيها، وتفحص **محتوياتها** وطريقة عرضها وتنظيمها. . . إلخ.

٢ ـ الاستعانة بوسائل بديلة لاستخلاص خصائص عدد أكثر من المؤلفات. **وقد تم ذلك من خلال ما يلي:**

أ ـ تعليقات البيليوجرافيين على المؤلفات وعلاقاتها، مثل تعليقات حاجي خليفة وبروكلمان وسزكين وغيرهم.

ب ـ تعليقات العلماء والباحثين ومؤرخي الأدب على الإنتاج الفكري، كل في مجاله، خلال إشاراتهم إلى بعض المؤلفات في أبحاثهم ومؤلفاتهم، وقد أفاد المؤلف من ذلك إلى حد كبير، واتضحت له الرؤية وتفتحت أمامه أبواب ومسالك كثيرة، أوصَلَتْهُ إلى مؤلفات بالغة الأهمية **كعينة وسند أدبي، خاصة ما استطاع الوصول إليه** ومعاينته بنفسه. وكان المؤلف حريصًا، في حالات كثيرة، على الإشارة إلى المصدر الذي استقى منه الفكرة الأساسية، وإلى البيانات الدقيقة للكتاب إذا كان قد عاينه بنفسه، أو تابع تاريخه الببليوجرافي وظروف نشره في بعض المراجع الببليوجرافية.

ج ـ عناوين الكتب، وكانت في بعض الأحيان مؤشرًا واضحًا لعلاقات الكتاب بنصوص أخرى، كأن يسمَّى: الانتقاض على كتاب كذا، أو الاستدراك على كتاب كذا، أو تلخيص كتاب كذا، أو الذيل والصلة لكتاب كذا. . . إلخ، فمثل هذه العناوين قوية الدلالة على نوع أو آخر من علاقات التأليف، وإن كانت الكتب نفسها تحتوي أحيانًا على عمليات وعلاقات أخرى، بالإضافة إلى التلخيص أو التذييل مثلًا، ولكن ذلك لا يمثل مشكلة، طالما كان الهدف هو عزل ما يمكن من خصائص وعلاقات للنصوص بعضها ببعض.

وتضمن كثرة العينات والحالات الأخرى تعويض أية خصائص

يمكن أن تخفى نتيجة عدم التمكن من معاينة المؤلفات ذاتها في حالة الاكتفاء بعناوين الكتب.

وقد حرص المؤلف على ذكر أمثلة أو مثال واحد على الأقل لكل حالة، واضطر إلى استبعاد كثير من الأمثلة تخفيفًا على القارئ، واكتفاءً بما يوصل الفكرة الأساسية، وحينما توزعت ملامح الفكرة الأساسية على أمثلة كثيرة في بعض الحالات، ذكرت الأمثلة على كثرتها.

ويلاحظ أن كثيرًا من مباحث الدراسة يُختتم **بتمثيل بياني لعلاقات التأليف**، وقد استخدمت لذلك **المخطط الذي ابتكرْتُهُ وصمَّمْتُه لهذه الدراسة، وهو «الببليوجرام»**، وإن كانت بعض المباحث تخلو من مثل هذا التصوير والتمثيل البياني؛ إما لعدم وجودها في حالة أو أخرى، وإما لعدم الحاجة إليها.

وقد استخدمت في الإشارات الببليوجرافية، سواء في النص أو الهوامش، طريقتين:

الأولى: البدء باسم المؤلف ثم العنوان وبقية البيانات، إذا كان الكتاب من **مراجع** البحث، التي يستشهد بمادة علمية تنسب إلى مؤلفها أو أي شخص آخر كالمحقق في مقدمات التحقيق وغيرها.

الثانية: البدء بعنوان الكتاب ثم يليه المؤلف، في حالة الكتب التي اتُّخذت **كعينات** للبحث، واستُمِدَّت المعلومات المُساقة عنها من خلال استقرائها والحكم عليها، وليس الحديث عنها في هذه الحالة منسوبًا إلى أي مؤلف آخر.

المبحث الثاني

عينة البحث

المسح البيبليوجرافي

تم إجراء المعاينة من خلال المسح البيبليوجرافي[1]، حيث إن وحدات «المجتمع» المدروس، هي وحدات ببليوجرافية؛ أي: مؤلفات باللغة العربية في شكل كتب ورسائل.

إطار العينة

تمتد العينة في زمان يبلغ نحو ١٤ قرنًا من التأليف العربي، وكان من الاعتبارات المهمة الحرص على تحقيق أكبر قدر ممكن من الشروط التي يضعها علماء القياس الإحصائي للإطار، **وهي**:

١ ـ «أن يكون كافيًا.

٢ ـ أن يكون كاملًا.

٣ ـ أن تكون البيانات المعطاة عن كل وحدة دقيقة.

٤ ـ ألا تكون الوحدات مكررة.

---

(١) أطلقت تسمية المسح البيبليوجرافي بهذه الدراسة، قياسًا على أنواع أخرى من المسح، مثل: المسح التعليمي، ومسح الرأي العام... إلخ. انظر: أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط٥، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩م، ص٢٨٠ ـ ٢٨٣.

٥ ـ أن يكون منظمًا بطريقة تسهِّل اختيار العينة»[١].

ولتحقيق هذه الشروط ـ مبدئيًّا ـ اختير أكمل وأدق حصر ببليوجرافي للإنتاج الفكري العربي، منذ نشأته وحتى القرن الحادي عشر الهجري، وهو: «**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**»، **لحاجي خليفة** (ـ ١٠٦٧هـ)[٢]، ليُتخذ إطارًا للعينة العشوائية المنتظمة بالبحث.

وبمطابقة شروط الإطار على «كشف الظنون»، اتضح ما يلي:

١ ـ من حيث استيفاء شرط الكفاية، فهو عمل استغرق من جامعه نحو عشرين عامًا، في ما بين (١٠٤٣ ـ ١٠٦٣هـ)، أتيحت له جولات في مراكز ومدن عربية وإسلامية مهمة، جمع منها وشهد بها تراثًا ضخمًا من المخطوطات التي وجدها عند الوراقين وفي خزانات الكتب[٣]، بالإضافة إلى اطلاعه على ما سبقه من أعمال ببليوجرافية حصرية متعددة كان أهمها بالنسبة إليه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة»، لطاش كبري زاده (ـ ٩٦٢هـ)[٤].

وقد جمع فيه نحو (١٥٠٠٠) من عناوين الكتب والرسائل، وما يزيد على (٩٥٠٠) من أسماء المؤلفين، وتكلم عن نحو ثلاث مئة علم وفن،

---

(١) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط٥، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٧٦م، ص٤٧٨ ـ ٤٧٩.

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكة الكليسي، إستانبول، وكالة المعارف، ١٩٤١م، ٢مج.

(٣) يالتقايا، محمد شرف الدين. «ترجمة كاتب جلبي» في (كشف الظنون، لحاجي خليفة، مج١، عمود ١٥ ـ ١٦).

(٤) يالتقايا، محمد شرف الدين. «تصدير» في (كشف الظنون، حاجي خليفة، مج١، عمود ٧).

فهو أوعب الكتب المصنفة (أي: الببليوجرافيات) في بيان أحوال الكتب[1].

وهو لهذه الاعتبارات، يعد كافيًا كإطار للعينة في الحدود الزمنية التي يغطيها، وهي نحو ١١ قرنًا.

٢ ـ أما بالنسبة للشرط الثاني، وهو الكمال، فهو يتحقق جزئيًّا من خلال الشرط السابق، وهو يعد أكمل إطار ممكن بالنسبة للبحث في حدود الإمكانيات الببليوجرافية الموجودة.

وتعد الأخطاء التي يشير بعض الباحثين إلى وجودها في «كشف الظنون» في أسماء بعض المؤلفين، والمؤلَّفات، وتواريخ الوفاة[2]، غير ذات أهمية بالنسبة للبحث؛ لندرتها أولًا، ولأن دراسة علاقات النص بنصوص أخرى لا تتأثر بخطأ أو نقص قد يرد في تاريخ وفاة مؤلف، أو في نسبة كتاب إلى مؤلفه.

كما أن وجود كتب تركية وفارسية في «كشف الظنون»، يمثل نسبة محدودة، ولا يؤثر على صلاحيته كإطار للعينة، بالإضافة إلى أن مثل هذه المؤلفات كانت تدور في طريقة تأليفها وعلاقاتها النصِّية وفنونها مدار الكتب العربية تمامًا، بل وكان بعضها يؤلَّف شرحًا أو ترجمة لنصوص عربية، ويعتبر جزءًا من علاقاتها النصِّية، في إطار أوسع هو الثقافة الإسلامية.

وبالنسبة لذكر بعض الكتب المترجمة إلى العربية من لغات قديمة كاليونانية وغيرها، مثل كتب أرسطو وجالينوس وغيرهما، فهي تعد بعد ترجمتها نصوصًا عربية من حيث لغتها، وعندما أُلفت عليها نصوص تابعة كالشروح والمختصرات والانتقادات. . . إلخ، كان ذلك يمثل تأليفًا عربيًّا

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

صميمًا، يرتبط بعلاقات نصية مع النص الأصلي المترجَم.

كما أن كشف الظنون تتحقق فيه ميزتان أخريان، هما:

أ ـ أنه رغم حرص جامعه على المعاينة بقدر الإمكان لما يذكر من مؤلفات، كان حرًّا في ذكر مؤلفات يستقي بياناتها سواء من المخطوطات ذاتها أو من ببليوجرافيات وتراجم وكتب في التاريخ وغيرها، ولم يكن يتقيد بضرورة وجود المخطوطات ذاتها كما فعل بروكلمان وسزكين في حصرهما الببليوجرافي، ويحقق ذلك بالنسبة للبحث إطارًا أوسع لمعرفة أنواع من المؤلفات قد لا تكون وصلتنا في عصرنا الحاضر.

ب ـ أنه تم في عصر سابق لعصور النهب الحديثة للمخطوطات العربية، وكان لوجود حاجي خليفة في مركز الدولة العثمانية، ميزة تعطيه وفرة المصادر، وأتاحت له وظائفه ميزة التنقل بين عواصم وبلدان عربية وإسلامية؛ مما يعني اتساع المدى الجغرافي للتغطية، إلى جانب المدى الزمني.

٣ ـ وبالنسبة لدقة البيانات المعطاة عن كل وحدة ببليوجرافية، فقد اتبع حاجي خليفة أكمل وأدق وسيلة في الوصف الببليوجرافي للمؤلفات والتعليق عليها، بالنسبة لاحتياجات هذا البحث بالتحديد، **للأسباب التالية:**

أ ـ اهتم حاجي خليفة بذكر عنوان الكتاب، ومؤلفه، وتاريخ وفاته إذا أتيح له ذلك.

ب ـ اهتم بذكر المؤلفات **المتعلقة** بالكتاب[١]، من شروح وتلخيصات وتهذيبات واستدراكات وتذييلات واعتراضات... إلخ،

(١) وقد نهج طاش كبري زاده من قبل المنهج نفسه في كتابه: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، حيث أورد الكتاب وذكر بعده ما يتعلق به من مؤلفات.

وهذا هو المطلوب أساسًا في البحث؛ لأنه يقوم على دراسة العلاقات النصية بين المؤلفات. ولعل ذلك المنهج يعد من أهم وأخطر ما توصل إليه الببليوجرافيون العرب القدماء من مناهج الوصف والربط الببليوجرافي بين الكتاب والكتب الأخرى التي ألفت متصلة به، حتى في بعض حالات تأليف كتاب على مثال كتاب آخر، مثلما حدث في بعض المقامات وغيرها[١].

ج ـ أما عن شرط عدم تكرار الوحدات، فهو متحقق في كشف الظنون إلى أبعد مدى؛ ويرجع ذلك إلى التزامه بمنهج التجميع المركزي للكتاب ومتعلقاته أو مؤلفاته التابعة، وحتى عندما كان يشير بصورة مستقلة إلى عنوان معين كشرح على كتاب سابق، فقد كان يشير في الغالب إلى أنه سوف يذكر بالتفصيل مع كتابه الأصلي الذي يتبعه. وتستثنى من ذلك حالات قليلة أصبح فيها الكتاب التابع كالشرح وغيره، كتابًا أصليًّا له مؤلفات تابعة، وفي هذه الحالة عومل ككتاب مستقل له توابعه، ورغم ذلك لم يغفل الإشارة إليه عند ذكر النص الأصلي الأول في موضعه من السياق الهجائي لعناوين الكتب.

د ـ وبالنسبة للشرط الخامس، وهو التنظيم الذي يسهل اختيار العينة، فقد كان أصعب الشروط تحقيقًا؛ نظرًا لأن الوحدات (المؤلَّفات) داخل كشف الظنون مرتبة هجائيًّا بالعنوان، ولكنها ليست مرقمة، وذلك مطلب أساسي بالنسبة للعينة العشوائية المنتظمة، ويستحيل ترقيمها؛ لأن

(١) وجدير بالذكر أن تعليقات حاجي خليفة على الكتب وتأليفها وعلاقاتها تعد ثروة ببليوجرافية وعلمية وتاريخية هائلة، ليست حصيلة حصر ببليوجرافي فحسب، بل هي حصيلة بحث وتدقيق ومقدرة علمية فائقة، وهي جديرة بأن تصبح منهجًا يتم دراسته وتحليله وتطويره واستخدامه في الببليوجرافيات المشروحة.

العنوان الواحد قد يرد تحته عشرات بل مئات من المؤلفات التابعة، ويعد الترقيم في هذه الحالة غير ممكن، إلا إذا أعيد إخراج «كشف الظنون» بطريقة أخرى، تخدم أغراضًا أخرى من الاستخدام.

وللتغلب على هذه المشكلة، وحتى يمكن أخذ عينة عشوائية منتظمة، فقد تم تصميم مسطرة للمعاينة ذات مسافات منتظمة، استخدمت من أجل اختيار العينة العشوائية المنتظمة، من خلال الإجراءات التالية:

قياسات المعاينة العشوائية المنتظمة

Systematic Sample

١ ـ تحتوي كل صفحة من الطبعة المستخدمة من «كشف الظنون» على عمودين يفصل بينهما خط عمودي.

٢ ـ أخذت عينة عشوائية مبدئية من الصفحات لمعرفة الحد الأقصى لعدد السطور بالعمود الواحد، واتضح أنه يبلغ في معظم الصفحات ٣٥ سطرًا، وقد بلغت السطور في بعض الأحوال ٤٠ سطرًا لوجود حواش طويلة بمسافات ضيقة، (مثل عمود ١٤٨٤ مج٢)، بينما بلغ الحد الأدنى للسطور بالعمود ٢٤ سطرًا تقريبًا في بعض الصفحات.

٣ ـ اتخذ العمود البالغ ٣٥ سطرًا مقياسًا معياريًّا لمسطرة المعاينة.

٤ ـ تبلغ المسافة بين أول سطر في العمود (المحتوي على ٣٥ سطرًا) وآخره ٢٣سم.

٥ ـ صممت لذلك مسطرة بطول ٢٣سم، وقسمت إلى ٣ مواضع عشوائية (الموضع العشوائي يرمز له بحرفي م ع)، تكفي لثلاثة اختيارات من كل عمود، ويفصل بين هذه المواضع بالمسطرة، المسافات المنتظمة التالية:

الموضع العشوائي م ع		موقعه بمسطرة المعاينة	السطر المقابل للموضع في العمود بكشف الظنون
م ع	الأول	أعلاها عند سم ٣,٥	سطر ٦ بأعلى العمود
م ع	الثاني	بوسطها عند سم ١١,٥	سطر ١٨ في وسط العمود
م ع	الثالث	بأسفلها عند سم ١٩,٥	سطر ٦ من أسفل العمود

٦ ـ وضعت المسطرة على الخط الفاصل بين العمودين بالصفحة، ووضعت علامة بالرصاص تتقاطع مع الخط الفاصل عند (م ع) الثلاثة المحددة.

٧ ـ اعتبرت العلامة مؤشرًا لما يقابلها من سطور في كل من العمود الأيمن والعمود الأيسر.

٨ ـ يبلغ عدد الأعمدة في المجلدين الأول والثاني من «كشف الظنون» (٢٠٥٢) عمودًا.

بلغ إجمالي (م ع) المبدئية في العينة (٦١٥٦) موضعًا، محسوبة هكذا:

٩ ـ (٣ م ع × ٢٠٥٢ عمود = ٦١٥٦ م ع)، وهي مواضع يصادف أن تكون عناوين كتب، أو تكون مقابلة للنص الذي يتحدث عن كتاب ومتعلقاته، أو كتاب بدون متعلقات.

تفريغ البيانات من مواضع العينة (م ع)

١ ـ تمَّت العودة إلى الأعمدة للتفريغ في جدول مصمَّم لذلك.

٢ ـ لم يكن يتفق دائمًا أن يحتوي السطر المقابل لـ(م ع) على عنوان كتاب، وفي حالة وجود فارق بينه وبين السطور أعلى أو أدنى اختير أقرب سطر في الاتجاه النازل.

٣ ـ عندما كان (م ع) يشير إلى كتاب ليست له علاقات تأليف بنصوص أخرى (سابقة عليه، أو لاحقة له)، كان يعتبر متروكًا.

٤ ـ عندما كان (م ع) يشير إلى عنوان كتاب له مؤلفات تابعة، كان يتم تفريغ بياناته وعلاقاته النصية بهذه المؤلفات حتى نهايتها، وإذا استمرت بياناته إلى نهاية العمود أو في أعمدة تالية، كانت تؤخذ بطريقة حصرية كاملة لتفريغ أنواع العلاقات بالنص الأصلي، مع تفريغ نماذج لمؤلفات ممثلة لهذه العلاقات (حواشٍ، شروح...)، وكان المسح بذلك يتخطى (م ع) الموجودة في طريقه ويزيد عليها.

٥ ـ عندما كان (م ع) يشير إلى سطر توجد به مؤلفات تابعة، استطرادًا لبيانات كتاب أصلي سابق، كان يتم تفريغ بيانات هذه المؤلفات تصاعديًّا حتى يتم ربطها بالعنوان الأصلي، فيصبح لها مغزى، وكان ذلك يتم في حدود ٤ سطور لأعلى، فإذا لم يوجد عنوان النص في هذه الحدود يترك ذلك الموضع، وتنتقل المعاينة إلى الموضع التالي.

٦ ـ عندما كانت السطور بالصفحة تبلغ ٤٠ سطرًا، كانت تؤخذ المواضع المحددة بالمسطرة كالمعتاد، وتهمل السطور الزائدة.

٧ ـ كان (م ع) يصادف ـ أحيانًا ـ أبياتًا من الشعر، أو شرحًا لعلم من العلوم، وفي هذه الحالة كان يترك الموضع.

٨ ـ عندما كان (م ع) يصادف كتابًا تابعًا لنص معين، ويذكره حاجي خليفة مستقلًّا لأهميته، كان يتم تفريغ علاقته بالنص السابق عليه وبالنصوص التابعة له إذا وجدت، وعندما كان يذكر بعده إحالة مثل: (سيرد في حرف الميم)؛ أي: سيرد تابعًا للعنوان الأصلي في حرف الميم، كان يرجع لموضع النص الأصلي، ويفرغ الأصل وفروعه كاملة.

٩ ـ كان حاجي خليفة يتحدث ـ أحيانًا ـ عن علم من العلوم بطريقة موسوعية، وكان ذلك يتضمن ـ أحيانًا ـ إشارة إلى أهم المؤلفات في ذلك الموضوع، وكانت تؤخذ عناوين هذه المؤلفات إذا تصادف وجودها أمام (م ع) وظهر من عنوانها أنها تابعة لمؤلفات سابقة (مثل

شرح كذا) حاشية على كذا. . .، وفي غير ذلك أهملت العناوين نظرًا لأنها سوف تتكرر في ترتيبها الهجائي في ما بعد.

١٠ ـ أهملت العناوين التركية والفارسية عند مقابلتها لـ(م ع).

١١ ـ عوملت الكتب المترجمة إلى العربية معاملة عادية وفرغت بيانات مؤلفاتها التابعة إذا وجدت، وأهملت إذا لم يكن لها مؤلفات تابعة (كالشروح والتلخيصات. . . إلخ).

العينة العمدية

Purposive Sample

تمثل هذه العينة المرحلة الثانية من المعاينة، وهي **عينة موجهة مقصودة باحثة**، استلزمتها عملية الاستقصاء والتتبع لحالات ومسائل محددة، تحتاج إلى توضيح أو تفصيل أو إجلاء لغموض أو لبس، أو للتعرف إلى الأوجه المتعددة لمسألة من المسائل، أو لاستكمال بيانات وعلاقات ألقت العينة العشوائية أضواء على بداياتها، أو طرحت بذورها، وبقي أن يمضي البحث متتبعًا لتفاصيلها وأطرافها المنتشرة والمتشعبة.

وعلى سبيل المثال: قد كانت هناك مصطلحات وعناوين في المؤلفات العربية والإشارات الببليوجرافية لحاجي خليفة، تحتاج إلى تقصٍّ ببليوجرافي، مثل كتب «الفروق والمعاياة»، التي تتضمن المسائل الفقهية وغيرها، وكانت هناك علاقات افترض الباحث إمكانية وجودها، وكان البحث يتجه نحو إيجاد مؤلفات تتحقق فيها هذه الفروق؛ لكي تصبح سندًا أدبيًّا يبرر إدراج هذه العلاقة أو تلك في هيكل التصنيف.

كما أدرك المؤلف مسالك وموضوعات جديدة تحوي مزيدًا من المعلومات والعلاقات وأشكال التأليف الخاصة بموضوع معين، كالحديث والتراجم وغيرهما، **واستلزمت هذه العينة ما يلي:**

١ ـ العودة إلى قراءة «كشف الظنون» قراءة شبه كاملة للتحقق والمتابعة لآلاف الحالات والعلاقات والبيانات خلال ما يقرب من ربع قرن.

٢ ـ استخدام مصادر ببليوجرافية أخرى مكملة لـ«كشف الظنون»، شملت القديم والجديد معًا، **واستُخدم في ذلك ما يلي:**

ـ ذيل «كشف الظنون» المسمَّى: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، للباباني (ـ ١٣٣٩هـ)[١]، ويغطي الباباني كثيرًا مما فات حاجي خليفة، كما يكمل بعده حتى القرن الرابع عشر الهجري، ويغطي في عمله نحو (١٩٠٠٠) كتاب.

ـ كشاف كشف الظنون وذيله، وهو «هدية العارفين»، للباباني (ـ ١٣٣٩هـ)[٢].

ـ «مفتاح السعادة ومصباح السيادة»، لطاش كبري زاده (ـ ٩٦٢هـ).

ـ الببليوجرافيات الحديثة مثل «تاريخ الأدب العربي»، لبروكلمان، و«تاريخ التراث العربي» لسزكين، وفهارس المخطوطات بالمكتبات العربية، مثل: دار الكتب المصرية، والمتحف العراقي، وغيرهما، وبالمكتبات الأجنبية، مثل: مكتبة بودليان بأكسفورد، والوطنية بباريس، والملكية ببرلين، وكثير من المكتبات التركية وغيرها.

كما لجأ المؤلف إلى فهارس المكتبات المطبوعة والبطاقية، والببليوجرافيات القومية، مثل: النشرة المصرية للمطبوعات، وغيرها، وإلى سلسلة الأعمال الببليوجرافية الحصرية لعايدة نصير (١٩٠٠ ـ

---

(١) الباباني، إسماعيل بن محمد البغدادي، إيضاح المكنون على كشف الظنون، إستانبول، وكالة المعارف، (١٩٤٥ ـ ١٩٤٧م)، ٢مج.

(٢) الباباني، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، وكالة المعارف، (١٩٥١ ـ ١٩٥٥م)، ٢مج.

١٩٢٥م)، (١٩٢٦ ـ ١٩٤٠م)، ولأحمد منصور وآخرين (١٩٤٠ ـ ١٩٥٦م).

ولجأ المؤلف بقدر الإمكان إلى تفحص المؤلفات ذاتها، وطبعاتها المحققة والمنشورة إذا كانت تراثية، وكان أهم المصادر في هذه المؤلفات مقدمات مؤلفيها ومحققيها. وقد أتاحت المقدمات للمؤلف مادة خصبة حول علاقات المؤلفات بما قبلها، وربما بما بعدها من مؤلفات، عندما اهتم بعض المحققين بمثل هذه التغطية في مقدماتهم.

ومِن تفحص المؤلفات أمكن تحديد بعض علاقاتها الظاهرة والكامنة بغيرها من النصوص، وتأكيد الملاحظات المبدئية أو نفيها، أو التوصل إلى مزيد من العلاقات والملاحظات.

وقد شملت العينة مؤلفات حديثة، باعتبار أن **ظاهرة التأليف النصِّي ظاهرة متصلة**، وإن كان بعض أشكالها وعلاقاتها قد توقف التأليف فيها، مثل نَظْم النصوص وغير ذلك، ولكننا لا زلنا نجد أشكالًا منها، مثل **شرح النصوص وتلخيصها وإعادة ترتيبها**، وذلك في ما يتعلق بالتأليف الجديد على نصوص قديمة، كما أن العلاقات بين النصوص الجديدة ونصوص جديدة أخرى لا زالت موجودة، مثل **الردود** وغيرها، وإن كانت في حدود أضيق مما شهدت عصور عربية سابقة.

ويلاحظ أن لبعض المستشرقين مؤلفات تأخذ شكل التأليف النصِّي مثل الاستدراك على نصوص عربية، أو التكملة، وكان ذلك إدراكًا من بعضهم لأهمية هذا اللون من التأليف، وعلاقاته الحيوية بالنصوص الأمهات في الثقافة العربية، وهي أبنية ثقافية عتيدة، في مجال اللغة وغيرها، وقد اهتم البحث بها كعينات، وبالاستشهاد بها كنماذج في مجالها إذا لزم الأمر، باعتبارها مرتبطة بنصوص عربية.

الجوانب المكملة للعينات

١ ـ استشارة المتخصِّصين:

لجأ الباحث إلى استشارة المتخصِّصين كلٍّ في مجاله، للتعرف إلى خصائص بعض المؤلفات، أو الاسترشاد عن وجود مؤلفات لها خصائص وعلاقات مفترضة ومطلوبة في فجوات معينة بهيكل التصنيف.

٢ ـ عطاء الصدفة:

كما ألقت الصدفة في طريق المؤلف بمؤلفات بالغة الأهمية والدلالة، ولعلها تلك الصدفة التي يسعى إليها الباحث، أو يهيئ لها، بعد أن يرهف الاهتمام والمعاناة وجدانه وحواسه، وإلى جانب ما تحققه أساليب الإحصاء والمنهج العلمي من معايير الضبط وحدود التمثيل والصحة، يظل العلم في بعض إنجازاته مدينًا **للصدفة**، التي قد تنضج ثمرتها وتأتي نتيجة لكل ما سبق، وتكاد تصبح **تدبيرًا**.

الفصل الثالث

الإطار التنظيري

وأدوات الوصف لعلاقات النصوص

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الببليوجرافيا التكوينية: الإطار النظري المقترح لدراسة علاقات التأليف.

المبحث الثاني: وسائل تصوير علاقات التأليف.

الوسيلة الأولى: الببليوجرام: مخطط علاقات التأليف.

الوسيلة الثانية: الببليوكرونوجرام: المخطط الزمني لعلاقات التأليف.

المبحث الأول

«الببليوجرافيا التكوينية»
الإطار النظري المقترح لدراسة علاقات التأليف

يشمل علم المعلومات، في تعريفه المعاصر، دراسة تكوين أو تخليق المعلومات Creation of information، واستخدامها وتجميعها وتنظيمها، وتفسيرها واختزانها واسترجاعها، وبثها وتحويلها في كل أشكالها[1].

وارتكازًا على «**تكوين المعلومات**»[2]، وهو العنصر الأول في تعريف علم المعلومات، وفي إطار رؤية المؤلف لعلاقات التأليف ودورها في تكوين النصوص[3]، فإن من الممكن أن يُقتَرح مصطلح ومجال «الببليوجرافيا التكوينية»، كإطار يستوعب دراسة التأليف، من مدخل (**معلوماتي ـ اتصالي ـ ببليوجرافي**).

وينحو هذا التأطير المقترح بمصطلح الببليوجرافيا لكي يرتبط

---

(١) The A.L.A glossary of library and information science,Chicago, A.L.A, 1983, p118.

(٢) انظر: نموذج الهجرسي لشبكة الذاكرة الخارجية، عند وظيفة التكوين والتأليف، في المرجع التالي: سعد محمد الهجرسي. الإطار العام للمكتبات والمعلومات، أو نظرية الذاكرة الخارجية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص٣٨.

(٣) يمكن أن يعتبر تكوين النصوص هو الشكل المادي الذي يعكس بعض العمليات والعلاقات المختلفة في تكوين المعلومات.

بمدلول جديد[١]، هو «**التكوين**»، حتى يشمل العلاقات والعمليات التكوينية في تأليف النص، وعلاقات النص بنصوص أخرى، سواء في مرحلة ما قبل وجود النص، أو ما بعد وجوده. والمصطلح بذلك يعني: **ببليوجرافيا التأليف، أو ببليوجرافيا تكوين النصوص**، ابتداء من **نقطة الإرسال أو موقع التأليف**[٢] **Authorship**، واستمرارًا في نقاط أخرى متتابعة من الإرسال ومواقع التأليف.

وفي هذا الإطار يخضع التأليف للدراسة، من حيث كونه نشاطًا اتصاليًّا بمصادر المعلومات، ولا يدرس من مدخل سيكلوجي ـ إبداعي، أو بلاغي، أو إنشائي. . . أو غير ذلك من المداخل الأخرى لدراسة التأليف، التي تختلف عن المدخل الببليوجرافي لدراسة مصادر التأليف، وهو مدخل هذه الدراسة.

والببليوجرافيا التكوينية، بالنسبة للتأليف وعلاقات النصوص، أشبه بعلم الأجنة، الذي يُخلص الولاء للجنين (النص) حتى يخرج للحياة. . ثم يمنحه الولاء مجددًا، عندما يسهم في نقل بعض الخصائص الوراثية للنص لأجيال تالية من جنسه، والأجيال في مجال التأليف هي المؤلفات التالية، التابعة أو المرتبطة أو المستخدِمة للنص.

وهي في بعض جوانبها، تمثل «علم الأنساب الببليوجرافية»[٣] إذا

---

(١) انظر: أبعاد مصطلح الببليوجرافيا وآفاقه، في: (سعد محمد الهجرسي: الببليوجرافيا، ودراستها في علوم المكتبات، القاهرة، جمعية المكتبات المدرسية، ١٩٧٤م، ص٦٩ ـ ٧٢.

(٢) المرجع السابق، ص٧١.

(٣) تنتسب هذه الفكرة إلى والتر جريج W.W. Greg، الذي كان يقصد أن تكون الببليوجرافيا علمًا للأنساب genealogy والعلاقات بين النصوص، إلى جانب كونها «علمًا لإنتاج وإعادة إنتاج النصوص».

انظر: =

قصدنا أن تكون الأنساب في التأليف رصدًا للصفات الموروثة وللتطور والتمايز المستمر بين أجيال متعددة من المؤلفات.

ومن خلال هذا الإطار يتاح للببليوجرافي ربط النص بأصوله السابقة وتوابعه اللاحقة من النصوص، في إطار تصنيف محدد لعلاقات التأليف، ومخطط ببليوجرافي يقترح الباحث أن يكون أكثر شمولًا وعمقًا، في مجال الخدمة التي تقدمها الببليوجرافيا للبحث العلمي[(١)].

وعندما يتم تطوير نماذج اتصالية للتأليف، ومخططات وهياكل تشمل ما يمكن استقراؤه من علاقاته، فسوف يصبح في الإمكان تصوير شبكة العلاقات المتبادلة بين النصوص، ومدى تكاملها وتواصلها **كأبنية معرفية** عبر مئات من السنين.

وقد يبدو هناك بعض التداخل بين المجالات المقترحة للببليوجرافيا التكوينية وبين مجال علم آخر هو «القياسات الببليوجرافية Bibliometrics»، ولتوضيح العلاقة بينهما فإنه ينبغي تحديد المقصود بالقياسات الببليوجرافية؛ فهي تعني: «استخدام الطرق الرياضية والإحصائية لدراسة إنتاج الكتب والوسائل الأخرى واستخدامها»[(٢)]، كما تعني: «استخدام الطرق الإحصائية في تحليل قطاع من الإنتاج الفكري لتوضيح التطور التاريخي لمجالات موضوع معين، وأشكال التأليف والنشر والاستخدام»[(٣)].

= Gaskell, Philip. A new introduction to librarianship. Oxford, Oxford Univ. Press, 1972, p1.

(١) وجدير بالذكر أن منهج الربط بين النص وتوابعه، له جذور أصيلة في عملين ببليوجرافيين عربيين تراثيين هما: مفتاح السعادة، لطاش كبري زادة (ـ ق١٠هـ)، وكشف الظنون، لحاجي خليفة (ـ ق١١هـ).

(٢) Harrod's libraians' glossary...5th ed. p 74.

(٣) The ALA glossary...op. cit. p22.

فالقياسات الببليوجرافية تستخدم كأداة للدراسة الكمية لظواهر إنتاج واستخدام المعلومات من جانب المستفيدين، والأشكال التي يصب فيها الباحثون نتائج بحوثهم، ويستخدم عالِم المعلومات هذه القياسات الكمية لصياغة القوانين الممكنة لهذه الظواهر[1]، ودورها في ذلك يشبه دور الإحصاء السكاني بالنسبة لعلم السكان، وهي تستمد أصولها من علوم الرياضيات والإحصاء، كما تستمد تسميتها من كونها تستخدم في قياس ظواهر ببليوجرافية.

وتعد القياسات الببليوجرافية أداة يمكن أن تستخدمها الببليوجرافيا التكوينية في الدراسة الكمية لبعض ظواهر التأليف، وصياغة نتائجها صياغة رياضية، ولكن **الببليوجرافيا التكوينية تمثل إطارًا ومجالًا للدراسة، وهي ليست أداة**، بل إنها تستخدم ما يتاح لها من أدوات، كما تبتكر أدواتها الخاصة، وهي تشمل إلى جانب الدراسة الكمية، الدراسة **الوصفية والكيفية لعلاقات التأليف ومصادره وأشكاله، وللجوانب المعرفية والإنسانية والتعليمية والاجتماعية التي تؤثر في ظواهر التأليف.**

فهي ليست ظواهر ذات أبعاد كمية وتكرارات عددية فحسب، بل هي ظواهر إنسانية اجتماعية ـ معرفية، ومثل هذه الظواهر المركبة لا يكفي معها منهج واحد لدراستها، بل يجب أن يكون المدخل إلى دراستها مدخلًا تكامليًّا بين مناهج البحث والقياس من جهة، وتكامليًّا بين مجالات المعرفة التي تتصل بهذه الظواهر، في مجالات علمية مجاورة، تثري دراسة التأليف، **مثل**:

سوسيولوجية المعرفة، وسوسيولوجية الأدب، وسوسيولوجية

---

(١) انظر نموذج هذه القوانين في: (ميدوز، جاك، آفاق الاتصال ومنافذه في العلوم والتكنولوجيا، ترجمة: حشمت محمد علي قاسم، القاهرة، المركز العربي للصحافة، ١٩٧٩م، ص٢٣١).

العلم[1]، وسوسيولوجية القراءة[2]، والاتصال العلمي في العصور المختلفة، وعلم النفس الإبداعي، والنقد الأدبي، وتاريخ الأدب... إلخ. بالإضافة إلى إمكانيات الضبط الببليوجرافي في إثراء الخدمات الببليوجرافية ذاتها.

ويتمشى هذا المنهج التكاملي، مع طبيعة دراسة التأليف، وطبيعة علوم المكتبات والمعلومات، فهي علوم تركيبية، مثلها مثل **الطب والجغرافيا** التي تأخذ من كل العلوم وتعطي كل العلوم في علاقات تبادلية وحيوية. . وإذا كان من التعريفات السديدة لعلم الجغرافيا، أنها «**علم عدم فصل ما وصلته الطبيعة**»[3]، فإن من الممكن ـ قياسًا ـ أن نقول عن دراسة ظواهر التأليف، أو الببليوجرافيا التكوينية، أنها: «**علم عدم فصل ما وصلته المعرفة الإنسانية**». طالما أننا ندرس التأليف كظاهرة اتصال، سواء في مجال **التأليف الإبداعي** الذي يستلهم ويتجاوز أكثر مما يوثق ويستشهد، أو في مجال **التأليف الوثائقي**، الذي يوثق علاقاته بتراكم العلم والمعرفة حتى اللحظة السابقة عليه، أو **التأليف النصِّي** الذي يرتكز على نصٍّ محدد، ويتناوله شرحًا أو استدراكًا أو تهذيبًا. . . إلخ.

فدراسة التأليف كظاهرة اتصال، تَعْتَبِرُ المعرفةَ الإنسانيةَ مجرة

---

(١) من المجالات التي يقترحها المؤلف لدراسة قادمة: دراسة علاقة أشكال التأليف بالظواهر الاجتماعية وظروف الرخاء والشدة، وخاصة في تاريخ التأليف العربي، وتأثير ذلك على تأليف المختصرات والمطولات والموسوعات وغيرها.

(٢) انظر ذلك تنظيرًا وتطبيقًا في الدراسة التالية: كمال محمد عرفات، دراسة ميدانية على قراءات الكبار بالمكتبات العامة بالقاهرة. رسالة ماجستير، إشراف: أحمد أنور عمر، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات، ١٩٧٩م، ص١٥ ـ ٣٢.

(٣) انظر: جمال حمدان، شخصية مصر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٠م، ١/ ١٢.

متصلة لمن يملك قدرة الاستكشاف، وليست دويلات منفصلة لمن يؤثر الانتحاء موضوعًا ومنهجًا.

وهي بذلك تتخطى الحواجز بين موضوعات المعرفة، التي قد تنفصل تصنيفًا، ولكنها تتصل تأليفًا، لكي تصل إلى نظرة شمولية، تتصل فيها أجنحة المعرفة، **نتيجة لما يلي**:

أ ـ خصائص المعرفة والمعلومات، ودوائرها المؤْجيَّة، التي تتسع فتتلاقى مع دوائر أخرى.

ب ـ خصائص العقل البشري، الذي يجمع بين التحليل والتركيب والإبداع.

ج ـ ونتيجة لذلك، فإنه عن طريق التأليف تتكامل خصائص التراكم التي يتصف بها العلم والمعرفة الإنسانية، مع خصائص التواصل والربط والاستيعاب والتحويل، وتلك هي محاور التأليف ومصدر خصوبته، وآفاقه اللامحدودة من الإبداع.

وكما أن البيبليوجرافيا النَّسقية **Systematic Bibliography** تعد من أدوات «**السيطرة**» في مجال المعرفة، حتى أطلق عليها «البيبليوجرافيا قوة»(١)، فإن البيبليوجرافيا التكوينية، هي من علوم «**الربط**» التي تساعد على **اكتشاف العلاقة** في عمليات التأليف. ولعل هذا المجال ـ وهو «**اكتشاف العلاقة**» ـ من أخصب مجالات الفكر الإنساني والبحث العلمي، ويتصور الباحث أن إمكانيات ونتائج الدراسة في مجال البيبليوجرافيا التكوينية للإنتاج الفكري، سوف تطرح **علاقات في التأليف**، تسهم في إثراء المجالات العلمية المجاورة، التي سبق الإشارة إلى إمكانية الاستفادة منها.

---

(١) Wilson, P. Two Kinds of Power: an Essay on Bibliographical Control. Berkeley, Univ. of California Press, 1978, p4.

ويمثل العرض السابق تصورًا بذريًا لمجالات «الببليوجرافيا التكوينية» من وجهة نظر الباحث، على المدى البعيد، وعلى أساس الأمل في تراكم نتائج البحث العلمي المتواصل في هذا المجال. ولا تدعي هذه الدراسة تحقيق كل ذلك، وإنما هي تسعى إلى تحقيق جزء منه في مجالات علاقات النصوص العربية، وبعض خصائص التأليف العربي.

المبحث الثاني

وسائل تصوير علاقات التأليف

الوسيلة الأولى: **الببليوجرام** Bibliogram
(مُخَطَّط علاقات التأليف)

يقصد بالببليوجرام أن يكون أداة تستخدم «كمخطط ببليوجرافي» لتمثيل العلاقات بين المؤلفات أو النصوص.

ولقد تبلورت فكرة الببليوجرام لدى المؤلف، أثناء دراسته للإنتاج الفكري العربي القديم والحديث، وما لاحظه من قصور وخلل في المعالجة الببليوجرافية للنصوص العربية، إذ يشار إلى هذه النصوص في الفهارس والببليوجرافيات **كوحدات منفصلة**، مع إغفال العلاقات المتعددة التي قد توجد بين عمل فكري معين، **وما سبقه أو لحقه من مؤلفات**، أو عدم إدراك هذه العلاقات إطلاقًا لعدم وجود القواعد **والمسمَّيات** التي تنبه إليها.

مثل هذه العلاقة لا تكشفها الاستشهادات والإشارات المرجعية فحسب، بل تكون أحيانًا علاقات «**تكوينية محورية**»، تسهم في تأليف كتاب يرتبط بكتاب آخر، يشرحه أو يكمله أو يرد عليه.. فالمؤلفات من هذا المنظور **منظومة مترابطة، وعائلة** نجد فيها السابق واللاحق، والمحرك والناتج، والأساسي والتابع... إلخ؛ الأمر الذي حدا بالباحث إلى ابتكار وتصميم **الببليوجرام**، كوسيلة لتصوير علاقات التأليف العربي، في عرض بياني تخطيطي.

وليس الببليوجرام بديلًا عن مصطلح القياسات الببليوجرافية Bibliometrics، فالببليوجرام نشأ لخدمة الأغراض الوصفية والبيانية لدراسة التأليف من وجهة نظر البيليوجرافيا التكوينية، التي تحتاج إلى وصف **علاقات كيفية** إلى جانب العلاقات الكمية التي توفرها القياسات البيليوجرافية.

إذن فالببليوجرام مخطط مبرمج يمكن أن يتسع لكل علاقات التأليف التي نكتشفها باستقراء المؤلفات نفسها، مما يتيح لأي كتاب أن يأخذ مكانه في شبكة علاقات بين النصوص، تبعًا لموقعه داخل «**عائلة النص**» أو «**مجتمع النص**».

صياغة مصطلح «البيليوجرام»

كما تأثر مصطلح **Bibliometry** (قياس العلاقات البيليوجرافية) في نشأته بمصطلح مشابه من ميدان علم النفس الاجتماعي هو **Sociometry**(١) (قياس العلاقات الاجتماعية)، فإن مصطلح **Bibliogram** المقترح في هذه الدراسة ليعني (مخطط علاقات التأليف)، يمكن صياغته قياسًا على مصطلح Sociogram (مخطط العلاقات الاجتماعية) في مجال القياس الاجتماعي، مع التنبيه إلى الفروق بين تصوير علاقات البشر في السوسيوجرام **وعلاقات النصوص** والمؤلَّفات في البيليوجرام.

ومن خلال توضيح العلاقة بين الـ Sociometry والـ Sociogram يمكن توضيح وظيفة البيليوجرام المقترح في هذه الدراسة:

---

(١) وهو يرتبط بقياس الجوانب الكمية للظواهر الشخصية المتبادلة، مع اهتمام خاص بقياس التفضيلات. انظر: محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م. (مادة Sociometry)، ص٤٦٥.

يشير «بوجارت» Boggart إلى أن أنماط التفضيلات التي تعبر عنها مجموعة من الناس نحو شخص أو أشخاص، يمكن عرضها بيانيًا أو تخطيطيًّا Graphically من خلال السوسيوجرام Sociogram الذي تستخدم فيه بعض الأشكال الهندسية كالدوائر والخطوط والأسهم، لتوضيح اتجاهات التفضيل أو شبكات العلاقات الاجتماعية، كما يشير إلى أن الرسوم البيانية Diagrams المستخدمة في السوسيوجرام، يغلب عليها الاستخدام الوصفي لعرض الأفكار، أكثر من استخدامها لأغراض تحليلية. أما بالنسبة لتطويع البيانات السوسيومترية (بيانات القياس الاجتماعي) للاستخدام الإحصائي، فيقترح بعض الباحثين استخدام المصفوفة (Matrix) بدلًا من السوسيوجرام»(١).

وقياسًا على ذلك، فإن الببليوجرام سوف يستخدم في هذا البحث كوسيلة للعرض البياني لعلاقات التأليف بين المؤلفات (أو النصوص)، وقد دعت الحاجة إلى نحت كلمة ببليوجرام(٢) وتركيبها من مقطعين هما:

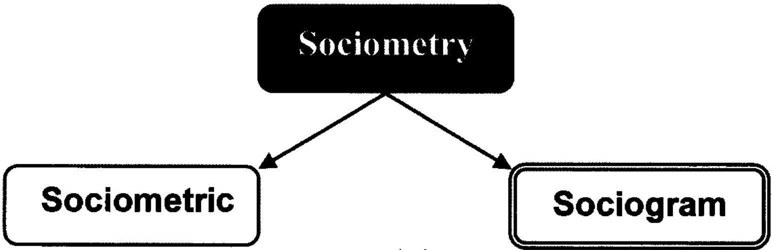
Biblio	= بمعنى كتاب.
Gram	= بمعنى شيء مرسوم أو مخطط.

---

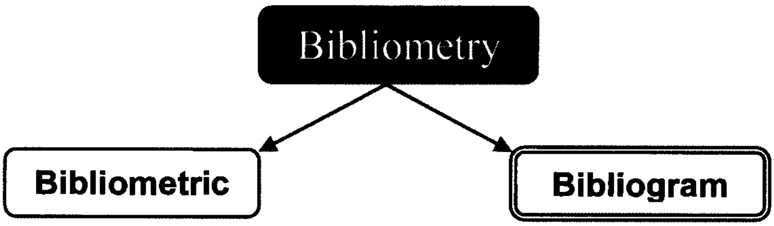
(١) Boggart, Edgar F. "Sociometry". International Encyclopaedia of the Social Sciences. /ed. By D.L. Sills. N.Y., Macmillan, 1972, vol15, p53 - 56.

(٢) استخدمتُ هذا المصطلح الجديد بصورته الأجنبية تمشيًا مع استخدام مصطلح «الببليوجرافيا»، الذي جرى استخدامه، وقد يحتاج إلى وقت لإحلال البديل العربي المناسب بدلًا منه، مع عدم وجود حساسية في استخدام المصطلح الذي يؤدي الغرض، في حضارة عربية استعملت كلمات أجنبية، مثل: «فلسفة»، و«استطيقا»... إلخ.

ويمكن توضيح علاقات المصطلحات السابقة في ما يلي:



شكل (١) السوسيوجرام



شكل (٢) الببليوجرام

وظائف الببليوجرام

يمكن أن يستخدم الببليوجرام لتصوير علاقات التأليف بين المؤلفات، سواء على أسس كمية، أو وصفية، وسواء كانت هذه العلاقات مؤكدة، أو تقريبية، أو استنتاجية (في حالة غياب البيانات الكافية عن نسبة المؤلفات لأصحابها أو عن عناوينها الصحيحة)، أو تعددية (في حالة تعدد العناوين لنص واحد)، أو تدريجية (في حالة تعدد المستويات لنص واحد)، مثل: مطول ـ وسيط ـ وجيز ـ وجيز الوجيز...).

كما يمكن أن يمثل الببليوجرام العلاقات الببليوجرافية، سواء بين أوعية المعلومات الكبيرة macro - thought ذات الامتداد الواسع، والتي تتمثل عادة في الكتب والمباحث الموسعة في الموضوع

Treatises[1]، أو بين أوعية المعلومات الدقيقة micro - thought ذات الامتداد الضيق والمعالجة المتعمقة، التي تتمثل في مقالات الدوريات أو أقسام أو فقرات معينة من الكتب أو غيرها[2].

ويمكن أن تأخذ هذه العلاقات أشكالًا ونماذج متعددة، سواء بين الأوعية (مثل: نسخ المخطوطات)، أو بين النصوص، **كما يتضح في ما يلي:**

أولًا: العلاقات بين نسخ مخطوطة لكتاب واحد، تتدرج من نسخ بعيدة، إلى نسخ وُسطى، إلى نسخ روجعت على الأصل، إلى نسخ أصلية بخط المؤلف (أو بإشرافه المباشر). . إلى جانب الكتب المساعدة والقريبة، مثل الشروح ـ المختصرات ـ الحواشي ـ المختارات ـ النقول الكبيرة من النص. . . إلخ، كل ذلك لإتاحة الوصول إلى أفضل القراءات القريبة من النص الأصلي عند تحقيق المخطوط[3].

ثانيًا: العلاقات بين مؤلفات مؤلف واحد، مثل: استشهاد المؤلف بمؤلفاته السابقة، أو أشكال التكامل بين بعض مؤلفاته، أو التدرج في مستويات متعددة؛ كالمطوّل (أي: البسيط)، والوسيط، والوجيز. . . إلخ.

ثالثًا: العلاقة بين أجزاء نص معين، بعد أن تشعب وتشتت في مؤلفات أخرى عن طريق النقول الكبيرة أو الإدماج الكامل في نصوص أخرى؛ تمهيدًا لاستخراج النص الكامل وإعادة بنائه وتركيبه[4]. وهذا

---

(١) Harrod, L.M. Harrod 's Librarians glossary of terms used in Librarianship, documentation and the book crafts, and reference book, 5th ed. Hampshire, Gower, 1984, p480.

(٢) Ibid, p503.

(٣) انظر: ماس، پول، «نقد النص». في (النقد التاريخي، مجموع من اختيار وترجمة، عبد الرحمٰن بدوي، ط٣، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٧م، ص٢٥٥).

(٤) انظر: الجزء الخاص باستخراج النصوص، في الفصل التاسع ـ المبحث الثامن، ص٤٦٨ بهذا الكتاب.

ما يمكن أن نطلق عليه «**ببليوجرام النصوص الشاردة**»، أو «**ببليوجرام الشَّتَات**». ويدخل ضمن هذا الإطار تلك النصوص التي فُقدت أصولها العربية وبقيت ترجمتها في لغة/لغات أخرى، وينبغي حصر ترجماتها لتيسير مهمة الباحثين عنها.

رابعًا: علاقة النص بالمؤلفات التابعة له كـ(التلخيصات والشروح)، أو المرتبطة به كـ(التذييلات والردود)... إلخ[١]. أو بالمؤلفات السابقة عليه، التي كانت محركة ومتسببة في وجوده، حتى ولو كانت علاقة في إطار الخصومة الفكرية[٢].

خامسًا: العلاقة بين النص والأعمال التي استُلهْمت منه، أو أُلّفت على مثاله، أو تكوِّن معه سلسلة أو مجموعة متكاملة تغطي موضوعًا معينًا.

سادسًا: العلاقات التي تظهرها القياسات الببليوجرافية، والتي تربط المؤلفات بالمنابع المشتركة التي تستقي منها أو تستشهد بها[٣].

ويمكن مقايسة العلاقة التي يمكن أن يصورها الببليوجرام بين النصوص في ما يلي:

١ ـ علاقة نص **كامل**	←	بنص **كامل** آخر.
٢ ـ علاقة نص **كامل**	←	**بجزء** من نص آخر.
٣ ـ علاقة **جزء** من نص معين	←	بنص **كامل** آخر.
٤ ـ علاقة **جزء** من نص معين	←	**بجزء** من نص آخر.
٥ ـ علاقة **مجموعة** من النصوص	←	**بمجموعة** من النصوص.

٦ ـ العلاقة بين أجزاء من **نص معين**، توجد مشتتة في كتب متعددة.

---

(١) انظر: تصنيف أنواع العلاقات، في الفصل الحادي عشر بهذا الكتاب.

(٢) انظر: ببليوجرام الردود، في الفصل التاسع ـ المبحث الخامس، ص٤٢١ بهذا الكتاب.

(٣) انظر: حشمت قاسم، دراسات في علم المعلومات، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٤م، ص١٢٤.

الجذور التاريخية للببليوجرام

اهتم بعض الباحثين في عصور مختلفة ومجالات موضوعية متعددة، بإظهار العلاقات بين النصوص بشكل أو بآخر، **ومن أهم هذه المجالات ما يلي:**

أولًا: مجال الببليوجرافيا:

لعل فكرة الربط بين النص أو الكتاب، وما قد يتبعه من توابع ومكملات، أو يسبقه من أصول وركائز، تتجلى في أنضج صورها في العرض الببليوجرافي الذي اتبعه حاجي خليفة (ـ ١٠٦٧هـ) في كشف الظنون، فهو يذكر المتن (النص)، ثم يلحقه بـ«**متعلقاته**»[(١)]، من المؤلفات التي توصَّل إلى معرفتها في حدود إمكانياته وعصره، في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري.

وليس حاجي خليفة أول من اتبع ذلك المنهج، فقد استخدمه **طاش كبري زاده** (ـ ٩٦٨هـ)، الذي سبق حاجي خليفة بنحو قرن من الزمان. فهو في ببليوجرافيته: «**مفتاح السعادة**» يشير ـ أيضًا ـ إلى النص ثم يذكر بعده المؤلفات **المتعلقة** به، ولكنه عندما يشير ـ مثلًا ـ إلى شرح لنص معين، يستطرد إلى ذكر مؤلفات أخرى للشارح، وقد يذكر ترجمة لحياته، ثم يعود من هذا الاستطراد ليكمل الحديث عن بقية شروح أو توابع النص الأول. وهكذا يدخل في حلقات متعددة من **التغطية الموسوعية** التي يمتزج فيها التعريف بعلم (فن) معين، بذكر المؤلفات في هذا العلم، وترجمة مؤلفيها والمؤلفات الأخرى لمؤلفيها، ثم المؤلفات المرتبطة بها، وترجمة مؤلفيها... إلخ.

---

(١) وتشمل هذه «**المتعلقات**» بحسب تعبير حاجي خليفة كل ما يرتبط بالنص مثل: شرح، وحاشية، وتلخيص، وذيل، واستدراك، ونقض، وتأييد، وترجمة... إلخ. انظر: كشف الظنون. مقدمة المؤلف، ج١، عمود ٢.

ويرجع ذلك إلى **النَّسَق المصنف، والمعالجة الموسوعية،** في كتاب «مفتاح السعادة»، حيث تذكر المؤلفات في إطار الموضوع. بينما يرتب حاجي خليفة المؤلفات هجائيًّا بحسب عنوان الكتاب، ثم يذكر اسم المؤلف وتاريخ وفاته بقدر الإمكان ويشير إلى المؤلفات المتعلقة بالنص، وإلى أسماء مؤلفيها وتواريخ وفاتهم (غالبًا)... ويتكرر ذلك في كل حالة إذا وجدت مؤلفات تابعة للنص.

وفي «كشف الظنون»، يبدو هذا المنهج التكاملي في ذكر النصوص الأصلية وتوابعها، أكثر اكتمالًا مما نجده في «مفتاح السعادة»، ويتبدى ذلك إذا قارنا ـ كمثال ـ بين ما يرد في «كشف الظنون»، عن كتاب «الهداية» للمرغيناني (ـ ٥٩٣هـ)، وعلاقته بنصوص سابقة عليه، ونصوص تابعة له من شروح وحواشٍ وغيرها، ومدى الشمول والترابط في التغطية البيبليوجرافية، واكتمال العناوين[١] من ناحية، وبين ما يرد في «مفتاح السعادة» عن الكتاب نفسه، حيث نجد تغطية أقل للنصوص التابعة له[٢].

كما تتبدى لنا مقدرة العلّامة حاجي خليفة ومنهجه التكاملي، إذا قورن عمله بعمل آخر معاصر له هو: «**أسماء الكتب**»، **[تجميع] رياضي زاده** (القرن ١١هـ)[٣]، حيث تُذكر الكتب **منسلخةً** عن علاقتها بنصوص أخرى، وتبدو المؤلفات في هذا السياق المفكك والمنعزل، تائهة

(١) كشف الظنون، ٢/ ٢٠٣١ ـ ٢٠٤٠.

(٢) طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى (ـ ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق: كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م، ٢/ ٢٦٤ ـ ٢٧٢.

(٣) انظر: رياضي زاده، عبد اللطيف بن محمد (ـ ق١١هـ)، أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون، تحقيق: محمد التونجي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م.

بلا معنى ولا دلالة من حيث مجالها أو وظيفتها أو منفعتها[1]، مثلما نجد في فهارسنا الحديثة للأسف.

وقد حرص بروكلمان على مواصلة المنهج التكاملي نفسه في ببليوجرافيته «تاريخ الأدب العربي»، وكمثال لذلك، ما فعله بعد ذكر «المقامات» للحريري (ـ ٥١٦هـ)، حيث ذكر ما أُلف عليها في الصور التالية: **انتخاب، استدراك، جدل حول المقامات (بين هجوم ودفاع، ثم تحكيم بين الاتجاهين)، شرح وتحشية، ترجمة إلى العبرية والتركية.** ولكن بروكلمان يضيف شيئًا جديدًا وهو ذكر النسخ المخطوطة من المؤلفات التي يذكرها، والإشارة إلى أماكن وجودها، وما أدركه من طبعاتها[2].

ويلحق سزكين بالركب نفسه، فهو عندما يذكر «المسند»، لابن حنبل (ـ ٢٤١هـ) مثلًا، يذكر بعده **ما يلي**:

أ ـ كتب حول المسند بصفة عامة.

ب ـ مختصرات المسند.

ج ـ تهذيبات للمسند.

كما يذكر المخطوطات الموجودة من هذه الأعمال وأماكن

---

(١) للتعرف إلى مثال لطريقة العرض في كتاب «أسماء الكتب» لرياضي زاده. انظر: تاريخ الأندلس، للقرطبي (ـ ٤٠٢هـ) الذي يرد في صفحة (٨٩) (في حرف التاء) ثم كتابًا وثيق الصلة به وهو «الصلة لابن بشكوال»، ويرد منعزلًا في صفحة (٢٠٨) (في حرف الصاد)، وقارن ذلك بما يرد في كشف الظنون عن نفس الكتاب تحت عنوان «تاريخ الأندلس، لأبي الوليد بن محمد الفرضي (ـ ٤٠٣هـ) فبعده مباشرة تذكر «بعض» ذيوله: كالصلة لابن بشكوال... وغيرها. (كشف الظنون ١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

(٢) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: رمضان عبد التواب. ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، ٥/ ١٤٤ ـ ١٥٠.

وجودها، وما طبع منها[1].

ثانيًا: مجال تحقيق النصوص[2]:

في دراسته بعنوان «نقد النصوص» Textkritik يوضح العالِم الألماني «بوْل ماس» كيفية تمثيل العلاقات القائمة بين الشواهد الباقية من نص كلاسيكي[3] معين، بواسطة «**جدول نسب**»[4] Stemma، ولعل هذا المصطلح يمثل أحد الجذور التاريخية البعيدة لفكرة الببليوجرام، في بُعدها الوعائي، بمعنى «تتبع ومقارنة مخطوطات نص معين، للاقتراب من النص الأصلي بقدر الإمكان[5].

---

(١) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية، محمود فهمي حجازي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٣م، مج١، ٢١٨/٣ ـ ٢٢٢.

(٢) يُقصد بتحقيق النصوص (Textual Criticism): إعادة تكوين النص الأصلي لأثر أدبي معين، بناءً على الأدلة التي استمدها المحقق من المخطوطات الأصلية للنص.

انظر:

Magdi Wahba. Op. cit. p566.

(٣) يقصد بذلك المخطوطات اليونانية أو الرومانية.

(٤) كلمة (Stemma) من أصل يوناني، ثم لاتيني؛ تعني: (شجرة العائلة) أو (سلسلة النسب) لمخطوط أو عمل أدبي.

انظر:

The American Heritage Dictionary of the English Language / ed. By William Morris, Boston, Houghton Mifflin Co. 1980, p1262 (Stemma).

ـ وقد اهتم العرب القدماء أيضًا بمقابلة المخطوطات ومقارنتها، ويعد تحقيق النصوص وتوثيقها فنًا عربيًا أصيلًا. انظر: عبد السلام هارون، التراث العربي، بيروت، المركز العربي للثقافة والعلوم، د.ت، ص٦٨.

(٥) ماس، پوْل، مرجع سابق، ص٢٥٥ ـ ٢٧٥.

وفي مجال تحقيق النصوص أيضًا، يوضح جاسكل Gaskell أهمية التكامل بين الببليوجرافيا ونقد النصوص، حيث يقوم المحقق (editor) بكلا الوظيفتين عندما يستند إلى معايير ببليوجرافية، لحسم الخلاف بين النصوص الباقية لعمل معين، من أجل الوصول إلى نص محقق[١] Critical text، ومن أجل ذلك طوّر جاسكل نظريته في **ببليوجرافيا النصوص**[٢] Textual Bibliography.

وقد استخدم المستشرق شاخت الطريقة نفسها، عندما صمَّم جدولًا للعلاقة بين مجموعة من النصوص العربية القديمة، وهي:

١ ـ كتاب في «فن الحيل»، لأبي يوسف (ـ ١٨٢هـ) (رواه عنه الشيباني).

٢ ـ كتاب «المخارج في الحيل»، للشيباني (ـ ١٨٩هـ) (اقتبس فيه بعض كتاب أبي يوسف وزاد عليه؛ ولذلك أصبح منسوبًا للشيباني)[٣].

٣ ـ رواية قصيرة لكتاب «الحيل»، للشيباني، رواها الخصاف (ـ ٢٦١هـ).

٤ ـ رواية مطولة لكتاب «الحيل»، للشيباني، زاد فيها الخَصَّاف من مصادر أخرى، ومن بينها كتاب أبي يوسف..

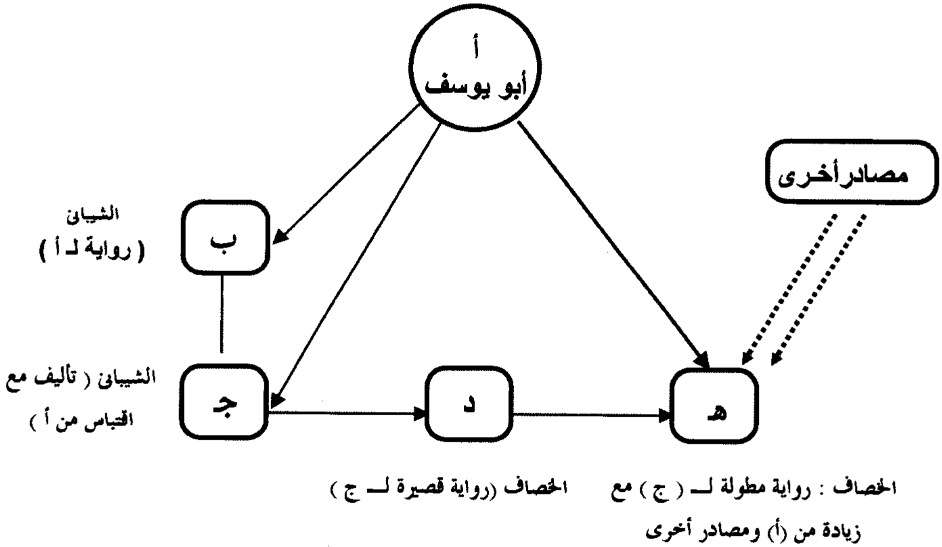
---

(١) Gaskell, Philip. From Writer to reader: Studies in editorial methods, Oxford, The Clarendon Pr. 1978, p20.

(٢) Ibid, p. vii.

(٣) يشير برجستراسر إلى أن فكرة ملكية الكتاب لمؤلفه لم تكن معروفة في ذلك الزمن، وأن الكتاب كان يتسلسل في سلسلة من الروايات، وقد يذوب في تأليف جديد لأحد الرواة. انظر: برجستراسر، ج. أصول نقد النصوص ونشر الكتب: محاضرات المستشرق الألماني برجستراسر بكلية الآداب، سنة (١٩٣١ ـ ١٩٣٢م)، إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، القاهرة، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، ١٩٦٩م، ص٣٤.

وقد نشر شاخت كتابَيْ الشيباني والخصاف، ورتب جدولًا يوضح تعلُّق الروايات بعضها ببعض. وفي ما يلي جدول «شاخْت»(١):



شكل (٣) جدول «شاخْت»

ثالثًا: مجال دراسة المصادر:

ثمة دراسات معاصرة، قام بها باحثون من مجالات متعددة، استخدموا فيها مناهج أقرب إلى القياسات الببليوجرافية (Bibliometrics)، حيث تقوم على دراسة واحد من المؤلفين، ومؤلفاته، ومصادر مؤلفاته.

ومن أمثلة هذه الدراسات:

١ ـ دراسة عن النويري وكتابه «نهاية الأرب في فنون الأدب»، ومصادره الأدبية(٢).

---

(١) المرجع السابق، ص٣٣ ـ ٣٤.

(٢) أمينة محمد جمال الدين، النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب: مصادره الأدبية وآراؤه النقدية، القاهرة، دار ثابت، ١٩٨٤م، ص١٤٧ ـ ١٦٦.

٢ ـ دراسة مؤلفات ابن حجر العسقلاني التي قاربت الثلاثمائة، ومصادر كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة»، وشروحه وتعليقاته ومختصراته والبحوث المعاصرة حوله[١].

٣ ـ دراسة فؤاد سزكين لمصادر البخاري[٢].

٤ ـ دراسة فؤاد سزكين لمصادر «الأغاني» للأصفهاني[٣].

٥ ـ دراسة سليمان إسحاق عطية حول «كشف الظنون» لحاجي خليفة، وتتبع ترجماته وذيوله ومختصراته[٤].

وفي مخطط بياني لعلاقات الاقتباس والاستشهاد والإحالات التي استخدمها ابن قتيبة في بعض مؤلفاته نقلًا عن مؤلفاته الأخرى، نجد نموذجًا **لعلاقات التأليف لدى المؤلف الواحد**، يمكن أن نسمِّيه «**ببليوجرام المؤلف الواحد**»، أو «**ببليوجرام الاستشهاد الذاتي**»[٥].

---

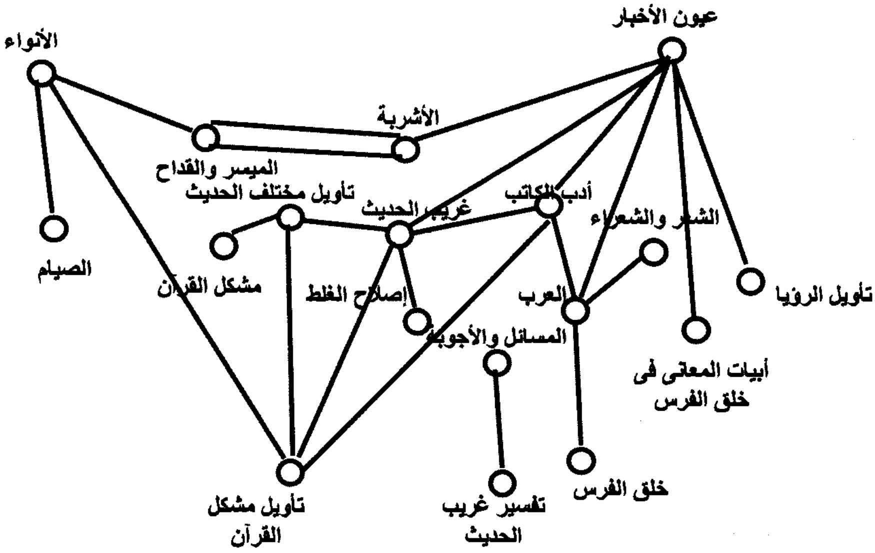
(١) شاكر محمود عبد المنعم، ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة، بغداد، دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٨م، ١/٣، ٥، ١٤.

(٢) فؤاد سزكين، محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ١٩٨٤م، ص١٤٥ ـ ١٤٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) سليمان إسحاق عطية، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٧م، ص٤٧ ـ ٥٤.

(٥) ورد هذا المخطط في المرجع التالي: إسحاق موسى الحسيني، ابن قتيبة، ترجمة: هاشم ياغي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م، ص٧٢.



شكل (٤)
«مخطط العلاقات والاقتباسات بين مؤلفات ابن قتيبة»
(ببليوجرام المؤلف الواحد)

كما نجد نموذجًا آخر لدراسة العلاقة بين نصٍّ معين ونصوص أخرى للمؤلف نفسه في دراسة للعلاقة بين كتاب: «إنباء الغمر بأبناء العمر»، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)، والمؤلفات التاريخية الأخرى لابن حجر، وهي:

١ ـ «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة».

٢ ـ «ذيل الدرر الكامنة».

٣ ـ «رفع الإصر عن قضاة مصر».

٤ ـ «المجمع المؤسَّس للمعجم المفهرس»(١).

ومن العرض السابق، تتضح بعض الجذور التاريخية،

---

(١) محمد كمال عز الدين، التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، بيروت، دار اقرأ، ١٩٨٤م، ص٤٧٣ ـ ٥٠٥.

والمجالات والأساليب المختلفة، لتمثيل ووصف العلاقات الببليوجرافية بين النصوص والتي يعد الببليوجرام بلورة لأبعادها، وتطويرًا لوظائفها.

آفاق استخدام الببليوجرام

الببليوجرام الجزئي (لعائلة النص):

إن العلاقات التي تربط بين النص وعائلته من المؤلفات المتعلقة به، يمكن أن يمثلها ببليوجرام جزئي يشمل النص وعائلته، ويتيح للباحث أن يتعرف إلى ما يلائمه، ثم ما يتاح له، من مجموعة النص وشروحه وتلخيصاته ومستدركاته وذيوله وردوده. . . إلخ.

الببليوجرام الشامل (للتأليف العربي):

ويمكن أن نتصور آفاق التكامل بين هذه الحالات الجزئية لعائلات النصوص في ببليوجرام شامل للتأليف العربي، يتجاوز المعالجات المنفصلة لوحدات الإنتاج الفكري، وينتظم كلَّ ما نعرفه ونكشفه من علاقات **قبْلية وبَعْدية** للنصوص، في أبعادها **الزمنية والموضوعية والمكانية**، مع تحقيق المزيد من **الضبط الببليوجرافي**، واستيعاب **الببليوجرافيات التكوينية العربية**[1]، وتحليل كتب التراجم وبرامج الشيوخ والتاريخ والموسوعات العربية والإشارات الببليوجرافية

---

(١) يقصد بذلك الببليوجرافيات العربية التراثية، التي تفيد في معرفة ما ظهر من مؤلفات ونسبتها لمؤلفيها، وما يرتبط بها من مؤلفات أخرى، ولكنها لا تفيد في التوصل إلى أماكن وجودها في عصرنا الحالي، وقلما تفيد في معرفة وحداتها الوعائية (الأجزاء ـ المجلدات. . .). نظرًا لظروف عصر المخطوط، ومن هذه الببليوجرافيات: (الفهرست ـ مفتاح السعادة ـ كشف الظنون وذيوله ـ برامج الشيوخ. . . إلخ).

داخل المؤلفات وغير ذلك من المصادر الممكنة؛ لاستخراج المعلومات والبيانات الببليوجرافية المنتشرة في ثناياها، إلى جانب **الببليوجرافيات الإشارية الوعائية**[1] الحديثة التي تحصر المؤلفات العربية ـ الإسلامية، لبروكلمان وسزكين وغيرهما[2]، وفهارس المخطوطات بالمكتبات والببليوجرافيات الجارية الحصرية والموضوعية... إلخ، على أن يتم تفريغ كل ذلك في ببليوجرام مبرمج تستوعبه إمكانيات الحاسب الآلي، ويشكل مبدئيًّا **قائمة حضور** لما وجدناه من مؤلفات تراثية بالفعل، كاملًا أو ناقصًا، **وقائمة انتظار** لما رصدنا بياناته من إنتاج فكري، وما زلنا نأمل في ظهوره ونعتبره من قضايانا الببليوجرافية[3].

وتعد هيكلة علاقات التأليف ووصفها وتحديد أبعادها في هذه الدراسة، نواة لطرح العناصر والتسميات التي يمكن أن يحتويها الببليوجرام الشامل، لكي يتسع لأي نص أو عمل موجود بالفعل أو يظهر مستقبلًا، بحيث يأخذ مكانه متصلًا بما يسبقه وما يلحقه من مؤلفات له

---

(١) يقصد بذلك الببليوجرافيات التي تحصر الإنتاج الفكري العربي وتحدد أشكاله الوعائية (مخطوطة، مطبوعة)، وتشير إلى أماكن وجود النسخ وبيانات النشر لما طبع منها. ومن أهمها: (تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان. وتاريخ التراث العربي، لسزكين)، ولم تستخدم كلمة «المكانية» حتى لا ينصرف المعنى إلى فهارس المكتبات أو ببليوجرافيات إقليم معين.

(٢) انظر مقترحات إنشاء نظام ببليوجرافي عالمي للإنتاج الفكري الإسلامي، والضبط الببليوجرافي العربي، في المصدر التالي: محمد فتحي عبد الهادي، دراسات في الضبط الببليوجرافي، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م، ص٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) انظر في هذا المجال: عبد الستار الحلوجي، تراثنا الفقهي وقضاياه الببليوجرافية، الدارة (الرياض) س٣، ع٢، (يونية/ حزيران ١٩٧٧م)، ص١٦٨.

علاقة بها، ومن خلال ذلك يمكن أن تتجلى روعة **التكامل والتواصل** في التأليف العربي، وأن تبرز إمكانيات **البيليوجرافيا التكوينية** في إبراز البنية المتكاملة للإنتاج الفكري في حضارة أربعة عشر قرنًا متصلة ومتجددة، وإجلاء الركام عن روائع غمرها النسيان أو الخلط أو الندرة، أو المعرفة الجزئية بالنصوص بمعزل عن علاقاتها الجدلية والتكاملية بنصوص أخرى.

وكمثال للمزيد من التحديد والدقة التي يمكن توفيرها في وصف العلاقة بين المؤلفات، **يمكن عرض المثال التالي**:

يشير سزكين إلى كتاب «المسند»، لابن حنبل (ـ ٢٤١هـ)، ثم يذكر بعده مجموعة من المؤلفات المتعلقة به، ويبوب هذه المؤلفات كما يلي:

أ ـ كتُب حول المسند بصفة عامة.

ب ـ مختصرات المسند.

ج ـ تهذيبات المسند[(١)].

وفي ضوء **مصطلحات التأليف** التي توصلتُ إليها وقمتُ بتحديدها وصياغتها وتقنينها في هذه الدراسة، يمكن إعادة وصف هذه المؤلفات بحسب علاقتها بالنص الأصلي، وهو (مسند ابن حنبل)، بصورة أكثر تحديدًا[(٢)]، في الجدول التالي:

---

(١) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، مج١، ٣/ ٢١٩ ـ ٢٢٢.

(٢) من المهم الإشارة هنا إلى التقدير للجهد العلمي الذي قام به سزكين في عمله البيليوجرافي العظيم، الذي لا يُحصى فضله على الباحثين.

تسمية العلاقة بمسند ابن حنبل عند سزكين	عناوين المؤلفات المتعلقة بالمسند كما وردت عند سزكين	تسمية العلاقة بالمسند حسب مصطلحات هذه الدراسة[1]
«كتب حول المسند بصفة عامة»(*)	ـ خصائص المسند[2]، المدِيني (ـ ٥٧٧هـ)	«دراسة خصائص النص»
	ـ المصعد الأحمد في ختم[3] مسند الإمام أحمد، ابن الجزري (ـ ٨٣٣هـ)	«دراسة خصائص النص»
	ـ غاية المقصد في زوائد[4] المسند، الهيثمي (ـ ٨٠٧هـ).	«التكملات والذيول والزوائد»
	ـ القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد، ابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)	«تأييد النص»
	ـ ذيل القول المسدد، للمِدْراسي (ق١٣هـ).	«ذيل لتأييد النص»
	ـ أطراف المُسْنِد المطلع بأطراف المسْنَد الحنبلي، داماد إبراهيم (ـ ٨٣٨هـ)	مفاتيح أو كشافات النص: أطراف
	ـ المنهج الأحمد في تراجم الإمام أحمد، العليمي (ـ ٩٢٨هـ)	(ليست له علاقة بالنص)[5]

(*) هذه العلامة تميز الأوصاف والتحديدات التي أوضحها سزكين عند ذكر بعض المؤلفات.

(١) انظر: جدولة علاقات التأليف، في الفصل الحادي عشر بهذا الكتاب.

(٢) يشمل هذا الكتاب دراسة المميزات التي ينفرد بها المسند، وطريقة ابن حنبل في اختيار أشجار الأسانيد، وشروطه في الحديث والرواية.

(٣) الختم: هو بيان كماله وتمامه.

(٤) الزوائد؛ تعني: الأحاديث التي يزيد بها بعض كتب الحديث على بعض آخر معين. والزوائد في هذا الكتاب هي ما فات ابن حنبل ويكمله المؤلف من الكتب الستة للحديث، في إطار منهج ابن حنبل، بحيث تصبح الزوائد بالإضافة للمسند جمعًا للكتب كلها في إطار منهج واحد.
انظر: الكتاني، محمد بن جعفر (١٣٤٥هـ)، الرسالة المستطرفة لبيان كتب السُّنَّة المشرفة، ط٤، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٦م، ص١٧٠ ـ ١٧١.

(٥) ليست له علاقة بكتاب المسند، ويتعلق بتراجم المذهب الحنبلي عمومًا.
انظر: سزكين، فؤاد، المرجع السابق، حاشية عبد الفتاح الحلو، رقم (١٩٦)، ص٢١٩.

تسمية العلاقة بمسند ابن حنبل عند سزكين	عناوين المؤلفات المتعلقة بالمسند كما وردت عند سزكين	تسمية العلاقة بالمسند حسب مصطلحات هذه الدراسة
مختصرات المسند	ـ ثلاثيات[1]، لعبد الله بن أحمد بن حنبل (ـ ٢٩٠هـ). ـ شرح للثلاثيات بعنوان نفثات صدر المكمد. . .، للسفاريني (ـ ١١٨٨هـ)	مجانسة (لمعلومات من النص)، (أي: اختيار لنوع معين من الأحاديث) شرح[2] (للمجانسة)
تهذيبات المسند	ـ ترتيب أسماء الصحابة الذين أخرج حديثهم أحمد بن حنبل في المسند على ترتيب حروف المعجم، ابن عساكر (ـ ٥٧١هـ) ـ ترتيب مسند ابن حنبل على حروف المعجم، المقدسي (ـ ٨٢٠هـ) ـ الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري، ابن زكنون (ـ ٨٣٧هـ) ـ مختصر «الكواكب» بعنوان: «السيرة»	مَعْجَمَةُ المُجانَسَة (لجزء من النص) معجمة النص مَوْضَعَةُ النص (ترتيبه موضوعيًّا) مختصر لمَوْضَعَةِ النص
(شرح لغوي)	ـ عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد، السيوطي (ـ ٩١١هـ)	شرح لغوي[2]

أشكال الببليوجرام

من خلال استقراء عينة المؤلفات، تم تحديد عدة أشكال للببليوجرام، توضح علاقات التأليف بين النصوص، ويمكن في المستقبل دراسة العلاقة بين هذه الأشكال مستقلة؛ لتحديد المسمَّيات التي أعطيت

(١) الثلاثيات هي الأحاديث ثلاثية السند والرواية، يتم اختيارها ومجانستها من النص الأصلي، وهناك كتب في الحديث تسمَّى: الأحاديات والثنائيات. . . والمئات الحديثية.
انظر: الكتاني، محمد بن جعفر، المرجع السابق، ص٩٧ ـ ١٠٤.

(٢) وصف (الشرح) أطلقه سزكين، أما (المجانسة) فهي من أوصاف هذه الدراسة.

لها في هذه الدراسة، ولإتاحة المقارنة بينها مباشرة، وملاحظة تدرجها من البساطة إلى التركيب في نسيجها وبنيتها، وسوف تليها نماذج فعلية من ببليوجرام العلاقات بين المؤلفات، إلى جانب ما تحفل به فصول البحث من نماذج مرتبطة بموضوعها. وفي ما يلي أشكال الببليوجرام التي تم استقراؤها من خلال مؤلفات ونصوص فعلية:

أولًا: الببليوجرام الخطي:

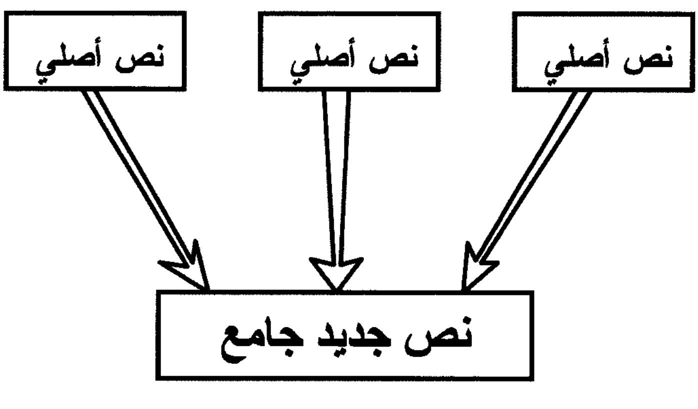
ويمثل علاقة خطية تمتد من نص أصلي (محرك) إلى نص يتعلَّق به، ثم إلى نص ثالث يتعلق بالنص الثاني... إلخ، وكل نصٍّ من هذه النصوص لا يتفرع عنه أكثر من نص واحد، كما يلي:



شكل (٥) الببليوجرام الخطي

ثانيًا: الببليوجرام المتجمع:

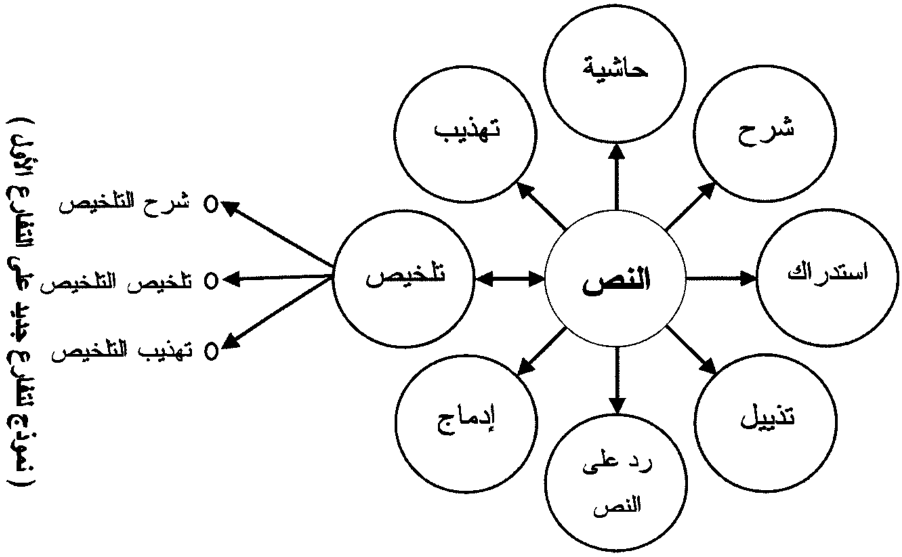
ويمثل مجموعة من النصوص الأصلية، يتم جمعها وإدماجها في نصٍّ جديد جامع، كما يلي:



شكل (٦) الببليوجرام المتجمع

ثالثًا: البيبليوجرام الإشعاعي:

ويمثل علاقة إشعاعية بين النص الأصلي ونصوص أخرى تتعلق به مباشرة تزيد عن ثلاثة، **ويمثله الشكل التالي**:



شكل (٧) البيبليوجرام الإشعاعي

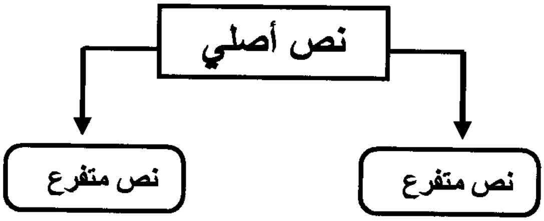
رابعًا: البيبليوجرام التشجيري:

ويمثل علاقة تشجيرية بين النص الأصلي ونصوص تتفرع عنه، ثم نصوص تتفرع عن الفروع... إلخ.

ويمكن أن نميز في البيبليوجرام التشجيري بين الأشكال التالية:

١ ـ البيبليوجرام التشجيري البسيط:

ويمثل علاقة بسيطة بين نص أصلي ونصَّين أو ثلاثة على الأكثر، كما يلي:

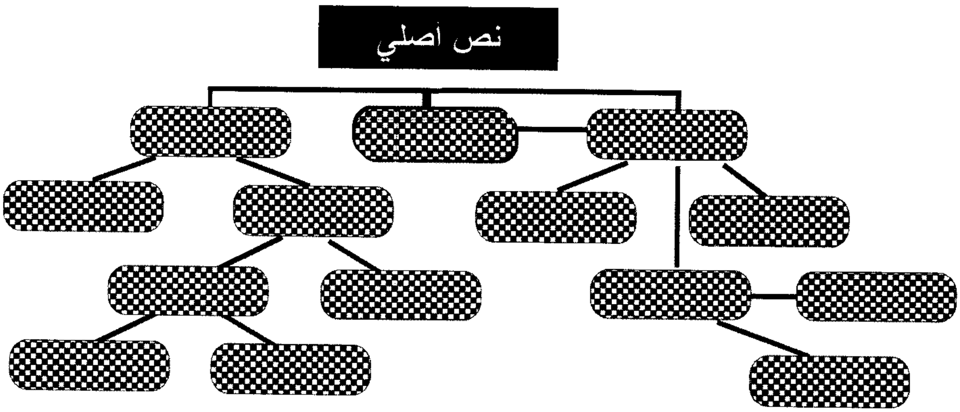


شكل (٨)

البيليوجرام التشجيري البسيط

٢ ـ البيليوجرام التشجيري المركب:

ويمثل علاقة أكثر تفريعًا بين نصٍّ أصلي ونصوص أخرى لا تلبث أن تتفرع عنه، كما يلي:



شكل (٩)

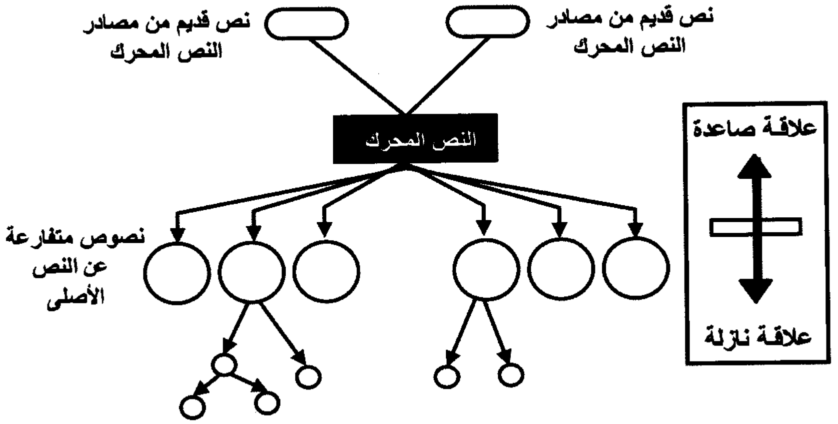
البيليوجرام التشجيري المركب

٣ ـ البيليوجرام التشجيري الجذري (ذو الاتجاهين):

ويمثل علاقة ذات اتجاهين:

أ ـ اتجاه قبْلي صاعد يمثل المصادر أو الجذور التي أخذ عنها النص المحرِّك (الذي أصبح محركًا لنصوص أخرى في ما بعد).

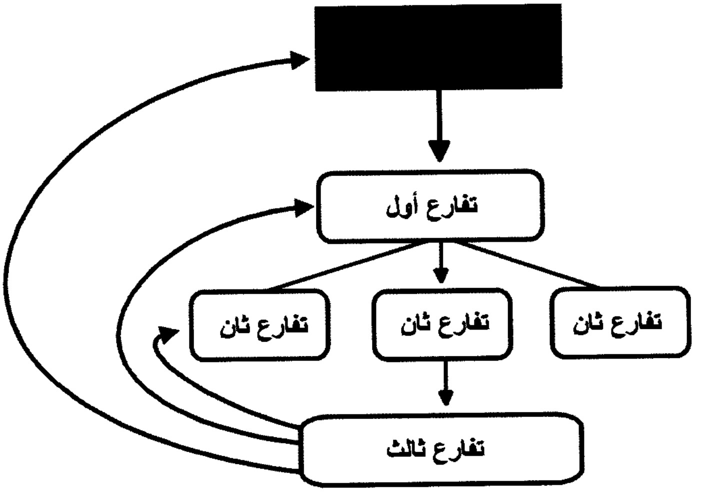
ب ـ اتجاه بَعْدي نازل يمثل النصوص التي تتفرع عن النص المحرِّك.



شكل (١٠)
البيليوجرام التشجيري الجذرى (ذو الاتجاهين)

خامسًا: ببليوجرام التفارع[١] المتعدد:

ويمثل العلاقة بين نص فرعي يقوم على نص فرعي من نفس مستواه أو من مستوى أدنى، كما تتصل فيه بعض الفروع بالنص الأصلي أيضًا، كما يلي:



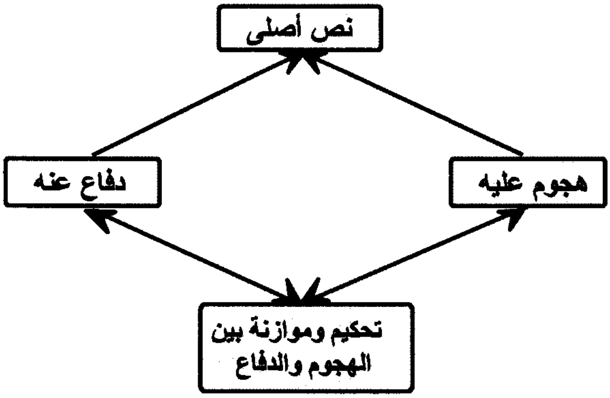
شكل (١١)
ببليوجرام التفارع المتعدد

---

(١) انظر: تعريف التفارع، ص١٢٠ بالكتاب.

سادسًا: البيليوجرام المغلق:

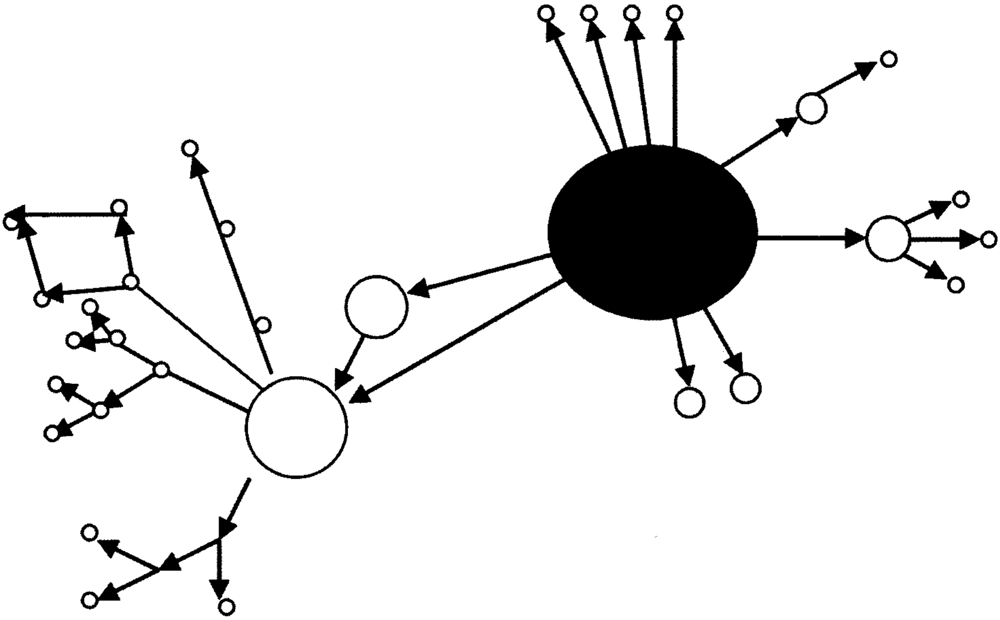
ويمثل علاقة نصٍّ أصلي بنصَّين أو ثلاثة، ثم يأتي نصٌّ أخير يغلق دائرة البيليوجرام، ويلاحظ أنه قد يأخذ شكل التشجير البسيط في البداية، ثم ينغلق، ومن أمثلته:



شكل (١٢)
البيليوجرام المغلق

سابعًا: البيليوجرام المركب:

ويحتوي على عدة أشكال من البيليوجرام مما سبق توضيحه، فهناك نصوص شديدة الخصوبة، تعددت المؤلفات المتعلقة بها، وتنوعت علاقاتها بحيث أصبح البيليوجرام الذي يمثلها يجمع في نسيجه بين أشكال إشعاعية، وتشجيرية، وخطية، وتجميعية... إلخ، ويمثله الشكل التالي:



شكل (١٣) الببليوجرام المركب

المصطلحات المستخدمة في الببليوجرام

من أجل تمثيل علاقات التأليف بين النصوص في الببليوجرام، قمت بصياغة المصطلحات التالية واستخدامها:

أولًا: علاقة التفارع[١]:

وتشمل ما يلي:

---

(١) لفظ: «التفارع» على وزن التفاعل، تمَّ اشتقاقه من (فَرَعَ)، وله مثيل في علم الاتصال هو «التواصل» من (وَصَل). وقد اختير لفظ التفارع لدلالته على المفاعلة بين الجانبين، وهو ما يحدث في التأليف النصي، ففيه علاقة أخذ وعطاء بين النصوص الأصلية والنصوص التابعة، والنصوص التابعة للتابعة.
انظر على سبيل المثال: (تخارج) في اللغة، تفاعل من الخروج، وهو مصالحة الورثة... في المرجع التالي: الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، ص٥٣.

١ ـ **التفارع المباشر**: للدلالة على العلاقة التي تربط بين نص أصلي محوري ونص (أو نصوص) تتفرع عنه أو تتعلق به مباشرة، كالتلخيص والشرح... إلخ.

٢ ـ **التفارع البعيد**: للدلالة على علاقة التفارع بين نص تابع، ونص تابع أيضًا، يُؤَلَّف عليه في دورة تأليف تالية، مثل شرح الشرح، أو تلخيص الشرح، أو تهذيب التهذيب... إلخ.

ثانيًا: رُتَب التفارع:

لتوضيح مستويات التفارع المباشر أو البعيد عن النص الأصلي، قمت باستخدام رتب للتفارع تتدرج من العلاقة المباشرة بين نص تابع ونص أصلي، إلى العلاقات التالية بين نصوص فرعية تابعة تؤلف عليها نصوص تابعة أخرى، بحسب الرتب التالية:

١ ـ رتبة التفارع الأول:

تشير إلى مستوى العلاقة بين نص تابع ونص أصلي، مثل شرح النص، أو تلخيص النص، أو الرد على النص... إلخ.

٢ ـ رتبة التفارع الثاني:

تشير إلى مستوى العلاقة بين نص تابع ونص تابع سابق عليه ومحرك لتأليفه، مثل: تهذيب لشرح نص أصلي.

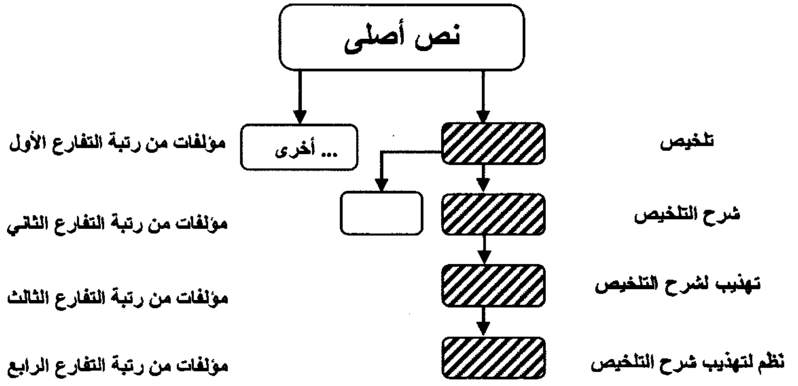
٣ ـ رتبة التفارع الثالث:

تشير إلى مستوى العلاقة بين نص تابع، ونص تابع لنص تابع لأصل.

٤ ـ رتبة التفارع الرابع:

تشير إلى مستوى العلاقة بين نص تابع، ونص تابع لنص تابع لنص تابع لأصل. (انظر شكل ١٤)

ويمكن أن تتسلسل الرتب إلى تفارع خامس وسادس... إلخ.



شكل (١٤)
نموذج تخطيطي لرتب التفارع

ثالثًا: أنواع التفارع:

من أجل تحديد مدى التشابه أو الاختلاف في علاقة التأليف بين النصوص الفرعية التابعة، ابتداء من رتبة التفارع الثاني، تستخدم المصطلحات التالية:

١ ـ التفارع المتجانس:

ويشير إلى تفارع نص فرعي عن نص فرعي آخر من نوعه نفسه في التأليف، مثل:

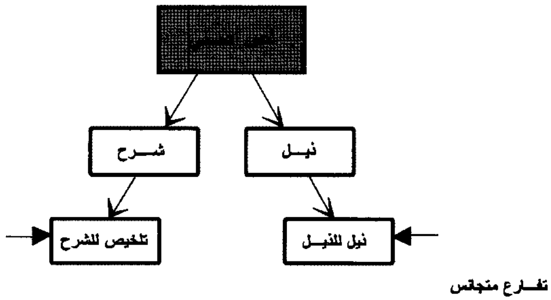
- ـ تلخيص التلخيص.
- ـ تهذيب التهذيب.
- ـ تذييل التذييل... وهكذا. (انظر شكل ١٥).

٢ ـ التفارع المختلط:

ويشير إلى تفارع نص فرعي على نص فرعي آخر يختلف عنه في نوع التأليف، مثل:

- ـ شرح التلخيص.
- ـ حاشية على شرح.

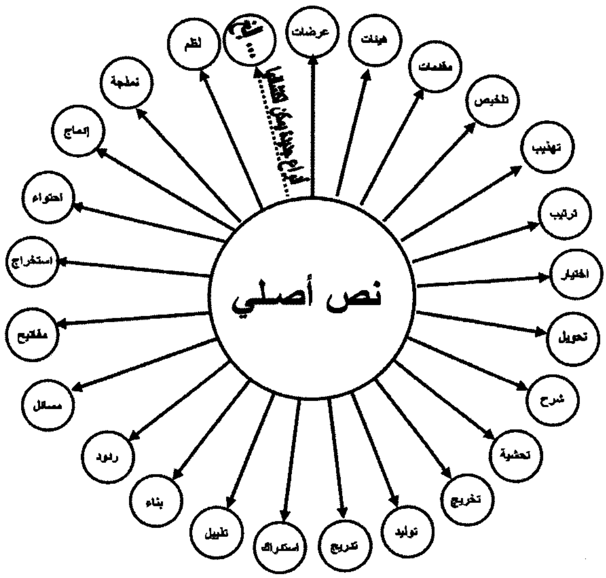
- نظم التلخيص. . . وهكذا. (انظر شكل ١٥)



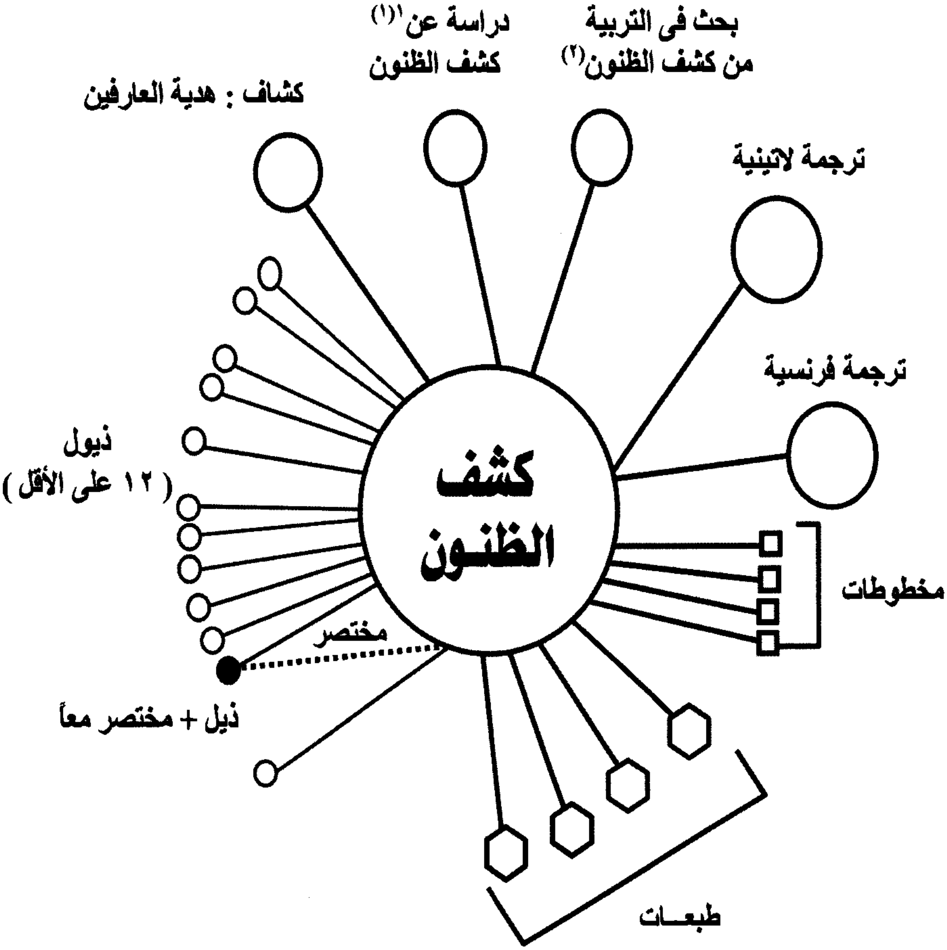
شكل (١٥)
نموذج تخطيطي لأنواع التفارع

نماذج عامة للببليوجرام

في ما يلي نماذج توضيحية للعلاقات التي يخططها ويوضحها الببليوجرام، وهي نماذج عامة، قصد بها أن تحتوي على أنواع متعددة من العلاقات، وفي داخل فصول هذا الكتاب، سوف ترد نماذج متعددة أكثر ارتباطًا بموضوعها.



شكل (١٦)
ببليوجرام إشعاعي للعلاقات النصيّة في التأليف العربي التي توصل إليها المؤلف

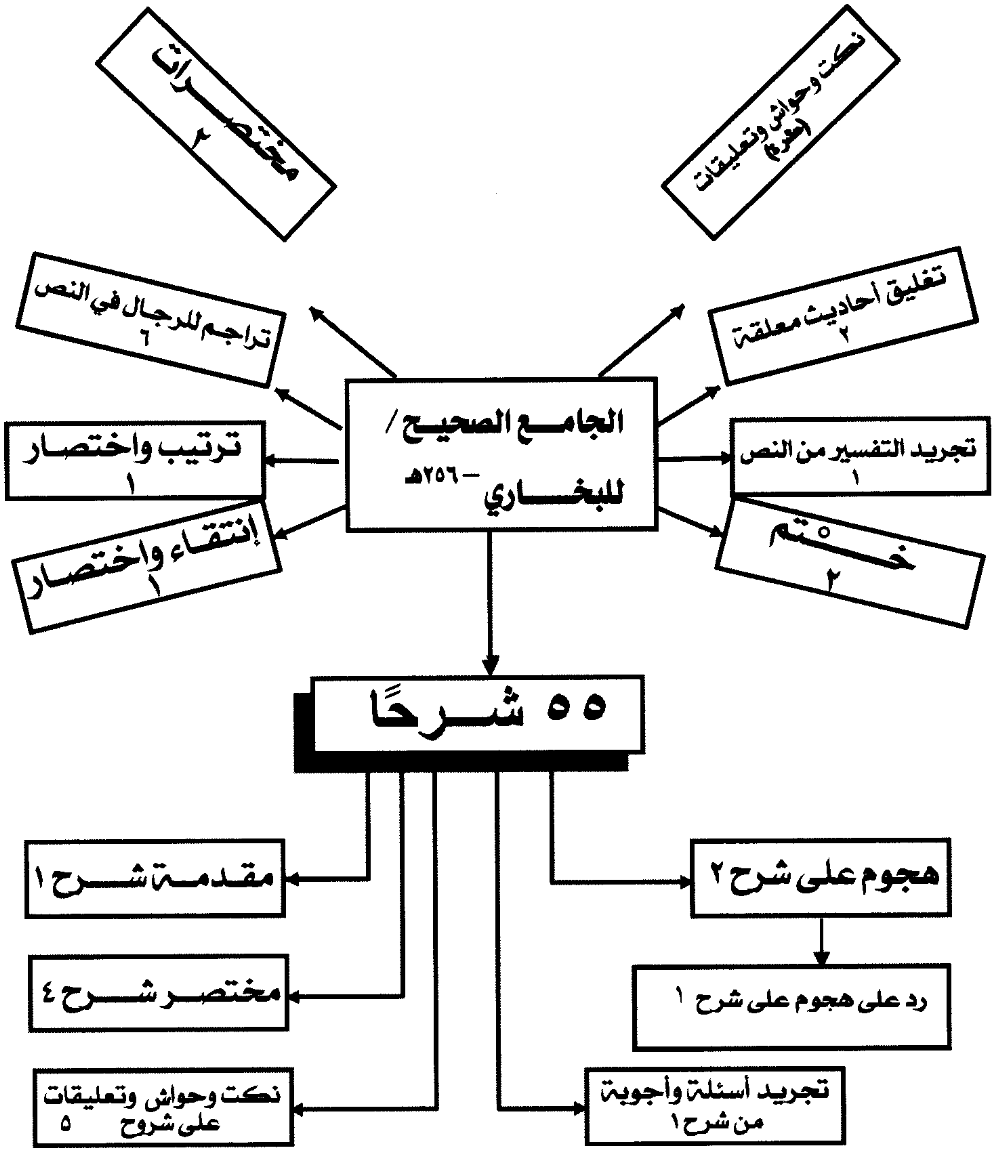


شكل (١٧) ببليوجرام كشف الظنون، لحاجي خليفة (ـ ١٠٦٧هـ)

(١) انظر: سليمان إسحاق محمد عطية: بحوث في التربية من كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٧، ج٢.

(٢) البيانات مأخوذة من الدراسة التالية عن كشف الظنون: سليمان إسحاق محمد عطية: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٧م، ص٤٧.

تحليل عددي لببليوجرام كشف الظنون * (الأعداد قابلة للزيادة في شكل كتب أو مقالات)	ـ ترجمات	: لاتينية (١)، فرنسية (١)
	ـ مخطوطات	: (٤) (على الأقل)
	ـ طبعات	: (٤)
	ـ مختصرات	: (٢)
	ـ ذيول	: (١٢) (على الأقل)
	ـ كشافات	: (٢) (واحد مستقل وآخر منشور مع النص)
	ـ دراسات عنه	: (١) (في شكل كتاب)
	ـ دراسات منه	: (١) (في شكل كتاب)



شكل (١٨)

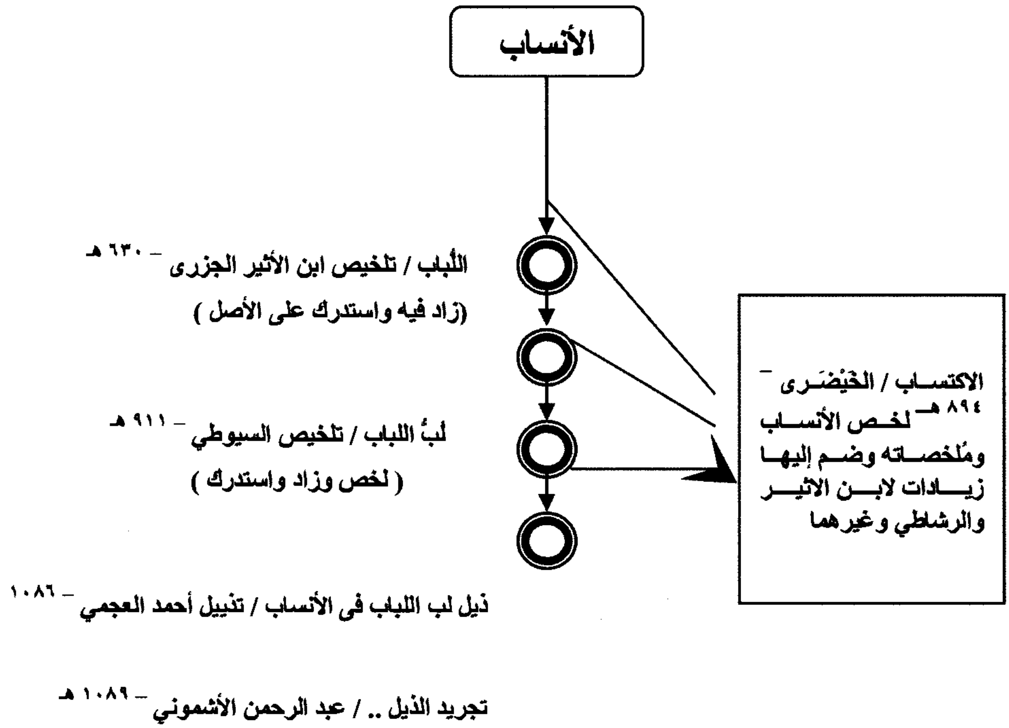
ببليوجرام صحيح البخاري[1] (إشعاعي، تشجيري، خطي) «حصر إجمالي للمؤلفات المتفارعة عليه، ومجموعها ٩٤»

---

(١) انظر:

أ ـ كشف الظنون، ١/ ٥٤١ ـ ٥٥٥.

ب ـ البابانى، إيضاح المكنون، ١/ ٣٥٤.

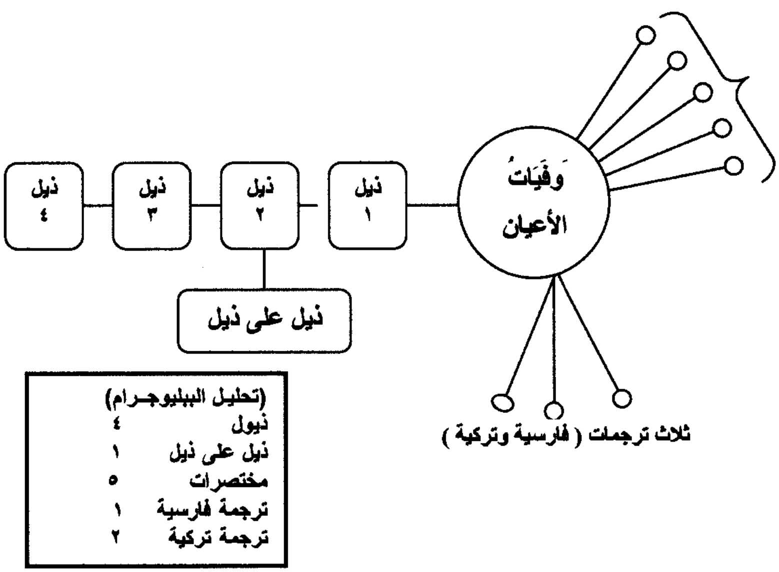


شكل (١٩)

ببليوجرام الأنساب، للسمعاني (ـ ٥٦٢هـ)[(١)]

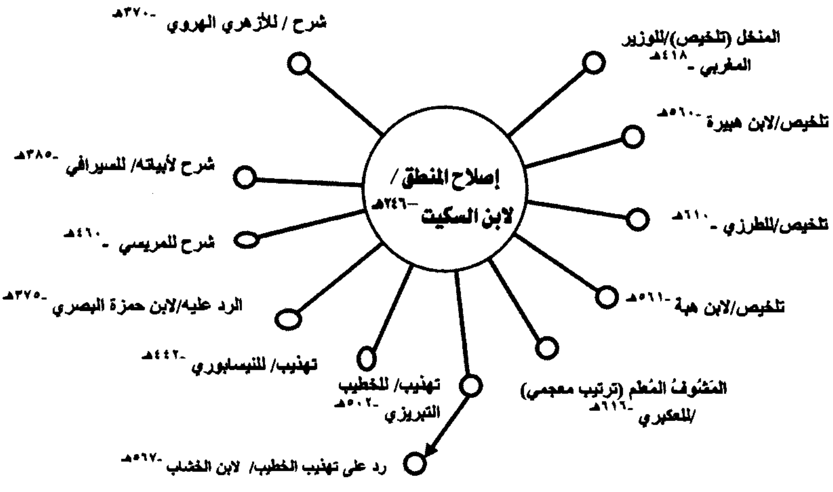
أشكال الببليوجرام الموجودة بالشكل السابق: ـ خطي. ـ متجمع.

(١) كشف الظنون، ١/ ١٧٩.



شكل (٢٠)

ببليوجرام مختصر لوفيات الأعيان، لابن خَلِّكَان (ـ ٦٨١هـ)[1]



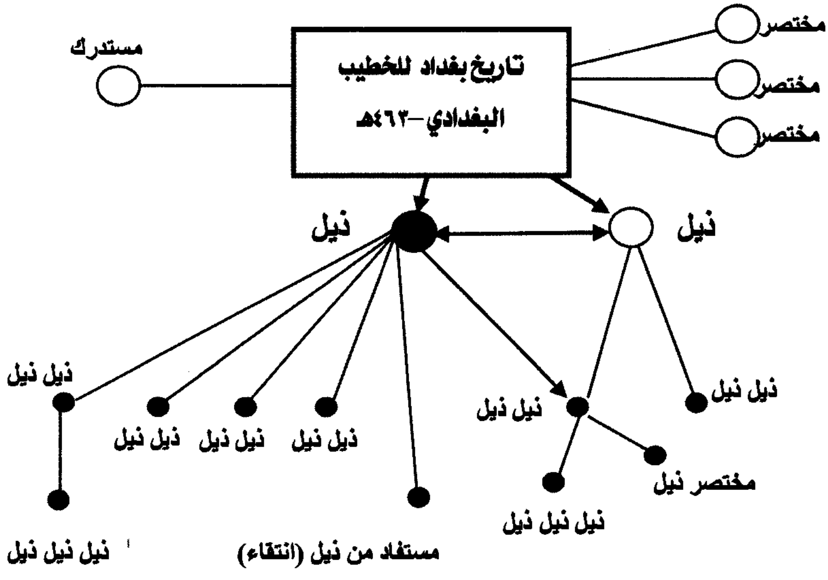
شكل (٢١)

ببليوجرام إصلاح المنطق، لابن السِّكِّيت (ـ ٢٤٦هـ)[2]

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٢٠١٧.

(٢) ياسين محمد السواس (محقق)، «مقدمته» في (المَشُوفُ المُعْلَم في ترتيب =

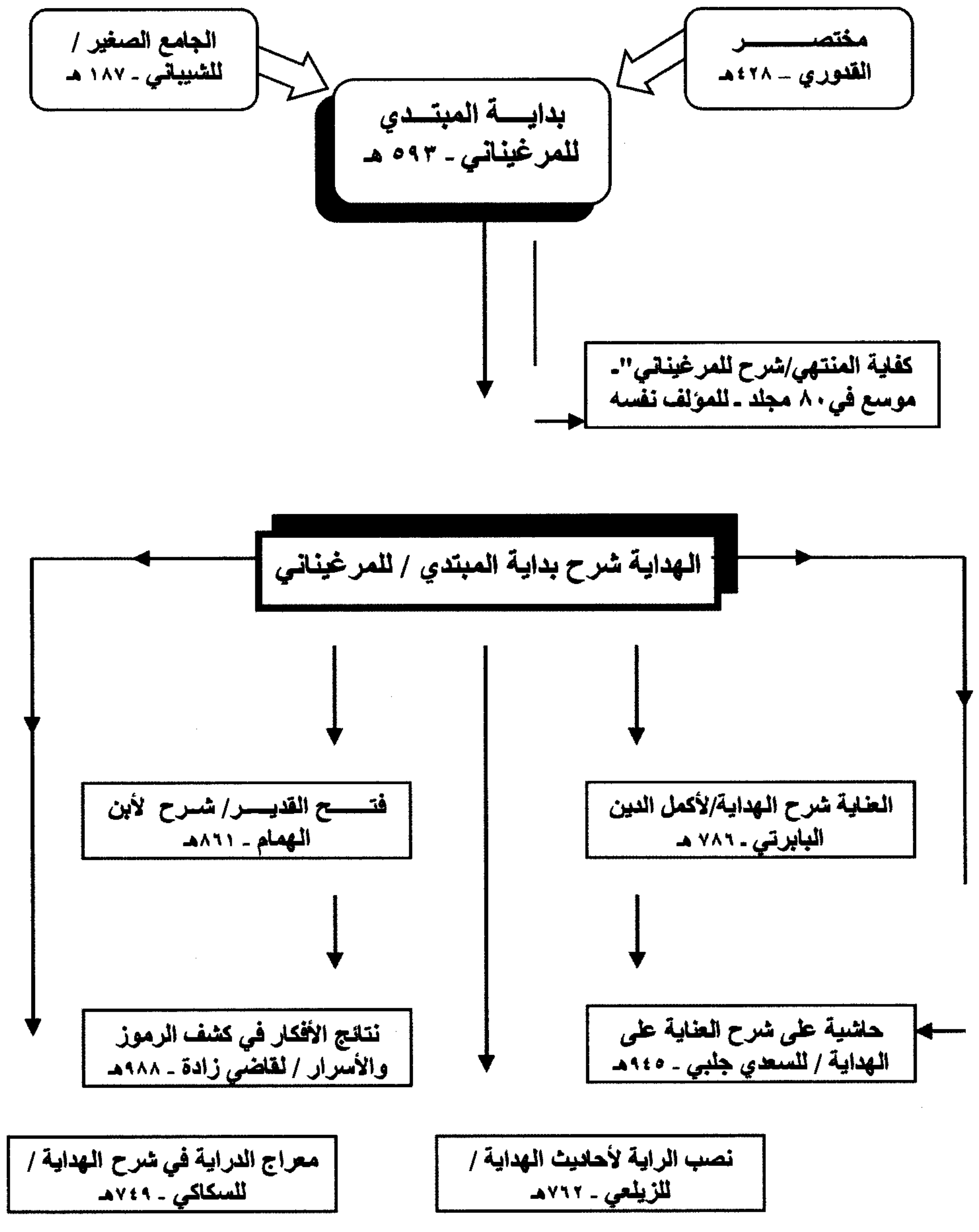


شكل (٢٢) ببليوجرام تاريخ بغداد[1] (مركب)

أشكال الببليوجرام الموجودة بالشكل السابق: ـ إشعاعي. ـ تشجيري. ـ متجمع. رتب التفارع: يصل إلى رتبة التفارع الثالث. أنواع التفارع: أ ـ متجانس: (ذيول للذيول). ب ـ مختلط: (مستدرك ومختصرات للأصل والذيل، ومنتخبات من الذيل).

= الإصلاح على المعجم، تصنيف: أبي البقاء العكبري (ـ ٦١٦هـ)، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٩٨٣م، ١/ ٥.

(١) انظر: تفاصيل هذا الببليوجرام ومصادره في الفصل التاسع، ص٣٧٩ بالكتاب.

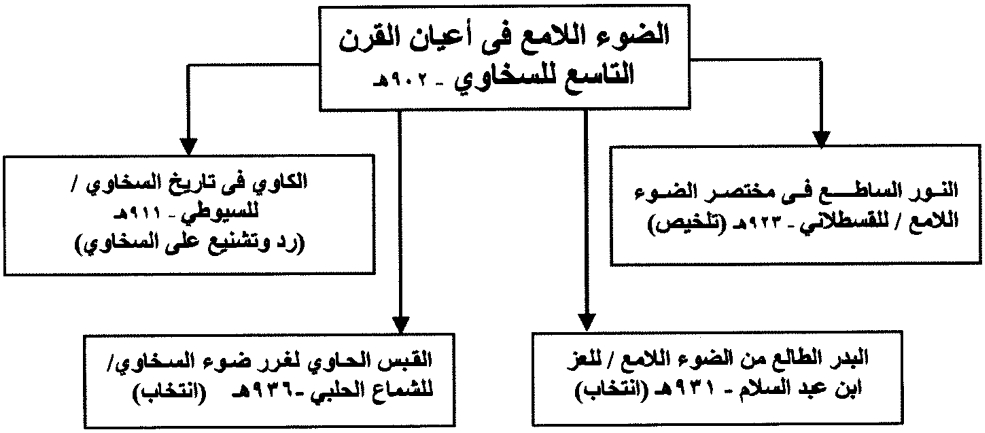


شكل (٢٣)

ببليوجرام البداية والنهاية للمرغيناني[١]

---

(١) انظر: محمد يوسف البنوري، «مقدمته» في «نصب الراية لأحاديث الهداية»، للزيلعي (ـ ٧٦٢هـ)، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٣هـ، ١/ ١٤.



شكل (٢٤) ببليوجرام الضوء اللامع[١]

نماذج أخرى:

ومن المؤلفات شديدة التأثير، والتي لقيت ألوانًا عديدة من التأليف المتفارع عليها، **ما يلي**:

- «الإشارات والتنبيهات في المنطق والحكمة»، لابن سينا (ـ ٤٢٨هـ)[٢].
- «الألفية في النحو»، لابن مالك (ـ ٦٧٢هـ)[٣].
- «تهافت الفلاسفة»، للغزالي (ـ ٥٠٥هـ)[٤].
- «الكشاف عن حقائق التنزيل»، للزمخشري (ـ ٥٣٨هـ)[٥].
- «قصيدة البردة»، أو «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، للبوصيري (ـ ٦٩٤هـ)[٦].

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٠٨٩.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٩٤ ـ ٩٥، الباباني، إيضاح المكنون، ١/ ٨٤.

(٣) كشف الظنون، ١/ ١٥١ ـ ١٥٥، الباباني، إيضاح المكنون، ١/ ١١٩ ـ ١٢٠.

(٤) كشف الظنون، ١/ ٥٠٩ ـ ٥١٣.

(٥) كشف الظنون، ٢/ ١٤٧٥ ـ ١٤٨٤.

(٦) كشف الظنون، ٢/ ١٣٣١ ـ ١٣٣٦.

الوسيلة الثانية: الببليو كرونوجرام (Biblio - chronogram)
(المخطط الزمني لعلاقات التأليف)

هناك أبعاد أخرى لعلاقات التأليف لا يمثلها الببليوجرام وحده؛ ولذلك قمت بتصميم وسيلة إضافية أطلقتُ عليها الببليو- كرونوجرام لتمثيلها، **وهذه الأبعاد هي:**

أولاً: المسافات الزمنية في التفارع

وتشمل:

المسافات الزمنية التي تفصل بين ظهور النص الأصلي ومؤلفات تتفارع عنه مباشرة (من رتبة التفارع الأول).

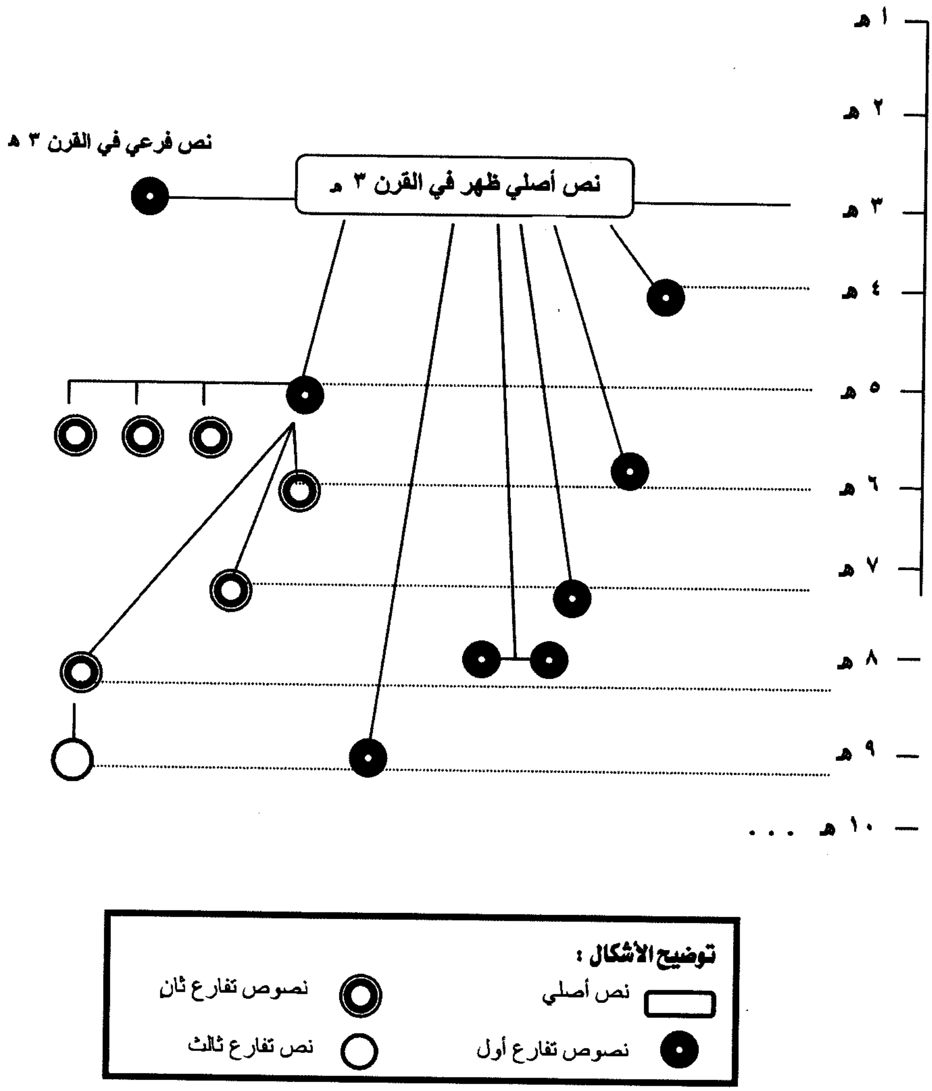
المسافات الزمنية التي تفصل بين نصوص تابعة ومؤلفات تتفارع عنه (من التفارع الثاني فأكثر).

ثانيا: المدى الزمني لتأثير النص الأصلي

ويشمل ذلك قياس مدى استمرار النص الأصلي في تحريكه لمؤلفات تابعة عليه أو تابعة لتوابعه، وقد يمتد ذلك المدى إلى عدة قرون من الزمن.

وفي ما يلي نموذج تصويري لاستخدام الببليو- كرونوجرام:

مُدرَّج زمني (للقرون الهجرية)



شكل (٢٥) نموذج الببليو ـ كرونوجرام

تحليل للشكل السابق:

النص الأصلي: ظهر في القرن ٣هـ:

التفارع الأول: في القرن ٣هـ ← **عدد (٢) من المؤلفات**

في القرن ٤هـ ← عدد (١) من المؤلفات

في القرن ٥هـ ← عدد (١) من المؤلفات

في القرن ٦هـ ← عدد (١) من المؤلفات

في القرن ٧هـ ← عدد (١) من المؤلفات

في القرن ٨هـ ← عدد (٢) من المؤلفات

في القرن ٩هـ ← عدد (١) من المؤلفات

التفارع الثاني: في القرن ٥هـ ← **عدد (٣) من المؤلفات**

في القرن ٦هـ ← عدد (١) من المؤلفات

في القرن ٧هـ ← عدد (١) من المؤلفات

في القرن ٨هـ ← عدد (١) من المؤلفات

التفارع الثالث: في القرن ٩هـ ← عدد (١) من المؤلفات

وسوف يستخدم «**الببليو- كرونوجرام**» في بعض الحالات بالبحث لتمثيل البُعد الزمني في علاقات التأليف النصِّي، ومن أجل الاختصار سوف يطلق عليه «**الكرونوجرام**».

الباب الثاني

علاقات التأليف النَّصِّي
أنواعها وخصائصها التأليفية والوظيفية
(من خلال استقراء عينات من الكتب)

وفيه سبعة فصول:

الفصل الرابع

النص: تعريفه وأشكاله

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النص: مفهومه وخصائصه.

المبحث الثاني: الأشكال المختلفة للنص.

المبحث الأول

النص: مفهومه وخصائصه

تعد كلمة النص Text أكثر الكلمات استخدامًا، بالرغم من صعوبة تحديدها وتعريفها، وفي ما يلي محاولة للاقتراب من معناها في إطار البحث، من مدخل معلوماتي ببليوجرافي:

أولًا: المفهوم البنيوي للنص:

يمكن القول بأن النص هو «الكلمات، أو العلامات التي يستخدمها المؤلف بدلًا من الكلمات، في عمل مخطوط أو مطبوع»[(١)]، أو مسجل بشكل إلكتروني أو ضوئي؛ لكي تحمل من وجهة نظره فكرة، أو إيحاءً، أو إحساسًا، أو تركيبًا من ذلك، وتتحدد وجهتها ـ كرسالة ـ من خلال سياقها وبنيتها؛ ولذلك يحتاج النص إلى ضمانات توثيقية عن طريق تسجيله، ليتحقق له الاستمرار والبقاء في صورة محددة ثابتة (ولو نسبيًّا)، وإلا أصبحت هناك عدة أوجه للنص، قد تصبح عدة نصوص وعدة رسائل، ومن أدق الكلمات التي استخدمت للدلالة على الرغبة في تثبيت النص لفظ: «مبنى الكتاب» الذي يرد عند المسعودي (ـ ٣٤٦هـ)[(٢)].

---

(١) The ALA glossary of library and information science, Chicago, ALA, 1983, p227. (text).

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٣م، ٤/ ٤٠٩.

كما يمكن أن يكون النص منظومة من الأصوات أو الألحان المسموعة المسجلة، كالقراءات والمقطوعات الموسيقية، أو تكثيفًا رمزيًّا مكتوبًا لهذه الأصوات مثل النوتة الموسيقية التي تُثبِّتُ؛ أي نغمات أو أصوات أو ألحان في شكل مقروء.

ويرتبط بالوظيفة التوثيقية القائمة أو المتوقعة للنص، ذلك «التصور الشائع بأن **النص هو كيان مغلق**»(١)، ويعد ذلك التصور أكثر أهمية والتصاقًا **بالنص الديني المقدس**، «فهو في كل الثقافات نص مغلق، يشكل نظامًا تُنسب إليه **الأصالة والنهائية**؛ **نهائية التشكل ونهائية الدلالة**، وهو غير خاضع لفاعليات التاريخ التغييرية، ولذلك فإن النص المقدس يكون دائمًا مكتوبًا ويُعد ظاهرةً كتابية»(٢).

ويُشار إلى النص ـ أيضًا ـ بكلمة «المتن»، وهو صُلْبُ الكلام، لتمييزه عن أي إضافات كالحواشي، وهناك استخدام آخر لكلمة النص عند علماء أصول الدين، وهو يعني: الكتاب والسُّنَّة(٣).

ثانيًا: الخصائص الاتصالية للنص:

وإذا تجاوزنا الأحوال التي يكون فيها النص ذا صبغة مقدسة؛ لأن الإحاطة بخصائصه وعلاقاته أوسع من إطار هذا البحث، وإذا تناولنا النص في إطاره **الاتصالي كرسالة**، فإننا نقتصر على التعامل مع ثلاثة عناصر أساسية في **النموذج الاتصالي للقراءة**، وهي: **المؤلف، والنص، والقارئ**.

وفي هذه الحالة، يمكن القول بأن النص بقدر ما يكون **مغلقًا** كبنية

---

(١) كمال أبو ديب، الحداثة، السلطة، النص، فصول (القاهرة)، مج ٤، ع٣ (إبريل/ نيسان ـ يونيه/ حزيران ١٩٨٤م)، ص٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص٥٩.

(٣) أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص٢٧١، ٣١٦.

من الكلمات أو العلاقات، فإنه يكون قابلًا **للتفتح** عن طريق **التفسير** وتشكيل المعنى؛ أي: إن **النص ثابت والتفسير متحرك**، وفي حالة النص الديني المقدس، فإن **النص إلٰهي، والتفسير بشري**.

والمفترض مبدئيًّا أن الرسالة في بنيتها المحددة قد صمِّمت بشكل معين لكي تكون ملائمة لتوصيل أهداف المؤلف، ولكن «ليندكفيست» يرى أن العلاقة بين النص وأهداف المؤلف لا تخلو من المشاكل، وأن النص لا يقول شيئًا أبعد مما نعرف من قبل... ولذلك من الخطأ القول بأن القارئ سيفهم النص بالطريقة نفسها التي يريدها المؤلف(١).

والقاعدة الحاكمة في هذا المجال، هي: أن **الإدراك يتم في ضوء الخبرة**؛ ولذلك يفترض أن فهم القارئ للنص سيتم «في ضوء خبرته ومعرفته السابقة، وربما - أيضًا - أوهامه وتحيزاته السابقة، التي تعد مصدرًا لتلك المعاني التي يتم استدعاؤها عند المطابقة والتعرف على رموز الكتابة في النص»(٢).

وتختلف علاقة القارئ بالنص التعليمي أو التقني أو العلمي، عن علاقته بالنص الأدبي؛ ففي مجال الأدب تصل المقابلة أحيانًا بين كاتب النص والقارئ، إلى «ما يعلنه بارت، من أن ولادة القارئ لا بد أن تكون على حساب **موت المؤلف**»(٣)؛ **كتصوير** لمدى الصراع على

---

(١) Lindkvist, Kent "Approaches to textual analysis". in (Advances in content analysis/ ed. By karl Erik Rosengren. London, Sage Publications, 1981, p24, 23.

(٢) Tinker, M.A. "Reading" in (Encyclopaedia Britannica. Chicago, Benton, 1972, vol.19, p.p9c - 10).

(٣) عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية: قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٥م، ص٧١.

المعاني الواردة في النص بين **المرسِل والمستقبِل**، بخلاف العلاقة مع النص العلمي؛ حيث يكون المجال المتروك لتفسير القارئ أكثر تحديدًا.

وفي ضوء ذلك، يمكن القول بأن **النص يوضع في مقابل الفهم والتفسير** عند القراءة، كما يوضع **الثابت** في مواجهة **المتغير**؛ لأن تثبيت النص هو الشيء الوحيد المضمون في عملية الاتصال، حيث لا يمكن التنبؤ باحتمالات تفسيره عند قراءته، «في عدد لا محدود من السياقات الممكنة، عندما يقرؤه عدد غير محدود من القراء المحتملين، ويرجع ذلك لخاصية كامنة في النص؛ لأنه يعرض قولًا هو موضوع **لنماذج متعددة من الاستهلاك**»[(١)]. وبتعبير آخر، فإن تثبيت النص أو المبنى، لا يضمن القدرة على التحكم في المعاني المحتملة عند التفسير خلال عملية القراءة، في ظل تجارب شخصية، وفروق فردية وثقافات وعصور وبيئات ومناهج متعددة، مهما كان للكلمات والجمل من ثبات نسبي في دلالتها[(٢)].

ولكن الأمر لم يعد محصورًا في إطار الاختلافات الفردية في تفسير الرسالة المقروءة، فقد أصبح بعض المفكرين يهتمون بابتكار منهج جديد محدد المعالم لقراءة النصوص، يمكن من خلاله الوصول إلى نتائج ومعطيات جديدة، من نصوص كان يُظَن أنها أعطت كل ما تستطيع، وأنه قد تم اعتصارها واستخراج كل ما تنطوي عليه، ومن أهم الأمثلة على

---

(١) دوجلاس، آلن، المؤرخ والنص والناقد الأدبي، ترجمة: فؤاد كامل، فصول (القاهرة)، مج٤، ع١ (أكتوبر/تشرين الأول ـ ديسمبر/كانون الأول ١٩٨٣م)، ص٩٦.

(٢) انظر: فعل القراءة المتمم لفعل الكتابة في المصدر التالي: كمال محمد عرفات نبهان. دراسة ميدانية على قراءات الكبار بالمكتبات العامة بالقاهر، إشراف: أحمد أنور عمر، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٥ ـ ٨ (رسالة ماجستير ـ جامعة القاهرة، قسم المكتبات والوثائق).

ذلك، «ما يقدمه ألتوسير Louis Althusser من منهج جديد في القراءة، أطلق عليه مصطلح «**القراءة الكشفية**»[(١)] lecture symptomale وهي قراءة بنيوية للنص، توظف مفاهيم مستقاة من الفكر البنيوي (في مجال النقد الأدبي)، والألسني (في مجال اللغة)، لقراءة نصوص في الاقتصاد السياسي، وهي قراءة تتعامل مع النص على أنه لا يبوح بكل ما في باطنه، . . . بل على القارئ أن يقوم بالكشف كما يقوم الطبيب به»[(٢)].

وفي كل الظروف، يمكن التمييز بين عنصرين متقابلين وإن لم يكونا متضادين بالضرورة، وهما[(٣)]:

١ ـ منطوق النص.

٢ ـ مفهوم النص، أو ما يمكن أن يُؤوّل ويُفسر به.

وفي هذا المجال الخصب، يشير شوقي ضيف إلى ما يسمَّى بـ «علم احتمالات النصوص»، الذي يمكن أن تُدرس فيه الوجوه المختلفة لفهم النصوص الأدبية والفلسفية والقانونية والاقتصادية والسياسية[(٤)].

ثالثًا: الخصائص الاجتماعية والثقافية للنص:

في أي مجتمع أو ثقافة، نجد هنالك عناصر ثقافية عديدة، بعضها يُحرَص على تدوينه وتوثيقه، أما أكثرها فيُتَداول شفاهًا، ومن هنا نجد أنفسنا في مواجهة «**النص واللَّا نص**». ويكتسب النص أهميته بالنسبة

---

(١) وهي كشفية بمعنى البحث عما يكمن وراء الأعراض الظاهرة، كما يفعل الطبيب في الغوص وراء الأعراض لكشف المرض الكامن.

(٢) إلتوسير، لوي، البنية ذات الهيمنة: التناقض والتضافر، تقديم وترجمة: فريال جبوري غزول، فصول (القاهرة)، مج٥، ع٣ (إبريل ـ يونيه/ نيسان ـ حزيران ١٩٨٥م)، ص٤٥.

(٣) شوقي ضيف، معي، القاهرة، دار المعارف، أغسطس/آب ١٩٨١م، (سلسلة اقرأ، ٤٦٦)، ص٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص٦٨.

لثقافة معينة، حينما تعترف هذه الثقافة بمدلوله. **وتتكون مقومات أي ثقافة من مجموعة من النصوص**.

«ويمكن اعتبار **تدوين النص** في عصر كانت لا تنتشر فيه الكتابة، معيارًا كافيًا لأهمية النص»[1]، ولكن ليس من المهم أن تعترف الثقافة في مجتمع معين بكل النصوص الموجودة لديها، فيمكن أن يوجد نص يعادي ثقافة المجتمع أو ثقافة فئة مسيطرة، ولكن مثل هذا النص يظل جزءًا من جدلية هذه الثقافة، وحتى إذا أدى الأمر إلى إحراقه، فإن ذلك يعني: نوعًا من الحوار مع النص ولكنه **حوار «ساخن»**.

وقد يرجع العداء مع النص إلى أنه يمثل نوعًا من **الخطورة**، وقد تكون خطورة متوهمة، أو نتيجة لتعارض محتوى النص مع مصالح فئة معينة، وقد تنشأ لاعتبارات وظروف مرحلية. وفي كل الحالات، فإن الخطورة تمثل «**علاقة**» يمكن احتسابها للنص **مع الثقافة** التي تعاديه. وعندما نلتفت إلى النص الذي يحظى باعتراف ثقافة معينة، نجد له خصائص محددة، **فهو**:

١ ـ يُدَوَّن.

٢ ـ يُحرَص على تعليمه.

٣ ـ يُفسَّر ويؤوَّل (لأنه غني وصعب).

٤ ـ يُنسَب إلى مؤلفٍ مُعترَفٍ به[2].

ويلاحظ أن النص قد يتوافر له من الثراء والمقومات ما يجعله نواة لنصوص أخرى تنبت في تربته، وتتفرع عنه، وأولها: «**تفسير النص**»، وقد يصبح التفسير «نصًّا» يحتاج إلى تفسير، وهلُمَّ جرًّا»[3]،

---

(١) عبد الفتاح كليطو، الأدب والغرابة: دراسة بنيوية في الأدب العربي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٢م، ص١٣ ـ ١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٤ ـ ١٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٥.

وكلما ازدادت أهمية النص ازدادت تفاسيره والأعمال المبنية عليه، وبذلك تبدأ في ثقافة ما، سلسلة من النصوص وعلاقات التأليف، **وتشجير أو تفارع هذه العلاقات**، وتشابك مفردات الإنتاج الفكري وجدليتها وتراكمها، مما نجده بصورة واضحة في التأليف العربي منذ بدايته وعبر قرون طويلة.

وقد يُدون تراثٌ فكري معين، ولكنه **لا يرقى إلى مرتبة النص المعترف به**، وبذلك يحرم من دوائر الاتصال التأليفي والتدريسي، فنحن ـ على سبيل المثال ـ نجد «**ألف ليلة وليلة**» مدونة في عدة هيئات[(١)]، ولكننا لا نجد إشارة إلى شرحها أو تلخيصها مثلًا، حتى عصر قريب، ولعل ذلك لأنها من وجهة نظر الثقافة الكلاسيكية **لم تكن تعتبر نصًّا**»[(٢)]. ويتضح ذلك من تصفح «كشف الظنون»، حيث يشار إليها بكلمتين فقط هما: «**ألف ليلة**» بلا زيادة ولا تعقيب...[(٣)]. بينما حظيت «**كليلة ودمنة**» بالتعريف والإشارة إلى **تأليفها وترجماتها**، كما أنها حظيت بمؤلفات **تابعة لها مثل التلخيص، والنَّظْم**... إلخ[(٤)].

ويمكن أن نعزو شيئًا من ذلك الاهتمام إلى علاقة «**كليلة ودمنة**» بثقافة الشرائح العليا من المجتمع، فهي تنسب في نشأتها وتأليفها إلى **صفوة فكرية وسياسية**، كما أنها **من أقدم نصوص الحكمة** ذات المغزى السياسي، التي تَدارَسها الحكام وأبناؤهم باعتبارها أدب الملوك وحكمة المُلْك، والتي هُيئت لتعليم الصغار، بينما ارتبطت **ألف ليلة بثقافة**

---

(١) انظر: تعريف الهيئات والإبرازات والعرضات في الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(٢) عبد الفتاح كليطو، المرجع السابق، ص١٥.

(٣) انظر: كشف الظنون، ١/ ١٥١.

(٤) المرجع السابق، ٢/ ١٥٠٧.

العوام، التي رُدَّ إليها الاعتبار في العصور الحديثة، بحيث أصبحت نصًّا يدور حوله التأليف بأشكال متعددة.

وفي ظل الحضارة العربية الإسلامية، تتضح ملامح أو **شروط معينة لمؤلف النص**، فيذكر «كليطو» نموذجًا تحليليًّا لبعض تراجم وَفَيَات الأَعْيَان، تتضح فيه بعض هذه الشروط:

- «أن المؤلف الحجة ليست له طفولة»[1].
- وهو يولد عندما يلتقي بشيوخه؛ (أي: بحفَّاظ النصوص وخَزَنَتِها).
- وعندما يُجيزه شيوخُه، يصبح في مستواهم ويقوم بتبليغ النصوص[2].
- ويصبح أحد أعمدة الثقافة.
- وحتى اسمه يتغير، بإضافة ألقاب تحدد وضعه الجديد»[3].

رابعًا: علاقة النص بطبيعة الموضوع:

كان لكل علم تقاليده التي تحدد أهمية النصوص، ومدى الالتزام بها، أو المرونة في التعامل معها أو تجاوزها، **وهنا يمكن ملاحظة ما يلي:**

١ ـ أن النص في كثير من الموضوعات الدينية، كان يعتبر

---

(١) بمعنى عدم الاهتمام بالترجمة لمرحلة الطفولة إلا في حدود ضيقة، تلقي الضوء أحيانًا على مظاهر النبوغ المبكر للشخصية المترجَم لها، ولعل ذلك يفسر نقصان البيانات حول تاريخ الميلاد، وتوافرها حول تاريخ الوفاة في كثير من التراجم، كما يفسر المعيار الذي اتخذه ابن خَلِّكان عندما اعتبر أهمية الشخص مرتبطة بمعرفة تاريخ وفاته لكي يذكره في وَفَيات الأعيان.

(٢) كان ذلك يتم في نظام محدد لتحمُّل العلم وإجازة توصيله وروايته.

(٣) عبد الفتاح كليطو، المرجع السابق، ص١٥ ـ ١٦.

إمام الفن[1].

٢ ـ وفي مجال القانون، يوجد ما يسمَّى بـ «**مدرسة التزام النص**»، أو «**مدرسة الشرح على المتون**»، وهي مدرسة فرنسية تحيط نصوص القانون بقدر كبير من التقديس، وتنصرف إلى شرحها والتعليق عليها، ولا تسمح بتجاوزها[2].

ولهذا المنهج النصِّي جذور بعيدة في تاريخ الفكر الإسلامي، وقد حفل بتيارات متعددة من ترجيح النص أو ترجيح الرأي..[3]، ولكن المهم أن **النصوص تظل باقية**، بينما ينشط الخلاف والحركة في الفكر الذي يدور حولها، **فثبات النص** هو قيمة في حد ذاتها في مجال النص الديني أولًا، وفي مجال النص التشريعي في بعض الأحوال، كما أنه قيمة في حد ذاتها في مواجهة الأخطار التي تهدد ثقافة معينة.

٣ ـ أن النص الأدبي يفقد قيمته الفنية والجمالية إذا اختلت بنيته وصورته التي أبدعها الأديب.

٤ ـ لا نجد في المجالات العلمية كالطب والفيزياء... إلخ، هذه القداسة أو الأهمية للنص في ذاته، وإنما تكمن أهميته في محتواه، حيث

---

(١) أ ـ انظر: القنوجي، صديق بن حسن (ـ ١٣٠٧هـ)، أبجد العلوم، أعده ووضع فهارسه عبد الجبار زكار... دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٨م، ١/ ٢٠٧.

ب ـ تطلق كلمة الإمام على الشخص أو الشيء الذي يُتخذ دليلًا أو قدوة. انظر: هيوارث، ك. «إمام» في (دائرة المعارف الإسلامية، طهران، إنتشارات جهان، د.ت. مج٢)، ص٦١٢ ـ ٦١٤.

(٢) محمد أديب صالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، د.ت، مج١، ص١١٧.

(٣) انظر: محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٣م، ص٦، ١٣٧ ـ ١٤٣.

تكفل لغته العلمية أكبر قدر من تقريب الاستجابات والتفسيرات ويمكن تناقل محتواه بأساليب ونصوص مختلفة.. ورغم ذلك حظيت كثير من النصوص العلمية باهتمام نسبي في الثقافة العربية القديمة، كما ألفت عليها مؤلفات فرعية كالتلخيص والنظم والرد عليها... إلخ.

٥ ـ شهدت الحياة الثقافية رواج نصوص واختفاء نصوص أخرى لعبت فيها قوانين البقاء دورًا أساسيًا، وتنحَّت نصوصٌ قديمة عن مكانها لنصوص جديدة **امتصَّتها تمامًا** و«**تجاوزت**» صعوبتها وتشابكها ونقص تنظيمها وتعقيد بنائها[١].

خامسًا: استمرارية النصوص:

بقدر ما يكون لبعض النصوص من قوة جاذبة، تتجلَّى خصوبة الفكر الإنساني في الانفلات من سيطرتها، أو الانفلات من شكل معين من أشكال فهمها.. ويتم التجاوز، إما في إطار «**مضمون**» **النص السائد**، أو في إطار **أنواع التأليف وأشكاله ومداخله وأهدافه وتوجهاته ووظائفه**... إلخ.

أما تجاوز المضمون، فيكون ممكنًا في مجالات بعيدة في الغالب عما هو مقدس، وأما التجاوز في مجال أنواع التأليف وأشكاله، فذلك ميدان خصب، شهد فيه التأليف العربي إبداعات كثيرة، وكان التأليف المرتبط بالنص القرآني والحديثي ـ على سبيل المثال ـ محورًا لكثير من هذه الإبداعات، سواء في التأليف الشارح، أو المدرسي، أو المرجعي، أو التراجمي، أو المعجمي، أو غيره....

---

(١) انظر: إدوارد سعيد، العالم والنص الناقد، عرض فريال جبوري غزول، (فصول (القاهرة)، مج٤ ع١ أكتوبر ـ ديسمبر/ تشرين الأول ـ كانون الأول ١٩٨٣م)، ص١٩٣.

ويرتبط تجاوز النصوص بمدى ما تسمح به دينامية الفكر وظروف المجتمع وعبقريات الأفراد؛ مما يخلق الظروف الملائمة أو غير الملائمة للانفلات من المدارات الحاكمة في حركة تأليف النصوص، و«**استقدام ما هو آت**»[1].

وفي مقابل **تجاوز النصوص**، نجد ظاهرة بقاء النصوص، ولا يقصد ببقاء النص وجوده المادي، بل وجوده المعنوي في دائرة الاتصال والقراءة، وطبيعي أن تتفاوت النصوص في فترات بقائها واستمرارها، بل إننا نجد بعضها يتنحى زمنًا ثم يعود إلى دائرة الأهمية لظروف معينة.

والنص الذي يتجاوز الزمن، أو يقفز على أسواره فجأة ليظهر في دائرة الضوء، يمكن أن نطلق عليه **النص اللَّا تاريخي**، حيث يجتاز لحظته التاريخية ويصبح ذا مغزى وتأثير بالنسبة لعصور تالية، وهو يتجدد من خلال إعادة اكتشافه وتفسيره وفهمه والتنقيب فيه، والثراء الذي يحققه عندما يتم ربطه بتطورات تالية، وهو ما نطلق عليه «عصرنة النص»[2].

«وهناك نصوص تتجاوز محدوديتها التاريخية وتحقق ضربًا من الفحوى «**ما قبل التاريخي**»، مثل بعض الكتب الدينية، والكلاسيكية في الرياضيات والعلوم، ومجالات أخرى أدبية أو تاريخية أو فلسفية... إلخ»[3].

ويمكن أن نحاول حصر العوامل التي تمنح بعض النصوص قدرة على الاستمرارية والبقاء وتجاوز الزمن وقوانين التغير، **في ما يلي**:

١ ـ قدسية النص.

---

(١) شاؤول، پول، علامات من الثقافة المغربية الحديثة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م، ص٩٨.

(٢) انظر: عصرنة النص، ص٤٠٥.

(٣) عزيز العظمة، ابن خلدون وتاريخه، ترجمة: عبد الكريم ناصف، بيروت دار الطليعة، ١٩٨١م، ص٢٠٤.

٢ ـ مصداقية النص إذا كان إخباريًّا تاريخيًّا.

٣ ـ المنفعة أو الوظيفة.

٤ ـ الدلالة والفكرة.

٥ ـ «الجمالية والإمتاع»[(١)].

٦ ـ «القدرة على الإلهام»[(٢)]، فإن **ما توحي** به النصوص الجيدة، هو أكثر مما **تقوله** في لحظة معينة، ولعل هذا من أهم أسرار الاستمرارية أو اللَّا تاريخية التي تحققها بعض النصوص.

٧ ـ أصالة المنهج، «فهناك نصوص يتم تجاوزها، مع الاحتفاظ بجدارتها كمنهج»[(٣)].

ويمكن أن يتوافر لبعض النصوص أكثر من عامل من العوامل السابقة، كما أن مواقع وخصائص الأهمية يمكن أن تكون أشياء **تبادلية**، بحيث يتحول ما هو **وظيفي** في ظروف معينة، إلى جمالي في ظروف مغايرة، أو العكس.

ويمكن القول بأن بقاء النصوص يمكن أن يتحقق من خلال:

أ ـ قراءة (فهم) ما لم يُقرأ بعد.

ب ـ «تأويل ما لم يُؤوَّل بعد»[(٤)].

ولذلك؛ فإننا مهما شهدنا من تغير متلاحق في المعلومات من حولنا، ينبغي ألا نفرط في إدراك قيمة النصوص، باعتبارها تمثل تراثًا إنسانيًّا أو قوميًّا؛ وذلك لسببين رئيسين، هما:

---

(١) طه حسين، على هامش السيرة، ط١٨، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨م، مج١، ص(و).

(٢) المرجع السابق.

(٣) مطاع صفدي، استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية، بيروت مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦م، ص١٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص٢٦٧.

١ ـ أن النص يمثل شيئًا مهمًا وجذريًا في حياة الإنسان **وتوازنه النفسي والاجتماعي**.

٢ ـ أننا لا نستطيع الآن أن نتنبأ بطبيعة استخدام النصوص في المستقبل، في إطار مناهج ومعارف وعلاقات جديدة محتملة في المعرفة الإنسانية.

وإذا لم يستطع العلم أن يسعفنا بالتنبؤ، فإن الحكمة تسعفنا بأن نتوقع أنواعًا شديدة الغرابة والجِدَّة من **استخدام النصوص في المستقبل**، ومن الإفادة منها، بالرغم من أن أحدًا لا يستطيع تصور ذلك على وجه التحديد، وإن كانت محاولة تخيله من أمتع جولات الفكر.

وسوف نستخدم في سياق الكتاب كلمتان هما «**النص**» و«**النص الأصلي**».

وفي ما يلي تحديدٌ لأبعادهما:

١ ـ «**النص**»: تستخدم كلمة النص بدلًا من كلمة كتاب؛ لأن كلمة كتاب أكثر ارتباطًا بالشكل المادي للورق والكتابة والتجليد.. إلخ.

كما تستخدم بعض مرادفات لكلمة نص، مثل كلمة «عمل» أو مؤلَّف، لاعتبارات بلاغية، تتعلق بالتناسب بين الكلمات، عند تمييز فروق معينة بينها.

٢ ـ «**النص الأصلي**»: هو نص تؤلف بعده نصوص **تابعة**، وهو من الناحية النظرية يمثل «لحظة تاريخية ببليوجرافية» يتم انتقاؤها أو عزلها من السياق المتصل للتأليف، واعتبارها **نقطة بداية** فارقة أو شديدة الاستقلال، من أجل حصر المؤلفات التابعة للنص. ولا يعني ذلك: تجريد النص الأصلي من علاقاته الببليوجرافية السابقة عليه، سواء بمصادر متعددة، أو بمصدر أحادي.

ويمكن أن يطلق على هذا النص تسميات أخرى؛ مثل: **النص**

الأول، **النص المحرِّك - النص الفاعل - النص الأساسي - النص المحوري**، وكلها صفات **للنص الأصلي**.

وقد استخدم حاجي خليفة كلمة **المتْن** للدلالة على النص أو الكتاب الأصلي الذي تؤلَّف عليه كتب أخرى تعتبر فروعًا له، حيث يقول: «وأوردت أيضًا أسماء الشروح والحواشي... مع التصريح بأنه شرح كتاب فلاني... بناء على أن **المتن أصل** والفرع أولى أن يُذكر عَقِب أصله»(١).

هذا بخلاف الاستخدامات الأخرى لكلمة «متن» في المختصرات التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية، التي كانت تهيأ للحفظ أو **للاختزان المكثَّف**، والتي يمكن تسميتها بـ «**النصوص المكتنزة**»: (Compact Texts) أو (C.T)، وهي محاكاة - لفظية فقط - لتسمية الأقراص المكتنزة. (Compact Disks) أو C.D في عصر تكنولوجيا المعلومات الذي نعيش فيه ونقارنه بالماضي.

⁂ ⁂ ⁂

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، المقدمة، عمود ٢.

المبحث الثاني

الأشكال المختلفة للنص

كثيرًا ما يُخرج المؤلِّف المعاصر للطباعة بعض كتبه في صور متعددة عندما يُعدِّل النصَّ في طبعات تالية، وذلك أمر يتفق وطبيعة التطور في فكر المؤلف في مراحل مختلفة من العمر، وتطور المعلومات المتاحة له، ومدى تأثره بالاستجابات التي يظهرها القراء حيال مؤلفاته، ويعتبر جاسكل ذلك التغيير «جزءًا من عملية الكتابة الخلَّاقة»[1].

وقد شهد التأليف العربي منذ عصوره المبكرة، ظواهر مماثلة، فقد وصلتنا نسخ مخطوطة مختلفة للكتاب الواحد، ويمكن أن نفهم ذلك على ضوء ما نعرفه عن طرق ظهور المؤلفات العربية في عصر المخطوط، «فقد كانت تظهر من خلال طرق متعددة، هي:

١ ـ **التأليف التحريري** أو الكتابي منذ البداية: «**حيث يعكف** المؤلف على جمع مادة كتابه ومراجعتها وتهذيبها وتنقيحها والإضافة إليها، ثم يخرجها للناس بالصورة التي يرتضيها»[2].

٢ ـ **الإملاء**[3]: حيث يُملِي الأستاذُ من حفظه على طلابه فيكتبون.

---

(١) Gaskell, Philip. Op. cit. p1.

(٢) عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٧٨م، ص١٤٧.

(٣) المرجع السابق.

٣ ـ **الرواية**: حيث يروي بعض التلاميذ ما حفظه من نصوص لأستاذه ثم يسجلها كتابة، وفي كل الأحوال، كان من الممكن أن يحدث الاختلاف والتعدد في نسخ الكتاب الواحد.

وما نسميه في عصر الطباعة بـ «الطبعة» edition، التي تحمل إحدى صور أو حالات النص، وتميزه عن طبعات أخرى لنفس الكتاب، يقابله في مجال المخطوطات مصطلحات، مثل:

أولًا: العرضة، والإبرازة، والنسخة، والشاهد.

ثانيًا: الهيئة.

وفي ما يلي عرض لِدَلالات هذه المصطلحات وعلاقتها بما وصلنا من نصوص مختلفة.

أولاً: العَرَضَة، والإبرازة، والنُّسخَة، والشاهد

١ ـ العَرْضَة:

العَرْضَة والعِراض والعَرْض والمُعارَضَة؛ تعني: مقابلة الكتاب بعد نَسْخِه أو كتابته على أصل موثوق به لإصلاحه إذا كان هناك خطأ.

وكان المؤلف يحرص أحيانًا على **المراجعة** النهائية لكتابه في قراءة أخيرة يحقق فيها أعلى درجة من الضبط والإتقان، ومن خلال ذلك يُخرج نسخة من الكتاب يسمِّيها **عَرْضَة**، وهذه الكلمة، تقابل المصطلحات التالية في عصرنا[١]:

---

(١) Pedersen, Johannes. The Arabic book/ transl. from Danish by Geoffrey French. Princeton, Princeton Univ. Pr. 1984, p30. (Urda).

ونلاحظ أن يوهانس قرأ كلمة عرضة بضم العين فكتبها (Urda)، والصواب عَرضة بفتح العين. (المؤلف)

- **Submission**[1].

- **Version**[2].

- **Edition.**

وفي تعريف عبد السلام هارون، فإن العرضة تعني: «واحدًا من الأشكال التي يُعرض بها نص الكتاب في مراحل من تأليفه أو تطويره أو في صورته الأخيرة»[3].

وعند دراسة الأصول اللغوية لكلمة عَرْضَة، **يتضح ما يلي من المعاني:**

أ - «عَرْضُ الكتابِ: إبرازه وإظهاره.

ب - مُعارَضَةُ الكتابِ: مقابلته بكتاب آخر[4].

ج - «عَرْضُ الكتاب: قراءته عن ظهر قلب».

د - جَعْلُ الكتابِ عُرْضَةً؛ أي: هدفًا[5]»[6].

---

(١) وتعني: الشيء الذي يقدم.

(٢) وتعني: النسخة المعدلة من أثر أدبي، أو إحدى حالات النص الذي أجريت فيه تعديلات.
انظر:
Magdi Wahba. Op. cit. p599.

(٣) عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٧٧م، ص٢٩.

(٤) ورد في لسان العرب: عَرَضْتُ الشيء أظهرتهُ وأبرزتهُ، وعارضْتُ كتابي بكتابٍ؛ أي: قَابَلْتُه. انظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م، مج٧، مادة: (عَرَضَ).

(٥) انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٣، القاهرة، المجمع، ١٩٨٥م، ج٢، مادة: (عرض).

(٦) وفي هذه الحالة تُقرأ كلمة عُرضة بضم العين، ولعل ذلك ما جعل بيدرسن يخلط بينهما ويستخدم صيغة «عُرضَة».

وفي مجال التأليف، يتضح البُعد الببليوجرافي لكلمة عَرْضَة، عندما ندرس ظروف تأليف بعض الكتب، ومنها «كتاب الياقوت» في اللغة، لأبي عمر الزاهد (ـ ٣٤٥هـ)؛ فقد راجعه المؤلف على نسخ متعددة كتبها التلاميذ من إملائه، وخرج بنسخة، ثم زاد فيها عدة مرات، ويصف النديم ذلك في الفهرست بقوله: «خَبَرُ هذا الكتاب وكيف صحَّ... ابتدأ بإملائه سنة (٣٢٦هـ) ارتجالًا من غير كتاب ولا دُستور... ثم رأى الزيادةَ فيه... وجمع الناس على قراءة أبي إسحاق الطبري، وسمَّى هذه: **الفَذْلَكةَ**... ثم زاد فيه... ثم زاد فيه... ثم ارتجل يواقيت أُخَرَ وزيادات... وسمَّى هذه **العَرْضَةَ البحرانية**، وهي التي تفرد بها أبو إسحاق الطبري»[١].

وكان ما فعله أبو عمر الزاهد وغيره، متفقًا مع تقاليد الضبط والإتقان في رواية العلم وتدوينه، وهي تقاليد أسست منذ القرن الأول الهجري، وترسخت في علم رواية الحديث، ثم ذاعت في بقية العلوم. وكانت معارضة ما يكتب بعد تحريره، تهدف إلى تصحيح الكتابة والخط[٢]. كما شملت بعد ذلك مراجعة الكتاب بعد إملائه، والإضافة إليه وتعديله. وقد خصَّصت بعض الكتب في علم رواية الحديث بابًا للمقابلة وتصحيح الكتاب[٣].

---

(١) النديم، أبو الفرج محمد، الفهرست، تحقيق: جوستاف فلوجل، ليبتزج، ١٨٧١م، ص٧٦.

(٢) انظر: السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ـ ٥٦٢هـ)، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: ماكس فايسفايلر Max Weisweiler ليدن، مطبعة بريل (Brill,) ١٩٥٢م، ص٧٩.

(٣) انظر: الباب الخاص بالمقابلة وتصحيح الكتاب في المصدر التالي: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ـ ٤٦٣هـ)، الكفاية في علم الرواية، ط٢، حيدرآباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٠م، ص٣١٥ ـ ٣٢١.

كما وردت روايات كثيرة تتعلق بالحث على مقابلة ما يُكتب، وقد روي في هذا المجال، عن عروة بن الزبير بن العوام (ـ ٩٣هـ) أنه كان يُكتِب[١] العلمَ للناسِ، ثم يُعارِضُه لهم»[٢].

وروى هشام بن عروة عن أبيه: أنه كان يسأله بعد أن يَكْتُب: عرضتَ كتابَك؟ فإذا قال لا، قال: لم تَكْتُبْ[٣]. كما قال الأخفش: إذا نُسِخ الكتاب ولم يُعارَض، ثم نُسخ ولم يعارَض خرج أعجميًّا[٤].

ويمكن القول بأن العَرْضَ أو المُعارَضَةَ، تشمل الأبعاد التالية:

أ ـ مراجعة الأستاذ لما يُكْتَبُ من إملائه لتصحيح أخطاء تلاميذه في الكتابة والخط.

ب ـ المقابلة على نسخة أخرى مضبوطة، تعد نموذجًا وأصلًا يُحتذى، وفي مجال علم الحديث يُنص على «**المقابلة بأصل الراوي**»[٥].

ج ـ قيام الأستاذ بجمع نسخ متعددة كتبها تلاميذه من إملائه، لكي يحرر منها عَرْضَةً؛ أي: نسخة نهائية[٦].

د ـ قيام أحد التلاميذ بإعداد نسخة من عدة نسخ كتبت من إملاء الأستاذ، وقراءَتها عليه، كما حدث عند تأليف «الجمهرة في اللغة»، لابن دُرَيْد اللغوي (ـ ٣٢١هـ)، فقد أملاها من حِفْظِهِ بفارس ثم البصرة ثم بغداد، فاختلفت النسخ، وقام ابن محمد النحوي المعروف بـ(جخجخ)

---

(١) يُكتِب بمعنى يُملِي عليهم فيكتُبُون. (المؤلف)
(٢) السمعاني. أدب الإملاء والاستملاء، ص٧٨.
(٣) الخطيب البغدادي. الكفاية في علم الرواية، ص٣١٥.
(٤) المصدر السابق، ص٣١٦.
(٥) المصدر السابق، ص٣١٧.
(٦) أي: نهائية في لحظة اختيارها، وقد تظهر بعدها نسخ جديدة.

بإعداد نسخة من عدة نسخ وقرأها على ابن دريد[1].

هـ ـ مراجعة نسخة معينة من الكتاب والإضافة إليه وتعديله وتطويره.

٢ ـ الإبرازة:

يشير برجستراسر إلى أن الإبرازة هي المرة التي يظهر أو يبرز فيها الكتاب، بمعنى: edition، وrecension، وتطابق الإبرازة الطبعة في زماننا[2].

ويعني إبرازُ الكتاب في اللغة: إخراجَه ونشرَه، فهو مَبْروز ومُبْرَز، والكتاب المبروز: هو المنشور[3].

ويتضح أن **الإبرازة والعرضة متقاربتان**، وإن كان من الممكن ـ لغويًّا، وببليوجرافيًّا ـ أن تتميز العرضة بالمقابلة على نسخة أو نسخ أو أستاذ، مما ينطوي على قصد التوثيق والضبط والإتقان في الأساس، بينما يُحتمل أن يتسع معنى الإبرازة ليشمل إظهار الكتاب في صورة مختلفة، بغير إشارة إلى كيفية ذلك سوى ما نفترضه من تغيير في النص سواء عن طريق المؤلف أو في غيابه، وفي إطار التأليف في مجالات لا تتعلق بالنصوص الدينية وشروط تحمُّلها وكتابتها.

---

(١) أ ـ السيوطي، عبد الرحمٰن جلال الدين (ـ ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، القاهرة، دار التراث، د.ت. ١/ ٩٤ ـ ٩٥.
ب ـ كشف الظنون، ١/ ٦٠٥.

(٢) برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب: محاضرات المستشرق الألماني برجستراسر بكلية الآداب سنة (١٩٣١ ـ ١٩٣٢م)، إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، القاهرة، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، ١٩٦٩م، ص٢٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مج٥، مادة: (برز).

ويبدو أن الإبرازة تظهر ـ أحيانًا ـ برغبة المؤلف، فقد أخرج الجاحظ (ـ ٢٥٥هـ) إبرازتين من كتابه: «البيان والتبيين»، وأخرج المسعودي (ـ ٣٤٦هـ) إبرازتين ـ أيضًا ـ من كتابه «التنبيه والإشراف»، وكلاهما في الأدب[١].

٣ ـ النسخة:

بالرغم من أن كلمة **نسخة** واسعة الاستخدام وتدل على التكرار العددي لنسخ الكتاب الواحد في عصر الطباعة والإنتاج المتكرر المتماثل، إلا أن الأمر يختلف في عصر المخطوط، فقط لوحظ «استخدامها في بعض الأحيان بمعنى محدد، للدلالة على الإبرازة أو ما يشبه **الطبعة أو الإصدارة**، مثلما ذكر في كتاب «البيان والتبيين» للجاحظ (ـ ٢٥٥هـ)، بأن له نسختين: أولى وثانية، والثانية أصح وأجود»[٢].

كما يرد في كتاب الفهرست عن كتاب الجمهرة في علم اللغة لابن دريد أنه «مختلف **النسخ** كثير الزيادة والنقصان؛ لأنه أملاه بفارس، ثم بغداد من حفظه، فاختلفت النسخ، وآخر ما صح من النسخ نسخة أبي الفتح النحوي؛ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه»[٣].

وكما لاحظنا مع كلمة إبرازة، نلاحظ هنا أن كلمة «نسخة» استخدمت ـ أيضًا ـ كمرادف لكلمة «عَرْضة» عند الحديث عن كتاب «الجمهرة في اللغة»؛ لأن ما سُمِّي بنسخة أبي الفتح النحوي قرئت على المؤلف نفسه، وبذلك فهي «عَرْضَة» ونسخة في الوقت نفسه.

---

(١) انظر: أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص٢٢.
(٢) عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص١٤٩.
(٣) النديم، الفهرست، ص٦١.

٤ ـ الشاهد:

وهي كلمة مرتبطة بالنسخة ونادرة الاستخدام، وتعني: كلَّ واحدة من النسخ التي تعبر عن مرحلة من مراحل تنقُّل النص وتغيره، وهي تقابل بالفرنسية Témoin(١).

أنواع الإبرازات والعرضات والنسخ في عصر المخطوط:

يمكن أن نميز عدة أنواع من الإبرازات أو العرضات أو النسخ في عصر المخطوط، وظروف نشأتها، في ما يلي:

١ ـ إبرازات ظهرت بمعرفة المؤلف:

سوف يكتفى في المعالجة التالية بكلمة إبرازة نيابة عن التسميات الأربعة، وهي: الإبرازة، العرضة، النسخة، الشاهد؛ تسهيلًا للعرض، ونظرًا لأن كلمة إبرازة تبدو أكثر عمومية وأقل ارتباطًا بعلم معين كرواية الحديث مثلًا، مثلما نلاحظ في النشأة المبكرة لكلمة «عرضة».

وقد شهدت عصور المخطوط العربي إبراز بعض المؤلفات وعرضها عدة مرات، ويرجع ذلك في بعض الأحيان إلى أن المؤلف بعد إبراز كتابه أول مرة كان يداوم على تصحيحه وتوسيع مضمونه وإضافة ملحقات إليه(٢)، كما يرجع أحيانًا إلى إملاء الكتاب أكثر من مرة وفي أكثر من مكان(٣).

---

(١) أحمد شوقي بنبين، مرجع سابق، ص١٧٥.

(٢) ويشبه ذلك في عصر الطباعة: الطبعة المعدلة revised edition.
انظر:
The ALA. Glossary of Library and information science... p194.

(٣) انظر ذلك بالتفصيل في: الفصل الخاص بالتأليف والإملاء في المرجع التالي: عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري، ص١٤٧ ـ ١٦٠.

وكان ما يقيد من إملاء الأستاذ في موضوعات عامة، في ما يشبه المحاضرات، يسمَّى **بالأمالي**، وما ينطبق على الأمالي ينطبق على **المجالس**، وهي لقاءات المناقشة الأدبية والدينية، وكانت تعقد في المنازل أو المساجد، وكان يدوَّن ما يحدث فيها من إلقاء الشيخ وأسئلة تلاميذه وأجوبته عليها(١). وقد تعرَّض ما دُوِّن في الأمالي والمجالس للتغيير والتبديل والزيادة من التلاميذ والرواة(٢)، مما نتج عنه ظهور نسخ متعددة ومختلفة للأمالي والمجالس نظرًا لطبيعة الاتصال الشفهي والفروق الفردية بين الناس في الإدراك والدقة وسرعة الكتابة.

وكان المؤلف أحيانًا يكتب آخر صورة للكتاب بنفسه(٣)، أو يشير بكتابتها، أو يمليها، أو يجيزها(٤)، بعد أن تُقرأ عليه، أو يُجيز نسخها، ونلاحظ هنا أن الإجازة تُعطى للنَّسْخِ(٥).

وقد أبرز بعض المؤلفين كتابه **ست مرات**، مثلما فعل أبو عمر الزاهد في كتابه «الياقوت»، وكان يزيد في كل مرة شيئًا عند قراءته عليه(٦). وأملى على الناس عرضة أخيرة أو نهائية لكتابه، واعتبر أي

---

(١) أ ـ المرجع السابق.

ب ـ Dodge, Bayard (ed). The fihrist of al - Nadim... N.Y. Columbia Univ. Pr. 1970, Vol.2. P.923. (sessions). المجالس.

(٢) عبد السلام هارون. المرجع السابق، ص٣٦.

(٣) انظر: تعريف الطبعة النهائية definitive edition في: The ALA. op cit. P69.

(٤) عبد السلام هارون، المرجع السابق، ص٢٩ ـ ٣٨.

(٥) **إجازة النسخ** مسألة نادرة، فقد لاحظها أحمد محمد شاكر عند تحقيقه لرسالة الشافعي، حيث وجد إجازته بالنسخ لتلميذه الربيع. انظر: أحمد محمد شاكر (محقق)، «مقدمته» في (الرسالة، لمحمد ابن إدريس الشافعي ٢٠٤هـ)، تحقيق: وشرح أحمد محمد شاكر، ط٢، القاهرة، مكتبة دار التراث، ١٩٧٩م، ص١٧.

(٦) انظر: ابن النديم، المرجع السابق، ص٧٦.

حرف يخالفها كذبًا عليه[1]. وأمثال هذه النسخة تسمَّى ـ عند بعض المحققين ـ **بالنسخة الأم، أو أعلى النصوص**[2].

وثمة أمثلة متعددة للإبرازات والعرضات، كما حدث في تأليف «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر»، للثعالبي (ـ ٤٣٠هـ)، الذي صدرت له إبرازتان، وكتاب «الخراج»، للكلوذاني (ـ ٥١٠هـ)، وله إبرازتان، و«البيان والتبيين»، للجاحظ (ـ ٢٥٥هـ)، وله إبرازتان، والثانية أجود وأصح[3].

وكان بعض المؤلفين يحرص على الإشارة إلى الإبرازة الأخيرة لكتاب معين، وإثبات ذلك في ذيل الكتاب[4].

٢ ـ إبرازات ظهرت في غياب المؤلف:

كان الاشتغال بالنص في **غياب المؤلف**، أو بعد وفاته في بعض الأحيان، سببًا لظهور إبرازات مختلفة لبعض كتبه، **وفي هذا المجال نلاحظ الظواهر التالية:**

١/٢ تدخُّل الشارح في المتن بالتهذيب وتصحيح ما يراه خطأ عند شرحه، رغم احتفاظه بالمتن مستقلًّا عن الشرح، ويَعتَبِر برجستراسر ذلك الشرح **إبرازة جديدة** للنص[5].

٢/٢ تدخل التلاميذ في نصوص كتب أساتذتهم، وكان ذلك يتم بصور متعددة، من بينها:

---

(١) عبد السلام هارون، المرجع السابق، ص٢٩ ـ ٣٥.

(٢) انظر هذه الأمثلة بالتفصيل في المرجع التالي: عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، ص١٤٨ ـ ١٥٠.

(٣) المرجع السابق، ص١٤٨ ـ ١٥٠.

(٤) صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، ط٥، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦م، ص١٣.

(٥) برجستراسر، المصدر السابق، ص٣٩.

أ ـ «رواية التلاميذ لكتب أساتذتهم مع بعض إضافات من مصادر أخرى دون وجود نية السطو على الكتاب.

ب ـ قيام بعض التلاميذ بتأليف كتاب الأستاذ بعد وفاته؛ لأنه لم يخرجه في صورة معينة، وبهذه الطريقة أُبْرِزَت بعض النصوص مرة أو مرات، عن طريق رواية ما حفظوه عن أستاذهم، أو باستخدام ما وجد مقيدًا بخطه، وربما كان عبارة عن متفرقات في أوراق يُرتبها ويربط بينها مَنْ يؤلفِ بالنيابة عنه»(١).

٢/ ٣ الدس والإضافة إلى بعض النصوص بعد وفاة أصحابها، وقد حدث ذلك لكثير من الكتب العربية القديمة، عندما أضاف بعض أصحاب النسخ المخطوطة في أواخر الأبواب والفصول بعض ما يتعلق بالموضوع أو ما لا يتعلق به، كما أضافوا شروحًا لأجزاء من المتن، وعند إعادة نسخها اندمجت الزيادات والشروح في المتن، واختلط الأمر على المتأخرين فنسبوا ما في النسخ المختلطة للمؤلف(٢).

٢/ ٤ الحذف من النص، فقد شهدت بعض النصوص حذفًا متعمدًا لأجزاء منها، نتيجة للأهواء والتعصبات المذهبية، ويذكر شوقي ضيف أن «بعض المُجَسِّمة، الذين يُسمَّون بالخطابية، كتب شرح صحيح مسلم للنووي، حتى إذا ما بلغ أحاديث الصفات، حذف ما تكلم به النووي فيها على أساس عقيدته الأشعرية التي تخالف عقيدة هذا المُجَسِّم من أساسها. فحتى الكتب كانوا يحذفون منها، وقد يُحرِّفون فيها بحيث

---

(١) أ ـ برجستراسر، المصدر السابق، ص٣١.
ب ـ انظر: الأمثلة التفصيلية لهذه الحالة في المصدر التالي: عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، ص١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) جبرائيل جبور، ابن عبد ربه وعِقْدُه، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م، ص١٣٢.

تصبح حاملة لآرائهم ومعتقداتهم»[1].

وهذه الاعتبارات والظواهر، تلقي مسؤولية على الببليوجرافي أو المحقق، الذي ينبغي أن يرصد تلك الاختلافات في إبرازات الكتاب الواحد، أو يميز في بعض الأحيان بين الإبرازات والنسخ المختلفة التي **قد لا تعتبر إبرازات بل نسخًا مشوهة، محرفة أو مدسوسة أو منقوصة.**

ثانيا: الهيئات

كان بعض النصوص شائعًا بين أوساط الناس وعامتهم، ولا يشتغل به الأدباء والعلماء، مثل **ألف ليلة وليلة**، وغيرها من كتب الحكايات والخرافات. ولم تكن هذه النصوص تخضع للتقاليد العلمية في ضبط وتوثيق الرواية أو النص أو المصدر، ولم يكن ثمة حرج من **التصرف في النص**، وكان «القُصَّاص والرواة يُغيِّرون ويُسقطون ويزيدون فيها مما يسمعون أو يحبون من حكايات وأمثال؛ ولذلك تختلف النسخ بعضها عن بعض اختلافًا كبيرًا، وتكاد كل نسخة تحتوي على هيئة خاصة للكتاب...، ومن المحال الحصول على هيئة أولى للكتاب، وبخاصة في كتب مثل «ألف ليلة»، الذي لا يُعرف له مؤلف أو تاريخ»[2].

وفي مثل هذه الأحوال، لا يمكن إطلاق كلمة إبرازة أو عرضة على واحد أو آخر من النصوص التي تصلنا؛ لأن الإبرازة أو العرضة

(١) أ ـ شوقي ضيف. البحث الأدبي: طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص٢٣٤ ـ ٢٣٥.
ب ـ والمجسمة هم الذين ذهبوا إلى إثبات الصفات الجسمية للخالق (سبحانه عن التشبيه) وتحايلوا على هذه المشكلة بقولهم: جسم لا كالأجسام... إلخ. انظر: ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ٣/ ١٠٩١ ـ ١٠٩٢.

(٢) برجستراسر، المصدر السابق، ص٣١.

تربطها علاقة تطوير أو تعديل أو تغيير بنص أو نصوص محددة سابقة، وفي سياق معين من التأليف كما رأينا من قبل، ولكن يمكن إطلاق لفظ **هيئة**، على شكل معين من أشكال النصوص الشعبية المتغيرة التي تصلنا من مثل هذه الأعمال، فهو أكثر ملاءمة ودلالة على ظروف تكوُّن هذا النص أو ذاك.

ففي مجال «**ألف ليلة وليلة**» مثلًا، يُرجِّح «ملر» و«نولدكه» النظرية القائلة: «بتكون الكتاب من **طبقات متعددة** في تأليفه، بعضها **بغدادي**، ومعظمها **مصري**»[(١)].

والطبقات هنا **مكانية وزمنية**، وتدعم بعض الدراسات نظرية الطبقات هذه، فعند تحليل نص «ألف ليلة وليلة»، يمكن التعرف على **طبقات ومراحل تاريخية قديمة ووسيطة وحديثة**، «حيث تنتمي بعض الحكايات إلى عصر المدفع والطربوش»[(٢)]، مما يعني: أن الإضافة إليها ظلت مستمرة حتى القرن الثامن عشر أو التاسع عشر الميلادي، الذي شهد الطربوش في العصر العثماني الأخير، وقد ورد الطربوش في بعض حكايات «ألف ليلة».

وهكذا يمكن تمييز **هيئة قاهرية، وهيئة شامية، وهيئة بغدادية، في** النسخ المختلفة التي وصلتنا من «ألف ليلة وليلة».

* * *

(١) أويسترب، ج. «ألف ليلة وليلة»، دائرة المعارف الإسلامية، طهران، إنتشارات جهان، د.ت. مج٢، ص٥١٩.

(٢) انظر: عبد الغني الملاح، رحلة في ألف ليلة وليلة، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، ١٩٨١م، ص٨ ـ ٩.

الفصل الخامس

التأليف التمهيدي للنص

(مقدمات العلوم ومقدمات الكتب)

الفصل الخامس

التأليف التمهيدي للنص
«مقدمات العلوم ومقدمات الكتب»

يلعب التقديم إلى المعرفة دورًا أساسيًّا وجوهريًّا بكل المقاييس، سواء في البعد العقلي المنطقي، أو النفسي الإدراكي، أو التربوي، أو التذوقي الجمالي، وفي كل الأحيان يكون الهدف من المقدمة أن تفتتح أو تبدأ أو تُعرِّف بأسس ومبادئ علم أو فن، في بداية سُلَّم تمهيدي وتدريجي صاعد ومتقدم.

وقد حفل التأليف العربي بأشكال وفنون متعددة من المقدمات، سواء كانت مقدمات إلى العلوم، أو مقدمات إلى كتب ونصوص معينة.

ويهمنا في هذه الدراسة تناول **مقدمات الكتب أو النصوص** في إطار التأليف التمهيدي للنص، ولكن من المهم في البداية تعريف مصطلح **المقدمة** بشكل عام، ثم التفرقة بين مقدمات العلوم، ومقدمات النصوص.

أولاً: تعريف المقدمة

«المقدمة هي ما يتوقف عليه الشيء، وهي من التقديم بمعنى التقدُّم»[(١)].

---

(١) القنوجي، صديق بن حسن (١٣٠٧هـ)، أبجد العلوم، أعده ووضع فهارسه عبد الجبار زكار، دمشق. وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٨م، ١/ ١٩٦.

ويبدو تعريف المقدمة نابعًا من الفلسفة، فقد «جرى العُرف على تقسيم الفلسفة النظرية إلى **مقدمـة**، وأربعة أقسام، فأما المقدمة فهي **المنطـق** أو دراسة الفكر الواضح. . .»[1].

وقد عَرَف العرب المنطق فأتقنوه تحصيلًا وإبداعًا، ولذلك نجد التعريف المنطقي السابق للمقدمة أساسيًّا في تعريف المقدمة في التأليف العربي؛ فهي «تعني ما تعنيه المقدمة من القياس المنطقي»[2]، ويبدو ذلك حاضرًا في أذهان المؤلفين العرب الذين تعاملوا مع المقدمات تعريفًا وتأليفًا.

ثانيًا: مقدمات العلوم

وهي المقدمات التمهيدية التي تمهِّد لموضوع أو علم بأكمله، أو لمسائله، ولا تكون مرتبطة بنص معين في أغلب الأحوال.

ويشير القنوجي، إلى أن مقدمة العلم، هي: «ما له دخل في العلم مطلقًا»[3].

ويمكن أن نلاحظ في تعريف مقدمات العلوم في التأليف العربي العناصر الأساسية التالية:

١ ـ تمييز حدود العلم وموضوعه:

ففي العلم الإسلامي «تكثر المسائل وتتمايز الموضوعات. ولكن تلك الكثرة تُردُّ إلى وحدة في إطار التصور التوحيدي للعلم الإسلامي؛

---

(١) مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م، ص٢٣.

(٢) عزيز العظمة، ابن خلدون وتاريخيته، ترجمة: عبد الكريم ناصف، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١م، ص٧٤.

(٣) القنوجي. . . المرجع السابق، ١/ ٢٠٠.

ولذلك صدّروا العلم بما يُعرف بالمبادئ والمقدمات لتمييز حدود العلم وموضوعه»[1].

٢ ـ **وضع الأسس والمبادئ** التي «يتوقف عليها الشروع في العلم، وما تتوقف عليه مسائله»[2].

٣ ـ «**الإعانة في تحصيل الفن**»[3]؛ أي: في تحصيل العلم.

٤ ـ **كشف الحقيقة** بالنسبة لموضوع محدد[4].

*** وقد حفل التأليف العربي بمقدمات في مختلف العلوم، ومن أمثلتها:**

أ ـ المقدمات: منظومة في الرجز، لمحمد النويري (ـ ٨٥٧هـ) (في النحو والصرف والعروض والقافية)[5].

ب ـ مقدمة ابن خلدون في التاريخ[6]، وهي مقدمة في هذا العلم، ومقدمة للنص ـ أيضًا ـ كما سيرد في ما بعد.

ج ـ مقدمة الأدب (في اللغة) للزمخشري (ـ ٥٣٨هـ)[7].

د ـ المقدمة التوتية (في الميقات)، للناجوري (كتبها سنة ٩٩٩هـ)[8].

---

(١) لطفي عبد البديع (محقق)، «مقدمته» في (التهانوي، محمد علي الفاروقي، (ق١٢هـ) كشاف اصطلاحات الفنون، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣م، ج١، ص(ج).

(٢) القنوجي... المرجع السابق، ١/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٣) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، ١/ ١٤، مادة: (مقدمات).

(٤) عزيز العظمة، المرجع السابق، ص٧٤.

(٥) كشف الظنون، ٢/ ١٧٩٤.

(٦) لم يقتصر مداها على التاريخ فحسب، بل امتد في عصور تالية إلى الاجتماع والاقتصاد والتربية... إلخ.

(٧) كشف الظنون، ٢/ ١٧٩٨.

(٨) كشف الظنون، ٢/ ١٧٩٩.

هـ ـ المقدمة الجزرية في علم التجويد: منظومة، للجزري (ـ ٨٣٣هـ)[١].

و ـ مقدمة في المنطق، لابن مالك النحوي (ـ ٦٨٦هـ)[٢].

ز ـ المقدمات في الفقه، لابن كحيل[٣].

ح ـ المقدمة في الأصول، للبساطي[٤].

ويمكن أن نجد تسميات بخلاف مصطلح المقدمة والمقدمات، مثل: المدخل، والمبادئ، والتمهيد، و«سابقة» كما سمَّاها رفاعة الطهطاوي، وهي تقترب من وظيفتها كما تحددها العناصر الأربعة السابقة، مثل:

أ ـ **المدخل** إلى علم أحكام النجوم، لأبي معشر البلخي (ـ ٢٧٢هـ)[٥].

ب ـ **المدخل** إلى المنطق، لأبي يعقوب القيرواني[٦].

ج ـ **مداخل** إلى علم الجمال الأدبي، عبد المنعم تليمة[٧].

د ـ **مبادئ**[٨] الوصول إلى علم الأصول، لابن الحلي[٩].

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٧٩٩.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٨٠٤.

(٣) الباباني، إيضاح المكنون، ٢/ ٥٤١.

(٤) المرجع السابق، ٢/ ٥٤٤.

(٥) (مخطوط مصور)، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ١٩٨٥م، ص٤٨٨.

(٦) الباباني، إيضاح المكنون، ٢/ ٤٥٤.

(٧) القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٨م.

(٨) يعرِّف حاجي خليفة «علم مبادئ الشعر»: بأنه علم باحث عن مبادئ تحليلية وموضوعه الشعر من حيث مقدماته المناسبة. انظر: كشف الظنون، ٢/ ١٥٧٨.

(٩) الباباني، إيضاح المكنون، ٢/ ٤٢٣.

هـ ـ **التمهيد** في علم التجويد، للجَزَرِي (ـ ٨٣٣هـ)[١].

و ـ **التمهيد** لقواعد التوحيد، للنَّسَفِي (ـ ٥٠٨هـ)[٢].

ز ـ **التقريب** في المنطق، لابن حزم الظاهري (ـ ٤٥٦هـ) (وهو مختصر جعله مدخلًا إلى المنطق)[٣].

ثالثًا: مقدمات الكتب

هذا هو النوع الذي يهمنا في مجال **التأليف التمهيدي للنص**؛ لأنه يرتبط بنص معين، **ومقدمة الكتاب** هي: «مقال يُقدِّم به المؤلف أهم المبادئ والمناهج التي سيقوم عليها مؤلَّفه في ما بعد»[٤].

ويشير القنوجي إلى أن مقدمة الكتاب هي «ما لَهُ دخل في خصوص الكتاب... وهي طائفة من الألفاظ قُدِّمت أمام المقصود (أي: أمام المقصود من النص) لدلالتها على ما ينفع في تحصيل المقصود»[٥].

ويحفل التأليف العربي القديم بكثير من المؤلفات التي تقوم بدور المقدمات لنصوص أخرى، وكثير من هذه المؤلفات يحمل في عنوانه كلمات تدل على هذه الوظيفة، مثل: مقدمة، ومقدمات، ومدخل، ومداخل، وتمهيد، وتوطئة، ومبادئ... إلخ[٦].

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٤٨٤.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٤٨٤.

(٣) كشف الظنون، ١/ ٤٦٦.

(٤) Magdi Wahba. A dictionary of literary terms. Beirut, Librairie du Liban, 1974, p438 (Prolegomena).

(٥) القنوجي المرجع السابق، ١/ ١٩٨، ٢٠٠.

(٦) ذكر حاجي خليفة تحت كلمة «مقدمة ومقدمات» ٣٤ عنوانًا تشمل مقدمات كتب ومقدمات علوم، منها مقدمات بالفارسية والتركية. كما ذكر ٢٦ عنوانًا تحت كلمة «مدخل»، و٩ عناوين تحت كلمة «تمهيد»، وعنوانين تحت كلمة =

وتعد كتابة المقدمة في كثير من الأحيان، من أصعب مراحل التأليف، كما تعد المحك الذي يكشف مدى قدرة المؤلف وسيطرته في معالجة الموضوع.

ويمكن أن تمثِّل العناصرُ الأربعةُ السابقة في تعريف مقدمات العلم، عناصر أساسية في مقدمات الكتب أيضًا، مع تعديلها والإضافة إليها **كما يلي**:

١ ـ تمييز حدود النص والمجال العلمي (أو المجالات) التي يتعلق بها.

٢ ـ التعريف بمنهجٍ أو اتجاهٍ، أو مذهب معين، ينتمي إليه الكتاب أو يعارضه.

٣ ـ وضع الأسس والمبادئ العلمية أو الفنية التي يقوم عليها النص ومسائله.

٤ ـ الإعانة في فهم النص، والإفصاح عن مغزاه وكشف غوامضه وأسراره.

٥ ـ كشف الحقيقة بالنسبة لموضوع محدد يرد في النص، أو التعريف بحقيقة علمية جديدة، أو تقديم دراسة مركزة أو موسعة حول موضوع الكتاب.

٦ ـ توضيح ظروف تأليف الكتاب ومصادره، وكيفية الحصول على المعلومات.

٧ ـ إلقاء الضوء على أهمية الكتاب ومكانته بين أقرانه، وما يتميز به أو يضيفه أو يصححه.

= «توطئة» وهما في النحو. انظر: كشف الظنون، ١/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥، ١/ ٥٠٨، ٢/ ١٦٤١ ـ ١٦٤٤، ٢/ ١٧٩٤ ـ ١٨٠٥.

٨ ـ التعريف بطريقة عرض المعلومات في الكتاب، وكيفية الإفادة منه.

٩ ـ التعليق على ظروف طبعة سابقة من الكتاب، وما أحدثته من ردود وآثار ونتائج.

١٠ ـ تجاوُزُ الحديث عن النص أو التمهيد له، إلى طرح آراء ومناهج معينة، يُعَد تأليفُ النص مناسبة للإعراب عنها. والمقدمة في هذه الحالة أشبه ما تكون بأجنحة خفاقة تحلِّق بالنص في آفاق بعيدة، لم يكن ليمتد إليها نظرًا لتقيد النص بأصول منهجية معينة، تتعلق بتوثيق المعلومات وعرضها، أو بحبكة فنية وأدبية معينة.

وتختلف فنون التقديم وعناصره تبعًا لاختلاف التأليف وموضوعه وأهدافه، وتبعًا لمقدرة المؤلف العلمية والإبداعية(١). وسوف تتضح ملامح وفروق في وظائف المقدمات في المعالجة التالية، تبعًا لاختلاف نوع التأليف وطبيعة الجهد العلمي في مجال النص.

ولمقدمات الكتب تقاليد عريقة في التأليف العربي، فحاجي خليفة يذكر أنه قد جرت العادة على أن يذكر المصنفون في صدر كل كتاب رؤوسًا ثمانية، هي(٢):

١ ـ «الغرض، وهو الغاية السابقة في الوهم، المتأخرة في التأليف». (ويعني بذلك: الفكرة التي يبدأ بها المؤلف ويحققها في التأليف).

٢ ـ «المنفعة، ليتشوق الطبع» (أي: لإثارة اهتمام القارئ).

٣ ـ «العنوان الدال بالإجمال على ما يأتي تفصيله...».

---

(١) انظر أيضًا: وظائف المقدمة في المجال العلمي في المرجع التالي: جارفي، وليم د. الاتصال أساس النشاط العلمي، ترجمة: حشمت قاسم، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٣م، ص١٤٠.

(٢) كشف الظنون (المقدمة)، ١/ ٣٦.

٤ ـ «الواضع (أي: المؤلف أو المصنِّف. . .) ليُعلَم قدرُه».

٥ ـ «نوع العلم، وهو الموضوع ليُعْلَمَ مرتبتُهُ، وقد يكون الكتابُ مشتملًا على نوع ما من العلوم، وقد يكون جزءًا من أجزائه، وقد يكون مدخلًا . . .».

٦ ـ «مرتبة ذلك الكتاب»: أي: متى يجب أن يُقرأ، وهل هو للمبتدئين أم للمتخصصين في المجال؟

٧ ـ «ترتيب الكتاب»، (بالنسبة لكتب أخرى تُقرأ قبله أو بعده في مراحل التعلُّم ومستوياته).

٨ ـ «نحوُ التعليمِ المستعمَلِ فيه، وهو بيان الطريق المسلوكِ في تحصيل الغاية». (ويعني: الأسلوب التعليمي الذي اتَّبعه المؤلف لتحقيق الغرض من الكتاب).

وفي إطار هذه التقاليد، اعتنى معظم المؤلفين بمقدمات كتبهم، «وكانت مجالًا لإبراز مقدرتهم العلمية والأدبية، ومن بينهم البيروني (ـ ٤٤٠هـ) الذي اهتم بها شكلًا ومضمونًا»[(١)].

وتعتبر مقدمات الكتب مجالًا خصبًا وبكرًا للدراسة من مداخل متعددة، وخاصة من **مدخل ببليوجرافي وقرائي**، فكثيرًا ما تحتوي المقدمات على معلومات وآراء لا يشملها الوصف الببليوجرافي أو التحليل الموضوعي[(٢)]، رغم أنها ملمح من الملامح الحميمة الأكثر تعبيرًا عن المؤلف.

---

(١) محمد سويسي، أدب العلماء في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري: البيروني وعمر الخيام ـ تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م، ص٨٠.

(٢) والمقصود هو الفهرسة والتصنيف ورؤوس الموضوعات، وكثيرًا ما يغْفَل خبراء المكتبات عن قيم فكرية كثيرة داخل النصوص نظرًا لوجود نقص وعجز وتخلف شديد في أدوات ونظم التصنيف والفهرسة وغيرها، ولا زال أمامها شوط طويل للتقدم.

وكثيرًا ما نجد مقدمة أدبية أو فلسفية مبدعة يضعها عالم أديب مفكر قبل نص علمي متخصص من تأليفه أو تأليف غيره، وسرعان ما يطوي رقم التصنيف كل هذه الملامح الخصبة، وتعجز رؤوس الموضوعات عن تغطيتها، وهي مشكلة لا تقتصر على المقدمات فحسب، وإنما تنسحب على كل المعالجات الببليوجرافية للمعلومات، ولكنها تثار هنا في مجالها وعلاقتها بالمقدمات.

كما أن هناك مهارات وفنونًا في **قراءة المقدمات**، يستطيع من خلالها القارئ الخبير أن يصل إلى أبعاد رحيبة من المعرفة، ومن فهم النص المقروء.

وينبغي أن نميز في مقدمات النصوص بين نوعين:

١ ـ مقدمات متصلة بالنص.

٢ ـ مقدمات منفصلة عن النص.

وفي ما يلي توضيح لبعض خصائص هذين النوعين من المقدمات.

١ ـ المقدمات المتصلة بالنص:

وهي تسبق النص داخل الكتاب، ولكنها لا تُحسب ضمن أبوابه لطبيعتها الخاصة؛ كأداة تمهيدية للنص، ومن عينة البحث يمكن توضيح بعض خصائص هذه المقدمات:

١/١ تعدد مقدمات الكتاب:

قد يتضمن الكتاب عدة مقدمات، كما فعل طاش كبري زاده في كتابه «مفتاح السعادة»، الذي صدَّره بأربع مقدمات أساسية، بالإضافة إلى مقدمات فرعية مع فصول الكتاب[1].

---

(١) انظر: طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى (ـ ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق: كامل بكري =

كما استُخدِمت عشرون مقدمة تحوي دراسات تمهيدية للموضوع، أطلق عليها «فذلكات»، في بداية «قائمة رؤوس الموضوعات العربية الكبرى»[(١)].

٢/١ مقدمة غير المؤلف:

وقد يكتب التقديم شخص غير المؤلف، سواء لحداثة الموضوع، أو لحداثة المؤلف، أو لارتباط التأليف بمدرسة فكرية معينة لها راعٍ أو مؤسس، يقدم تلامذتَهَ وثمراتِ غَرْسِهِ، وقد يشمل التقديم تعريفًا بالمؤلف وظروف التأليف، وقد يتجاوز ذلك إلى تقييم الكتاب، أو التنبؤِ بمستقبلٍ واعدٍ للمؤلف، وغالبًا ما يُطلق على مقدمة غير المؤلف كلمة

= وعبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م، ١/٦ ـ ٧٠، وبقية فصول الكتاب. . .

(١) أ ـ تأليف: شعبان عبد العزيز ومحمد عوض العايدي، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٥م، ١/ ١٠.

ب ـ **الفذلكة**: كلام يُجمِل ما فصّل أولًا، والكلمة مأخوذة من قولهم: فذلك كذا وكذا. انظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ص١٨٩، (فذلكة).

ج ـ واستخدمت كلمة الفذلكة والفذالك في عناوين بعض الكتب، وهي نوع من المعالجة الإجمالية الموجزة، مثل:

ـ كتاب الفذلكة في تراجم مئة وخمسين من السلاطين، لحاجي خليفة. (كشف الظنون ١/ ٢٩١، تحت المدخل التالي: تاريخ الجنابي).

ـ الفذالك في شرح المدارك، للبهبهاني (انظر: الباباني. . إيضاح المكنون ٢/ ١٨٠).

د ـ وأطلق أبو عمر الزاهد اسم فذلكة على إحدى القراءات أو العرضات قبل الأخيرة من كتابه الياقوت في اللغة (انظر: ابن النديم، الفهرست. . ص٧٦).

هـ ـ وفي رأيي أن كلمة فذلكة أقرب إلى الموجز أو التلخيص الذي يأتي في النهاية للإجمال، وأبعد عن معنى المقدمة، التي تأتي في البداية للتمهيد والتعريف بالأسس. (المؤلف)

«تقديم»، أما «التصدير» فقد يكتبه المؤلف أو غيره، وليس لهذه الكلمات استخدامات تحدد بوضوح علاقتها بالمؤلف أو غير المؤلف في التأليف العربي الحديث[١].

وقد اهتم بعض كبار الكُتَّاب بتقديم كتب مؤلفين آخرين، ولم يكن هؤلاء الآخرون دائمًا من الناشئين بل كان معظمهم راسخًا في التأليف. ويعد التقديم فنًّا مستقلًّا من التأليف، استهوى مفكرين مثل: طه حسين وعباس العقاد وغيرهما، فأظهروا فيه مقدرة وإبداعًا، ولم يخل الأمر من منافسة وصراع ومعارك فكرية تكمن وراء بعض هذه المقدمات، وهي تمثل نماذج مهمة في فنون التقديم ينبغي دراستها وإبراز خصائصها، كما أنها تراث مهم ينبغي تجميعه وإبرازه ونشره مستقلًّا في مجموعات تنسب إلى مؤلفيها[٢].

ومن الأمثلة الحيَّة لفن التقديم، ذلك التقديم الكريم الذي كتبه العلَّامة الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة ليتصدر هذ الكتاب.

---

(١) انظر: المصطلحات المقابلة لكلمات: مقدمة، تصدير، تقديم، تمهيد، توطئة بالإنجليزية وهي:

Prolegomena, introduction, Preface, Foreword.

في المراجع التالية:

a - The ALA glossary of library & information Science... p132, (introduction), p174 (Preface), p99 (foreword).

b - Magdi Wahba. Op. Cit. p.438 (Prolegomena).

(٢) ولقد تحقق شيء من ذلك، عندما جُمعت مقدمات كتبها طٰه حسين لكثير من الكتب وصدرت في مجلد مستقل.

انظر:

طٰه حسين، كتب ومؤلفون، مقدمات طٰه حسين لكثير من الكتب، تجميع وتقديم: شكري فيصل، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، ص٣١٨.

١/ ٣ مقدمة المحقق:

وفي مجال تحقيق المخطوطات، تتجلَّى مقدرة المحقق في مقدمته التي يضعها للنص المنشور، للتعريف به وبمؤلفه وعصره وموضوعه وأهميته، والنسخ المخطوطة التي استخدمها.

ويعد هذا التقديم في بعض الأحيان عملًا علميًّا يستودعه المحقق المبدع خلاصة تجربته وعلمه وتحقيقه العلمي والببليوجرافي من أجل توثيق النص وإقامته ونسبته لمؤلفه، ونقده وآرائه[(١)].

ومن أمثلة ذلك المقدمة التي كتبها شوقي ضيف عند تحقيقه لكتاب: «الرد على النحاة»، لابن مضاء القرطبي (ـ ٥٩٢هـ)[(٢)].

كما تعد مقدمة «الصحاح» للجوهري التي أعدها أحمد عبد الغفور عطار محقق المعجم، أول مقدمة من نوعها في تاريخ المعجمات العربية، من حيث استقصائها لتاريخ المعجمات في اللغة العربية واللغات الأخرى، واشتمالها على آراء ومعلومات وافية عن الصحاح، وهي تحتل ١٠٤ صفحات[(٣)].

---

(١) يحفل التاريخ بجهود مضنية ورائعة في تحقيق التراث العربي، قام بها المستشرقون والعرب، كما يحفل التأليف العربي لدى القدماء بأصول علم التحقيق والتحشية والتعليق والتنكيت، مما يستحق دراسته من مداخل متعددة، ويهمنا من ذلك المدخل الببليوجرافي للتحقيق على وجه الخصوص. انظر الدراسة التالية:
محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م، ص٤٠٦.

(٢) انظر: ابن مضاء القرطبي، أحمد بن عبد الرحمٰن (٥٩٢هـ)، كتاب الرد على النحاة، تقديم وتحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م.

(٣) عباس محمود العقاد، «تقديم» في (الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تقديم وتحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٥٦م، ١/ ١.

١/ ٤ المقدمات ذات المدى الأوسع من النص:

وثمة نوع من المقدمات المتصلة بالنص، وإن كان يمثل عملًا متميزًا يمكن أن يخرج في كتاب مستقل، ومن ذلك المقدمتان اللتان وضعهما الشيخ محمود شاكر في صدر كتابه: «المتنبي»[(١)].

١/ ٥ مقدمات تستخرج من النص:

وقد استخرج بعض المحققين قسمًا من داخل المخطوطة المحققة، لوضعه كمقدمة في بداية الكتاب عند نشره؛ لأنه يصلح للقيام بهذه الوظيفة، كما فعل رشيد رضا ومحمود شاكر في تحقيق كتاب «دلائل الإعجاز» للجرجاني[(٢)].

١/ ٦ مقدمة المترجم:

في بعض حالات الترجمة، يتولى المترجم تقديم النص الذي يترجمه، وبعض هذه المقدمات يتضمن دراسة للتعريف بالكتاب المترجَم

---

(١) تمثل هاتان المقدمتان دراستين في غاية الأهمية، من حيث الحقائق والأفكار والآراء التي تطرحانها، فهما نتاج عقلي يحمل بين طياته علم الشيوخ وفروسية الشباب، وهما جديرتان بالنشر لإتاحة قراءتهما وانتشارهما ومناقشة ما بهما من آراء في كتاب مستقل، متفقين أو مختلفين معها، فهي تمثل ثورة وإعادة نظر في كثير من المسلمات في مناهجنا وتاريخنا، والصمت عن دراستهما يعد علامة من علامات الموات لهذا الجيل.

انظر:

محمود محمد شاكر، المتنبي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٧م.

ـ المقدمة الأولى: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص٥ ـ ١٠٥.

ـ المقدمة الثانية: قصة هذا الكتاب: لمحة من فساد حياتنا الأدبية، ص١٥٢ ـ ٣٢٢.

(٢) انظر: محمود محمد شاكر (محقق)، «مقدمته» في (دلائل الإعجاز) لعبد القاهر الجرجاني (ـ ٤٧١هـ)، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م، ص(ط).

وأهميته وظروف تأليفه، وموضوعه، ومؤلفه، والمدرسة الفكرية للمؤلف، ومنهجه في التأليف، ومنهج المترجِم في الترجمة، وربما يقوم المترجم الذي يترجم عملًا كلاسيكيًّا **بتقديم القديم**؛ أي: بتعريف القارئ المعاصر بأسرار وطبيعة النص القديم الذي يترجمه.

١/ ٧ المقدمة الشارحة للمصطلحات المترجمة:

وعندما ترجم رفاعة الطهطاوي كتاب «قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر». قدم له بمئة صفحة، عنونها بكلمة «**سابقة**»، وضمَّنها شرح الكلمات الغريبة في النص، ورتَّبها هجائيًّا[(١)]، ولعل هذه من أندر المقدمات المعجمية الشارحة لمصطلحات نص مترجم. وفي الظروف العادية، يمكن أن يكون مكان هذه الكلمات في ملحق للمصطلحات بذيل الكتاب، ولكن رفاعة الطهطاوي بإدراكه لطبيعة المرحلة التي عاشها، جعلها سابقة بدلًا من لاحقة.

٢ ـ المقدمات المنفصلة عن النص:

اتضح من قبل أن المقدمات المتصلة بالنص في وعاء أو كتاب واحد، قد تطول في بعض الأحيان لكي تقرب من حجم النص الأصلي، وقد يتسع مداها لكي يتخطى موضوع النص وحدوده، بحيث تصبح دراسة جديرة بأن تنشر مستقلة، وثمة كثير من النماذج لمقدمات لو فُصِلت لأصبحت كتابًا مستقلًّا مميزًا، مثل مقدمة الصحاح، ومقدمتيْ محمود شاكر لكتابه «المتنبي»، وغيرها.

وقد شهد التأليف العربي كثيرًا من المقدمات المنفصلة، التي ظهرت في كتاب مستقل، ولكن وظيفتها الأساسية (في البداية)، كانت

---

(١) أنور لوقا غبريال، ربع قرن مع رفاعة الطهطاوي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م، ص١٥١.

مرتبطة بالتقديم والتمهيد لنص معين في كتاب آخر.

وفي هذا المجال يمكن استعراض الحالات التالية:

٢/ ١ مقدمة المؤلف لكتاب محدد من مؤلفاته:

ولعل أهم الأمثلة على ذلك:

٢/ ١/ ١ «مقدمة ابن خلدون» (ـ ٨٠٨هـ)، وهي تمثل الكتاب الأول من موسوعته التاريخية «العبر وديوان المبتدأ والخبر..».

وقد أبرز عزيز العظمة أهداف وأسس «مقدمة ابن خلدون»، مما يعد نموذجًا وافيًا لتوضيح وظيفة المقدمات في التأليف العربي، وتمثل المقدمة بالنسبة لتاريخ ابن خلدون في مجموعه ما يلي:

أ ـ البحث التمهيدي.

ب ـ البداية المنطقية.

ج ـ «المعيار» أو (المنهج) الذي تُقوَّم وفقه الأخبار التاريخية المتوارثة.

د ـ «فئة الضبط» التي يقاس الانحراف عنها[1].

٢/ ١/ ٢ كتاب «المقدمات الممهدات» الذي وضعه الفقيه ابن رشد الجد (ـ ٥٢٠هـ)[2] كتمهيد لكتابه «البيان والتحصيل»، ومقدمات تنبئ عن مسائله[3].

---

(١) عزيز العظمة، ابن خلدون وتاريخيته، ترجمة: عبد الكريم ناصف، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١م، ص١٤ ـ ١٥، ٧٣ ـ ٧٥.

(٢) والمقصود هنا هو جد الفيلسوف ابن رشد المتوفى سنة (ـ ٥٩٥هـ)، والفارق بين وفاة الجد والحفيد ٧٥ عامًا.

(٣) محمد حجي (محقق)، «مقدمته» في (البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة)، تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (الجد) بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤م، ١/ ١٥).

٢/ ١/ ٣ المدخل إلى كتاب «الإكليل في الحديث»، للحاكم النيسابوري (ـ ٤٠٥هـ)[١].

٢/ ٢ مقدمة المؤلف لعدد من مؤلفاته:

قد يكتب المؤلف مقدمة مستقلة لا تتعلق بكتاب محدد من مؤلفاته وإنما تعد مقدمة لمجموعة منها، ويمكن اعتبارها مقدمة لمدرسة المؤلف الفكرية، **ومن أمثلة ذلك:**

٢/ ٢/ ١ «مروج الذهب ومعادن الجوهر في التاريخ»، للمسعودي (ـ ٣٤٦هـ).

وقد اعتبره مدخلًا إلى ما تقدم من تصنيفه في أنواع العلوم[٢].

٢/ ٣ المقدمة المستقلة لمؤلف على كتاب مؤلف آخر:

شهد التأليف العربي المبكر مداخل وتوطئات ألفها البعض على كتب سابقة لمؤلفين آخرين، منها:

٢/ ٣/ ١ مدخل إلى كتاب «العين» (للخليل بن أحمد)، تأليف النضر بن شميل (ـ ٢٠٤هـ)[٣].

٢/ ٣/ ٢ «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، تأليف ابن عبد البر (ـ ٤٦٣هـ)[٤].

---

(١) كشف الظنون، ١/ ١٤٤.

(٢) أ ـ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤/ ٤٠٨.
ب ـ انظر: ما كتب حول الكتب الشقيقة للمؤلف نفسه، ص٣٦٠.

(٣) كشف الظنون، ٢/ ١٤٤٣.

(٤) كشف الظنون، ١/ ٤٨٤، ٢/ ١٩٠٧، وهو في الفقه والحديث، وقد اختصره وسمَّاه «الاستذكار».

«كرونوجرام المقدمات والمداخل»

من المهم توضيح **العلاقة الزمنية** بين المقدمات المنفصلة والأعمال التي ترتبط بها. ومن الناحية النظرية يمكن أن تشمل هذه العلاقة الأشكال التالية:

١ ـ التقديم **السابق** على الكتاب.

٢ ـ التقديم **اللاحق** على الكتاب.

ولكن ما أمكن معرفته بالتحديد، أن بعض المقدمات والمداخل تم تأليفها في مرحلة تالية للنص الأصلي.

فقد شرع ابن خلدون في تأليف المقدمة بعد فراغه من تأليف الأقسام التاريخية من كتابه «العبر»، أو ربما قبيل فراغه منها[١].

كما ألف ابن رشد الجد (ـ ٥٢٠هـ)، كتابه «المقدمات الممهدات»، بعد الكتاب الأصلي: «البيان والتحصيل»[٢].

وألف النيسابوري (ـ ٤٠٥هـ) كتاب «الإكليل» في الحديث، ثم ألف بعده كتاب «المدخل إلى الإكليل»[٣].

وحدث الشيء نفسه بالنسبة لكتاب المسعودي (ـ ٣٤٦هـ)، «مروج الذهب ومعادن الجوهر»[٤].

فالتقديم في هذه الحالة تقديم راجع يرتبط بما سبق وليس

---

(١) استغرق تأليف كتاب العبر ما بين أواخر عام (٧٧٦ ـ ٧٨٠هـ. وألفت المقدمة في خمسة شهور من عام (٧٧٩هـ). انظر: علي عبد الواحد وافي، عبد الرحمٰن بن خلدون: حياته وآثاره ومظاهر عبقريته. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م، ص٨٧.

(٢) محمد حجي (محقق) المرجع السابق.

(٣) كشف الظنون، ١/ ١٤٤.

(٤) المسعودي: المرجع السابق، وكشف الظنون، ١/ ١٤٤.

بما سيأتي، وقد يطول الفاصل الزمني أو يقصر بين تأليف النص الأصلي وإتمام التقديم أو المدخلة[1]. ولعل ذلك هو الشيء المنطقي، فبالرغم من الأسبقية الشكلية التي توحي بها تسمية المقدمة، فإن التقديم أو المدخلة أو التمهيد أو التوطئة... لا تكون إلا لنص وجد بالفعل وتحددت ملامحه، وينطبق ذلك على كل من المقدمات المتصلة بالنص والمنفصلة عنه.

ببليوجرام المقدمات والمداخل

أوضحت العينة علاقات أخرى في مجال التقديم والتمهيد للنص، منها:

١ ـ الكتب التمهيدية الواعدة:

فقد يظهر كتاب مستقل بعنوانه ومعالجته، ولكن المؤلف يعتبره تمهيدًا نظريًّا، أو بداية تأسيسية لمشروع للتأليف في الموضوع نفسه. ومن أمثلة ذلك كتاب:

«الخطاب العربي المعاصر»، لمحمد عابد الجابري[2]. فقد ألفه تمهيدًا لكتابه التالي: «تكوين العقل العربي»[3].

---

(١) المقصود هنا بالمدخلة هو تأليف مدخل للكتاب. (المؤلف)

(٢) محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، ط٢، بيروت، دار الطليعة ١٩٨٥م.

(٣) أ ـ محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط٢، بيروت، دار الطليعة ١٩٨٥م.

ب ـ انظر الدراسة التالية: كمال عبد اللطيف، مشروع النقد في قراءة التراث: حول التكامل في أعمال محمد عابد الجابري ومحمد أركون، (ندوة حول كتاب تكوين العقل العربي، نظَّمها اتحاد كتاب المغرب، الرباط، مارس/آذار ١٩٨٥م، المستقبل العربي، ص٨، ع٨٦، إبريل/نيسان ١٩٨٦م، ص٢٥ ـ ٣٢).

٢ ـ المقدمة البَذرية:

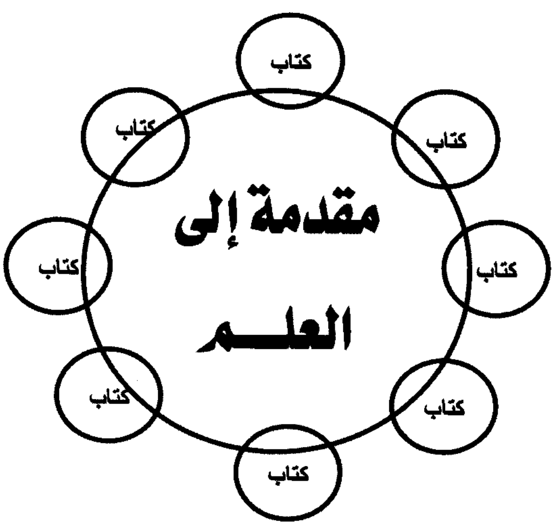
وهي مقدمة ترتبط في الأصل بنص أصلي معين، ولكنها تتجاوز الارتباط بهذا النص لكي تغطي الموضوع والمنهج، وينطبق ذلك على «مقدمة ابن خلدون»، التي تجاوزت كونها مقدمة أو جزءًا من كتاب «العبر»، وأصبحت مقدمة في المنهج التاريخي، ولم تلبث هذه المعالجة التنظيرية للتاريخ أن طرحت بذورًا لمناهج ومجالات أخرى، كالاجتماع وغيره. مما يدرسه ويناقشه، وقد يختلف حوله دارسو المقدمة لابن خلدون.

٣ ـ المقدمة كنص له مؤلفات تابعة:

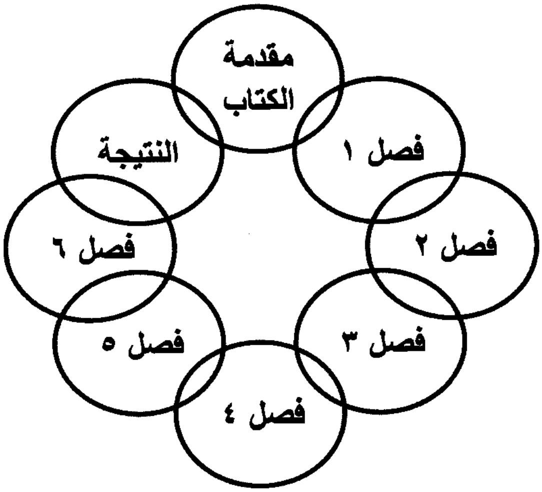
وقد اتضح أن بعض المقدمات إلى جانب علاقتها بنص أصلي، قد تحوَّلت إلى نص له مؤلفات تابعة، مثل «مقدمة ابن خلدون». انظر: البيليوجرام (شكل ٢٩).

ويمكن إجمال العلاقات البيليوجرامية للمقدمات بالنصوص الأصلية في ما يلي:

١ ـ بيليوجرام المقدمة في علم معين (شكل ٢٦).



٢ - ببليوجرام مقدمة متصلة بالنص وعلاقتها بفصول الكتاب[١]
(شكل ٢٧)



٣ - ببليوجرام نص أصلي ومقدمة للمؤلف ومقدمة لغيره
(شكل ٢٨)

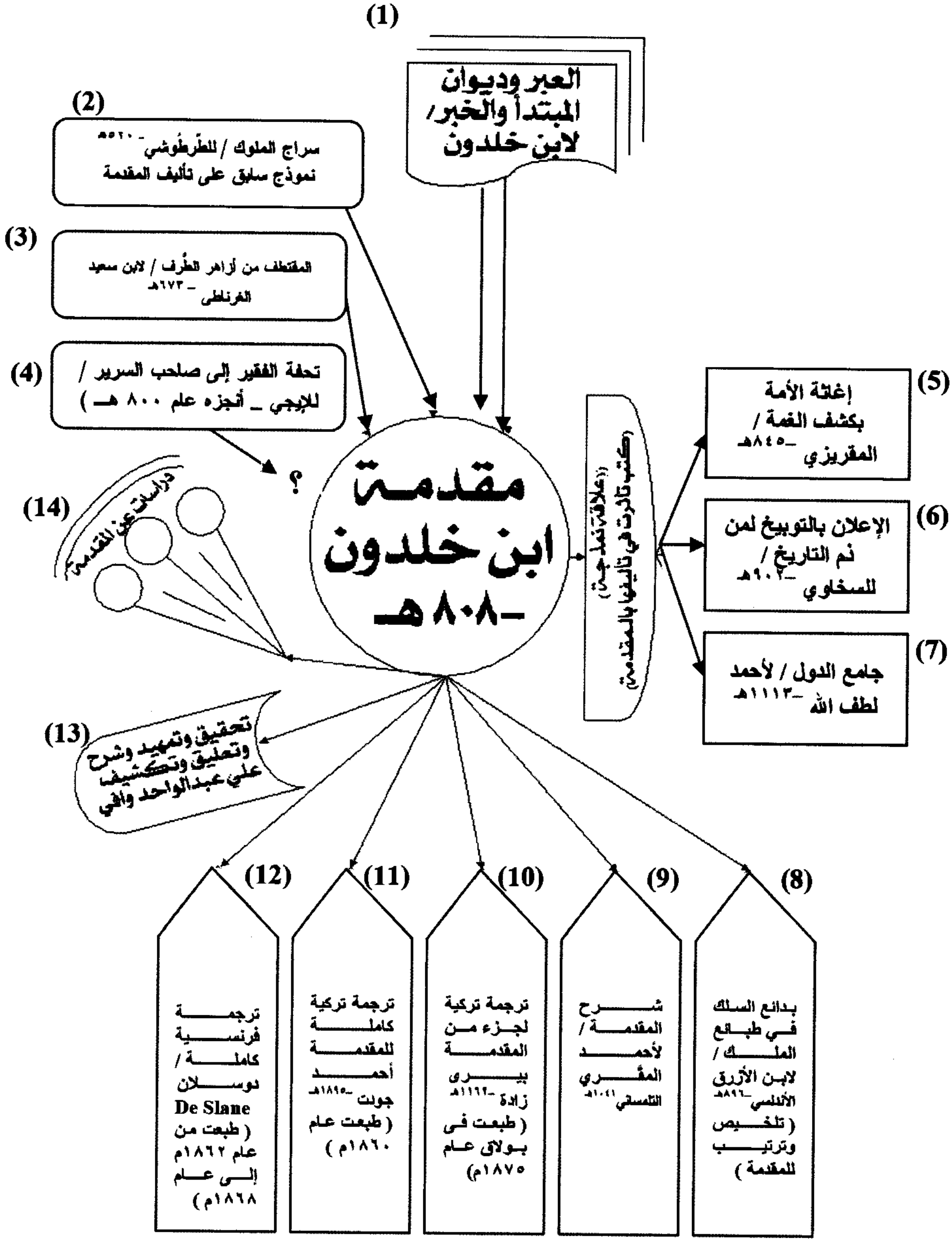


---

(١) الفكرة مأخوذة عن:

Collins, Carmen: Read, reflect, write. New Jersey, Printice Hall, 1984, p92.

٤ ـ ببليوجرام «مقدمة ابن خلدون» (مقدمة منفصلة عن النص تحوَّلت إلى عمل مستقل):



(شكل ٢٩) ببليوجرام «مقدمة ابن خلدون»

. . . .

الحواشي والملاحظات على ببليوجرام مقدمة ابن خلدون:

(١) تأليف كتاب العبر سابق على تأليف المقدمة، فقد شرع ابن خلدون في تأليف العبر في أواخر (٧٧٦هـ)، وانتهى من تأليفه سنة (٧٨٠هـ)، بينما ألَّف المقدمة في خمسة أشهر آخرها في منتصف عام (٧٧٩هـ)، ورغم أن المقدمة كانت تمثل رؤية منهجية وفلسفية للتاريخ الذي ورد في كتاب العبر بعد تأليفه، فإنها تحتل المجلد الأول من سبعة مجلدات يتألف منها كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» حسب طبعة بولاق بمصر سنة (١٨٦٨م).

- ثم أصبحت المقدمة ينظر إليها كعمل مستقل في فلسفة التاريخ والاجتماع، له أهمية تفوق الأجزاء الأخرى المتعلقة بالتاريخ.

(انظر: علي عبد الواحد وافي، «مقدمته» في: مقدمة ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمٰن بن خلدون؛ بتمهيد وتحقيق وضبط وتعليق وتكشيف: علي عبد الواحد وافي، ط٣، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٩م، ١/ ٨٠، ١٨١.

(٢) سراج الملوك، للطُّرطوشي (ـ ٥٢٠هـ) عدد أبوابه ٦٤ بابًا، وهناك رأي بأن مقدمة ابن خلدون مشابهة للسراج في موضوعاتها وأبوابها، ولكن الطرطوشي لم يتعمق في المعالجة، واهتم بنقل الحكم والمواعظ، بينما تجلت عبقرية وإبداع ابن خلدون في المقدمة. انظر: (عزيز العظمة، ابن خلدون وتاريخيته، ص٢٠٨)، (وكشف الظنون ٢/ ٩٨٤).

والطُّرطوشي من مواليد طُرطوش (Tortosa) في الشمال الشرقي بالأندلس، وعاش بعد ذلك وتوفي في الإسكندرية، وأتم كتابة السراج عام (٥١٦هـ)، وقدمه إلى الوزير المأمون البطائحي في القاهرة، وهو كتاب في فن السياسة والحُكم والأصول الشرعية للراعي والرعية.

انظر: جمال الدين الشيال: سراج الملوك للطرطوشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م، (سلسلة تراث الإنسانية)، ص١٦ ـ ١٧.

ويمكن أن نفترض بأن ابن خلدون تأثر بهذا النموذج في التأليف السابق عليه بثلاثة قرون، وهو ما نسميه في هذا الكتاب «بعلاقة النمذجة».

ويشير ابن خلدون نفسه إلى كتاب الطرطوشي بقوله: «. . . وكذلك حوَّم القاضي أبو بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائله، ولكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكلة =

= ولا استوفى المسائل ولا أوضح الأدلة، إنما يبوب الباب للمسألة، ثم يستكثر من الأحاديث والآثار وينقل كلمات كثيرة لحكماء الفرس... والهند... إنما هو نقل وتركيب شبيه بالمواعظ...».
(انظر: ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ١/ ٣٣٤).
كما يَرُد ابن خلدون على الطرطوشي في بعض آرائه. (انظر: المرجع السابق، ٢/ ٥٢٤).

(٣) المقتطف من أزاهر الطُّرف، لابن سعيد الغرناطي (ـ ٦٧٣هـ)، اقتطفه ابن خلدون حرفيًّا في الفصل الأخير من المقدمة حول (الموشحات والأزجال)، ولم يذكر مصدرها. سيد حنفي: «المقتطف من أزاهر الطرف اقتطفها ابن خلدون»، الأنباء الكويتية (صحيفة)، ٢١/ ٣/ ١٩٨٣م، ص١.

(٤) تحفة الفقير إلى صاحب السَّرير، للإيجي (أنجزه عام ٨٠٠هـ)، وبه فصل حول مبادئ التاريخ ونقد الخبر التاريخي يشبه محتوى المقدمة.
(انظر: عزيز العظمة، ابن خلدون وتاريخيته... ص٢١٦). وربما استفاد ابن خلدون من هذا الكتاب ونمذجه، وربما حدث العكس، وكان ابن خلدون والإيجي متعاصرين، وتاريخ إنجاز (تحفة الفقير) يسبق وفاة ابن خلدون بثمانية أعوام فقط، ولذلك أُرجِّح أن الإيجي استفاد من ابن خلدون، وفي كل الأحوال فهناك تشابه فكري بينهما ويصعب أن يكون التشابه في الفكرة والتعبير والمصطلح من باب الصدفة، ويبدو أن كتاب الإيجي ذو هدف سياسي؛ لأنه موجه إلى صاحب السرير (أي: الحاكم)، وهو الاتجاه نفسه لسراج الملوك للطرطوشي (ـ ٥٢٠هـ)، السابق عليه بثلاثة قرون، وقد عرضت مدى تأثيره على مقدمة ابن خلدون. (المؤلف)

(٥) إغاثة الأمة بكشف الغمة، للمقريزي (ـ ٨٤٥هـ)، ظهر فيه تأثر المقريزي بنظريات ابن خلدون في المقدمة وبمنهجه في عرض الحقائق والاستدلال عليها، وينحو المقريزي في هذا الكتاب منحى ابن خلدون في شرح ما يعرض له من الحوادث الاجتماعية وفي تعليلها، ويقتبس من ابن خلدون بعض ما يقرره فيها من الآراء، ويستخدم بعض ألفاظها الاصطلاحية وعباراتها، مثل أصل الوجود، وظيفة العمران... إلخ. (انظر: علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص٢٦٤).
وقد تتلمذ المقريزي على ابن خلدون، وتوفي بعده بسبعة وثلاثين عامًا، ويذكر =

= السخاوي أن المقريزي امتدح مقدمة ابن خلدون، فيقول: «وكذا مدح تاريخَ ابن خلدون صاحبُه التقي المقريزي، وقال عن مقدمته: لم يُعمل مثالها، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها». (انظر: السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص٣١٣).

ويمكن أن نعتبر علاقة كشف الغمة بالمقدمة علاقة نمذجة، بالإضافة إلى أبعاد التأثر الأخرى، فهو تأثر من حيث الشكل والمضمون والمنهج، وربما يكون ذلك أول تأثر بالمقدمة يحدث في تيار التأليف العربي.

(٦) تأثر السخاوي (ـ ٩٠٢هـ) في كتابه «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» بما كتبه ابن خلدون في المقدمة، وبالنموذج الذي طرحته المقدمة، ويبدو ذلك في ما ورد في كتاب السخاوي هذا عن قيمة التاريخ وأثره في دراسة أحوال الأمم، كما يقرر أن المقدمة نفيسة ويذكر مدح بعض المؤلفين لها، رغم أنه كان يهاجمها في كتابه «الضوء اللامع».

(انظر: (أ) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ، ص٣١٢، (ب) علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق ص٢٦٦).

ويمكن أن نطلق على علاقة كتاب الإعلان بالتوبيخ بالمقدمة، علاقة نمذجة، حيث نفترض تأثره بنموذج المقدمة في اختيار الموضوع والقضية والاتجاه.

(٧) المؤرخ التركي أحمد لطف الله (ـ ١١١٣هـ/ ١٧٠٢م)، الذي عُرف بلقب منجم باشي (أي: رئيس المنجمين)، وورد اسمه في الذيل على كشف الظنون للباباني (٣/ ٣٥٣) هكذا: (الشيخ أحمد دده المولوي الرومي رئيس المنجمين)، اهتم بدراسة ابن خلدون وحاكاه في بحوثه وطريقته، وصدر تاريخه المشهور «جامع الدول» باللغة العربية بمقدمة مستلهمة من ابن خلدون، ونقل فيها عباراته بنصوصها الأصلية.

(انظر: علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص٢٦٢) (ويمكن أن نطلق على علاقة هذا الكتاب بالمقدمة علاقة نمذجة).

(٨) كان ابن الأزرق (ـ ٨٩٦هـ) الذي أتى بعد ابن خلدون بثلاث وعشرين سنة، هو أهم من عرَّف بأفكار ابن خلدون ودرس «مقدمته» دراسة عميقة ولخصها تلخيصًا محكمًا ثم أدمجه ـ إلى جانب تلاخيص فنية لكتب أخرى ـ في كتابه بدائع السلك. =

= وهناك من عرَّف بمقدمة ابن خلدون قبيل ابن الأزرق، مثل المقريزي الذي تتلمذ عليه بالقاهرة، والسخاوي، وابن حجر العسقلاني، فالأولان أطرياها، والثالث انتقدها، ولكن المقريزي والسخاوي، لم يدرسا المقدمة دراسة عميقة تستوجب وضع دراسة عليها أو تلخيصها مثلما فعل ابن الأزرق.
انظر: محمد بن عبد الكريم «مقدمته» في: بدائع السلك في طبائع الملك، لابن الأزرق، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م، ١/٦، ٤٠، ٤٤ من مقدمة هذا الكتاب.
(وانظر: علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص٢٦٥).

(٩) يشير حاجي خليفة إلى وجود شرح للمقدمة ألفه أحمد المقَّري التلمساني (ـ ١٠٤١هـ)، مؤرخ الأندلس، وذلك في موضعين من كتابه كشف الظنون هما، ١/٢٨٦ (تحت مدخل: تاريخ الأندلس)، ٢/١١٤ (تحت مدخل: العبر وديوان المبتدأ والخبر).

(١٠) في أوائل القرن (١٨م) قام محمد صاحب المعروف بلقب بيري زاده (ـ ١١٦٢هـ/١٧٤٩م) والذي تولى منصب المشيخة الإسلامية في عهد السلطان أحمد الثالث ومحمود الأول، قام بترجمة الأبواب الخمسة الأولى من مقدمة ابن خلدون باللغة التركية، ثم أضيفت إليها ترجمة الفصول العشرة الأولى من الباب السادس، وطبعت الترجمة عام ١٨٥٧م، بمطبعة بولاق بمصر، باللغة التركية، وأضيفت إليها بقية فصول الباب السادس من المقدمة ولكن بلغتها العربية، وسبقت هذه الطبعة التركية كل الطبعات العربية، وقد ظهرت طبعتان بالعربية في العام التالي (١٨٥٨م).
(انظر: علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص٢٦٢، وكشف الظنون ٢/١١٢٤).

(١١) أحمد جودت باشا المؤرخ الرسمي للدولة العثمانية في القرن (١٩م)، توفي عام (١٨٩٥م)، راجَعَ ترجمة بيري زاده السابقة، وأعاد ترجمة الباب السادس، وأضاف إلى المقدمة تعليقات كثيرة، وطبعت هذه الطبعة التركية الكاملة عام ١٨٦٠م؛ أي: بعد طبعة بيري زاده بثلاث سنوات، وبفضل بيري زاده وأحمد جودت ذاعت آراء ابن خلدون في جميع الشعوب الناطقة باللغة التركية.
(انظر: علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣).

. . . .

(١٢) في عام (١٨٥٨م) ظهرت في فرنسا طبعة عربية للمقدمة بإشراف المستشرق الفرنسي «كاتيرمير»، وبدأ بترجمة بعض أجزائها إلى الفرنسية، ومات قبل إنجاز مشروعه، ثم قام المستشرق الفرنسي «دوسلان» بترجمة المقدمة كلها إلى الفرنسية، وعلق على بعض فقراتها وشرح بعض عباراتها، ومهد لها بتعريف عن ابن خلدون، وقد أفاد من الترجمة التركية للمقدمة، وطبعت في ٣ مجلدات من (١٨٦٢ ـ ١٨٦٨م).
(انظر: علي عبد الواحد وافي، المرجع السابق ص٢٥٧).

(١٣) اهتم الدكتور علي عبد الواحد وافي، وهو عالم الاجتماع الكبير، في بحوثه القيمة بابن خلدون، وقد قام بمراجعة عدة نسخ مخطوطة نادرة لمقدمة ابن خلدون، وبالاطلاع على طبعة باريس وطبعة الهوريني بمصر (١٨٥٨م) حتى يصدر طبعة جديدة تمامًا للمقدمة، في ٣ مجلدات، أكمل فيها ما يوجد من نقص أو حذف متعمد في الطبعات السابقة من المقدمة، وأصلح ما فيها من خطأ، وأوضح ما اشتملت عليه المقدمة من حقائق وبحوث، ومهد لها ببحث موسع شامل حول المقدمة ومؤلفها يشغل (٢٧٥) صفحة من المجلد الأول، كما وضع نحو ثلاثة آلاف تعليق على محتويات المقدمة، تشغل أكثر من ضعفي حجم المقدمة ذاتها. وأضاف إلى النص علامات الترقيم الحديثة، وحقق نُقول ابن خلدون عن الكتب، وحقق أسماء الأشخاص وتراجمهم وغيرها، وأضاف إلى دراسته بالمقدمة قائمة ببليوجرافية بأهم الدراسات حولها وحول ابن خلدون وفكره وعبقريته، وتشغل من التمهيد عشرين صفحة، من ص٢٥٦ ـ ٢٧٥.
كما أنشأ وافي في هذه الطبعة القيمة، خدمة توثيقية استرجاعية مهمة تحقق الاستفادة من نص هذه المقدمة بطريقة ليس لها مثيل في الطبعات السابقة، تتمثل في ما يلي:
الكشاف التحليلي الهجائي الذي يشمل في سياق واحد مداخل دقيقة بما يلي: الموضوعات، وأسماء الأشخاص والشعوب والدول والقبائل والعشائر والبطون والأسرات والكتب والأمكنة والبلدان والمعالم الجغرافية والظواهر الفلكية. . إلخ.
الفهرس التحليلي للفصول والمسائل التي عرض لها كل فصل.

(١٤) انظر: حصرًا لأهم الأعمال حول مقدمة ابن خلدون، في تمهيد ودراسة علي عبد الواحد وافي لمقدمة ابن خلدون في المرجع السابق، ص٢٥٦ ـ ٢٧٥.

الفصل السادس

تشغيل النص

وفيه تعـريف، وخمسة مباحث:

المبحث الأول: تلخيص النص.

المبحث الثاني: تهذيب النص.

المبحث الثالث: إعادة ترتيب النص.

المبحث الرابع: الاختيار والمجانسة.

المبحث الخامس: تدريج النص.

الفصل السادس

تشغيـــل النـــص

تعريف:

صيغ مصطلح «تشغيل النص» للإشارة إلى بعض العمليات في مجال التأليف النصِّي المحوري، حيث يقوم بعض المؤلفين بالاشتغال بنصٍّ معين، يمثل كيانًا وبنيانًا، ويعتبر أحد أعمدة الثقافة في علم أو عصر أو مجتمع معين. ومن خلال هذا الاشتغال، تنشأ مؤلفات جديدة تابعة للنص الأصلي، وتعتبر نتاجًا لتشغيله.

ويمكن أن يتناول تشغيل النص واحدًا أو اثنين من عناصر النص، وهما:

أ ـ منطوق النص، أو بنيته اللغوية من كلمات وعلامات وجمل.

ب ـ مفهوم النص؛ أي: المعاني التي يمكن الخروج بها عند قراءته، والنص، في هذا النوع من التأليف، يمثل مادة يشتغل بها المؤلفون الجدد: تلخيصًا أو تهذيبًا... إلخ.

وليس المقصود بكلمة «مادة»، أن يوصف النص الأصلي بأنه «مادة خام»، فبالرغم من أن بعض أشكال التدوين والتأليف المبكر كانت أشبه بالمادة الخام من البيانات والمعلومات والأفكار والروايات المختلطة، فإن كثيرًا من النصوص المحركة للتأليف النصِّي، والتي تم تشغيلها، لم تكن خامًا وإنما كانت إبداعًا متقنًا في صنعة التأليف والتفكير والعلم

والتعليم. والمقصود إذن بكلمة مادة، الإشارة إلى النص: المصدر الغني والرصيد المتاح والثروة الملهمة، سواء لإنمائها، أو حسن توجيهها، أو تكثيفها واختزانها في حيز ضيق، حتى تصبح مما يخف حمله ويتغالى ثمنه. وسوف نشهد شيئًا من ذلك في تلخيص بعض النصوص.

ولقد تواردت في خاطري في مراحل البحث توائم أخرى لكلمة «تشغيل» النص، كانت مقترحة لتمثيل المعنى المقصود بوجه أو بآخر، لعل في عرضها ما يجلو المعنى المقصود، فقد كان من هذه الكلمات: **تصنيع النص**، وقد جرى لفظ **التصنيع** من قبل على أقلام بعض الكُتَّاب في مجال معنوي مثل «**تصنيع الأفكار**»، وكذلك كانت كلمة «**التصرف في النص**»، و«**تغيير بنية النص**»، و«**السيطرة على النص**».

وقد امتازت كلمة **تشغيل النص** وفَضَلَتْ على غيرها؛ لأنها أقرب إلى الارتباط باسم الفاعل المشتغل بالنص، بينما نجد لفظ «تصنيع» النص أقرب إلى الارتباط «بصانع النص» (أي: المؤلف)، وليس بالمشتغل بالنص في مرحلة تالية لظهوره، كما أن لفظ «التصرف» في النص، قد يوحي بتصرف بلاغي في النص، وهو ما يبعد عن إطار البحث، كما أنه ليس من المضمون دائمًا أن يكون التأليف التالي مسيطرًا، فقد يشتغل بالنص من لا يكون أهلًا له.

ولعل الأوجه المتعددة في المباحث التالية عن تشغيل النص، تجسِّد ملامحه وتحدد أبعاده. . . .

المبحث الأول

تلخيص النص

تعريف التلخيص:

يُعرف التلخيص على نطاق واسع في مجال التأليف العربي، وقلّما تُرك نص من النصوص القديمة المهمة بغير أن يلخص أكثر من مرة، وكان المؤلف نفسه أحيانًا يلخص بعض كتبه.

والتلخيص نوع من التصرف في النص الأصلي، وهو عمل حيوي مضمون الرواج طالما كان متمشيًا مع قانون أساسي في السلوك الإنساني هو **قانون اقتصاد الجهد**[1] أو أقل الجهود، ومع حاجة أساسية في النظام التعليمي وهي توفير نصوص يمكن حفظها، كما أن بعض المؤلفين قام بعمل تلخيصات لكتب كثيرة من أجل نفسه أساسًا، ثم أفادت الآخرين بعد ذلك.

وتبدو نزعة التلخيص ـ أحيانًا ـ في مواقف الأجيال التالية تجاه تراث الأجيال السابقة، يعبر عن ذلك الإمام العتابي (ـ ٤٨٦هـ)، عندما يتحدث عن أهل عصره فيقول: «ولاختصار هممهم، اختاروا المختصر

---

(١) قانون اقتصاد الجهد Law of parcimony: المبدأ القائل بأن الطبيعة تسلك أقصر السبل بأقل جهد، وكذلك يميل الإنسان إلى بذل أقل جهد لتحقيق الغاية. انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٩م، ص١٤٥.

في كل شيء»[1].

ولعل التلخيص هو الحل العملي في بعض الأحيان، إزاء تراكم المعرفة، وعدم إمكانية التعامل مع النصوص الأصلية، حتى ولو نشطت الهمم لدى طلاب العلم والمعرفة. ومن الطبيعي أن يزداد الاتكاء على المختصرات عندما **تنقص الهمم** في عصر أو مجتمع معين.

ويمكن أن يكون التلخيص واحدًا من فنون البلاغة، حيث نجد تعريفًا للتلخيص وخصائصه ووظائفه، ويذكر أبو هلال العسكري (ـ ٣٩٥هـ) عن بعض الأوائل قولهم: «تلخيص المعاني رفق»[2]، كما يعرِّف الإيجاز بأنه «قصور البلاغة على الحقيقة»[3]. وبأنه «يقوم على القصر والحذف، فأما القصر فهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني، وأما الحذف فله فنون بلاغية كثيرة...»[4]. أما الإطناب، وهو عكس الإيجاز، «فهو مطلوب عند الإحاطة بالمعاني بالاستقصاء... والإيجاز في البلاغة للخواص، أما الإطناب فهو للخاصة والعامة، ولكل من الإيجاز والإطناب وضع»[5].

ويُعرِّف ابن مسعود التلخيص بأنه «**إيراد الأصول وحذف الفضول**»[6]. أما ابن عبد البر، فيعتبره «**اكتفاء بالدرر والفرائد**»[7]. وحينما نقترب

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ٩٦٣.

(٢) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧١م، ص٩.

(٣) المرجع السابق، ص١٧٩.

(٤) المرجع السابق، ص١٨١ ـ ١٨٧.

(٥) المرجع السابق، ص١٩٦.

(٦) ابن مسعود، أبو الخير زيد بن رفاعة (ـ ق٣هـ)، جوامع إصلاح المنطق لابن السكيت، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٤هـ، ص٣.

(٧) ابن عبد البر القرطبي، جمال الدين أبو عمر يوسف النمري (ـ ٤٦٣هـ)، الدرر =

من تعريف التلخيص من زاوية التأليف، نجد ابن خلدون يعرِّفه بأنه «تدوين برنامج مختصر في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن»[١]. كما يعرِّف حاجي خليفة المختصرات من زاوية استخدامية، بأنها: «تُجعل تذكِرةً لرؤوس المسائل، ينتفع بها المُنتَهِي للاستحضار، وربما أفادت بعض المبتدئين الأذكياء لسرعة هجومهم على المعاني من العبارات الدقيقة»[٢].

ويُعرّف الاتحاد الأمريكي للمكتبات التلخيص abridgment بأنه تحويل نص مكتوب إلى شكل مختصر Shortened version، تم خلاله التكثيف condensation[٣] والحذف omission مع الحفاظ على المعنى العام، وعلى طريقة العرض المستخدمة في الأصل. وغالبًا ما يُعِد التلخيصَ شخصٌ غير مؤلف النص الأصلي، ويستخدم التلخيص أحيانًا؛ كمرادف للمصطلحات التالية:

abstract . . . . **(المستخلَص)**

compendium . . . . **(المُجْمَل الوافي)**[٤]

= في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص١٢.

(١) ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن محمد (ـ ٨٠٨هـ) المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر... مج٢، ص١٢٤٢.

(٢) كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٣٥.

(٣) يعطي مجدي وهبة كلمة التلخيص كمقابل لكلمة (Condensation)، لتعني: «تقديم خلاصة لكتاب مطول يقدم بطريقة مشوقة مستوعبة جميع العناصر المهمة في الأصل».

انظر:

Magdi Wahba. A dictionary of literary terms... p84.

(٤) المقابل العربي لهذا المصطلح ولبقية المصطلحات التالية، مأخوذ من المرجع السابق، حسب تسلسل الإرجاعات. (انظر: Ibid, p81).

digest .... (الخلاصة)[1]

epitome .... (الملخص، الموجز، الزُّبدة)[2]

synopsis .... (المُجمَل)[3]

وكل هذه المصطلحات تعني تلخيص نص أطول، رغم وجود اختلافات في مفهومها[4].

ومن المهم الإشارة إلى دقة التعريفات العربية القديمة للتلخيص، وتركيزها على أهم الأدوار والقيم المطلوبة في التلخيص، وهي:

١ ـ الرفق بالمتلقي (القارئ).

٢ ـ الاقتصار على الحقائق والأصول والدرر.

٣ ـ الحذف.

٤ ـ قلة الألفاظ وكثرة المعاني.

٥ ـ التذكرة برؤوس المعاني.

بينما يضيف تعريف A.L.A الأدوار والقيم التالية:

٦ ـ الحفاظ على طريقة العرض المستخدمة في الأصل.

٧ ـ الدور الذي يقوم به غير مؤلف النص الأصلي في التلخيص.

وفي اللغة العربية، نجد عدة كلمات متقاربة في المعنى، تدل على الاختصار والمختصرات، وهي[5]:

---

(١) Ibid, p122.

(٢) Ibid, p146.

(٣) Ibid, p558.

(٤) The ALA glossary... p1. (abridgment).

(٥) لم يتح إيجاد فروق بين المختصر والموجز والملخص في مجال التأليف، وفي ما يلي تعريف بالمعاني اللغوية لهذه الكلمات:

أ ـ **الاختصار**: من «خَصَر»، اختصار الكلام إيجازه، وهو أن تحذف الفضول =

الاختصار: (ومنها: المختصر).

الإيجـاز: (ومنها: الموجز والوجيز).

التلخيص: (ومنها: الملخص).

والتلخيص أو التحويل المكثف للنص، قد ينطوي على التضحية بكثير مما يوجد في النص الأصلي من أمثلة ومناقشات، وأوجه للخلاف في الرأي، كما يقوم على التضحية بالظلال الموضِّحة للمعنى من أساليب البلاغة وجماليات التعبير في النص الأصلي، وقد توجد في النص المطول درجات متعددة من الحكم على الأشياء، وعند التلخيص قد يُخْتزل ذلك في درجات صارخة من الرفض والقبول، أو الاستهجان والاستحسان، حيث يبدو تكثيف المعاني في التلخيص شبيهًا بتكثيف الألوان.

= من كل شيء، وأن تستوجز (تسرع) بما يأتي على المعنى، وكذلك الاختصار في الطريق.

ب ـ **الإيجـاز**: وجَز الكلام: قلّ في بلاغة. وأوجزه: اختصره، وقال ابن سيده: بين الإيجاز والاختصار فرق منطقي... وأمرٌ وَجْز وواجِز ووجيز وموجَز وموجِز.

ج ـ **التلخيص**: من لخَص، والتلخيص: التقريب والاختصار، والاقتصار في القول. (وهناك معنى آخر للتلخيص مخالف تمامًا للشائع، ومخالف لمعناه في هذا البحث، وهو: التبيين والشرح).

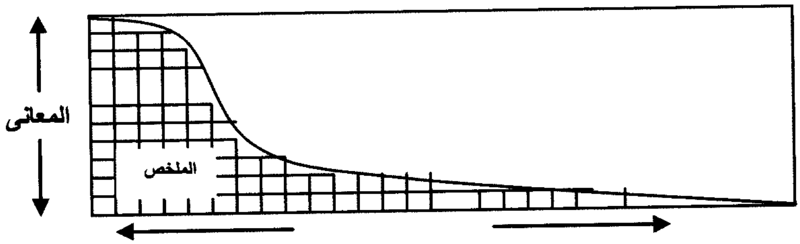
د ـ ويستخدم لفظ المُقتَصر للدلالة على المُخْتَصَر، وهو من الاقتصار.

هـ ـ وهناك لفظ يبدو قريبًا من الألفاظ السابقة، وهو الإجمال والمجمل: «جَمَل الشيء: جمعه، وأجمل الشيء: جمعه عن تفرقة، وأُجمل الحساب: إذا جمعت آحاده وكملت أفراده؛ أي: أحصوا وجمعوا فلا يزاد فيهم ولا ينقص». وهذا اللفظ أنسب في مجالات أخرى من التأليف عندما يقصد به حصر المفردات، وإن كان الإجمال أحيانًا يعني: المعالجة الموجزة. (المؤلف)

انظر: ابن منظور، لسان العرب، المواد التالية: (خَصَرَ)، (وَجَزَ)، (لخَصَ)، (جَمَل).

حجم التلخيص (ونسبته إلى الأصل):

وتنطوي بنية التلخيص على نوع من الإخلال بالتوازن بين «**حجم المعاني**» و«**كم**» **الألفاظ**، وهذه العلاقة تمثل ما يمكن أن نسمِّيه بـ«**الخصيصة الحرجة**» في عملية التلخيص، أو **اللحظة الفاصلة** critical moment بين الإقلال والإخلال، فإذا تصورنا - في نموذج مثالي - احتواء التلخيص على أكبر قدر ممكن من معاني النص الأصلي، في أقل قدر ممكن من الألفاظ، فيمكن أن نصور العلاقة بينهما في الشكل التالي:



شكل (٣٠) الألفاظ

وكانت الملخصات في العصور المبكرة من التأليف العربي تحقق توازنًا معقولًا بين العبارات والمعاني، ولكنها في العصور التالية حرصت على استيعاب المطولات في متون تلخيصية مكثفة فجاءت عسيرة الفهم واحتاجت إلى شروحٍ وحواشٍ[(١)].

ولم يكن هناك تحديد صارم لحجم التلخيص بالنسبة للنص الأصلي، ولكن الشواهد المختلفة تدلنا على أن نسبة التلخيص كانت تتراوح **بين رُبْع** النص الأصلي، أو **ثلثه**، وأحيانًا كان التلخيص يبلغ **الثلثين**. وربما كان ذلك راجعًا إلى طبيعة الموضوع أو العلم الذي

(١) هادي نهر (محقق) «مقدمته» في (شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، بغداد، الجامعة المستنصرية، ١٩٧٧م، ١/ ٢٦ - ٢٨).

يعالجه النص الأصلي المطول، أو طبيعة النص نفسه وما يمكن اختصاره منه بغير إخلال بالمعاني، بالإضافة إلى رؤية مؤلف التلخيص نفسه[1].

تلخيص التلخيص (المختصَر):

استخدم حاجي خليفه كلمة «مختصر» لتعني (تلخيص التلخيص)، ومثال ذلك قوله: وللتلخيص مختصرات منها:

أ ـ «تلخيص التلخيص»، للتوقاتي (ـ ٩٠٠هـ)[2]، وهو مختصر لتلخيص «المفتاح» للقزويني (ـ ٧٣٩هـ).

ب ـ و«مختصر التبريزي» (ـ ٦٢١هـ) (في فروع الشافعية). وقد لخصه من «الوجيز»[3].

ولكن كلمة «المختصر» استخدمت ـ أيضًا ـ في عناوين أخرى بغير هذه الدلالة المحددة، فقد تعني تلخيص نص مطول (في إطار تدريج النص)، وقد تعني التأليف المختصر منذ البداية، مثل «المختصر في النحو»[4].

أبعاد الجهد العلمي في صنعة التلخيص

يتسم التلخيص في بعض الأحيان بخصائص وميزات مهمة، كنشاط تأليفي، وتتوقف قيمة التلخيص على مهارة صانعه، وعلى المزايا التي

---

(١) انظر:
أ ـ كشف الظنون، ٢/ ١٦٢٩.
ب ـ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن: الذيل على رفع الإصر، ص٢٠.
ج ـ وقد اختصر البستاني معجمه (الوسيط) إلى الثلث وسمَّاه: (قَطْر المحيط).

(٢) كشف الظنون، ١/ ٤٧٨.

(٣) كشف الظنون، ٢/ ١٦٢٦.

(٤) كشف الظنون، ٢/ ١٦٣٠.

يحققها، وقد نجد عدة تلخيصات لنص واحد، يتألق بعضها ويخبو البعض الآخر، وفي ما يلي أبعاد الجهد العلمي في التلخيص:

أولًا: تركيب الجهود العلمية في التلخيص وتداخلها:

كانت صنعة التلخيص في بعض الأحيان تشمل جهودًا علمية مركبة، كما تأسست لها خلفيات منهجية عرفها التأليف العربي، وقد تبدت في نماذج التلخيص نفسها إلى جانب حديث بعض المؤلفين عنها، مثل حاجي خليفة (ـ ١٠٦٧هـ)[1]، والقنوجي (ـ ١٣٠٧هـ)[2]. ويحسن أن نتعرف على نماذج معينة من التلخيص، توضح تركيب هذه الجهود وتداخلها، **كما يلي**:

* نموذج الخطيب القزويني (خطيب دمشق):

قام القزويني (ـ ٧٣٩هـ)، بتلخيص القسم الثالث من كتاب «مفتاح العلوم»، للسكاكي (ـ ٦٢٦هـ) وسمَّى القزويني كتابه: «تلخيص المفتاح في المعاني والبيان»، وقد فاق هذا التلخيص ما سبقه من تلخيصات للنص نفسه، وصار كأصله وكُتبت عليه شروح[3]. ويوضح شوقي ضيف طبيعة الجهد العلمي في تلخيص القزويني في ما يلي:

١ ـ حسن العبارة.

٢ ـ وضوح الدلالة ودقة الإشارة، ووضع تعريفات أكثر دقة ووضوحًا، وطرح بعض التعريفات الملتوية.

٣ ـ الإخلاء من التعقيد.

---

(١) انظر: كشف الظنون، مقدمة حاجي خليفة، ١/ ٣٥.

(٢) انظر: القنوجي، (صديق بن حسن (ـ ١٣٠٧هـ))، أبجد العلوم، ١/ ٢٠٩ ـ ٢١١.

(٣) كشف الظنون، ١/ ٤٧٣.

٤ ـ إبداء الرأي ومناقشة مؤلف النص الأصلي.

٥ ـ التخلص من الحشو والاكتفاء بالضروري من الأمثلة والشواهد.

٦ ـ اختصار اللفظ مع عدم المبالغة في ذلك.

٧ ـ إعادة ترتيب النص.

٨ ـ تسهيل الفهم.

٩ ـ إضافة فوائد من كتب أخرى، والاستنارة بمراجع أخرى في الموضوع لإنجاز التلخيص.

١٠ ـ إضافة زوائد من عنده.

١١ ـ الاستهداء بنماذج من الملخصات السابقة عليه للنص نفسه[١].

ورغم ذلك يرى شوقي ضيف أن القزويني أجمل علوم البلاغة إلى أبعد حدود الإجمال والاختصار، حتى تحول في أكثر جوانبه إلى ما يشبه الأحاجي والألغاز[٢]. ولعل ذلك يرجع إلى «**الخصيصة الحرجة**» التي سبق توضيحها في طبيعة التلخيص والعلاقة بين الأفكار والألفاظ.

ومن جهد القزويني في التلخيص السابق، يتبين أنه سعى إلى احتواء الأفكار الواردة في النص الأصلي، إلى جانب اهتمامه بتيسير الألفاظ، واستكمال ما ارتآه ناقصًا. ونكاد نرى أن عمل القزويني قد تجاوز مجرد التلخيص، ليصبح: «تأليف ما سبق تأليفُه»؛ ولذلك عُومل تلخيصه هذا في ما بعد كنص أصلي قامت عليه الشروح وغيرها.

---

(١) شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص٣٣٥ ـ ٣٣٦، (٣٨١ص) (مع شيء من الاختصار والتصرف).

(٢) شوقي ضيف، النقد، ط٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص١٢٨.

**** نموذج الذهبي:**

كان الذهبي (ـ ٧٤٨هـ) غزير الإنتاج في أشكال التأليف المختلفة، ومن بينها **التلخيص**، وقد اتسمت جهوده في التلخيص ـ أيضًا ـ بتعدد أبعادها، وقد أمكن حصر الأبعاد التالية من دراسة بعض تلخيصاته(١):

١ ـ الاختصار.

٢ ـ التحقيق والتدقيق والتقصي.

٣ ـ النقد والتعليق والمقارنة.

٤ ـ التصحيح.

٥ ـ الإضافة والاستدراك.

٦ ـ إعادة التنظيم والترتيب.

٧ ـ تخريج الأحاديث النبوية.

***** نموذج أبي حيان:**

يختلف عن المثالين السابقين، نموذج آخر هو تلخيص أبي حيان النحوي الغرناطي (ـ ٧٤٥هـ) لكتاب «التقريب» الذي ألفه أستاذه ابن عصفور (ـ ٦٦٩هـ)، «ففي هذا التلخيص وعنوانه «تقريب التقريب»، اهتم أبو حيان بما يلي:

١ ـ توضيح العبارات.

٢ ـ حذف التعليل والتمثيل.

٣ ـ حذف بعض الأبواب.

٤ ـ إعادة الترتيب ودمج بعض الأبواب.

ولكنَّ أبا حيان امتنع عن إصلاح ما وهن في النص الأصلي، ولم يستدرك على ما أهمله ابن عصفور من مسائل ضرورية أو مشهورة؛ لأنه

---

(١) انظر: بشار عواد معروف، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٦م، ص١١١ ـ ١١٥، ١٣٢.

كان يلخص النص إلى ربع حجمه، ولم يكن يؤلفه»[1].

ثانيًا: تحليل عناصر الجهد العلمي في التلخيص:

من النماذج السابقة، يتضح أن التلخيص هو أكثر من مجرد اختصار اللفظ وإبقاء المعنى، وأنه في بعض الحالات اشتغال كامل بالنص الأصلي وجهد تأليفي واسع، يضيف إلى التلخيص أحيانًا عمليات تأليفية مكملة كالتذييل والاستدراك وغيرهما.

ومن الضروري تحليل الجهد العلمي في التلخيص إلى عناصر وعمليات مفردة. سواء بالنظرة التحليلية إلى النماذج السابقة أو بالاستعانة بنماذج أخرى من التلخيص، في ما يلي:

ملحوظة: عند ذكر بعض العناصر السابق ورودها في النماذج السابقة سوف تميز بالعلامات التالية: **(*) لما ورد في نموذج القزويني.** **(**) لما ورد في نموذج الذهبي.** **(***) لما ورد في نموذج أبي حيان.**

١ ـ اختصار اللفظ (*) (**).

٢ ـ تمثيل **المعاني الموجودة بالنص**، أو «**موازاة المعنى**»، وذلك هو المفترض نظريًّا في التلخيص، «بحيث لا يزيد ولا ينقص عما جاء في الأصل من المعاني»[2]، وقد اتبع ابن الأثير الجَزَري هذا المنهج بدقة

---

(١) عفيف عبد الرحمٰن (محقق)، «مقدمته» في (تقريب التقريب، لأبي حيان النحوي، بيروت، دار المسيرة ١٩٨٢م، ص٢٦ ـ ٢٧).

(٢) كما يرى مجدي وهبة في تعريف الموجز، وقد أورد مثالًا لذلك: الموجز في القانون، لابن النفيس المصري (ـ ٨١٦هـ)، الذي اختصره من «القانون، لابن سينا».
انظر: Magdi Wahba. Op. Cit. p1 (abridgment).

عندما لخص كتاب «الأنساب»، للسمعاني، فقد حافظ تمامًا على المعاني الواردة بالأصل حتى لو كان يرى ويعرف ما يخالفها، وعبَّر عن ذلك بقوله: «إنني اتبعت المصنِّف (يقصد السمعاني)، في كلامه الذي أنقله لا أغيره حتى إنه ينقل الشيء على الشك وأَعلَمُه يقينًا فأنقلُه على الشك، ويَذكُر الشيء متيقنًا وأنا أشك فيه فأنقله على يقينه، ويذكر في الترجمة إنسانًا غيرُه أولى بالذكر منه، وربما كان بعضَ من أدركناه، فأتركُ ما عندي لما ذَكَرَه»[1].

٣ ـ **حذف أشياء من النص**: وقد يشمل الحذف شيئًا مما يلي:

أ ـ الحشوَ والتطويلَ (*)، وقد يشمل ذلك ما يتخطاه الزمن أو يأباه العقل والمنطق في نصوص السابقين.

ب ـ الأمثلةَ والشواهدَ والتعليل والتمثيل إلا للضرورة (*) (***).

ج ـ بعضَ الأبواب، فقد اقتصر القزويني على القسم الثالث من كتاب السكاكي (*)، وحذف أبو حيان بعض الأبواب من كتاب ابن عصفور (***).

د ـ التعريفات الغامضة (*).

هـ ـ التكرار[2].

٤ ـ **الاهتمام بالأسلوب**، ويشمل ذلك:

ـ حسن العبارة (*)، أو حسن التقرير بأسلوب موجز، كما يشير القنوجي[3].

---

(١) ابن الأثير الجزري، عز الدين، اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، (د.ت)، المقدمة، ١/ ٩.

(٢) انظر: مختصر صحيح البخاري بعنوان: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، للشرحي الزبيدي (ـ ٨٩٣هـ). (كشف الظنون ١/ ٥٥٤).

(٣) القنوجي، أبجد العلوم، ١/ ٢١٠.

ـ التبسيط «والإخلاء من التعقيد» (*)، و«الترجمة[1] بلغة الطالبين»[2]؛ أي: مراعاة مستوى القراء المقصودين بالتلخيص.

٥ ـ التوضيح، ويشمل:

أ ـ وضع تعريفات أكثر دقة ووضوحًا (*).

ب ـ تسهيل الفهم (*).

ج ـ بيان المهم من وجوه (وجهات) النظر[3].

د ـ «تعريف (الملتبس) من التوجيهات والتعليلات والأقوال»[4]

هـ ـ «تقريب الأدلة بتصريح المطويات»[5].

و ـ تصور المسألة بتمثيل (في ما يتعلق بالقواعد) وتشكيل (في ما يتعلق بالشكل، كالهندسة والهيئة وغيرها)»[6].

٦ ـ النقد والمقارنة، ويشمل ذلك:

أ ـ إبداء الرأي ومناقشة مؤلف النص الأصلي (*).

ب ـ التعليق والمقارنة (**).

ج ـ «الترجيح بين التوجيهات وإبداء الأسلم والأقرب منها»[7].

٧ ـ التصحيح «وضبط المُشْكِل»[8] (*).

٨ ـ التحقيق والتدقيق والتقصي (**)، وهو عمل علمي شاق يتشعَّب في مسارات كثيرة ومباحث وموضوعات متعددة، لضبط وتحقيق

---

(١) ترجم كلامه؛ أي: فسَّره بلسان آخر. انظر: (لسان العرب، مادة: (رجم)).

(٢) القنوجي، المرجع السابق، ١/ ٢١٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق، ١/ ٢١٠.

(٨) المرجع السابق، ١/ ٢٠٩.

مسائل لغوية أو فقهية أو تاريخية أو غيرها. ويستلزم ذلك «الاستنارة بمراجع أخرى في الموضوع» (*) أو استطلاع آراء العلماء.

ويدخل في هذا المجال تخريج الأحاديث النبوية في بعض النصوص (**).

٩ ـ إعادة ترتيب النص (*) (**)، وقد شمل ذلك بعض الأوجه التالية:

- دمج بعض الأبواب (***).
- جمع ما تفرق في الأبواب[١]، أو «تلخيص المشتت»[٢] بتعبير القنوجي، (أي: تقريب المشتت).

١٠ ـ «الاستهداء بنماذج أخرى من ملخصات سابقة للنص نفسه» (*) **وهو ما** يشار إليه في هذا البحث باصطلاح النمذجة[٣].

تداخل التلخيص مع أشكال أخرى من التأليف

كان تلخيص نصٍّ معين يمثل في بعض الأحيان نقطة ارتكاز لتأليف نصوص جديدة تدخل تحت أشكال أخرى من التأليف، **ومن هذه الحالات:**

أولًا: الجمع بين التلخيص والنَّظْم:

عرف التأليف العربي كثيرًا من المنظومات الشعرية التي كان يُصاغ فيها علم من العلوم في شكل أرجوزة أو أَلفيَّة، أو يُحوَّل اليها كتاب

(١) انظر كمثال لجمع ما تفرق في الأبواب: مختصر الشرحي الزبيدي (ـ ٨٩٣هـ) لصحيح البخاري بعنوان: «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح». كشف الظنون، ١/ ٥٥٤.

(٢) القنوجي، المرجع السابق، ١/ ٢١١.

(٣) انظر: نمذجة النص، ص٣٧٦.

منثور ليصبح منظومة قابلة للحفظ، وكثير من المنظومات كانت تتصف بالإيجاز والاختصار لحفظها ثم تشرح للتلاميذ بعد ذلك في مراحل الدراسة المتقدمة، وما يهمنا هنا هو الإشارة إلى أن التلخيص وثيق الارتباط بالنَّظْم، وسوف يُعالج نَظْمُ النصوص أو ترجيزها في مبحث مستقل من هذا الكتاب.

ثانيًا: الجمع بين التلخيص والتذييل:

التذييل فن قائم بذاته من فنون التأليف، ومن أهم وظائفه أنه يأتي بعد نص معين ليكمل التغطية بعده، فإذا كان النص الأصلي تاريخيًّا على سبيل المثال، ويغطي الوقائع حتى سنة معينة تعتبر **تاريخ الإغلاق** للنص السابق، فإن التذييل يعتبر تأليفًا جديدًا يبدأ في تغطية الوقائع بعد هذا التاريخ وحتى تاريخ آخر جديد. ومن المفروض أن تغطية المعلومات في الذيل تبدأ مباشرة من **تاريخ الافتتاح**، ولكن بعض المؤلفين حرصوا على أن يجمعوا بين النص الأصلي والتذييل عليه، في عمل واحد. وكان أحد الحلول العملية أن يلخص النص الأصلي، وبعد التلخيص يبدأ التذييل وهو تأليف جديد مكمل.

ومن أمثلة ذلك:

١ ـ «تتمة المختصر في أخبار البشر»، لابن الوردي (ـ ٧٥٠هـ):

أ ـ اختصر النص الأصلي، وهو: المختصر في أخبار البشر، لإسماعيل الأيوبي (صاحب حماة) (٧٣٢هـ)، والذي يغطي حتى سنة (٧٠٩هـ).

ب ـ قام بالتذييل بعد تاريخ الإغلاق السابق، ووصل إلى سنة (٧٤٩هـ)»[١].

---

(١) انظر: كشف الظنون، ٢/١٦٢٩.

٢ ـ «مختصر ابن الشحنة الحلبي (ـ ٨١٥هـ) (للمختصر في أخبار البشر، لصاحب حماة) أيضًا، وقد أضاف ابن الشحنة إلى المختصر تذييلًا إلى زمانه»[١].

ثالثًا: امتزاج التلخيص بالإضافة والاستدراك:

كانت الزيادة على ما ورد في النص الأصلي، والاستدراك على ما فاته شكلًا آخر من أشكال التأليف المتداخل مع تلخيص النص الأصلي.

وفي هذه الدراسة يتم التمييز بين التذييل من ناحية، والإضافة والاستدراك من ناحية أخرى؛ لأن ما يضاف أو يستدرك به على النص الأصلي، يندمج معه في كيان واحد، عندما يرى المؤلف الجديد نقصًا في النص الأصلي، بينما يتميز الذيل بأنه مستقل متميز المعالم، ويبدأ التغطية من تاريخ افتتاح معين، يتلو تاريخ إغلاق النص الملخص[٢].

وقد اشتملت نماذج التلخيص الثلاثة السابقة، على بعض مظاهر الإضافة والاستدراك، حيث يمكن تمييز العناصر التالية:

١ ـ إضافة فوائد من كتب أخرى[٣].

٢ ـ إضافة زوائد من عند القائم بالتلخيص[٤].

٣ ـ استدراك ما فات مؤلف النص الأصلي[٥].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: المستدركات والذيول، في الفصل التاسع، المبحث الأول والمبحث الثاني، ٣٤٨، ٣٥٥ في هذا الكتاب.

(٣) انظر: نموذج القزويني.

(٤) انظر: نموذج الذهبي.

(٥) انظر: نموذج أبي حيان.

وقد تكون الإضافة والاستدراك في حدود قليلة هينة، وقد تزداد وتتسع حتى ليصبح التلخيص أحيانًا «**أكمل من الأصل**»، كما نرى في تقييم ابن خلكان للتلخيص المسمَّى:

ـ «**اللُّباب**»، لابن الأثير الجزري (ـ ٦٣٠هـ)، الذي لخص فيه كتاب «الأنساب»، للسمعاني (ـ ٥٦٢هـ)، وكان كتاب السمعاني في ثماني مجلدات، بينما يصل التلخيص مع الزيادة والاستدراك إلى ثلاثة مجلدات»[(١)].

ـ «وكذلك قام السيوطي (ـ ٩١١هـ) بالاستدراك والزيادة على ملخص ابن الأثير «اللباب» السابق ذكره، عندما قام بتلخيص التلخيص، في كتابه «لب اللباب في تلخيص الأنساب»[(٢)].

ـ وقام الذهبي باختصار كتاب «أُسْد الغابة في معرفة الصحابة»، لابن الأثير (ـ ٦٣٠هـ) ثم زاد عليه من عدة مصادر، هي: «تاريخ دمشق»، و«مسند أحمد»، و«حواشي الاستيعاب»، و«طبقات ابن سعد»، ومن شعراء الصحابة الذين دوَّنهم ابن سيد الناس، وخرج الذهبي من ذلك بكتاب جديد بعنوان: **تجريد أسماء الصحابة**[(٣)].

ـ ولخص حاجي خليفة كتاب «تاريخ الجنابي» للمولى مصطفى الرومي (ـ ٩٩٩هـ)، وكان يحتوي على تاريخ اثنتين وثمانين دولة، ويجمع ملوك العالم، وزاد حاجي خليفة على هذا التلخيص إلى مئة وخمسين دولة، (أي: أنه أضاف ثمان وستين دولة)، وجمع بين التلخيص والزيادة في كتابه المسمَّى بـ«**الفذلكة**»[(٤)].

---

(١) كشف الظنون، ١/ ١٧٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ١/ ٨٢، وانظر: الجزء الخاص بإدماج النصوص، ص٣٩٧ بهذا الكتاب.

(٤) انظر: كشف الظنون، ١/ ٢٩١.

- وقد يمتزج التلخيص أحيانًا بإضافة وعرض آراء المفسرين السابقين للنص، مع مناقشة الآراء والترجيح بينها، مثلما فعل ابن رشد في تلخيصه لبعض كتب أرسطو[1].

رابعًا: بناء كتاب جديد على التلخيص:

اتُّخذ التلخيص في بعض الأحيان، كنواة لبناء كتاب جديد، فقد لخصت «**مقدمة ابن خلدون**» تلخيصًا محكمًا وأدمجت في كتاب جديد يُعد مكملًا لها، وهو: «**بدائع السلك في طبائع الملك**»، لابن الأزرق الغرناطي (ـ ٨٩٦هـ)[2].

خامسًا: ارتباط التلخيص بالتهذيب:

توجد بين التلخيص والتهذيب علاقة وثيقة، سوف يتم توضيح أبعادها عند معالجة موضوع التهذيب بالكتاب.

النصوص الملائمة وغير الملائمة للتلخيص:

يمثل التلخيص مدرسة متطورة في التأليف العربي، تم فيه تكثيف واختزال رموز الاتصال من الكلمات والجمل، وقد تأثرت بالتلخيص جوانب جمالية مصاحبة للسياق العام للنص، فتغلَّب طابع الوظيفية الجاف على النص وأصبح النص يتسم بالصلابة، وربما فقدت النصوص المختصرة كثيرًا من خواص الإيحاء والبذرية التي تكمن في النص الأصلي.

---

(١) عبد الكريم اليافي «مكانة ابن رشد في تاريخ المعرفة الإنسانية»، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ع١، (يونيو/حزيران ١٩٨٤م)، ص٩٥.

(٢) محمد عبد الكريم (محقق)، «مقدمته» في (بدائع السلك في طبائع الملك، لابن الأزرق الغرناطي، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م، ١/ ٦).

وقد شمل التلخيص نصوصًا في معظم فروع المعرفة؛ كاللغة والفقه والفلسفة والرياضيات والطب. . . إلخ.

ولكنَّ هناك نصوصًا **لا تقبل التلخيص بطبيعتها**؛ لأن النص في هذه الحالة يمثل **قيمة** في حد ذاته، وله خصوصيته التي لا تسمح بالتصرف في بِنْيته الأصلية. **فالنصوص الدينية** المقدسة، **والأشعار والقصص** على سبيل المثال، لا يجدي معها سوى التعامل مع الأفكار بمصاحبة النص الأصلي. فليس من المقبول فنيًا أو أدبيًا أن يلخص نص أدبي، ولكن الممكن هو «**عرض**» الخط الرئيسي للعمل الأدبي أو حبكته الأدبية.

وإذا كان من الممكن تقبل التلخيص (كنص وظيفي) مجهز بصورة أو بأخرى ليكون بديلًا عن «نص وظيفي آخر» وهو النص الأصلي الذي تم تلخيصه، فإن شيئًا كذلك، غير ممكن ولا مستساغ بالنسبة لنص له خصائصه المقدسة أو التشريعية أو الجمالية في إطار «سياق» context[1]، يضمن للنص هذه الخصائص، أو في إطار جنس أدبي معين كالشعر أو القصة. . . إلخ. وعندما تلخص أفكار قصيدة أو قصة، لا يعتبر ذلك عملًا أدبيًا، بخلاف تلخيص كتاب في التاريخ مثلًا، حيث يعتبر كل من الأصل والتلخيص في مجال التاريخ.

ومن الممكن في النصوص الوظيفية العلمية والتعليمية أن يظهر التلخيص «كبديل» للنص الأصلي، ولكن أقصى ما يمكن بالنسبة للنص المقدس أو التشريعي أو الأدبي هو تقديم «**وسيط**» للأفكار الرئيسة، سواء بالتعريف المبدئي بها أو بخدمة النص الأصلي عن طريق شرحه أو إيجاد المفاتيح والكشافات التحليلية الموصلة إليه. ومن الممكن تفسير العمل الأدبي أو نقده أو التعليق عليه أو تحليله. ولكنَّ أحدًا لا يستطيع أن ينشئ تلخيصًا «أدبيًّا» لعمل أدبي يكون بديلًا عنه.

---

(١) Magdi Wahba. Op. cit. p89 (context).

نسبة التلخيص إلى المؤلفين

وإذا نظرنا إلى التلخيص كنشاط تأليفي، **نلاحظ**:

١ ـ أن التلخيص يُنسب إلى القائم به كعمل تأليفي جديد.

٢ ـ أن بعض النصوص ينشأ موجزًا منذ بداية تأليفه، ويعتبر في هذه الحالة نصًّا أصليًّا صادرًا عن مؤلفه، وليس تلخيصًا لعمل سابق. وقد فعل ذلك صاعد الأندلسي (ـ ٤٦٢هـ) في كتابه: «طبقات الأمم»[١]، الذي راعى الإيجاز في تأليفه منذ البداية.

٣ ـ أن التلخيص يقوم به في الغالب شخص غير المؤلف، ويمثل ذلك النسبة الغالبة في التلخيص.

٤ ـ أن مؤلف العمل الأصلي يقوم أحيانًا باختصاره بنفسه، إذا كان مطولًا[٢]، كما فعل السخاوي (ـ ٩٠٢هـ) الذي اختصر «فهرس رواياته» إلى ثلث حجمه نظرًا لنقص الهمم[٣] على حد قوله. وقد فعل ذلك كثير من المؤلفين، الذين قاموا بتدريج مؤلفاتهم ما بين وجيز ووسيط ومطول[٤].

٥ ـ أن الخوف من التلخيص كان أحيانًا يؤرق بعض المؤلفين، ولعل بعضهم كان حريصًا على تلخيص كتابه بنفسه، حتى لا يفسده غيره

---

(١) انظر: صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن صاعد الأندلسي (٤٦٢هـ)، طبقات الأمم، تحقيق: حياة بو علوان، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥م.

(٢) قد يوصف المطول أحيانًا بالبسيط أو المبسوط. (المؤلف)

(٣) السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمٰن. الذيل على رفع الإصر، أو بغية العلماء والرواة، تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبح، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت. ص٢٠.

(٤) انظر: تدريج النصوص في الفصل السادس، المبحث الخامس، ص٢٦٣ بهذا الكتاب.

بالتلخيص، ونستشف ذلك من تحذير المسعودي (ـ ٣٤٦هـ) في نهاية كتابه: «مروج الذهب»، «من نقمة الله التي تلحق كل من يحرِّف أو يطمس أو يلبِّس أو يغير أو يبدل أو ينتخب أو **يختصر** أو ينسب الكتاب إلى غيره»[(١)].

ولعل ذلك الخوف له ما يبرره، فالنص قبس من صاحبه، وهو بنيان أبدعه وأودعه ذوبَ إحساسه، ولا يَبْعُدُ أن يُفسدَه غيرُه بالتلخيص، إذا كان غيرَ أَهْلٍ لذلك، أو أن تتحولَ نسبةُ التأليفِ إلى غيره إذا لُخِّص العملُ وأُعطيَ عنوانًا جديدًا وإضافاتٍ وتعديلاتٍ تُبرز التلخيصَ الجديدَ وتُلقِي بالنص الأصلي في زوايا النسيان.

العلاقات الوعائية للمختصرات (التعدد والتشتت والتجميع)

حدث أحيانًا أن تفكَّكت مكوِّنات نصٍّ واحد إلى عدة مختصرات، كما حدث العكس عندما اجتمعت عدة نصوص طويلة في مختصر واحد، وفي ما يلي بعض جهود المؤلفين في هذا المجال:

١ ـ قد يعمد المؤلف إلى واحد من كتبه، فيخرج منه عدة مختصرات كل منها في موضوع معين، مثلما فعل الذهبي في **كتابه «تاريخ الإسلام»**، فقد «اختصر منه مختصرات منها: «**العبر**» و«**سير النبلاء**» و«**طبقات الحفاظ**» و«**طبقات القراء**» وغير ذلك»[(٢)].

٢ ـ قد يقوم المؤلف بتلخيص عدة أعمال له، ويجمع كل التلخيصات في نص واحد.

٣ ـ قد يقوم شخص غير المؤلف، بتلخيص عدة أعمال لمؤلف معين، ويجمع تلخيصاته في نص واحد.

---

(١) المسعودي، علي بن الحسن (٣٤٦)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٣م، ٤/٤٠٩.

(٢) كشف الظنون، ١/٢٩٥.

٤ ـ قد يحظى النص الواحد بعدة تلخيصات يقوم بها أشخاص مختلفون في عصور وبيئات مختلفة، ومن أمثلة ذلك: «تاريخ الإسلام» للذهبي، فقد حدث له الاختصاران التاليان[١]:

أ ـ «مختصر تاريخ الإسلام» للغزي (ـ ٧٩٢هـ).

ب ـ «مختصر تاريخ الإسلام» لابن الجزري (ـ ٨٣٣هـ).

٥ ـ قد تُلخص عدة أعمال لمؤلفين متعددين في موضوع معين، وتوضع التلخيصات في كتاب واحد، مع احتفاظ كل تلخيص بهويته واستقلاله وتمثيله للنص الأصلي.

٦ ـ قد يحدث «تلخيص مزجي» لعدة أعمال، لعدة مؤلفين، وتُستوعب التلخيصات في نص واحد، يُنسب إلى مؤلف «التلخيص»[٢]. وكان ذلك يتم ضمن هدف محدد يعبر عنه إبراهيم بن وهب بقوله: «وجمعت في مواضع منه ما فرَّقوه ليخف بالاختصار حفظه، ويقرب بالجمع والإيضاح فهمه»[٣]، وقد نتج عن ذلك كثير من المؤلفات تُسمَّى بـ **«الجوامع والمتون»**.

ومن هذه الجوامع كتاب: «محبوب الشمائل في كشف المسائل»، للقوشجي (ـ ٨٧٩هـ)، جمع فيه عشرين متنًا كل متن في علم من العلوم.

وعلى مثال هذا الجامع أو نظيره، ألَّف حاجي خليفة (ـ ١٠٦٧هـ):

---

(١) المرجع السابق.

(٢) **ومن أمثلة ذلك:**

المستوعب، للسامري (٦١٠هـ)، جمع فيه ثمانية كتب يغني كتابه عنها جميعًا. انظر: عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان: كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، ط٢، جدة، دار الشروق، ١٩٨٣م، ص٣٧٠.

(٣) من مقدمة البرهان في وجوه البيان، لإسحاق بن إبراهيم بن وهب. انظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ط٦، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص٩٣.

«جامع المتون»، جمع فيه نحو ثلاثين من المتون المشهورة في كل فن، ثم اختار منها اثني عشر متنًا من مختصرات تلك المتون في مجلد أصغر حجمًا سمَّاه: «**مختصر جامع المتون**»[(١)].

مدى اهتمام المؤلفين بالتلخيص

اهتم كثير من المؤلفين العرب بتلخيص النصوص، **وفي هذا المجال نلاحظ ما يلي:**

١ ـ الجمع بين التلخيص والتأليف:

اشتهر كثير من المؤلفين بالجمع بين التلخيص والتأليف، ومن هؤلاء ابن رشد الفيلسوف (ـ ٥٩٥هـ)، الذي تألقت «تلخيصاته القيمة لكتب أرسطو المترجمة وشروحه ومناقشاته وعروضه لهذه الكتب، إلى جانب إنتاجه العلمي الأصيل، الذي ألفه في مجالات مختلفة»[(٢)].

وكانت أغلب مؤلفات ابن منظور (ـ ٧١١هـ) اختصارًا لكتب «الأدب والتاريخ المطولة كالأغاني والعقد والذخيرة ومفردات ابن البيطار، وتاريخ دمشق وربما بلغت مختصراته **خمسمائة** مجلد[(٣)]، كما يذكر السيوطي (ـ ٩١١هـ). وقد ألف ابن منظور «لسان العرب»، جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح وحواشيه والجمهرة والنهاية»[(٤)].

وكان الذهبي (ـ ٧٤٨هـ) مولعًا بالاختصار، ويروى أنه اختصر أكثر

---

(١) انظر نماذج من الجوامع في: كشف الظنون، ١/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣، ٢/ ١٦١١.

(٢) عبد الكريم اليافي، مكانة ابن رشد، ص٩٥ ـ ٩٦.

(٣) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمٰن. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م، ١/ ٢٤٨.

(٤) المرجع السابق.

من خمسين كتابًا[١].

ومن هذه الأمثلة نلاحظ أن التلخيص[٢] كان نشاطًا علميًّا مصاحبًا لنشاط التأليف الأصلي لدى مؤلفين مبدعين؛ مما يدفع إلى الاعتقاد بأن التلخيص يرتبط غالبًا برغبة قوية في تحصيل العلم، وبأنه يُنَمِّي مَلَكات التأليف الأخرى، ويبدو أنه ساعد كثيرًا من المؤلفين على توفير مادة علمية لمؤلفاتهم الأصلية.

٢ ـ التخصُّص في التلخيص:

لوحظ أن بعض الملخِّصين، قد ركز اهتمامه على تلخيص مؤلفات مؤلف معين، ومن هؤلاء الفتح بن علي البنداري (ـ ٦٤٣هـ)، الذي اشتهر باختصاره كتب عماد الدين الأصفهاني (ـ ٥٩٧هـ)، وقد فقدت بعض الأصول وبقي التلخيص، ومن أمثلتها: «سنا البرق الشامي»، وهو مختصر لكتاب «البرق الشامي»، للعماد الأصفهاني[٣]. ولكنه يختلف عن نموذج ابن رشد (ـ ٥٩٥هـ) في علاقته العلمية والإبداعية بمؤلفات أرسطو (٣٢٢ق.م)؛ حيث تناولها ابن رشد من زوايا متعددة كالشرح والتعليق والتلخيص وغير ذلك.

كما نجد نموذجًا آخر للتركيز على مؤلفات مؤلف معين، يتمثل في عبد الرحمٰن بن إسماعيل المعروف بالإقليدي، الذي ألف مختصرات لكتب أرسطو الثمانية في المنطق[٤].

---

(١) بشار عواد معروف، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، ص١١١، ١١٥، ١٣٢.

(٢) وغيره من أشكال الاشتغال بالنصوص كالشرح والتحشية والتذييل... إلخ.

(٣) فتحية النبراوي، (محققة)، «مقدمتها» في (سنا البرق الشامي، مختصر كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني، اختصار الفتح بن علي البنداري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م، ص٢).

(٤) ماجد فخري، (محقق)، «مقدمته» في (رسائل ابن باجه الإلهية، بيروت، =

من العناصر السابقة، ومن دراسة بعض مفردات العينة، **يمكن أن تساق الملاحظات التالية على وظائف التلخيص في التأليف العربي**:

١ ـ حَفِل التلخيص بأشكال متعددة من الجهود العلمية التي بذلها المؤلفون، وتدرج من المحاولة الفردية والموهبة الشخصية حتى وصل إلى فن له أسس وتقاليد من خلال تراكم الخبرات والنماذج، واستطاع التلخيص أن يطوع نفسه بمقدرة في كثير من الأحيان لخدمة الأغراض المنشودة منه.

٢ ـ بالنظر إلى خصائص الجهد العلمي في التلخيص، يمكن القول بأن التلخيص لم يكن دائمًا مجرد اختصار للنص وتقليل من حجمه، مع الاحتفاظ بأكبر قدر من المعاني فحسب، بل كان في بعض الأحيان تطويرًا وتحسينًا وإضافة وتجديدًا وتقويمًا ونقدًا وتوضيحًا، وشكلًا من أشكال القوة والفاعلية في الثقافة العربية، تتجدد به النصوص وتزداد قيمتها وفاعليتها، وكان من الممكن لكثير من المؤلفين الذين لخَّصوا وأضافوا وحسّنوا، ألَّا يلجأوا إلى التلخيص، وأن يتجهوا بدلًا من ذلك إلى تأليف كتب جديدة، مع استخدام النصوص السابقة «كمراجع»، ولكن تقاليد العلم كانت غالبة وواضحة في كثير من الأحيان، وطالما كان «النص إمام الفن»، فإن النص الذي يحظى بهذه المكانة كان يحظى بجهود متعددة لتشغيله وتلخيصه، ولم يكن ذلك العمل تكرارًا بل كان في كثير من الأحيان إبداعًا وإتقانًا وانتماءً.

٣ ـ كانت الوظيفة المباشرة للتلخيص في التأليف العربي، هي توفير نصوص «**بديلة**»، تنوب في الغالب عن النصوص الأصلية الصعبة

= دار النهار، ١٩٦٨م، ص١٢).

أو المطولة، وكان الغرض الأساسي من التلخيص هو احتواء النص وتحديد اتجاهه بمزيد من الدقة في حدود الموضوع والوظيفة، والتركيز على الأهداف الرئيسة **الموجودة** أو **المنشودة** للنص الأصلي، وقد حققت بعض التلخيصات هذه الغاية بدرجة بالغة من الإتقان، وأخفقت تلخيصات أخرى واعتُبرت محاولاتٍ فاشلةً، وفي بعض الأحيان مفسدةً للنص الأصلي.

٤ ـ ارتبطت وظيفة التلخيص بمستويين متقابلين من القراء، هما:

أ ـ المُنْتَهِي، وهو الذي درس العلم ويحتاج إلى التلخيص «للاستحضار وتذكر رؤوس المسائل» بحسب تعبير حاجي خليفة[(١)].

ب ـ المبتدِي، وهو طالب العلم المكلف **بالحفظ كقاعدة** ورصيد للتعلم.

وكان للحفظ في تلك العصور مبرراته، من حيث طبيعة العلم ووسائل تحمُّله وتوصيله من جيل إلى جيل، ومن حيث «ندرة الكتب وصعوبة الحصول عليها، ومن أجل الاستعداد للإجابة على أي سؤال»[(٢)]، ومن أجل ذلك وجدت المختصرات والمتون في مجالات مختلفة من العلم.

وكان لهذه الظاهرة سلبيات وَجَدت مَنْ ينتقدها، ومنهم ابن خلدون، الذي انتقد «كثرة الاختصارات، وإخلالها بالتعليم، وإفسادها للمَلَكَات»[(٣)].

(١) كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٣٤.

(٢) روزنتال، فرانتز، مناهج العلماء المسلمين، ص١٦٧.

(٣) أ ـ ابن خلدون. المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ٢/ ١٢٤٢، (والمقصود بالمَلَكَة هو الموهبة أو الاستعداد العقلي أو النفسي لإتقان علم أو فن مثل الملكة اللغوية أو الفنية أو العددية... إلخ). (المؤلف) =

وفي ظل النظريات التربوية الحديثة، توجَّه سهام النقد إلى هذه الطريقة في التعليم، ولكن الحفظ لم يكن في التعليم القديم يمثل نهاية المطاف، بل كان يمثل **قاعدة معلومات**[1] تُختزن في ذاكرة الفرد، ثم يصاحبها أو يعقبها الشرح والمناقشة والاستيعاب على مدى العمر. ولقد بدأ بعض المفكرين المعاصرين يعيد تقييم ظاهرة المختصرات والمتون، وجدواها في عملية التعلُّم[2].

٥ ـ وُجد التلخيص منذ المراحل المبكرة للتأليف العربي، وقام بدور مهم في كل هذه المراحل. ومنها «المرحلة الحضارية التالية لمراحل الجمع والتدوين والنقد والتمحيص في نشأة الحضارة العربية وفي جميع فروع المعرفة، فقد قام العلماء بتدوين خلاصات ما حصَّلوا في كتب ورسائل، كل في مجال اختصاصه»[3].

٦ ـ قام التلخيص بدور مهم لتوصيل النصوص الأجنبية المترجمة قديمًا إلى القارئ العربي في حينه، وربما يصح تصور هيكلٍ تطوريٍّ في

= ب ـ يشير المؤلف إلى ظاهرة الملخصات الدراسية الشائعة في المجتمع المصري، وهي كبسولات للحفظ والتفريغ في الامتحانات، ولا قيمة لهذه الملخصات خارج هذه التجربة المؤلمة، ولكن نتائجها السلبية ظاهرة وملموسة.. وهي تختلف عن المختصرات العربية القديمة التي كان الكثير منها مؤلفات قيمة، لا تزال تحتفظ بأهميتها العلمية خارج إطار الحفظ في مراحل التعلُّم.

(١) انظر: مصطلح «قواعد العلوم» عند حاجي خليفة، ويقصد بها الكتب المختصرة والمطولة والمتوسطة (كشف الظنون، المقدمة ١/ ٣٥).

(٢) انظر: تقييم شوقي ضيف لتجربته الشخصية في التعلم عن طريق المختصرات والمتون، ومقارنتها بالطرق التعليمية الحديثة في اللغة. (شوقي ضيف، معي، القاهرة، دار المعارف، (أغسطس/ آب ١٩٨١م)، ص٥١ ـ ٥٣).

(٣) محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي... الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٠م، ١/ ١٥٩.

حضارات الشعوب، «يبدأ بالترجمة، ثم التلخيص، ثم الاستيعاب، ثم التأليف المستقل»[1]. وإن كان ذلك ينطبق على الجانب «**العالمي**» **من ثقافة الأمة**، ولا ينطبق على **ثقافتها الخاصة**، كما نجد في التأليف العربي في اللغة والفقه والأدب مثلًا، والذي بدأ مبكرًا وقبل مراحل الترجمة من علوم اليونان وغيرهم بكثير.

وتوضح العينة مثالًا لذلك، في مجموعة مؤلفات لحنين بن إسحاق (ـ ٢٦٠هـ)، وهو من أشهر المترجمين إلى العربية، قدم بها إلى القارئ العربي في عصره **خلاصةً وثمرةً** لبعض كتب اليونان القديمة، وهي تنبهنا إلى نوع من المختصرات يمكن أن نطلق عليها «**ثمار النص**». ومن هذه المؤلفات[2]:

- ثمار تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في تدبير الأمراض الحادة، حنين بن إسحاق.
- ثمار تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في جراحات الرأس، حنين ابن إسحاق.
- ثمار تفسير جالينوس لكتاب الفصول، حنين بن إسحاق.
- ثمار تفسير جالينوس لكتاب أبقراط، حنين بن إسحاق.
- ثمار تفسير جالينوس لكتاب تقدمة المعرفة، حنين بن إسحاق.
- ثمار كتاب تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والأزمنة، حنين بن إسحاق.
- ثمار كتاب السبعة عشر مقالة من تفسير جالينوس، حنين ابن إسحاق.

---

(١) جرجي زيدان، كتاب العربية وقراؤها، الهلال (القاهرة)، س٥، ج١٢، ١٥/ ١٢/ ١٨٩٧م، ص٤٤٨ ـ ٤٥٩.

(٢) الباباني، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ١/ ٣٤٠.

ـ ثمار المقالة من تفسير جالينوس لكتاب طبيعة الإنسان، حنين ابن إسحاق.

ـ ثمار كتاب أبقراط في المولودين لثمانية أشهر، حنين بن إسحاق.

كما اهتم ابن رشد بتلخيص نصوص يونانية مثل[١]:

ـ تلخيص كتاب المزاج، لجالينوس (وهو ضمن رسائل ابن رشد الطبية).

ـ تلخيص كتاب الإِسطَقْسات، لجالينوس. (والإسطَقْسات جمع إسطَقْس وهي كلمة يونانية معناها: العنصر أو الأصل مثل الماء والهواء، وكذلك طبائع الإنسان الأربعة).

٧ ـ ظهر «الولع بالتلخيص» في مرحلة تالية من التاريخ العلمي العربي، ويلاحظ ذلك منذ القرن السابع الهجري وما يليه، وقد شهدت هذه القرون انكباب العلماء على مؤلفات السابقين، والاشتغال بها تلخيصًا وشرحًا وتحشية.. إلخ[٢]، ومن أبرز هؤلاء: الذهبي (ـ ٧٤٨هـ)، وابن منظور (ـ ٧١١هـ).

ويُساق لتعليل ذلك أسباب تاريخية منها الحرص على التكيف مع أخطار الغزوات والأهوال التي تعرض لها العالم العربي والإسلامي وتدمير كثير من المخطوطات العربية، واندفاعهم نحو إعداد تلخيصات للثقافة العربية الإسلامية المهددة، بحيث يمكن استيعابها ونقلها عند مواجهة الأخطار.

ولعل من الممكن القول ـ أيضًا ـ بأن ازدهار «**الفكر المُرسِل**» في عصور الازدهار العربية المبكرة في التأليف، يقابله ازدهار في «**الفكر**

---

(١) عمار الطالبي، شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا في الطب، الدوحة، جامعة قطر، ١٩٩٦م، المقدمة، ص١٥، ٢٢.

(٢) شوقي ضيف، النقد، ط٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص١٢٦.

المستقبِل» الذي يستوعب الإنتاج الفكري الموروث ويوثقه في عصور تالية، وهي ظاهرة من ظواهر تراكم المعرفة، من البديهي أن تفرض قوانينها الطبيعية نحو اتخاذ موقف تلخيصي وتنظيمي وتوثيقي من الإنتاج الفكري السابق[١]، حيث يمثل التلخيص في مجال التأليف عنصرًا هامًّا لاستمرار العلاقة مع هذا الإنتاج الفكري، ولا يعني استيعاب الفكر الموروث عدم وجود التأليف المبتكر والإبداع الفكري في هذه العصور، فقد شهدت عددًا من عباقرة التأليف وخصوصًا في عصور المماليك.

٨ ـ وصلت بعض المختصرات إلى درجة من الإتقان جعلتها تفوق النصوص الأصلية في قيمتها وأدائها، ويشير أبو الحسن الشاري في **فِهرِسْته** إلى بعض المختصرات التي فَضَلت على الأمهات، ومنها:

أ ـ مختصر العين (للخليل بن أحمد)، للزبيدي.

ب ـ مختصر الزاهر في معاني الكلام (للأنباري)، للزجاجي.

ج ـ مختصر سيرة ابن إسحاق، لابن هشام[٢].

٩ ـ كان للتلخيص أهمية خاصة بالنسبة للتأليف الموسوعي والمرجعي الذي يحتاج إلى تجميع وحدات ومعلومات مركزة يتم مجانستها (أي: تجميعها بحسب موضوع أو نوع معين) وعرضها، وقد طالع «التهانوي»، (ـ حوالي ١١٥٨هـ) مختصرات العلوم، واقتبس منها المصطلحات التي أوردها في «كشاف اصطلاحات الفنون»[٣]، كما اتخذت التلخيصات مصادر للتأليف عندما تعذر الحصول على الأصول

---

(١) وهي ظاهرة تحتاج إلى دراستها في ضوء علم المعلومات المعاصر، وعلى أساس من الفهم الصحيح للببليوجرافيا التكوينية وسوسيولوجية التأليف. ولعل ما حدث في الماضي، يشبه ما يحدث الآن، لمواجهة تراكم المعرفة ومحاولات السيطرة عليها بأشكال التلخيص والاستخلاص المختلفة.

(٢) السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ١/ ٨٧.

(٣) التهانوي، محمد علي الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون (ز).

بعد تخريب المغول للعالم العربي[١]، ولا زلنا نجني ثمار هذه التلخيصات حتى اليوم، بعد ضياع كثير من الأصول.

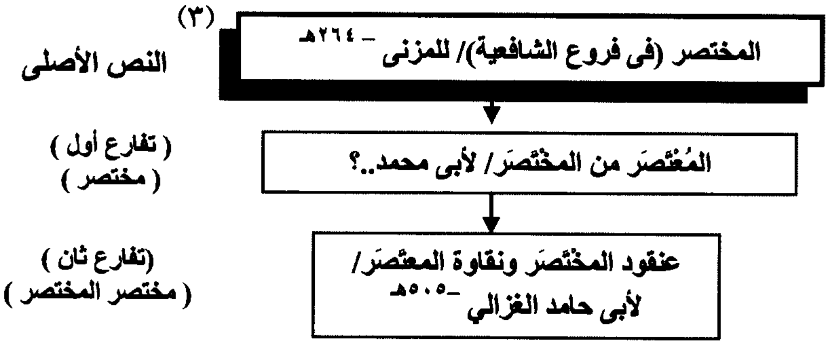
١٠ ـ امتد تأثير الملخصات العربية إلى الحضارة الأوروبية اللاتينية، التي مكَّنتها ملخصات الفارابي وابن سينا لأرسطو (ـ ٣٢٢ق.م) وأفلاطون (ـ ٣٤٧ق.م) وغيرهما من التعرف من جديد على الفكر اليوناني[٢].

ببليوجرام التلخيص

تبدو حلقات التلخيص شديدة التعقيد والتداخل، سواء على مستوى التفارع المتجانس؛ أي: تفارع المختصرات من المختصرات، أو التفارع **المختلط**؛ أي: التفارع بين المختصرات وغيرها كالشروح والحواشي.. إلخ، وفي ما يلي بعض النماذج:

أولًا: التفارع المتجانس (تلخيص التلخيص):

نموذج (١): ببليوجرام تفارع متجانس (حتى الرتبة الثانية من التفارع)



شكل (٣١)

---

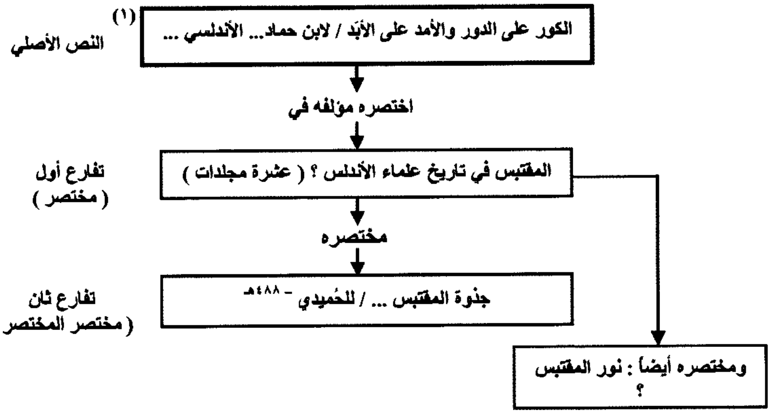
(١) روزنتال، فرانتز، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة: أنيس فريحة، بيروت، دار الثقافة ١٩٨٠م، ص٥٢.

(٢) حامد ربيع، التجديد الفكري للتراث الإسلامي وعملية إحياء الوعي القومي، دمشق، دار الجليل، ١٩٨٢م، ص٧٩.

(٣) كشف الظنون، ٢/١٦٣٦.

نموذج (٢):

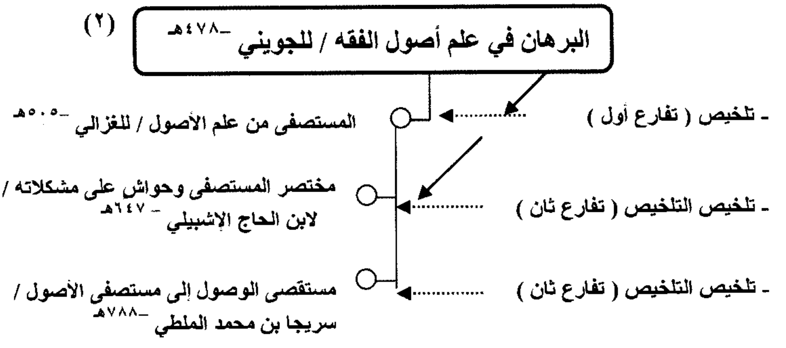
ببليوجرام تفارع متجانس (حتى الرتبة الثانية من التفارع)



شكل (٣٢)

نموذج (٣):

ببليوجرام تفارع متجانس
(حتى الرتبة الثانية من التفارع وتكرار التفارع من الرتبة الثانية)



شكل (٣٣)

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٥٢٢، ١٧٩٢، ونلاحظ هنا نقص البيانات في كشف الظنون حول اسم المؤلف وتاريخ وفاته، وكذلك عدم التأكد من العلاقة بين جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحميدي، وبين المقتبس السابق عليه وهو عن العلماء وليس الولاة، وهذا النقص يحدث أحيانًا في ما يخص مؤلفات الأندلس والمغاربة في كشف الظنون.

(٢) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان. الفكر الأصولي: دراسة تحليلية نقدية، جدة، دار الشروق، ١٩٨٣م، ص٢٦٣.

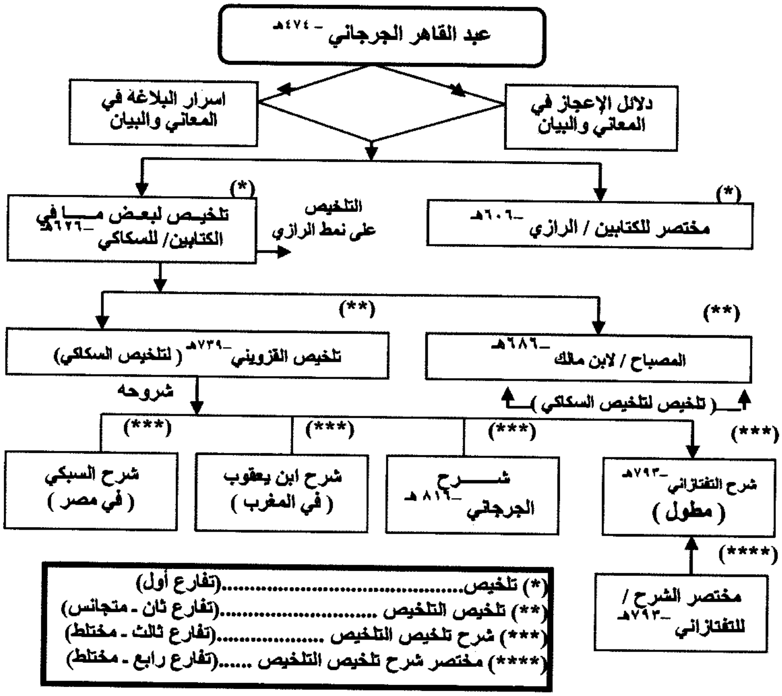
ثانيًا: التفارع المختلط:

النوع الأول: التفارع المختلط بين التلخيص والذيول:

مثال: «مختصر التكملة» لكتاب «الصلة» لابن الأبار (ـ ٤٣٣هـ)، [اختصار] الذهبي (ـ ٧٤٨هـ)[(١)].

النوع الثاني: التفارع المختلط بين التلخيص والشرح:

ـ ظهرت دورات متعاقبة من التلخيص وشرح التلخيص، وذلك طبيعي لأن التلخيص كان غالبًا للحفظ ويحتاج إلى الشرح في مراحل التعلم والتوسع والفهم في ما بعد، ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك سلسلة التفارع في المجموعة التالية من المؤلفات[(٢)].



شكل (٣٤) ببليوجرام تفارع مختلط
(تفارع التلخيص من أنواع أخرى من التأليف)

---

(١) بشار عواد معروف، الذهبي، ص٣٩٤.

(٢) أ ـ كشف الظنون، ١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٩. ب ـ شوقي ضيف، النقد، ص١٢٦ ـ ١٢٩.

ملاحظة: نال بعض هذه الشروح كثيرًا من الحواشي والتقارير، وهناك كثير من المؤلفات التابعة للمختصرات المذكورة. . . .

المبحث الثاني

تهذيب النص

التهذيب كالتنقية والتصفية والتطهير، ومن معانيه ـ أيضًا ـ الإصلاح[1].

وقد استخدم مصطلح التهذيب في بعض عناوين المؤلفات العربية للدلالة على عدة أغراض منها[2].

١ ـ تهذيب القارئ:

وذلك بالإشارة في العنوان إلى الهدف المنشود من النص، سواء لتهذيب الملكات الذهنية للقارئ، أو لتهذيب النفس وتربية الخُلق القويم، **ومن أمثلة هذه المؤلفات:**

أ ـ «تهذيب ذهن الفقيه الشاري لما وافق مسائل المنهاج من تبويب البخاري»، لابن الصيرفي (ـ ٨٤٤هـ).

ب ـ «تهذيب النفس»، لابن عقل البغدادي (ـ ٥١٣هـ).

ج ـ «تهذيب النفوس ـ في الموعظة»، لابن عمر المصري المعروف بالسعودي (ـ ٨٠٣هـ)[3].

د ـ «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق»، لابن مسكويه (ـ ٤٢١هـ)[4].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: (هذب).

(٢) بالإضافة للنماذج المذكورة بهذا البحث. انظر أيضًا: كشف الظنون، ١/ ٥١٤ ـ ٥١٨، والباباني، إيضاح المكنون، ١/ ٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٣) الباباني، المرجع السابق.

(٤) كشف الظنون، ١/ ٥١٤.

٢ ـ تهذيب موضوع أو علم معين:

وذلك لتقريب الموضوع لقارئه أو دارسه، وتيسير السبل إلى تعلمه، أو تخليصه من الخلط أو الصعوبة أو الإبهام، **ومن أمثلة ذلك**:

أ ـ «تهذيب اللغة»، للأزهري (ـ ٣٧٠هـ).

ب ـ «تهذيب البلاغة»، لأحمد بن نصر الكاتب الحلبي (ـ ٣٥٢هـ).

ج ـ «تهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول»، لابن مطهر (ـ ٧٢٦هـ).

د ـ «تهذيب المنطق والكلام»، للتفتازاني (ـ ٧٩٣هـ)(١).

٣ ـ تهذيبُ نصٍّ معين:

بخلاف النوعين السابقين؛ يعني: التهذيب هنا الاشتغال **بنص أصلي** معين لإعداده وتهيئته وتحويله إلى **نص جديد**، ينسب إلى المؤلف الجديد، وذلك هو الاستخدام الذي يدخل في نطاق هذه الدراسة.

طبيعة الجهد العلمي في عملية التهذيب

يتضح من عينة البحث أن لفظ التهذيب واسع الدلالة في مجال التأليف النصِّي، ويشمل جهودًا متعددة في معالجة النص الأصلي، وفي معالجة الموضوع الخاص بالنص.

ويمكن التعرف إلى بعض المعالجات التي قام بها المؤلفون المهذِّبون عندما تصرَّفوا في النصوص من أجل تهذيبها، ولا تقتصر عملية التهذيب على عنصر واحد منها، بل يجتمع أكثر من عنصر في تهذيب النص الواحد، **ومن أهمها**:

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٥١٤ ـ ٥١٥.

أولًا: التلخيص:

سبقت الإشارة إلى أبعاد الجهد العلمي في تلخيص النص، ويلاحظ أن **التهذيب** يتداخل مع **التلخيص** بدرجة كبيرة، بل ويستخدم في بعض الأحيان كمرادف له، وعندما عرَّف حاجي خليفة «**التلخيص**»، استخدم لفظ التهذيب، بقوله: «**التلخيص هو تهذيب الشيء وتصفيته مما يُمازجه في خِلقته مما دَوّنه**»[1].

وبذلك نرى أن حاجي خليفة عرّف الكل بالجزء؛ أي: أنه عرَّف التلخيص بالتهذيب، وحدد المعنى المقصود بالتصفية واستبعاد ما لا يليق بالنص ولا يرقى إلى مستواه، وقد رأينا في موضوع التلخيص أنه يشمل ذلك بالفعل، ولكنه يشمل أبعادًا أخرى كثيرة بخلاف التنقية والتهذيب. والمفيد أن حاجي خليفة هنا يعرِّف التهذيب نفسه ولن يختل المعنى إذا حذفت كلمة «التلخيص» من بداية الفقرة، واقتصر التعريف على التهذيب.

وقد يكون التهذيب في بعض الأحيان أكثر ميلًا إلى التلخيص، ولكن هناك **فروقًا** بينهما في بعض الأحيان، **وتداخلًا وتكاملًا** في أحيان أخرى. وفي المثال التالي نلاحظ مدى تداخل المعالجات في مجال التهذيب، والعلاقة الوثيقة بين التهذيب والتلخيص:

أ ـ «التهذيب في الفروع»، للبغوي (ـ ٥١٦هـ) (تأليفٌ محرَّر مهذَّب مجرد عن الأدلة غالبًا، لخصه من تعليق القاضي حسين، وزاد فيه ونقص).

ب ـ «لباب التهذيب»، للمروزي (ـ ٦١٤هـ)، لخصه من الكتاب السابق، مع مزيد من التنقيح والترتيب[2].

وقد شمل التهذيب عمليات مثل: **التحرير ـ التجريد والتلخيص ـ**

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٤٧٢ (حاشية ١).

(٢) كشف الظنون، ١/ ٥١٧.

الزيادة ـ الحذف... وكثير من هذه العمليات قد لوحظ في التلخيص من قبل، ولكن مصطلح التهذيب في بعض حالات التأليف، يشمل خصائص أخرى تميزه عن التلخيص، كما أن **الأغراض تختلف**، حتى لو تشابهت العمليات والمعالجات في كليهما، كما سيتضح في ما بعد.

ثانيًا: الحذف:

عندما يرتبط الحذف بالتهذيب، يشمل بعض العمليات التالية أو كلها، التي تجري على النص الأصلي:

١ ـ التخلص من زيادات وحشو ومسائل واستطرادات... إلخ، وقد لوحظ ذلك في مجال التلخيص من قبل.

٢ ـ استبعاد ما يخالف الأخلاق أو العرف السائد أو القوى الاجتماعية ذات النفوذ في عصر معين، من تعبيرات أو مسائل مكروهة أو مهجورة أو ممنوعة، مثلما يحدث في نص عقائدي أو سياسي أو أدبي(١)، والأمر متوقف على معايير اجتماعية وشخصية يتبناها أو يمتثل لها مهذب النص.

ثالثًا: إصلاح النص:

ويشمل إصلاح ما يراه المهذب من عيوب النص الأصلي، **ومن ذلك:**

---

(١) ويشبه ذلك «الطبعة المهذبة»: - Bowdlerized edition, - expurgated edition.
وهي الطبعة التي حذفت منها عبارات أو أجزاء غير لائقة خلقيًا، مثال ذلك: الجزآن الرابع والخامس من كتاب الأغاني للأصفهاني، اللذان أعادت دار الكتب المصرية طبعهما بعد حذف ما لا يليق فيهما.
وأصل التسمية الإنجليزية، يرجع إلى توماس بودلر (T.Bowdler) الذي أعد سنة ١٨١٨م طبعة مهذبة لأعمال شكسبير، سماها: شكسبير العائلة:
Family Shakespear. (See: Magdi Wahba. Op. cit. p52).

١ ـ إصلاح الأوهام والأخطاء:

كما نرى في دوافع المزي (ـ ٧٤٢هـ) عندما هذَّب كتاب «الكمال في أسماء الرجال»، لابن عبد الغني (ـ ٦٠٠هـ)، إذ يقول: «وَجدتُ به أشياء مختصرة، وأوهامًا شنيعة، فأردت تهذيبه واستدراك النقص والإضافة إليه»(١).

٢ ـ تكملة النقص واستكمال ما أفسده الاختصار:

وذلك بالزيادة من مصادر أخرى، كما نجد في الأمثلة التالية:

أ ـ المزي (ـ ٧٤٢هـ): «تهذيب الكمال» (السابق ذكره).

ب ـ ابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ): «تهذيب تهذيب الكمال» للمزي(٢).

ج ـ الزجاجي (ـ ٣٥٠هـ): «التهذيب في الفروع»، وهو مختصر لكتاب «المفتاح» لابن القاضي الطبري (ـ ٣٣٥هـ)، مشتمل على زوائد، ولذلك سمي بـ«زوائد المفتاح»(٣).

رابعًا: التقريب والتبسيط:

وهو عمل مقنن، يوجه إلى مستوى قرائي أو عمري معين، «ويمكن أن يعمل المبسِّط على عدة مستويات، وأن يكتفي بأمهات المسائل، أو بالجزئيات»(٤).

ومن أمثلة **التهذيب** والتيسير لكتب الأصول وعرضها بشكل يناسب

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٥٠٩.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ١/ ٥١٧، ٢/ ١٧٦٩.

(٤) أحمد الغاني، «التبسيط»، ندوة الكتاب العربي، تونس (٣٠ مارس/ آذار ـ ٢ إبريل/ نيسان ١٩٧٥م)، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٥م، ص٩١ ـ ٩٣.

قارئ العصر، الأعمال التالية لعبد السلام هارون[1]:

- «تهذيب سيرة ابن هشام».
- «تهذيب إحياء علوم الدين»، للغزالي.
- «تهذيب الحيوان»، للجاحظ.

بالإضافة إلى جهود كامل كيلاني في تبسيط أعمال شكسبير باللغة العربية وتهذيبها، بعد فهم واستيعاب هذه الأعمال.

خامسًا: التصرف في الأسلوب والعرض:

وقد يشمل ذلك ما يلي:

١ - إضفاء سِمَةٍ جمالية يمتاز بها أسلوب المهذِّب في بعض الأحيان.

٢ - تهذيب النصوص الأدبية: وبينما نجد النصوص الأدبية لا تقبل التلخيص وإلا فقدت خصائصها الأدبية والفنية، نجد أن التهذيب ممكن معها، طالما أنه يغير أو يبدل أو يستبعد بعض التعبيرات التي يُرى استبعادها من النص عند إعداده لمستوى أو فئة معينة.

ويمكن إجمال الملامح الرئيسة التي تميز التهذيب عن التلخيص في ما يلي:

١ - يهدف التلخيص أساسًا إلى تحويل نصٍّ معيَّن، لكي يؤدي وظيفة معينة وهي تيسير الحفظ، أو سهولة الاسترجاع، أو الاقتصاد في الجهد لدى جمهور معين.

أما التهذيب فيكون أكثر ارتباطًا بتكييف النص بما يتلاءم مع قيم أخلاقية أو ثقافية معينة.

---

(١) محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص٩٩.

٢ ـ إن دوافع التلخيص يغلب عليها الجانب الوظيفي التحصيلي، بينما يمكن أن يخدم التهذيب في المجال الوظيفي وفي المجال التذوقي الجمالي أيضًا، حينما يشمل نصوصًا أدبية.

٣ ـ إن التلخيص رغم تعدد عملياته وأبعاده التأليفية، يقوم أساسًا على تكثيف المعاني في أقل حيز ممكن من الألفاظ، بينما لا يشترط في التهذيب مثل هذه النسبة الرياضية بين النص وتهذيبه.

٤ ـ لوحظ أن الحذف موجود بين عمليات التهذيب الرئيسة، وهو مشترك مع التلخيص، إلا أن الحذف في كليهما يخدم أغراضًا مختلفة، فبينما يوجه الحذف في التلخيص إلى الفضول والزيادات التي يمكن الاستغناء عنها من أجل التلخيص، فإن الحذف في التهذيب قد لا يشمل الفضول فقط، بل يشمل ما هو أكثر من الفضول والزيادات، عندما تتعارض مع القيم التي تراعى في تهذيب النص، وتصفيته مما هو دونه، فعندما يستلزم التهذيب حذف أبيات من الشعر أو مشاهد أو أفكار معينة، فليس معنى ذلك أن المحذوف دائمًا من الزوائد والفضول، فقد يكون من وجهة النظر الفنية والنقدية قيمًا ومهمًّا في سياقه الفني، ولكنه يحذف لأنه غير مقبول.

٥ ـ إن التلخيص من أجل الوصول إلى أهدافه المثلى لإيجاد نصٍّ بديل، يلجأ إلى عمليات كثيرة من عمليات التأليف المساعدة، وقد لوحظ أن بعضها أو معظمها مشترك مع التهذيب، ولكنه في التهذيب يوجه لخدمة أغراض التهذيب والتنقية والتصفية.

ويمكن القول إن التهذيب في بعض جوانبه ـ نوع من التأليف «**الترويضي**»، الذي يُنَقِّح ويعدِّل ويرتب ويحذف ويختصر ويُطوِّل ويصحح ويكمل. . . وهو أصلح للنصوص التي تتصف بالخصوبة والزحام، سواء كان دورها وظيفيًّا دراسيًّا، أو جماليًّا أدبيًّا، أو ترويحيًّا، أو دينيًّا،

أو تشريعيًّا... إلخ[1]. وقد يكون بها بعض الصعوبة أو الجموح في التعبير، أو التناقض الناشئ عن الجمع والتدوين الشامل بغير انتقاء وتصفية، فقد يختلط ما هو جيد بما هو ضعيف أو مخالف للعقل أو العقيدة.. ولذلك نجد التهذيب عنصرًا مهمًّا ومستخدمًا في معالجة كثير من أنواع التأليف الأصلي أو النصِّي، عند الحاجة إليه، فقد يتناول التهذيب أنواعًا مثل: التلخيص أو الشرح أو الترجمة... إلخ.

ويمكن أن يصدق على التهذيب أن نسميه: «**ترويض النصوص الشرسة**»، من أجل إعداد نص مقبول للقراءة، وينطبق ذلك على نصوص كثيرة، مثلما حدث في طبعة دار الكتب للجزءين: الرابع والخامس من «الأغاني» للأصفهاني، وفي بعض طبعات «ألف ليلة».

ببليوجرام التهذيب

أولًا: أنواع العلاقات:

هناك علاقات وصلت إلى رتبة التفارع الثالث، بين التهذيب وأشكال أخرى من التأليف التابع، في سلسلة من تشغيل النصوص وتعديلها والتصرف فيها، **ومن ذلك**:

١ ـ التفارع المختلِط:

ويشمل علاقات يتفارع فيها التهذيب على أنواع أخرى من التأليف كما يلي:

أ ـ تهذيب النصوص أو توابعها، ويشمل:

أ/ ١ تهذيب نص أصلي، مثل: تهذيب كناش الرازي، لابن شرارة

(١) انظر: أنواع القراءة في المرجع التالي: كمال محمد عرفات نبهان: دراسة ميدانية على قراءات الكبار، ص٢٦٠ ـ ٢٨٣.

الطبيب[1].

أ/ ٢ تهذيب نصٍّ تابع أو متعلّق بنصٍّ أصلي، مثل: تهذيب الشرح[2]. وتهذيب الذيل، وتهذيب المختصر... إلخ.

ب ـ تشغيل التهذيب ذاته، عندما تظهر مؤلفات تابعة للتهذيب، مثل: شرح التهذيب، مختصر التهذيب... إلخ.

٢ ـ التفارع المتجانس:

ويشمل تهذيب التهذيب، مثل:

ـ «تهذيب تهذيب الكمال» (للمِزِّي)، لابن حجر العسقلاني. (تفارع ثان)

ثانيًا: ببليوجرام تفصيلي لأحد كتب التهذيب وتوابعه:

تتمثل معظم العلاقات السابقة للتهذيب في كتاب «تهذيب الكمال»، للمزي (ـ ٧٤٢هـ)[3] (وهو تأليف تابع من رتبة التفارع الأول) ويلاحظ أنه بعد ظهوره في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وحتى بداية القرن العاشر الهجري حظي بعدد وفير من المؤلفات التابعة له، (وهي تأليف تابع للتابع من رتبة التفارع الثاني والثالث).

وقد تناولته الأعمال التابعة من زوايا مختلفة، تمثلت فيها العمليات التالية:

١ ـ التكملة والزيادة على التهذيب.

---

(١) الباباني، إيضاح المكنون، ١/ ٣٤٢.

(٢) انظر: تهذيب شرح الإسنوي (ـ ٧٧٢هـ) على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي (ـ ٦٨٥هـ)، تهذيب شعبان محمد إسماعيل، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٦م، ٣مج.

(٣) كشف الظنون، ٢/ ١٥٠٩ ـ ١٥١١، (تحت عنوان: الكمال في أسماء الرجال، للمقدسي).

٢ ـ تجريد معلومات متجانسة في مجال معين من التهذيب.

٣ ـ تلخيص التهذيب.

٤ ـ تلخيص تلخيص التهذيب.

٥ ـ تذييل تلخيص التهذيب.

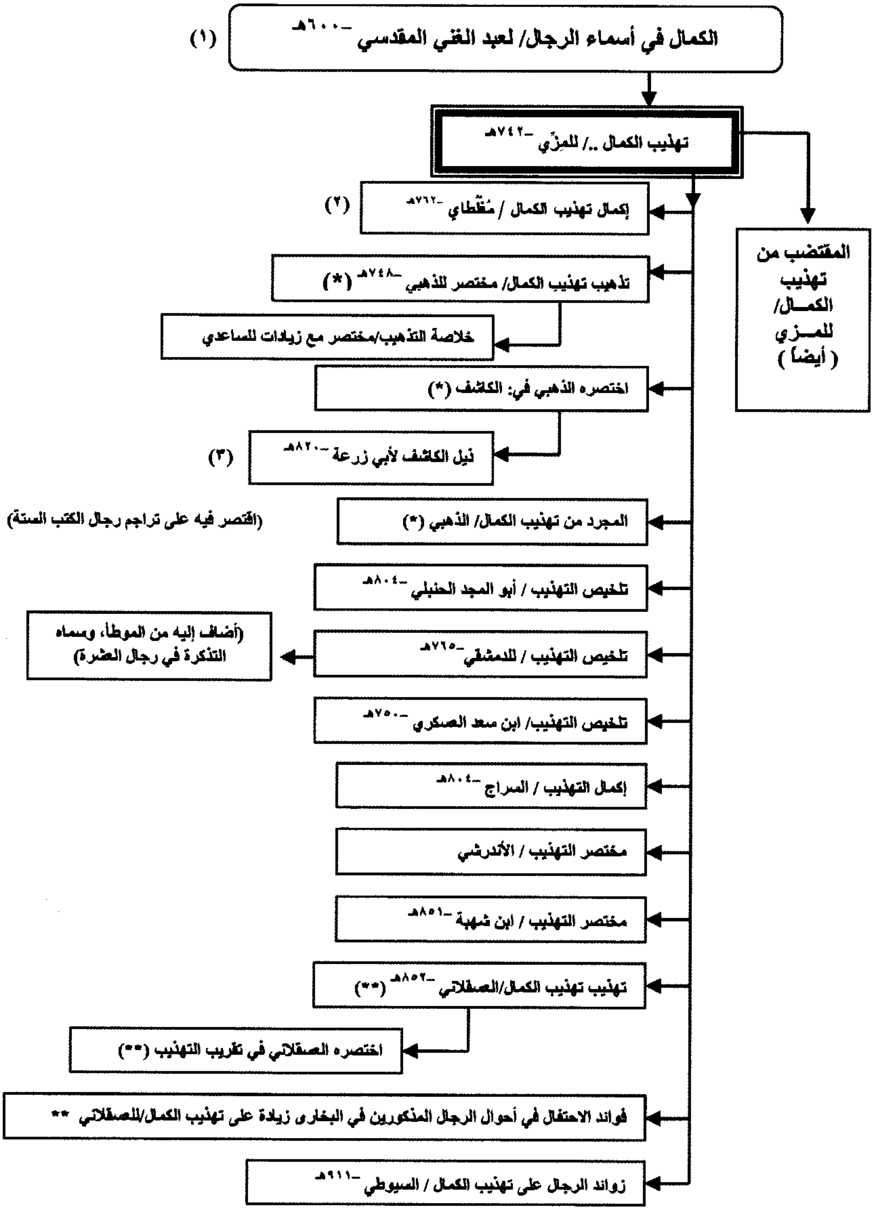
٦ ـ تهذيب التهذيب.

٧ ـ تلخيص تهذيب التهذيب.

وفي ما يلي الببليوجرام التفصيلي لكتاب «تهذيب الكمال»، للمزي (ـ ٧٤٢هـ).

*** ويلاحظ على هذا الببليوجرام أنه:**

أ ـ تشجيري جذري. ب ـ تشجيري مركب.



شكل (٣٥) ببليوجرام «تهذيب الكمال»، للمِزِّي (ـ ٧٤٢هـ)

---

(١) كشف الظنون، ٢/١٥٠٩ ـ ١٥١١.

(٢) الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٣) بشار عواد معروف، الذهبي، ص٢٣٠.

(*) ثلاثة أعمال ألفها الذهبي على تهذيب المزي.

(**) ثلاثة أعمال ألفها العسقلاني على تهذيب المزي.

المبحث الثالث

إعادة ترتيب النص[(١)]

شهد التأليف العربي ظاهرة **التصرف** في نصٍّ بأكمله **بإعادة ترتيبه** أو تنظيمه بشكل أو بآخر، **لتيسير استخدامه** والرجوع إلى معلومة معينة به، وقد أظهرت عينة الكتب عددًا من الأساليب والأنساق التي استُخدِمت في ترتيب النصوص، أحاول في هذه الدراسة تسميتها عن طريق ما عُرف في اللغة العربية من الاشتقاق والنحت، **كما يلي**:

أولًا: مَعْجَمَةُ النص أو «أَلْفَبَةُ النص» (الترتيب الهجائي للنص).

ثانيًا: تبسيط المعجمة.

ثالثًا: تَزْمِينُ النص (الترتيب الزمني للنص).

رابعًا: تصنيف النص و«مَوْضَعةُ النص» (الترتيب المصنف، والترتيب الموضوعي للنص).

خامسًا: جَدوَلة النص (تحويل النص إلى جداول).

سادسًا: مَوسْعَةُ النصوص. (مزج النصوص وترتيبها في عمل موسوعي).

---

(١) تدخل إعادة الترتيب بكل أشكالها كعنصر مشترك مع عمليات أخرى من التأليف المحوري، كما لاحظنا في بعض عمليات التلخيص، والتهذيب، وكذلك اشتمل الشرح وغيره على ترتيب للنصوص، ومن الواضح أن هذه الأشكال يتم عزلها وتصنيفها في هذا الكتاب كمباحث مستقلة، ولكن عمليات التأليف يمكن أن تمزج بين أكثر من نوع في حالة واحدة، فقد يحدث الجمع بين التلخيص والتهذيب والترتيب والاستدراك والتكملة. . . إلخ في عمل واحد.

وفي ما يلي تفصيل لهذه الأنساق والتسميات:

أولاً: مَعْجَمَةُ النص (أو أَلْفبة[1] النص)

ويقصد بذلك أشكال الترتيب الهجائي لوحدات المعلومات بالنص. سواء كانت هذه الوحدات تراجم أشخاص أو وحدات معرفية أخرى.

وقد اتجه بعض المصنِّفين[2] إلى إعادة ترتيب نصٍّ معين بحسب

---

(١) أ ـ **المَعْجَمَةُ**: مصطلح مشتق من عَجَمَ على وزن مَفْعَلَة، ويقصد به الترتيب المعجمي الهجائي لنص معين، أو لمجموعة من المداخل. وقد سبق استخدام مثل هذا الاشتقاق في كلمة «مَسْرَحة، بمعنى: تحويل القصة أو الحادثة التاريخية أو غير ذلك إلى مسرحية». انظر: محمود تيمور، معجم الحضارة، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٦١م، ص١٣٩، مادة: (المسرحة).
ب ـ واستُخدمت كلمة مَعجمة في عنوان الكتاب التالي: داود حلمي السيد، المعجم الإنجليزي بين الماضي والحاضر: دراسة في منهج معجمة اللغة الإنجليزية، الكويت، جامعة الكويت، ١٩٧٨م.
ج ـ ويستخدم للمعجمة أو الترتيب الهجائي أيضًا تعبيرات مثل الترتيب الهجائي، الترتيب الألفبائي (أي: الترتيب حسب أ ب ت ث ج ح خ)، والترتيب الأبجدي (أ ب ج د هـ و ز). وكثيرًا ما تستخدم كلمة الترتيب الأبجدي خطأً للدلالة على الترتيب الألفبائي.
والألفبة: كلمة منحوتة في هذه الدراسة من (الترتيب الألفبائي)، والنحت في مصطلحات العلوم والفنون ضروري للحاجة إلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربية موجزة، وقد أجاز مجمع اللغة العربية كلمات منحوتة مثل حلمأة (أي: التحليل بالماء...)، حلكلة (أي: التحليل بالكحول). (انظر: مجمع اللغة العربية، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، القاهرة، المجمع، ١٩٥٧م، مادة: (حلمأ) و(حلكل). وقد شاع استخدام كلمات منحوتة، في العربية مثل البسملة (من بسم الله). انظر: طنطاوي محمد دراز، ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية، القاهرة، المؤلف (مطبعة عابدين)، ١٩٨٦م، ص٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٢) تطلق كلمة المصنِّف عادة على القائم بتجميع مادة علمية أو ترتيبها في عمل =

حروف المعجم، ليسهل الرجوع إلى المعلومات المطلوبة منه، وفي هذه الحالة يتحول النص من **كتـاب عادي إلى مرجع** reference[١]، له ترتيب مرجعي نَسَقي systematic ترتب فيه وحدات المعلومات تحت مداخل أو (كلمات) مرتبة هجائيًّا (ألفبائيًّا في الغالب)[٢].

ومن أمثلة ذلك النوع من إعادة ترتيب النصوص ما يلي:

١ ـ كتاب: «إصلاح المنطق»، لابن السِّكِّيت (ـ ٢٤٤هـ).

أدرك العُكْبَري (ـ ٦١٦هـ) صعوبة الوصول إلى مواده، ووعورة مسلكه واضطراب أبوابه، فقام بترتيب مواده على حروف المعجم، وسمَّاه: **«المَشُوفُ المُعْلَمْ في ترتيب الإصلاح على المُعْجَمْ»**. واستطاع بذلك السيطرة على النص، فجمع المواد المتفرقة بعضها إلى بعض، واكتشف

= تجميعي أو معجمي أو موسوعي، لتمييز عمله عن المؤلف، فالمؤلف ينسب له العمل لمسؤوليته عن المضمون خطأ أو صوابًا، وينسب إليه إبداعها أو التدخل والاجتهاد في صياغتها وعلاقتها وتحديد مسارها ونتائجها، ولكن هناك مواد لا يمكن أن يكون لها مؤلف مثل مفردات اللغة؛ ولذلك يقال للصانع في هذه الحالة **مصنف**، كما نرى في المعاجم والموسوعات وغيرها. وتستخدم كلمة أخرى مثل صنعة فلان، لمن يجمع الأشعار والدواوين والأمثال وغيرها. (المؤلف)

(١) المقصود بتعريف المرجع هنا بحسب التعريف المعلوماتي: «الكتاب الذي ترتب وتعالج المادة الموضوعية فيه بحيث يمكن الرجوع إليه واستشارته في معلومة محددة، ولا يُستخدم أساسًا للقراءة المتصلة؛ لأن المعلومات فيه تعرض مجزأة ومرتبة حسب ترتيب معين هجائي، أو موضوعي أو زمني... إلخ.
انظر:
The ALA glossary... p188 (reference book).

(٢) هناك ترتيب بحروف اللغة ولكنه ليس ألفبائيًّا، وذلك مثل ترتيب معجم العين للخليل بن أحمد، إذ رتبت حروفه بحسب مخارجها الصوتية، وتبدأ بالعين ثم الحاء ثم الهاء ثم الخاء... انظر: (السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها... ١/ ٨٩).

المكرر فحذفه، وشرح المعاني الغامضة وأتم الأبيات الناقصة[١].

٢ ـ كتاب في «الكنى»، للحاكم النيسابوري (ـ ٤٠٥هـ).

أعاد الذهبي (ـ ٧٤٨هـ) ترتيبه على حروف المعجم وسمَّاه «**المقتنى في سرد الكنى**»[٢].

٣ ـ كتاب «الكمال في أسماء الرجال»، لعبد الغني المقدسي (ـ ٦٠٠هـ).

أعاد المِزِّي (ـ ٧٤٢هـ) ترتيبه على حروف المعجم، بعد أن كان الأصل مرتبًا على الطبقات، وأسماه المزي: «**تهذيب الكمال في أسماء الرجال**»[٣].

ثانيًا: تبسيط مَعْجَمَة النص

ويقصد بذلك تبسيط الترتيب الهجائي للنص، وشمل ذلك بعض المعاجم اللغوية العربية في مراحل تطورها الثلاثة:

أ ـ الترتيب الصوتي. **ب** ـ الترتيب بالباب والفصل. **ج** ـ الترتيب الهجائي المباشر.

ـ المرحلة الأولى:

في البداية ابتكر الخليل بن أحمد (١٧٠هـ) ترتيب الحروف بحسب مخارج الصوت، واستخدمه في ترتيب معجم «العين» الذي سُمي بأول حرف في ترتيبه وهو «العين»، (وهو أقصى حروف الحلق).

---

(١) انظر:
أ ـ كشف الظنون، ٢/ ١٦٩٥.
ب ـ محمد السواس (محقق)، «مقدمته» في (المشوف المعلم في ترتيب الإصلاح على المعجم، للعكبري، مكة، جامعة أم القرى ١٩٨٥م، ١/ ٦ ـ ٨).

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٧٩٤.

(٣) أ ـ بشار عواد معروف، الذهبي، ص٢٨٠ حاشية (٢).
ب ـ انظر: ببليوجرام «الكمال»، ص٢٤٣ بالكتاب.

وقد استخدم هذا الترتيب بعض مؤلفي المعاجم اللغوية، ومنهم ابن سيده (ـ ٤٥٨هـ) في الأندلس، الذي نَمذَجَ ترتيب العين في معجمه «المحكم».

ـ المرحلة الثانية:

ونظرًا لصعوبة هذا الترتيب الصوتي في «المحكم»، قام محمد بن أبي الحسين (في تونس) بتلخيصه وإعادة ترتيبه بحسب الترتيب الهجائي الذي طبقه الجوهري (ـ ٣٩٨هـ) في «الصحاح»[(١)]، واستخدم فيه الحروف المعروفة (أ ب ت ث ج ح خ. . .) بحسب نظام الباب والفصل، وهو ترتيب مركب ثنائي النسق (هجائي ـ هجائي)، حيث يتم البحث عن الكلمة على مرحلتين، المرحلة الأولى تكون بحسب الحرف الأخير من الكلمة أو المصدر، والمرحلة الثانية تكون بحسب الحرف الأول منه، والأبواب بعدد الحروف الهجائية، والفصول بعدد الحروف الهجائية أيضًا؛ أي: أن المعجم بهذه الطريقة يحتوي على ٢٨ بابًا هجائيًّا × ٢٨ فصلًا هجائيًّا؛ أي: ٧٨٤ مسردًا هجائيًّا تدخل تحتها الكلمات.

ـ المرحلة الثالثة:

بمرور الزمن أصبح ترتيب الباب والفصل صعبًا ومعقدًا، واحتاجت معاجم الباب والفصل إلى إعادة ترتيب، وشمل ذلك معجم الصحاح نفسه. وقد أُعيد ترتيب بعض هذه المعاجم القديمة المركبة إلى ترتيبٍ هجائي بسيط، (أحادي النسق)؛ أي: تحت ٢٨ حرفًا أو مسردًا هجائيًّا.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، مج٢، ص١٢٧٠.
ـ ويستخدم ابن خلدون كلمة «الترجمة» بمعنى الترتيب لكلمات المعجم، وكذلك كلمة «التراجم» في قوله: «كترتيب كتاب الصحاح في اعتبار أواخر الكَلِم وبناء التراجم عليها» (المرجع نفسه).

ومن أمثلة معاجم الباب والفصل التي أعيد ترتيبها في ترتيب هجائي بأوائل الكلمات:

١ ـ «تاج اللغة وصحاح العربية»، للجوهري (ـ ٣٩٨هـ).

أعاد ترتيبه والاختيار منه محمود خاطر.

٢ ـ «القاموس المحيط»، للفيروزآبادي (ـ ٨١٧هـ).

أعاد ترتيبه والاختيار منه طاهر أحمد الزاوي في: ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة (٤ مج، مطبوع).

٣ ـ «لسان العرب»، لابن منظور (ـ ٧١١هـ).

وهو من معاجم الباب والفصل، أعاد ترتيبه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، ونديم مرعشلي، مع الاختصار.

ثالثًا: تزمين النص[(١)]

ويقصد بذلك الترتيب الزمني للنص أو لأجزاء منتقاة منه، ومن أمثلة تزمين النصوص:

ـ «الأغاني» للأصفهاني (ـ ٣٥٦هـ):

جمعت تراجم الشعراء المتناثرة بلا ترتيب في كتاب «الأغاني»، وأعيد ترتيبها زمنيًّا، وفي إطار الترتيب الزمني رتبت الأسماء هجائيًّا، فالترتيب هنا ثنائي النسق (زمني ـ هجائي). وقد سمي الكتاب الجديد: «شخصيات كتاب الأغاني»[(٢)].

---

(١) التزمين على وزن تفعيل من «زمن» وهو ترتيب الأحداث والمعلومات بحسب التسلسل الزمني. مثل تلقين، من لقن، تعريف من عرف. (المؤلف)

(٢) أ ـ انظر: شخصيات كتاب الأغاني، صنعةُ داود سلوم، ونوري حمودي القيسي، بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢م، ص٤٨٥، المقدمة، ص٦. =

رابعا: تصنيف النص، وَمَوْضَعةُ النص[1]

ويقصد بذلك إجراء تعديل وترتيب للنص في إطار تقسيم موضوعي جديد، أكثر ملاءمة لطبيعة الموضوع، أو لاستخدام القارئ.

ومن أمثلة الترتيب الموضوعي ما حدث لكتاب «**الجامع الصغير**»، للشيباني (ـ ١٨٧هـ):

- فقد رتبه النَّسَفي (ـ ٨٠٥هـ) في كتابه: «مُرتَّب الجامع الصغير»[2].
- ورتبه الدباس البغدادي في كتابه: «ترتيب الجامع الصغير»[3].
- وهناك تسمية خصبة في مجال التقسيم الموضوعي للنص، تتمثل في العنوان التالي:

«**التقسيم والتشجير في شرح الجامع الصغير» (للشيباني)** (ـ ١٨٧هـ)، لمسعود بن حسين اليزدي (ـ ٥٧١هـ)[4]؛ حيث يمثل مصطلح التشجير

= ب ـ هذا النوع من التأليف، مشترك في خصائصه مع نوع آخر ذكر بالبحث وهو المجانسة، فالمجانسة تشمل انتقاء نوع متجانس من المعلومات من نص معين، وترتيبه، ومن بين احتمالات الترتيب، التزمين، كما ورد في المثال السابق، الذي يمكن أن يقال عنه أنه مجانسة وتزمين. انظر: المجانسة، ص٢٥٩ بالكتاب.

(١) **المَوْضَعَةُ**: لفظ مشتق من وَضَعَ وموضوع، ويقصد به الترتيب بحسب الموضوعات. وهو مقترح في هذه الدراسة للدلالة على ترتيب وحدات المعرفة حسب رؤوس موضوعات مقننة. أما التصنيف فهو تقسيم موضوعي في إطار التسلسل والعلاقات المنطقية بين موضوعات معينة، مثل تصنيف أبواب الكتاب وفصوله ومباحثه مثلًا، ومثل تصنيف المعرفة وتشجيرها؛ أي: تفريعها من العام إلى الخاص. (المؤلف)

(٢) كشف الظنون، ١/ ٥٦٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق، ١/ ٥٦٢.

أنسب الكلمات للدلالة على تقسيم الموضوع وتفريعه، وهو من المصطلحات العربية العريقة في مجال علم التصنيف.

وفي هذا المجال يشير حاجي خليفة إلى احتواء كثير من الشروح على **تصرفات على الأصل** بنوع من التغيير أو الترتيب، كما يبدو في المثال السابق.

ومن أشهر الأعمال الحديثة في هذا المجال:

١ ـ كتاب: «تفصيل آيات القرآن الحكيم»، وهو تبويب قام به «جول لابوم» لآيات القرآن الكريم بحسب الموضوعات[١].

خامسًا: جدولة النص

ويقصد بالجدولة صياغة نص سابق في هيئة جداول، وهي تدخل في نطاق التنظيم المرجعي لوحدات المعلومات، **ومن أمثلة ذلك**:

كتاب «جغرافيا»، لبطليموس الفلوزي (ـ حوالي ١٥٠م): فقد صاغه الخوارزمي (ـ ٢٣٢هـ) في كتابه «صورة الأرض» في هيئة جداول، على مثال جداول الزيج[٢] الفلكي، وأكمله بمعلومات عن العالم الإسلامي[٣].

---

(١) يذكر محمد فؤاد عبد الباقي أن الإمام محمد عبده كان يمتلك ترجمة مبكرة (مفقودة) لكتاب لابوم، كانت مرجعًا له عند تفسيره للقرآن. كما أن زكي مبارك كان يفكر في ترتيب الآيات بحسب الموضوعات، ثم اكتفى بكتاب لابوم عند ظهوره. انظر: محمد فؤاد عبد الباقي. مقدمته في (تفصيل آيات القرآن الحكيم، وضعه بالفرنسية جول لابوم. . .، ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م، ص٦ ـ ٨. وانظر أيضًا: ص٤٦٢ بالكتاب.

(٢) **الزيج**: خيط البَنَّاء أو مسطارة البنائين، فكما يُقَوَّمُ به البِناء كذلك الزيج يقوَّم به الكواكب ويستخدم في الأرصاد والفلك. (كشف الظنون ٢/ ٩٦٤).

(٣) بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: السيد يعقوب بكر، =

سادسًا: مَوسعة النصوص[1]

ويقصد بذلك المزج الموسوعي **لعدة نصوص**، وذلك بتفكيك عدة نصوص ومزج وحدات المعلومات كلها في نسق مرجعي موسوعي معين.

وقد سبق استخدام مصطلح «عائلة النص» استخدامًا ببليوجرافيًّا للإشارة إلى نص معين والمؤلفات التابعة له، ولكننا الآن أمام «**عائلة نص**» بالمعنى الببليوجرافي والإنساني معًا، كما نجد في النموذجين التاليين:

١ ـ حظي كتاب «تذكرة الحفاظ»، للذهبي (ـ ٧٤٨هـ)، بعدة مؤلفات تابعة ومكملة له، وهي:

- «ذيل طبقات الحفاظ»: للحسيني (ـ ٧٦٥هـ).
- «لحظ الألحاظ»: استدراك وتذييل على الذهبي والحسيني، لابن فهد (ـ ٨٧١هـ) الأب.
- واشتغل ابن فهد (ـ ٨٨٥هـ) (الابن)، بهذه النصوص، فأدمج الأصل (للذهبي) بالذيلين المذكورين (للحسيني وابن فهد الأب) ورتبها على حروف المعجم[2]، في عمل تجميعي موسوعي هجائي واحد.

٢ ـ وكذلك قام علاء الدين الهندي الشهير بالمتقي (ـ ٩٧٥هـ) بالجمع بين ثلاثة كتب في الحديث للسيوطي[3]. في كتاب جامع جديد

= ورمضان عبد التواب، ط٢، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٧م، ٤/ ٢٣٥، ١٦٤.

(١) **المَوْسَعة**: لفظ مشتق من وسع وموسوعة، للدلالة على صنعة الموسوعات وتنظيم المعلومات ووحدات المعرفة تنظيمًا موسوعيًّا مرجعيًّا (وهي تختلف عن تنظيم الكلمات اللغوية في المعجم اللغوي الذي يستخدم له لفظ معجمة) (المؤلف)

(٢) بشار عواد معروف. الذهبي، ص١٦٣.

(٣) انظر تفاصيل هذه الكتب الثلاثة: ص٣٩٩ بالكتاب (في موضوع إدماج النصوص).

سماه: «**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**»[1].

ببليوجرام ترتيب النصوص

شملت الحالات السابقة من إعادة الترتيب العلاقات التالية:

١ ـ إعادة ترتيب نص مفرد، سواء كان الترتيب هجائيًّا، أو زمنيًّا، أو موضوعيًّا، أو بالمزج بين أكثر من ترتيب.

٢ ـ مزج أكثر من نص في تجميع موسوعي واحد، وإعادة ترتيب وحدات المعلومات في النص الجديد ترتيبًا هجائيًّا.

(١) حاجي خليفة، كشف الظنون، ١/ ٥٦١، ٥٩٨، ٢/ ١٥١٨.

المبحث الرابع

الاختيار والمجانسة

يستخدم في هذا المجال مصطلحان، هما:

أولًا: الاختيار.

ثانيًا: المجانسة.

والفرق بينهما هو الفرق بين العام والخاص، فالاختيار هو الفكرة العامة، والمجانسة هي نوع معين من الاختيار. **ويتم تفصيلهما في ما يلي:**

أولًا: الاختيار والمختارات

والمختارات أو المنتخبات هي نوع من التأليف النصِّي التابع، وغالبًا ما تحمل مؤلفات هذا النوع في عناوينها كلمات مثل: المختار من، مختارات من، المنتخب من، منتخبات من، المنتقى من، المجرد من، تجريد كذا، معجم كذا، «المستخرج من»[1]، تخريج كذا...، بالإضافة إلى أشكال أخرى من العناوين.

البعد الوعائي للاختيار:

قد يحدث الاختيار من **نص محوري واحد**، أو يحدث من **عدة نصوص**، قد تكون اثنين أو ثلاثة، وقد تكون عدة مئات من النصوص.

---

(١) قد يطلق المستخرج في كتب الحديث على كتاب استخرجه مؤلفه؛ أي: جمعه من كتب مخصوصة، ويستخرج للتذكرة. انظر: الكتاني، الرسالة المُستَطْرفَة لبيان مشهور كتب السُّنَّة المشرفة... ص٣١.

وسوف ترد في هذا البحث أمثلة كثيرة على الاختيار من نص واحد، أما الاختيار من عدة نصوص فمن أمثلته:

«المختار في كشف الأسرار وهتك الأستار» (في علم الحِيَل)، للجوبري الدمشقي نحو (ـ ٦٢٦هـ)، وهو مختار من نحو ١٣٠٠ كتاب[١].

وقد يحدث الاختيار من نص أصلي، أو من تلخيصه، أو شرحه أو تذييله... إلخ.

البعد التحليلي للاختيار:

ينبغي أن نميز بين الاختيار الذي يقع على أجزاء متفرقة من النص، وفقًا للهدف من الاختيار، وبين اقتطاع أو اجتزاء جزء معين بأكمله من النص، لكي يصدر مستقلًا لسبب من الأسباب، وقد يكون الاختيار وتجميع المواد من مواضع متعددة من النص فنًّا من فنون التأليف، أما **الاقتطاع** فهو من أعمال التحرير والنشر، وإن كان لا يخلو من الاختيار الواعي والنظرة العالمة في أحيان كثيرة.

العلاقة بين الاختيار والتلخيص:

يدخل عنصر الاختيار في عملية التلخيص، إذ يتضمن التلخيص أحيانًا نوعًا من الانتقاء والاستبعاد من النص الأصلي، ويطلق حاجي خليفة على بعض المختارات صفة (التلخيص)، ومن أمثلة ذلك:

* «المختار في المعاني والبيان»، الكرماستي (ـ ٩٠٦هـ).

وهو مختصر لخص فيه التلخيص[٢] بحذف الشواهد والأمثال[٣].

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٦٢٣.

(٢) المقصود بذلك كتاب التلخيص للقزويني وهو: تلخيص المفتاح في المعاني والبيان. انظر: كشف الظنون، ١/ ٤٧٣.

(٣) كشف الظنون، ١/ ١٦٢٣.

* «المختارات للفتوى»، علاء الدين الجمالي (ـ ٩٣٢هـ).

جمع فيه ما اختاره من مسائل الهداية وغيرها... وهو مختصر مشتمل على المهمات»(١).

ويمكن التفرقة بين خصائص كل من الاختيار والتلخيص في ما يلي:

	الاختيار	التلخيص
١	اقتطاع، تكسير واختراق للنص الأصلي.	تمثيل مكثف، تطويق لمعظم محتوى النص الأصلي.
٢	استبعاد أشياء مهمة لا تخدم الهدف من الاختيار.	استبعاد المكرر أو الشواهد والشروح وغير الملائم.
٣	احتفاظ بأسلوب المؤلف الأصلي في الأجزاء المختارة لقيمتها الأدبية (شعر، نثر، ...) أو لقيمتها الوثائقية (نص تشريعي مثلًا)؛ ولذا فكل الأسلوب في المختارات للمؤلف الأصلي.	صياغة مكثفة جديدة لمحتوى النص، بتصرف يصل أحيانًا إلى الإلغاز والتعقيد والجفاف. ولذا فمعظم الأسلوب في الملخَّص للملخِّص (إلا إذا قام المؤلف بتلخيص كتابه).
٤	وسيلة لتذوق أفضل ما في النص الأصلي أحيانًا.	استيعاب محتوى النص الأصلي لغرض وظيفي محدد: الحفظ، الاستخدام الأداتي أو المرجعي (في الفقه/ القضاء/ النحو/ الطب/ ... إلخ)
٥	المؤلف الأصلي في خدمة القائم بالاختيار الذي يختار ويستبعد ما يشاء من أفكاره.	القائم بالتلخيص في خدمة المؤلف الأصلي ومعيار نجاحه القدرة على توصيل معظم أفكاره.
٦	انتقاء وعزل ومجانسة معلومات في إطار محدد، لخدمة غرض محدد، في مجال أو موضوع معين.	تكامل المعلومات والأفكار وتدرجها بقدر معين، وتنوعها لخدمة الغرض الأصلي من التأليف.

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٦٢٤.

أسس الاختيار ومحاوره:

يقوم الاختيار أساسًا على الإيثار، وترجيح الشيء على غيره، ويرتكز الترجيح أو الإيثار عند اختيار معلومات معينة على محور أو أكثر من المحاور التالية:

١ ـ المؤلف	٢ ـ العصر	٣ ـ المكان
٤ ـ القيمة	٥ ـ الجمهور	٦ ـ الموضوع

فالمحاور السابقة هي التي تقوم عليها العلاقة التي تربط بين مجموعة من المعلومات يتم اختيارها من نص معين وإبرازها في نص جديد تابع، لخدمة غرض أو قيمة أو وظيفة معينة. **وفي ما يلي تفصيل لهذه العناصر:**

١ ـ محور المؤلف:

يشمل التعريف بما كتبه مؤلف معين، أو عدة مؤلفين[١]، ومن أمثلة ذلك:

* المختار من أدب العقاد...[٢].

* نوادر الفلاسفة والحكماء، لحنين بن إسحاق[٣].

٢ ـ محور العصر: التعريف بخير ما أنتجه عصر من عصور الأدب.

٣ ـ محور المكان: التعريف بخير ما أنتجه إقليم معين.

٤ ـ محور القيمة: يشمل تصفية نص معين، وانتقاء أفضل ما فيه،

---

(١) مجدي وهبة وكامل المهندس. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص١٨٨ (المختارات).

(٢) مع مقدمة تحليلية، عبد اللطيف شرارة، بيروت، دار الكاتب العربي، ١٩٨٢م، (٢٥٠ص).

(٣) اختصره محمد الأنصاري، تحقيق: عبد الرحمٰن بدوي، الكويت، معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥م.

بالقياس إلى قيمة معينة، فقد يكون التفضيل على أساس: القيمة العلمية أو الطرافة أو وثاقة المصدر أو علو الإسناد[1]. والوجه الآخر للانتقاء هو استبعاد ما لا يتفق مع معايير التفضيل، مثل استبعاد الضعيف، والمعقد، والمرفوض، والزائد عن الحاجة، والمتناقض... إلخ.

ومن أمثلة هذا النوع من أنواع الاختيار:

أ ـ «المنتقى من تاريخ أبي الفدا»، انتقاء الذهبي (ـ ٧٤٨هـ).

ب ـ «المنتخب من تاريخ ابن النجار»، انتخاب الذهبي (ـ ٧٤٨هـ).

ج ـ «مختار العقد الفريد لابن عبد ربه»، لعبد الحكيم محمد السبكي وآخرين.

د ـ «المختار من التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح»، للزبيدي (ـ ٨٩٣هـ).

هـ ـ «فتح العين»، لابن غالب التياني الأندلسي (ـ ٤٣٦هـ)، (أتى فيه بما في «معجم العين» للخليل بن أحمد من صحيح اللغة)[2].

٥ ـ محور الجمهور: يشمل انتقاء ما يلائم فئة أو مجتمعًا معينًا، **وقد يكون التركيز على ما يلي:**

أ ـ ما يجب معرفته لجمهور معين.

ب ـ ما يجب حفظه.

ج ـ ما يسهل استخدامه.

د ـ ما يوافق الحاجة.

---

(١) في مجال إسناد الحديث النبوي، وفي ذلك مختارات متنوعة للأحاديث منها العوالي والوحدانيات والثنائيات والثلاثيات... إلخ، ويقصد بها الأحاديث عالية الإسناد. انظر: الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُّنَّة المشرفة، ص٨٦ ـ ١٠٥.

(٢) السيوطي، المزهر ١/ ٨٨.

هـ ـ تقريب النصوص الأمهات لجمهور معين في عصر معين.

ومن أمثلة هذا النوع من أنواع الانتقاء:

* «مختار تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم»، اختيار توفيق الحكيم[1].

٦ ـ **محورالموضوع**: يشمل استخراج ما كُتِبَ (في/عن) موضوع أو اتجاه أو مذهب معين، من نص أو نصوص معينة، وهو ما يطلق عليه **المجانسة**، ويعالج في ما يلي:

ثانيًا: المجانسة

المجانسة في تعريف الجرجاني هي «الاتحاد في الجنس»[2]، وفي هذه الدراسة تعني نوعًا من الاختيار، يقوم على الانتقاء والترتيب، حيث يتم في بعض الأحيان انتقاء بيانات ومعلومات متجانسة في موضوع معين واستخراجها، من نص معين يكون واسع التغطية شديد الخصوبة في معظم الأحيان، ثم يتم إبرازها في عمل مستقل يُنسب في شكله الجديد إلى المؤلف الذي قام بالانتقاء والمجانسة.

وقد يكون العمل الجديد في شكل كتاب مرجعي تنظم فيه وحدات المعلومات هجائيًّا أو زمنيًّا... إلخ، أو يكون في شكل كتاب عادي له تبويب معين.

وفي مبحث سابق من هذا البحث، عولج موضوع إعادة ترتيب النص، ولكن بدون انتقاء منه، أما في المجانسة، فيتم الجمع بين عنصرين هما: الاختيار من النص، والترتيب.

---

(١) ... القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

(٢) الجرجاني، التعريفات، ص٢٠٤.

ويشبه ذلك العمل ما يسمَّى في عصرنا بـ«بنك المعلومات»[1] (Information bank)، وقد حفل التأليف العربي بنماذج مرجعية مكتملة ينسحب عليها هذا التعريف بشكل أو بآخر، وفي هذا الإطار نجد «تجنيسات» مرجعية أنتجها التأليف العربي **كبنوك معلومات** سطرية مقروءة سبقت عصر الحاسب الآلي بقرون عديدة.

وبالإضافة إلى بعض الأمثلة السابقة في موضوع إعادة ترتيب النص بأكمله بحسب الموضوع[2]، نجد في ما يلي أمثلة لهذا النوع من المؤلفات التجنيسية بحسب التسلسل الزمني.

نماذج لتجنيسات قديمة:

١ ـ كتاب «صورة الأرض والمدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار»، استخرجه الخوارزمي (ـ ٢٣٢هـ) من كتاب «جغرافيا» لبطليموس الفلوزي حوالي ١٥٠م...[3].

٢ ـ «المستفاد من ذيل بغداد» لابن النجار (ـ ٦٤٣هـ)، انتقاء ابن الدمياطي (ـ ٧٤٩هـ) (وهو انتقاء لتراجم رجال الحديث مع ذكر

---

(١) تصبح هذه التسمية ممكنة في الحالات التي تقتطع فيها بعض البيانات المتجانسة من رصيد الإنتاج الفكري، ثم تنظم في وعاء مرجعي تقليدي على هيئة قاموس أو دائرة معارف أو موجز إرشادي أو دليل عام... أو مؤلف مرجعي من الأوعية التقليدية (أي: في شكل كتاب)، وذلك ما يسمَّى عند استخدام الحاسب الإلكتروني «بنك المعلومات». انظر التعريف في المرجع التالي: (سعد محمد الهجرسي. قضية الاختزان والاسترجاع الإلكتروني للمعلومات الببليوجرافية، مع نموذج معياري لأشكال الاتصال، تقديم وتعريب سعد محمد الهجرسي، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٧م، ص١٧.

(٢) انظر: تصنيف وموضعة النص، ص٢٥٠ بالكتاب.

(٣) اعتنى بنسخه وتصحيحه هانس فون منريك. فيينا، مطبعة آدولف هولز هوزن، ١٩٢٦م.

مؤلفاتهم الدينية فقط)[1].

٣ ـ «تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية»، تأليف الخزاعي التلمساني (ـ ٧٨٩هـ)، (استمد التلمساني من الأحاديث النبوية معلومات عن الحرف والصناعات التي كانت موجودة في العهد النبوي ورتبها في أبواب)[2].

٤ ـ «غِراس الأساس»، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ) (قام بجمع المجازات الواردة في معجم أساس البلاغة للزمخشري (ـ ٥٣٨هـ)، وأخرجها في كتاب خاص بالمجازات)[3].

نماذج لتجنيسات حديثة:

٥ ـ «معجم غريب القرآن»، لمحمد فؤاد عبد الباقي. (استخرجه من صحيح البخاري)[4].

٦ ـ معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي (ـ ١٢٠٥هـ)، جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي[5].

وهو تجنيس ومَعجمة (ترتيب هجائي) لأسماء النباتات التي استخرجها من تاج العروس، وفي مقابل اسم النبات بالعربية اسمه باللاتينية واليونانية وبالإنجليزية أحيانًا، وفي نهاية المعجم كشافات بكل لغة وكشاف بأسماء علماء النبات الواردة بالمعجم.

---

(١) تحقيق: قيصر أبو فرح، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م، (المجلد ١٨ من موسوعة تاريخ بغداد).

(٢) تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥م، ص٩١٩.

(٣) أمين الخولي، «مقدمته» في (أساس البلاغة، للزمخشري؛ تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م، ص٧).

(٤) ط٢، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٠م.

(٥) القاهرة، الدار المصرية للتأليف، ١٩٦٥م، (٢٣٠ص).

٧ ـ «شخصيات كتاب الأغاني»، للأصفهاني (ـ ٣٥٦هـ)، صنعة داود سلوم ونوري حمودي القيسي[١]، (استخرج الباحثان ٤٨٦ ترجمة لشعراء ومُغَنيِّنَ منذ الجاهلية وحتى العصر العباسي، كانت متناثرة في كتاب الأغاني للأصفهاني ورتبت الأسماء زمنيًّا بتاريخ الوفاة).

٨ ـ «معجم الشعراء في لسان العرب»، ياسين الأيوبي[٢]، (وهو ثَبَت شامل لجميع الذين استشهد بشعرهم ابن منظور، مع حصر أشعارهم كل على حدة، وبلغ عددهم (١١٦٩) شاعرًا، رتبهم هجائيًّا، ويلي اسم الشاعر الجذور التي ورد فيها شعره في «لسان العرب» للرجوع إليها).

وعندما ننظر إلى التراث الهائل من النصوص العربية القديمة، نجد المجال واسعًا ورحبًا لعمل أنواع لا حصر لها من التجنيسات، تنتظر مَنْ يقوم بها سواء بالطرق التقليدية أو باستخدام الإمكانيات المتطورة للحاسب الإلكتروني، وسوف يتيح ذلك الوحدات المعرفية الدقيقة للباحثين في موضوعاتها وبترتيب مرجعي دقيق ميسر.

* * *

---

(١) بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢، (٤٨٥ص).

(٢) بيروت، دار العلم للملايين، (٥٥٠ص).

المبحث الخامس

تدريج النص

يقصد بالتدريج في هذا البحث، إخراج المؤلِّف لعدة مستويات لواحد من مؤلفاته، بحيث تتدرج من التوسع إلى الإيجاز أو العكس، ويقوم المؤلف هنا بتحويل نص معين إلى مستوى أعلى أو أقل بحسب اختياره، وذلك يعني أن التأليف العربي منذ عصر مبكر، قد تعامل مع ما نسمِّيه اليوم بالإنقرائية Readability، وهو الملاءمة بين محتوى النص ومستواه، وبين قدرات واحتياجات فئة معينة من القراء، من مستوى المبتدئ إلى مستوى المتبحر في العلم.

وكان من بين تقاليد التأليف العربي التي بلورها حاجي خليفة في مقدمة كتابه كشف الظنون، أن يحدد المؤلف **مستوى القارئ** الذي يوضع من أجله الكتاب، وذلك ببيان **مرتبة الكتاب**؛ أي: **متى** يجب أن يقرأ، **وترتيبه** (بين غيره من الكتب)، ونحوُ (نوع) التعليم المستعمل فيه[(١)].

ولا يزال ذلك مهمًّا حتى وقتنا الحاضر. ويتجلَّى ذلك المنهج الواعي في توجيه التأليف، في العنوان الذي أطلقه ابن رشد الفيلسوف (ـ ٥٩٥هـ) على كتابه: «**بداية** المجتهد **ونهاية** المقتصد في الفقه»[(٢)].

---

(١) كشف الظنون، «المقدمة»، ١/ ٣٦.

(٢) عبد الرحمٰن بدوي، موسوعة الفلسفة، ١/ ٢٥.

ومصطلح التدريج هنا يستخدم للدلالة على **تصرف المؤلف بنفسه** في نصوصه، سواء **بتوسيع كتاب موجز**، أو **بإيجاز كتاب مطول**، أما إذا تصرف شخص آخر في النص فيسمَّى ذلك **بالاختصار أو الانتقاء أو التهذيب**... إلخ، وذلك بحسب المقصود من تشغيل النص.

والتدريج موجود في وعي المؤلفين العرب القدماء، وقد أشار إليه حاجي خليفة بكلمة «**المقدار**»، فيقول: «إن **قواعد العلوم** (أي: الكتب التي تحتوي على العلوم بخلاف التاريخ والشعر)، تنحصر من جهة **المقدار** في ثلاثة أصناف:

الأول: مختصرات تُجعل تذكرةً لرؤوس المسائل...

الثاني: مبسوطات...

الثالث: متوسطات، وهذه نفعها عام»[1].

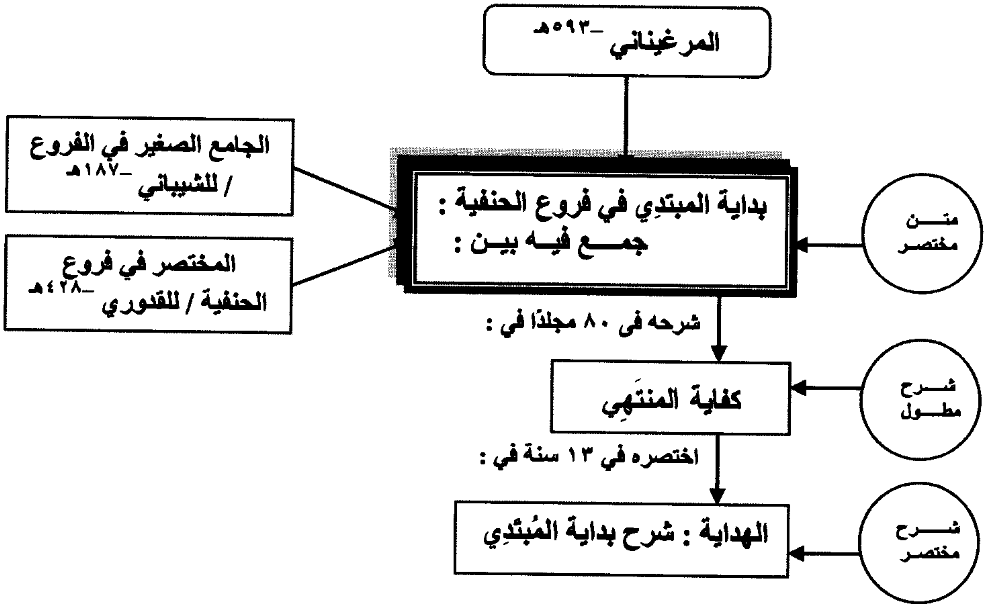
وتختلف حركة المؤلفين في سُلَّم التدريج، من أعلى لأسفل؛ أي: من تأليف المطول إلى الوسيط إلى الوجيز، أو من أسفل لأعلى، بتأليف الوجيز وصولًا إلى المطول.

وقد ينطلق المؤلف من مستوى «المتن المختصر»، إلى الشرح المطول، إلى الشرح المختصر، ونجد ذلك لدى **المرغيناني**[2] في المثال التالي:

---

(١) كشف الظنون، «المقدمة»، ١/ ٣٥.

(٢) أ ـ محمد يوسف البنوري «مقدمته» في (نصب الراية لأحاديث الهداية، للزيلعي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩٣هـ، مج١، ص١٤).
ب ـ كشف الظنون، ١/ ٢٢٨، ٥٦١، ٢/ ١٦٣١، ٢٠٣١.



شكل (٣٦) تدريج المرغيناني (مختصر - مطول - مختصر)

ويلاحظ هنا أن المرغيناني (- ٥٩٣هـ) (في شرق العالم الإسلامي) الذي كان معاصرًا لابن رشد (- ٥٩٥هـ) (في الأندلس) كان واعيًا ومستخدِمًا مثله للكلمات نفسها: «**المبتدِي**» و«**المنتهِي**» في عناوين كتبه، **والبداية والكفاية**، تحديدًا **لمرتبة الكتاب، ومرتبة القارئ** الذي يخاطبه.

وفي التدريج، تتميز المؤلفات في الغالب بتكرار الجزء الرئيسي من العنوان، مع اختلاف الصفة المميزة لمستواه، وتكون عبارة عن كلمة، مثل: **البسيط** في كذا، **والوسيط** في كذا، **والوجيز** في كذا...

ولكن هناك مستويات لكتاب واحد يحمل كل منها عنوانًا مختلفًا تمامًا، مثل: «تاريخ العيني الكبير والصغير وعنوانهما كما يلي[1]:

الكبير: - «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، لمحمود بن أحمد العيني (- ٨٥٥هـ) (في نحو ٢٠ مجلدًا)

(١) كشف الظنون، ١/٢٩٨.

الصغير (نسبيًا): ـ «تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر» (في نحو ١٠ مجلدات).

أنواع التدريج

من أجل تمييز أنواع التدريج في مجال التأليف، يمكن استخدام المصطلحات التالية:

أولًا: التدريج المنتظم (الثنائي والثلاثي والرباعي).

ثانيًا: التدريج الناقوسي.

ثالثًا: التدريج المقطوع (الأُحادي).

رابعًا: التدريج الافتراضي (الذي لم يعلنه المؤلف صراحة).

وفي ما يلي تفصيل لهذه الأنواع:

أولًا: التدريج المنتظم:

حيث نجد المؤلف يُخرج الكتاب في أكثر من مستوى، ويتدرج في ذلك من مستوى معين إلى ما يزيد أو يقل عنه، وقد يشمل التدريج مستويين أو ثلاثة، وفي أقصى درجاته الممكنة يشمل المستويات الأربعة التالية:

المطول ⟷ الوسيط ⟷ المختصر ⟷ الوجيز (الخلاصة)

ويبدو التدريج في الغالب مرتبطًا بأغراض تعليمية، وإن وجد ـ أحيانًا ـ في نصوص أدبية كـ«النوادر» للكسائي (ـ ١٩٧هـ).

ويُعرِّف حاجي خليفة **المبسوط** أو المطول، بأنه **ما كَثُرَ لَفْظُهُ ومعناه**(١).

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٥٨٠.

كما يُعرِّف **المتوسطات** بأنها الكتب التي من شأنها أن تتوسط في الترتيب التعليمي بين كتابين[1]؛ أي: يَلزمُ قراءتُها بين مستويين متباعدَيْن مطول ومختصر من المؤلفات في علم معين.

ومن المهم أن نشير إلى أن التدريج لا يشمل **حجم** النص فقط، (وإن كان له علاقة قوية بذلك)، بل يشمل **مستوى** الكتاب أيضًا، كما نفهم من تعريف حاجي خليفة للمتوسطات، وتسمية ابن رشد لكتابه **بداية المجتهد**... إلخ، ومن تسمية المرغيناني في كتابيه:

- **بداية المبتدِي**.
- **كفاية المنتهِي**.

ويضم التدريج المنتظم، الأشكال التالية:

١ ـ التدريج الثنائي:

١/١ يتم التدريج الثنائي في مستويين فقط، ويبدو ذلك شائعًا في الأحوال التي **يلخص فيها المؤلف كتابًا مطولًا من تأليفه**، ومن أمثلة ذلك:

أ ـ الإشارة إلى «وفيات الأعيان» و«المنتَقَى من تاريخ الإسلام»، للذهبي (ـ ٧٤٨هـ).

* اختصره الذهبي في: «الإعلام بوفيات الأعلام»[2].

ب ـ «ميزان الأصول في نتاج العقول»، للسمرقندي (ـ ٥٣٩هـ) (المطول).

* «ميزان الأصول في نتاج العقول»، للسمرقندي[3] (المختصر).

---

(١) المرجع السابق، ٢/ ١٥٨٥.

(٢) بشار عواد معروف، الذهبي، ص١٥، ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣) نشر المختصر بتحقيق: محمد زكي عبد البر، الدوحة (قطر) ١٩٧٤م. (انظر: مقدمة المؤلف ص١٢).

١/ ٢ وفي بعض الأحوال، يبدو التدريج الثنائي متقاربًا، مثل التدريج بين (مطول ووسيط)، أو (مختصر ومختصر للمختصر)، ويطلق على هذه الحالة في هذا الكتاب تسمية: **التدريج الثنائي المتقارب**: ومن أمثلة ذلك:

- «العقيدة الصغرى»، لابن شعيب الشهير بالسنوسي (ـ ٨٩٥هـ).

صغرى الصغرى: «مختصر أم البراهين»، للمؤلف(١).

ويبدو مما يروى عن ظروف التأليف، أن اختيار درجات التدريج كان أمرًا تمليه ظروف واحتياجات يستجيب لها المؤلف، وقد يبدو من الطبيعي أن يتدرج التأليف بين **المطول والمختصر**، أما التدريج من **المختصر** إلى **مختصر المختصر**، فهذا ما يبدو نادرًا.

٢ ـ التدريج الثلاثي المنتظم:

وهو أكثر مستويات التدريج اكتمالًا في التأليف العربي القديم، وغالبًا ما يتدرج بين:

(المطول ⟷ الوسيط ⟷ المختصر أو الوجيز)

ومن أمثلته:

١ ـ كتاب «النوادر»، للكسائي (ـ ١٩٧هـ) (الكبير) و(الأوسط) و(الأصغر)(٢).

٢ ـ «شروح التبريزي لديوان الحماسة»: (الشرح الطويل، والوسيط، والصغير)(٣).

٣ ـ «شرح الشَّلَوْبِيني النحوي» (ـ ٦٤٥هـ)، للمقدمة الجُزولية،

---

(١) دار الكتب المصرية، فهرس المخطوطات من (١٩٣٦ ـ ١٩٥٥م): القسم الثاني القاهرة، الدار، ١٩٦٢م، ص١٠١. وهو مختصر لكتاب «أم البراهين في العقائد» للسنوسي. (كشف الظنون ١/ ١٧٠).

(٢) ابن النديم. الفهرست، ص٦٥.

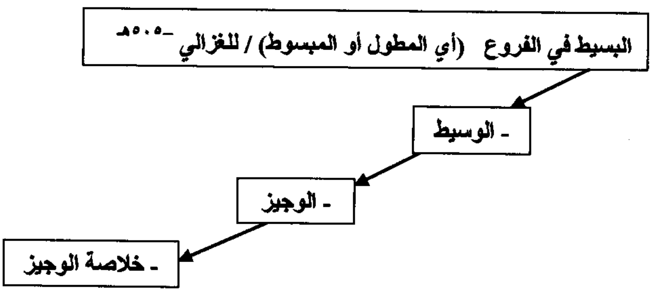
(٣) بلسنر، م. «التبريزي»، دائرة المعارف الإسلامية، مج٤، ص١٦٧ ـ ١٧٠.

للجزولي البربري النحوي (ـ ٦٠٧هـ)، المسمَّاة: بالقانون في (النحو)، في ثلاثة مستويات: الشرح الصغير للمقدمة، الشرح الكبير، التوطئة (وسط بين الصغير والكبير)(١).

٤ ـ «المعجم الوجيز»، و«الوسيط»، و«الكبير»، لمجمع اللغة العربية (في مصر).

٣ ـ التدريج الرباعي المنتظم:

قد يصل تدريج المؤلف أحيانًا للكتاب الواحد، إلى أربعة مستويات، مثلما فعل الغزالي (ـ ٥٠٥هـ)، عندما ألف في الفقه الشافعي كتابًا درَّجه كما يلي(٢):



شكل (٣٧) تدريج المستويات الأربعة عند الغزالي

(١) أ ـ يوسف أحمد المطوع (محقق)، «مقدمته» في (التوطئة، للشلوبيني، القاهرة) د.ن، ١٩٨١م، ص٨٨، ١٠٢ ـ ١٠٣.
ب ـ ويذكر له حاجي خليفة شرحين: الكبير والصغير، وقد ورد اسمه هكذا: الشلوبين الإشبيلي. (كشف الظنون ٢/ ١٨٠٠).

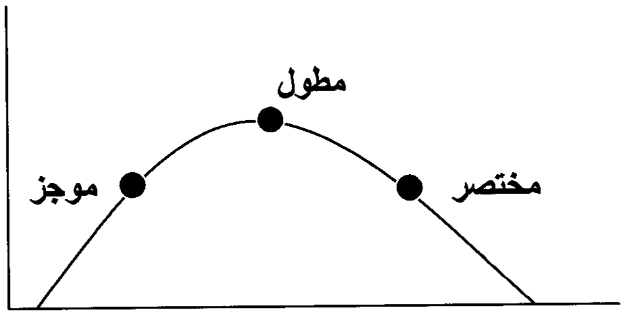
(٢) أ ـ وقيل في ذلك:

هـذّب المـذهـبَ حَـبْـرُ أحـسـنَ الـلَّـهُ خَـلاصَـهْ
بـبـسـيـطٍ ووسـيـطٍ ووجـيـزٍ وخُـلاصـهْ

انظر: عبد الرحمٰن بدوي. مؤلفات الغزالي، القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ١٩٦١م، ص٤٧٩.
ب ـ كشف الظنون، ١/ ٢٤٥، ٢/ ٢٠٠٢ (ولم يذكر خلاصة الوجيز وهي المستوى الرابع من التدريج).

ثانيًا: التدريج الناقوسي:

ويبدو التدريج فيه كالناقوس، يبدأ من مستوى الموجز، ويتدرج إلى مستوى أكبر، ثم يعود إلى المختصر من جديد، ويبدو التوزيع كما يلي:



شكل (٣٨) التدريج الناقوسي

وقد لوحظ ذلك التدريج في المثال التالي من مؤلفات القلقشندي[١]:

١ ـ «رسالة موجزة في ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء».

(ثم وسَّعها في):

٢ ـ «صبح الأعشى في صناعة الإنشا».

(ثم اختصره في):

٣ ـ «ضوء الصبح المُسْفِرْ وجَنِيُّ الدَّوْحِ المُثْمِرْ».

ولا يعتبر ذلك التدريج ثلاثيًّا رغم مراحله الثلاثة؛ لأنه لا يحقق الغرض من التدريج الثلاثي، ولكنه جاء نتيجة مراحل تطورية في تأليف الكتاب.

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم، «مقدمته» في (أبو العباس القلقشندي وكتابه: صبح الأعشى، تأليف مجموعة من الأساتذة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، ص٩ ـ ١٦).

ثالثًا: التدريج المقطوع:

ويقصد به اقتصار المؤلف على إخراج كتابه في مستوى واحد فقط، مع تسمية الكتاب بالوجيز أو الوسيط أو المطول، ولا يصدر مستويات أخرى من التدريج لهذا الكتاب. **ومن أمثلة ذلك:**

١ ـ «مبسوط فخر الإسلام»، للبزدوي (ـ ٤٨٢هـ)[١] (١٤ مج).

٢ ـ «الموجز في الطب»، لابن غالب النصراني (ـ ٥٩٩هـ)[٢].

رابعًا: التدريج الافتراضي:

وقد لا يتيسر في بعض الأحيان معرفة مسلك المؤلف في تدريجه لبعض مؤلفاته، ولكن بعض المؤلفات تبدو تدريجًا لغيرها استنتاجًا أو افتراضًا من الباحثين في ما بعد. ومن أمثلة ذلك ما يجده الباحثون من علاقة بين:

«رسالة الملائكة» و«رسالة الغفران» وكلاهما للمعري: (ـ ٤٤٩هـ).

فرسالة الملائكة إما أن تكون نواة لرسالة الغفران إذا كانت سابقة عليها، أو تكون صورة مصغرة لها إذا كانت مؤلفة بعدها[٣].

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٥٨١.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٩٩٩.

(٣) مفيد قميحة، «مقدمته» في (رسالة الغفران، للمعري (ـ ٤٤٩هـ)، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٤م، ص١٠، ٣٦٨.

الفصل السابع

تحويل النص

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نَظْم أو تَرْجِيزُ النص.

المبحث الثاني: أشكال أخرى من التحويل.

الفصل السابع

تحويل النص

خضع كثير من النصوص للتحويل من شكل إلى آخر، سواء في نطاق اللغة الواحدة؛ كالتحويل من نثر إلى شعر، أو من لغة إلى أخرى، أو من ثقافة وإطار اجتماعي إلى ثقافة وإطار اجتماعي آخر.

وسوف أعرض في ما يلي ما تيسَّر حصره ودراسته من الأشكال المختلفة لتحويل النصوص، وهي:

المبحث الأول: نَظْمُ النص أو تَرْجِيزه.

المبحث الثاني: أشكال أخرى من التحويل:

١ ـ ترجمة النص.

٢ ـ التحويل الصوتي للنص.

٣ ـ الترجمة الأدبية الموازية.

٤ ـ تبْيِيءُ النص.

٥ ـ التحويل الوعائي للنص.

٦ ـ تفصيح النص.

٧ ـ ازدواج النص.

٨ ـ التحويل التعليمي والإنقرائي للنص.

المبحث الأول

نَظْم النص أو تَرْجِيزه

يقصد بنَظْم النصوص تحويلها من نثر إلى شعر، والتَّرْجِيزُ من الرَّجَز وهو أحد بحور الشعر[١].

واستخدم لهذا اللون من التحويل أسماء مختلفة، مثل: **نَظْم، ومنظومة، ومنظومة في الرَّجَزْ، وأُرْجُوزة، وتَرْجِيز**، ويدخل في هذا النوع المؤلفات التي تحمل في عنوانها كلمة «ألفية».

وكذلك استخدمت كلمة «**كرّاسة**» لتدل على الأرجوزة أحيانًا، ففي الغرب الإسلامي استعملت كلمة «الكراريس» للدلالة على «الأراجيز» المتعلقة برسم القرآن وضبطه وأدائه[٢].

وقد عَرف التأليف العربي هذا النمط من التأليف، في مجالات علمية كثيرة، مثل اللغة (النحو والصرف والألفاظ)، والأخلاق والعقائد والتوحيد، وعلوم القرآن، والفقه، والسيرة، والخط العربي، والرياضيات، والكيمياء، والفلك، والملاحة البحرية، والموسيقى، والطب، والجنس، والأغذية، والتاريخ، والجغرافيا، والفنون الحربية والعسكرية. كما نُظِمت بعض النصوص الأدبية النثرية مثل «كليلة ودمنة»[٣].

---

(١) انظر: مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية، ص٩٩ (رَجَز)، ص٢٢٧ (نَظْم).

(٢) أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات، ص٢٥٧.

(٣) أ ـ كشف الظنون، ١/ ٦٢ ـ ٦٣، ١٥١ ـ ١٥٧.

=

وكانت الصياغة الشعرية المنظومة للعلوم، تخدم غرضًا تعليميًّا هو تيسير حفظ النصوص، ولذلك يُسمَّى «**النَّظم التعليمي**»، ولكن النَّظْمَ لم يكن تعليميًّا دائمًا، بل كان نوعًا من **النصوص المجهزة للحفظ** في ذاكرة الإنسان، وشمل النظم معظم مجالات الفكر والحياة والترفيه والقيادة والطهو وغيرها، ولكن من المهم القول بأنه كان كثيرًا ما يحتوي على المقدمات الأساسية في أي علم من العلوم أو لون من المعرفة[1].

وقد عرف التأليف العربي طريقين إلى إعداد المنظومات العلمية، هما:

أ ـ **تحويل نصوص** معينة إلى شكل شعري منظوم، وتناول ذلك بصفة خاصة تحويل النصوص التلخيصية الموجزة؛ لأن كثيرًا من المنظومات كانت تلخيصية مركزة ومهيأة للحفظ.

ب ـ **التأليف المباشر** في صورة نظم، بغير الإشارة إلى نَظْم نص سابق منثور، وإن كان من الصعب أن نتصور قيام المؤلف بتأليف منظومة في العلم بغير الاستعانة بملخص تخطيطي منثور، سواء من إعداده أو من إعداد غيره، وخصوصًا في المنظومات الطويلة الجامعة لمسائل علم من العلوم.

= ب ـ ومن الجدير بالذكر هنا، الإشارة إلى أبحاث الأستاذ الدكتور جلال شوقي أستاذ الهندسة، الذي كرس حياته لجمع نصوص المنظومات العربية ودراستها، كما اهتم بالحصر الببليوجرافي للمنظومات، وجمع بيانات لما يزيد على الألفي منظومة في كافة المعارف والعلوم، وحقق ونشر بعضها.

ـ وقد نشرت له دراسة مهمة في مجال المنظومات وهي: (جلال شوقي، العلوم العقلية في المنظومات العربية: دراسة وثائقية ونصوص، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٩٠م، ص٩٣٤).

ـ كما نشرت له دراسات كثيرة في الدوريات العلمية في هذا المجال.

(١) ومثال لذلك كتاب بعنوان: المقدمات، للنويري (ـ ٨٥٧هـ)، وهي في النحو والصرف والعروض والقافية. (كشف الظنون ٢/ ١٧٩٤).

الجذور التاريخية للمنظومات العربية

يشير د. جلال شوقي إلى ظهور منظومات باللغة العربية **قبل الإسلام**، في مجال (الهيئة والتقاويم والمواقيت)[(١)].

كما يؤكد جلال شوقي وجود المنظومة العلمية منذ القرن **الأول للهجرة**، ولم يتأخر ظهورها حتى العصور التي يطلق عليها البعض (عصور الانحطاط)، فأول نظم عُرِف بعد ظهور الإسلام كان للأمير خالد بن يزيد بن معاوية (ـ ٨٥هـ) بعنوان «فردوس الحكمة في الكيمياء»، من ٢٣١٥ بيتًا»[(٢)].

وظيفة المنظومات العلمية

المنظومات لون من المتون المختصرة شديدة التركيز والتكثيف، يساعد على حفظها الخاصية الموسيقية للنَّظْم، و«كان النظم رغم جدِّيته يصاغ أحيانًا بصورة محببة، كأن يُصب في قالب من التعشق والغزل، مثل: «يا مُولَعًا بالغَضَبْ»[(٣)].

---

(١) جلال شوقي، العلوم العقلية في المنظومات العربية، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٩٠م، ص١٦.

(٢) أ ـ جلال شوقي «منظومات العلم الرياضي». حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (جامعة قطر)، ع٧، ١٩٨٤م، ص١٨٧.

ب ـ كشف الظنون، ٢/ ١٢٥٤.

ج ـ ويشير جلال شوقي إلى أن صوغ العلوم والمعارف في منظومات هو ظاهرة تميزت بها الحضارة الإسلامية العربية وحضارات أخرى كالهندية واليونانية... وانتقل تأثير المنظومات العربية إلى الترجمات اللاتينية للعلم العربي. انظر: المرجع السابق، ص١٨٩.

(٣) كما ورد في منظومة منسوبة إلى سديد الدين البهنسي (ـ ٦٨٥هـ)، نُظِم فيها نصٌّ منثور ألَّفه قطرب البصري النحوي (ـ ٢٠٦هـ) عنوانه: المثلث في اللغة. =

وعند تقييمنا للأراجيز والمنظومات العلمية، ينبغي أن نأخذ في اعتبارنا إمكانيات العصور التي ظهرت فيها، ووسائل الاتصال، ومدى وفرة وسائل التعليم، ولم يكن الحفظ في هذه العصور هو غاية العلم، بل كان وسيلة ضرورية؛ ولذلك نجد من الطبيعي أن يسهم في ترجيز النصوص علماء أفذاذ من أمثال **ابن سينا**، فله **أرجوزة في الطب**، «يعتقد بأنها ملخص لما ورد في موسوعته الطبية «**القانون الكبير**»، وضعها بشكل شعري جذاب ليُسهِّل على الدارس الحفظ، على أن يرجع إلى القانون للتوسع والتعمق والاطلاع»(١).

وهنا نتعرف إلى المعادلة الحقيقية وأساس التوازن في العملية التعليمية في عصور المخطوط، وهي حفظ المتون الملخصة، ثم التوسع في الشروح والمطولات. فكلاهما ضروري، «وبعض هذه المتون لا تكاد تفهم بلا شرح، سواء كانت منثورة أو منظومة»(٢)؛ ولذلك كان **المتن**

= انظر:

أ ـ كشف الظنون، ٢/ ١٥٨٦.

ب ـ جلال شوقي، المثلثات اللغوية: متونها ومنظوماتها حتى نهاية المئة السابعة للهجرة»، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (جامعة قطر)، ع٩، ١٩٨٦م، ص١٧٦.

(١) طه إسحاق الكيالي، أرجوزة الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب، أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، المنعقدة بجامعة حلب من ٥ ـ ١٢ نيسان (إبريل) ١٩٧٦م، حلب، معهد التراث العلمي، جامعة حلب، ١٩٧٧م، ١/ ٧٨٥.

(٢) أ ـ ريتر، هـ. «كتاب باتانجل لأبي الريحان البيروني». في (صلاح الدين المنجد، المنتقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية، ط٢، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦م، ص٦٥)، ص٥٩ ـ ٧٢.

ب ـ ويشير ريتر إلى وجود متون هندية أشد اختصارًا من المتون العربية ويسمون هذا النوع سوترا، ومن ذلك متن «باتانجل» وهو مؤلف هندي عاش =

الملخص تتعدَّد عليه الشروح، أو يشرحه مؤلفه نفسه كما فعل السيوطي[1] وغيره.

ويُجمل «القِنَّوجي (ـ ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) نظرة العصور السابقة إلى الحفظ، فيشير إلى أن الحفظ غيْرُ المَلَكَة العلمية (والمَلَكَة هي المقدرة والمهارة والموهبة)، . . . ومن ظن أنه المقصود من الملكة العلمية فقد أخطأ، وإنما المقصود هو ملكة الاستخراج والاستنباط وسرعة الانتقال من الدوال إلى المدلولات. . . فإن انضم إليها ملكة الاستحضار فنعم المطلوب. . . والحفظ من أسباب (أي: وسائل) الاستحضار»[2].

فالاستحضار من الذاكرة، يقابله ويكمله **الاسترجاع من الأوعية** (مثل الكتب)؛ ولذلك كان على المتعلم أن يعد ذاكرته لهذا الدور عن طريق برامج مجهزة وميسرة للحفظ.

ويمكن مقارنة **ترجيز النصوص قديمًا**، بعمليات **برمجة النصوص واختزانها في الحاسب الآلي** في عصرنا. فإذا كان اختزان المعلومات في الحاسب الآلي يستلزم التحويل من لغة طبيعية مقروءة للإنسان، إلى لغة صناعية (Artifical Language)، أو **لغة للبرمجة**[3] (Programming Language)، بحيث يُستوعب المخزون المبرمج في ذاكرة خارجية للحاسب الآلي، فيمكن في المقابل أن نعتبر **نظم النصوص أو ترجيزها نوعًا من برمجة النصوص** وتحويلها إلى لغة تيسر اختزان المعلومات في

= في حدود ٣٠٠ سنة بعد الميلاد، وقد ترجم البيروني كتابه في التصوف والزهد بعنوان (جوكا سوترا)، إلى اللغة العربية. (انظر: المرجع السابق ص٦٤).

(١) نَظَم السيوطي ألفية بعنوان «عقود الجمان في علم المعاني والبيان»، ثم شرحها في «حل عقود الجمان». (انظر: كشف الظنون ١/ ٤٧٩).

(٢) القنوجي، أبجد العلوم. . . ١/ ٢٣٩.

(٣) The ALA glossary... p12 (Artifical Language), p179 (Programming Language).

ذاكرة الإنسان الداخلية[١] عن طريق الحفظ. فالنظم يحوِّل النص إلى أبيات؛ أي: وحدات لغوية قصيرة، ذات أوزان؛ أي: إيقاعات ومسافات منتظمة تساعد على التذكر والاستحضار، وفي هذا الإطار نرى ميزة المنظومات العلمية في أنها كانت حلًّا ملائمًا بل وعبقريًّا لعصرها[٢].

وخير ما يصور لنا النظرة إلى وظيفة استظهار أو حفظ النصوص في هذه العصور نصيحة ابن سينا (ـ ٤٢٨هـ) لأخيه الصغير «علي»، ففي منظومة ابن سينا وعنوانها «القصيدة المزدوجة في المنطق»، وهي مكونة من ٢٩٧ بيتًا، يسجل نصيحة لعلي في البيتين رقم ٣٩، ٤٠، يقول فيهما:

[٣٩] فيا «عليٌّ» اجْعَلْهُ ظَهْرَ القَلبِ حتَّى إذا بَلَغْتَ سِنَّ اللُّبِّ

[٤٠] عَقَلْتَ ما استظهرتَ منه عَقْلًا وصِرْتَ للخير الكثيرِ أهْلًا[٣]

المنظومات والألفيات

تسمَّى المنظومة في بعض الأحيان بـ(الألفية)، ويبدو أن رقم الألف ـ بصورة تقريبية ـ كان سعة معقولة وذائعة في احتواء علم ونظمه بأكمله،

(١) الذاكرة الداخلية والخارجية، مصطلحان مأخوذان من المرجع التالي: (سعد محمد الهجرسي، الإطار العام للمكتبات والمعلومات، أو نظرية الذاكرة الخارجية، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٥ ـ ١٧)، (٥٧ص).

(٢) ويمكن أن نتصور مدى الفائدة التي تعود على ربان السفينة الذي يخوض البحر مزودًا (أو مُبرمَجًا) بنصوصٍ منظومةٍ في فنون الملاحة وعلوم الفلك وفن إدارة الركاب.. كذلك اللحظة الاسترجاعية الضابطة عند إعراب لفظ، بتذكر القاعدة في ألفية نحوية، أو تذكر دواء لمرض معين، أو قاعدة فقهية معينة... إلخ.

(٣) جلال شوقي، العلوم العقلية في المنظومات العربية، ص١٥٠. (والقصيدة موجودة بكاملها في هذا المرجع).

كالنحو أو الحديث أو الفقه أو الألغاز الخفية...[1]. فقد اشتهرت تسمية الألفية في هذا المجال، إلى جانب متون منظومة لم تلتزم برقم الألف، فقد سُمي بعضها بالألفية رغم تجاوزه رقم الألف[2]، وأحيانًا كان أقل من الألف، ولكن الأغلب في هذه الحالة أن تسمَّى **أُرجُوَزة** إذا خالفت رقم الألف.

والملاحظ غالبًا أن الألفية تقتصر على علم واحد، ولكن هناك ألفيات شملت الواحدة منها أكثر من علم[3].

ببليوجرام المنظومات

يلاحظ أن النظم شمل العلاقات التالية بين النصوص:

١ ـ نظم نص منثور:

وذلك هو السائد والغالب، **ومن أمثلته**:

أ ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير (ـ ٦٠٦هـ) (النص الأصلي المنثور).

ـ «الكفاية في نظم النهاية»، نظم ابن الحنبلي (ـ ٧٨٥هـ) (تحويل منظوم)[4].

ب ـ «مسائل حنين» (في الطب): لحنين ابن إسحاق (ـ ٢٦٠هـ) (النص الأصلي المنثور).

---

(١) انظر أمثلة لهذه الألفيات في: كشف الظنون، ١/ ١٥١ ـ ١٥٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر كمثال: ألفية في عشرة علوم، لابن الشحنة (ـ ٨٩٠هـ) (الباباني، إيضاح المكنون ١/ ١٢١).

(٤) كشف الظنون، ٢/ ١٩٨٩.

ـ «لُطَفُ المسائل وتُحَفُ السائل»، نظم مسائل حنين، لابن رقيقة (ـ ٦٣٥هـ) (تحويل منظوم)[(١)].

ج ـ «كليلة ودمنة»، ترجمة عبد الله بن المقفع (ـ ١٤٢هـ).

ـ نَظَمه سهيل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد البرمكي[(٢)]

ـ كما نظمه أبان بن عبد الحميد اللاحقي في رجز تعليمي.

د ـ «النُّقاية»، للسيوطي (ـ ٩١١هـ) (النص المنثور).

[وهو خلاصة لأربعة عشر علمًا، شرحه السيوطي في: «إتمام الدراية لقراء النقاية»].

ـ النص المنظوم: «روضة الفُهُوم بنَظْم نُقاية العلوم»، للسنباطي المصري الشافعي (ـ ٩٩٠هـ) (وهو من ١٥٠٠ بيت)، وقد زاد السنباطي أربعة علوم هي الحساب والعَروض والقوافي والمنطق[(٣)].

٢ ـ الاختصار المنظوم لنص منظوم:

ـ «الألفية في النحو»، لابن مالك (ـ ٦٧٢هـ) (النص الأصلي منظوم في ألف بيت).

ـ «الوَفيّة»: مختصر الألفية للسيوطي (مختصر في ستمائة بيت)[(٤)].

٣ ـ شرح نص منظوم:

ـ كانت المنظومات متونًا مكثفة يحفظها الطلاب، ثم تشرح في

---

(١) كشف الظنون، ٢/١٦٦٨.

(٢) كشف الظنون، ٢/١٥٠٧.

(٣) جلال شوقي: المنظومات العلمية، ص١٨٩.

(٤) كشف الظنون، ١/١٥٢.

كتب مطولة، ومن هذه الأعمال شروح كثيرة لـ«ألفية ابن مالك» وغيرها، ومن الأمثلة أيضًا: «الدرة الخفية في الألغاز العربية»، وهي منظومة رائيَّة لابن الركن اليماني، شرحها مؤلفها وسمَّاها بـ«الذبالة المضيئة»، ثم اختصر الشرح وسمَّاه «ضوء الذبالة»[(١)].

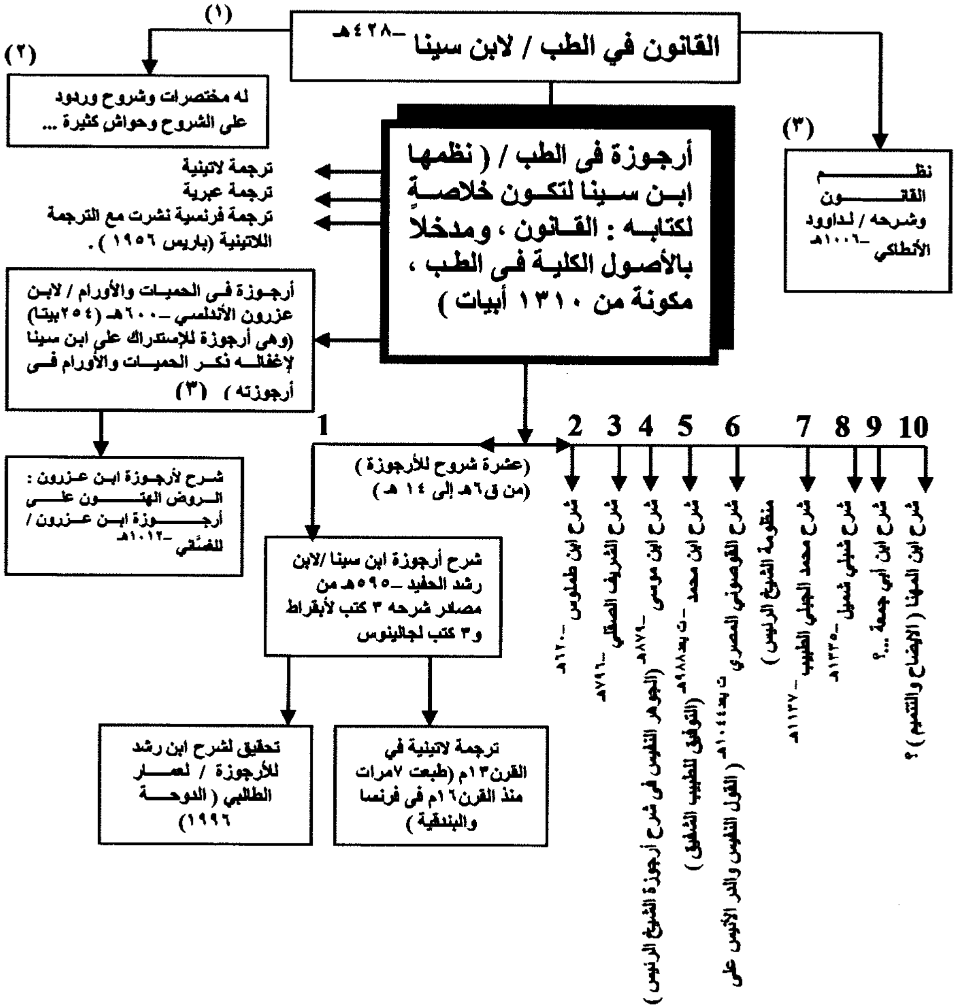
٤ ـ الببليوجرام المتعدد لنص منظوم:

في هذا المثال، نجد أن كتاب: «القانون في الطب»، لابن سينا (ـ ٤٢٨هـ) قد تحول إلى منظومة بعنوان: «أرجوزة في الطب»، لابن سينا أيضًا، فقد نظمها لتكون خلاصة لكتابه: «القانون»، ومدخلًا بالأصول الكلية في الطب، وهي مكونة من ١٣١٠ أبيات[(٢)].

ـ وقد حظيت هذه الأرجوزة بكثير من أنواع التأليف النصِّي، وشمل التفارع عليها الشروح، والنَّظم (فقد ظهرت أرجوزة للاستدراك على أرجوزة ابن سينا)، والترجمات إلى اللاتينية والعبرية والفرنسية، ثم ظهرت تفارعات من الرتبة الثانية على هذه المؤلفات، ثم من الرتبة الثالثة، كما يتضح من الشكل التالي:

(١) كشف الظنون، ١/ ٧٤٠.

(٢) عمار الطالبي «مقدمته» في (شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا في الطب، تحقيق: عمار الطالبي لنصِّ الأرجوزة وشرح ابن رشد، الدوحة، جامعة قطر، ١٩٩٦م، ص١ ـ ٦١).



شكل (٣٩)

ببليوجرام أرجوزة ابن سينا في الطب

(١) أ ـ انظر: عمار الطالبي، المرجع السابق.
ب ـ يفصل بين وفاة ابن سينا وابن رشد (١٦٧) عامًا هجرية، كما عاش الأول في المشرق، والثاني في الأندلس.

(٢) كشف الظنون، ٢/١٣١٣.

(٣) أرجوزة ابن عزرون منشورة في (مجلة المورد، ع٤، ١٩٨٥م، والمورد ع٩، مجلد ١٩).

تحليل ببليوجرام (القانون في الطب)، (والأرجوزة في الطب)

لابن سينا (ـ ٤٢٨هـ)

العدد	الكتاب	رتبة التفارع	المجموع
١	القانون في الطب، لابن سينا (ـ ٤٢٨هـ)	النص الأصلي (منثور)	
١	أرجوزة في الطب، لابن سينا	تفارع أول	
١٠	شروح (منها: شرح لابن رشد الحفيد)	تفارع ثانٍ	
١	أرجوزة للاستدراك على الأرجوزة	تفارع ثانٍ	
٣	ترجمات (لاتينية، وعبرية، وفرنسية)	تفارع ثانٍ	
	مجموع التفارع الثاني =		١٤ مؤلَّفا
١	شرح للأرجوزة على الأرجوزة	تفارع ثالث	
١	ترجمة لشرح ابن رشد للأرجوزة (لاتينية)	تفارع ثالث	
١	تحقيق لشرح ابن رشد للأرجوزة (لعمّار الطالبي)	تفارع ثالث	
	مجموع التفارع الثالث =		٣ مؤلّفات
	* إجمالي التفارع الأول والثاني والثالث = (ولم يُحتسب النص الأصلي وهو القانون في الطب)		١٨ مؤلّفًا
	* إجمالي النص الأصلي والتفارعات الثلاثة =		١٩ مؤلّفًا

شكل (٤٠)

كرونوجرام «أرجوزة في الطب»، لابن سينا (ـ ٤٢٨هـ)

(المخطط الزمني لتأثير المنظومة وتفارعاتها في أكثر من ألف عام)

القرن الهجري		القانون في الطب / لابن سينا ـ٤٢٨هـ
٥	هـ	أرجوزة فى الطب / لابن سينا (وهي نظمه لكتابه القانون فى الطب)
٦	هـ	إستدراك ابن عزرون (نظما) + شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا
٧	هـ	شرح على أرجوزة ابن سينا (لابن طملوس) + ترجمة لاتينية لشرح ابن رشد (القرن ١٣ الميلادي)
٨	هـ	شرح على أرجوزة ابن سينا (للشريف الصقلي)
٩	هـ	شرح على أرجوزة ابن سينا (لابن موسى) + بداية طبع الترجمة اللاتينية لشرح ابن رشد (١٦ م)
١٠	هـ	شرح على أرجوزة ابن سينا (لابن محمد)
١١	هـ	شرح على أرجوزة ابن سينا (للقوصوني) + شرح لأرجوزة ابن عزرون (للغساني)
١٢	هـ	شرح على أرجوزة ابن سينا (للجبلي)
١٣	هـ	.... (لا توجد مؤلفات)
١٤	هـ	شرح على أرجوزة ابن سينا (لشبلي شميل)
١٥	هـ	تحقيق لنص أرجوزة ابن سينا وشرح ابن رشد عليها (لعمار الطالبي نشر عام ١٩٩٦)

ويلاحظ :

١ ـ أن المدى الزمني لتأثير أرجوزة ابن سينا واستمرارها في مجال الدراسة والاستدراك والشرح والترجمة والتحقيق، استمر على مدى عشرة قرون، منذ تأليف المنظومة في القرن (٥هـ)، وحتى القرن (١٥هـ) (أي: عام ١٩٩٦م).

٢ ـ أن المدى الزمني لتأثير شرح ابن رشد للمنظومة استمر تسعة قرون (من القرن ٦هـ إلى ١٥هـ).

٣ ـ أن المدى الزمني لتأثير منظومة ابن عزرون التي استدرك بها على منظومة ابن سينا استمر خمسة قرون (من القرن ٦هـ إلى ق١١هـ).

٤ ـ أن المدى الزمني لتأثير الترجمة اللاتينية لشرح ابن رشد استمر نحو خمسة قرون منذ ظهرت في عصر المخطوط اللاتيني في القرن (١٣م/ ق٧هـ)، وطبعت ٧ مرات منذ القرن (١٦م/ ق١٠هـ) وقد استمر تدريس طب ابن سينا وابن رشد في أوروبا حتى (ق١٨م).

المبحث الثاني

أشكال أخرى من التحويل

أولاً: ترجمة النص

الترجمة هي تحويل للنص من لغة إلى أخرى، ولقد تُرجمت بعض المؤلفات العربية قديمًا إلى لغات أخرى، «مثل الفارسية والتركية والسريانية والعبرية والحبشية والقبطية واللاتينية... ويرى «برجستراسر» أن هذه الترجمات ليست مهمة من جهة نقد النصوص العربية لكثرة أخطائها وعدم دقتها[1].

ولكن هذا الرأي لا ينطبق على الترجمات الأجنبية للنصوص العربية القديمة التي فُقدت كما حدث في بعض كتب ابن رشد، التي فُقد أصلها العربي، ولم تبق إلا في ترجمات عبرية أو لاتينية[2].

ومثل هذه الترجمات تهم الباحث في مجال المقارنة بين الأصل العربي وترجماته القديمة في حالة وجودهما بالفعل، بالإضافة إلى إمكانية دراسة أنماط انتقال الفكرة والمصطلح من العربية إلى لغات أخرى، وقد حدث مقابل لذلك عندما أنْقَذت الترجمات العربية نصوصًا يونانية ضاع أصلها اليوناني في ما بعد، وعرفتها الحضارة الحديثة من خلال ترجماتها العربية.

---

(١) برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، ص٤٠.

(٢) عبد الرحمٰن بدوي، موسوعة الفلسفة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤م، ١/ ٢٤.

ثانيا: التحويل الصوتي للنص
(النَّقْحَرَةُ إلى حروف لغة أخرى)

لقيت بعض النصوص العربية المخطوطة اهتمامًا من متكلِّمي لغات أخرى، تعلموا العربية، ووجدوا من الأسهل نقل الكلمات والنصوص العربية إلى حروف اللغة التي يجيدونها ويستريحون إلى نطقها، مع الاحتفاظ للنص بالبنية الصوتية العربية، فهو نص عربي ولكنه مكتوب بحروف لغة أخرى.

ويسمَّى ذلك بالنَّقْحَرَة[1]، وقد يتم النقل حرفًا بحرف، ويسمَّى ذلك Translitration[2]؛ أي: النقل الصوتي للحروف.

وقد يتم نقل البنية الصوتية للكلمة إجمالًا حسب نطقها وليس حروفها بالتفصيل، كما يمكن نقل الرموز والمقاطع في الكتابات القديمة الهيروغليفية (التصويرية) والمقطعية وغيرها، ويسمَّى ذلك transcription؛ أي: الكتابة الصوتية أو النقل الكتابي للمنطوق أو المسموع.

ويمكن أن نُميّز في مجال نقحرة النصوص العربية إلى حروف لغات أخرى، ما يلي:

١ ـ الكَرْشَنَة
٢ ـ العَبْرَنة
٣ ـ الرَّوْمَنَة أو اللَّيْتَنة
٤ ـ العَرْبَنَة

(١) **النقحرة** كلمة منحوتة من كلمتي (النقل الحرفي)، وتسمى أيضًا التحرُّف.
(انظر: أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي ص٣١٧).

(٢) وتتكون كلمة (Translitration) من مقطعين: عَبْر = trans + حرف = litera
(انظر: Wahba, Magdi. A dictionary of literary terms... p676).

ويمكن توضيح ذلك في ما يلي:

١ ـ الكَرْشَنَة: (أو السَّرْيَنَة)(*):

الكرشنة كلمة من اللغة السريانية وتعني: كتابة الكلمات العربية بحروف سريانية.

«**والمخطوط الكَرْشُوني**» هو المخطوط العربي المكتوب بالحرف السرياني[١]. ولذلك أسميها «**السَّرْيَنَة**»*.

وقد نقل السريان نصوصًا عربية قديمة إلى حروفهم، ولكنها ظلت عربية في مبناها.

٢ ـ العَبْرنَة*:

وهي كتابة النص العربي بحروف عِبْرية، وقد حدث ذلك لكثير من أمهات الكتب **العربية القديمة، وكان ذلك سببًا في حفظها من الضياع**[٢]. **وأسمي هذه الحالة «بالعَبْرَنَة»***.

٣ ـ الرَّومنة أو اللَّيْتَنَة: (Romanization or Latinization):

ويقصد بها إبراز الكلمات العربية بالحروف الرومانية أو اللاتينية[٣].

٤ ـ العَرْبَنَة*: Arabization:

وهي تشير إلى كتابة النصوص والأسماء غير العربية بالحروف العربية، كمخطوطات المجتمعات الإسلامية التي لها لغات غير العربية

---

* هذه العلامة تميز الكلمات التي هي من صياغة المؤلف وهي السَّرْيَنَةُ، والعَبْرَنة، والعَرْبَنَة.

(١) أحمد شوقي بنبين، معجم مصطلحات المخطوط العربي، ص٢٧٨.

(٢) Wahba, Magdi. Op.cit.

(٣) أحمد شوقي بنبين، مرجع سابق، ص١٥٦.

كاللغات الإفريقية والفارسية والأفغانية والأوردو والتركية والبوسنوية والإندونيسية والكردية وغيرها، التي كتبت بالحروف العربية، ويسمى المخطوط حينئذ «**المخطوط الإسلامي العربي**».

وقد استمرت بعض هذه اللغات في استخدام الحرف العربي، بينما تحول بعضها إلى الحروف اللاتينية بتأثير الاستعمار الأوروبي في كثير من الأحيان؛ مما جعلها تنقطع عن كثير من تراثها القديم.

وقد استَخْدمتُ لفظ **العَرْبَنَة** حتى لا يختلط المفهوم مع التعريب وهو ترجمة المعاني إلى العربية.

وعندما استوعبت اللغة والثقافة العربية فيضًا غزيرًا من ثقافات اللغات والأمم الأخرى، واجهت مشكلة تعريب كثير من الحروف والأصوات في هذه اللغات، لم يكن لها مقابل في الهجائية العربية، مثل حرف (پ) الثقيل في الفارسية، الذي نقله العرب إلى فاء، فنقلوا **پهرست إلى فهرست، وپهلوي إلى فهلوي، وپرجار إلى فرجار**[(١)].

كما نجد محاولة جريئة قام بها أحمد بن الطيب السرخسي (ـ ٢٨٦هـ) لوضع حروف هجاء عربية جديدة بلغت **أربعين حرفًا** لنقل الكلمات الفارسية والسريانية والإغريقية (اليونانية) والرومية (اللاتينية) القديمة إلى الحروف العربية[(٢)]، وهو إبداع بالغ الأهمية والغرابة كان يحتاج إلى الاهتمام والتطوير بدلًا من أن نجهله في تاريخ الهجائية والترجمة العربية.

---

(١) كمال عرفات نبهان، الپهرست والفهرست، الجذور الفارسية للمصطلح الببليوجرافي وتطوره في المشرق والمغرب العربي. (مجلة المكتبات والمعلومات العربية، س١٩، ع ٣، يوليو/ تموز ١٩٩٩م، ص٤٧ ـ ٦٤).

(٢) روزنتال، فرانتز، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي. . . ص٧١. (نقلًا عن: مقالة كراوس (Kraus) في مجلة الثقافة، س٥، ع٢٢٣، إبريل/ نيسان ١٩٤٣م، ص١٤).

ثالثًا: الترجمة الأدبية الموازية

وتعني تحويل النص الأدبي في لغة معينة، إلى لغة أخرى مع إبقائه في مثل جنسه الأدبي، مثل **ترجمة الشعر إلى شعر، والقصة إلى قصة، والمسرحية إلى مسرحية**. . . إلخ.

وبالنسبة للنصوص العربية، يحدث ذلك في اتجاهين:

أ ـ ترجمة النص الأجنبي إلى اللغة العربية.

ب ـ ترجمة النص العربي إلى لغة أجنبية.

وثمة نماذج مبدعة في هذا المجال، مثل:

ـ ترجمة أحمد رامي لرباعيات الخيام من شعر بالفارسية إلى شعر بالعربية.

ـ ترجمة سليمان البستاني لإلياذة هوميروس إلى العربية من شعر إلى شعر.

ويقابل الترجمة **الأدبية الموازية**، ما يمكن أن نسمِّيه **بالترجمة الأدبية المخالفة**، وذلك عندما يترجم **الشعر** إلى **نثر** مثلًا، وقد حدث شيء من ذلك في قصيدة البردة، للبوصيري (ـ ٦٩٤هـ)، التي قام الدفتري المصري بترجمة أبياتها وشرحها بالتركية[١].

رابعًا: تبييئ النص: (التحويل الثقافي للنص)

يقصد بمصطلح تبييئ النص تطويع النص الأجنبي لظروف ثقافة أخرى وإكسابه ملامح مجتمع وبيئة أخرى؛ حتى يصبح ملائمًا للبيئة الجديدة، بعد تغيير العناصر والملامح الغريبة أو المرفوضة.

ويشمل ذلك ترجمة النص من لغة إلى أخرى، مع التصرف في

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٣٣٥ ـ ١٣٣٦.

أسماء الأشخاص والأماكن والأحداث، مثلما نجد في الترجمات العربية القديمة، لمؤلفات يونانية وهندية وفارسية، عندما استبعدت منها أسماء الآلهة وملامح المعتقدات الوثنية، وحل مكانها ما يلائم الثقافة الإسلامية.

ويحدث ذلك في إطار ما يسمى **بالتمصير** أحيانًا **وبالتعريب** أحيانًا أخرى؛ فقد حدث تمصير للبيئة والشخصيات عند ترجمة نصوص أدبية كثيرة، مثلما حدث عند ترجمة مسرحية موليير من الفرنسية إلى العربية، حيث حوِّرت شخصية «طرطوف» الفرنسي إلى «متلوف» المصري[١]... إلخ، واستمرت جهود التمصير (أي: تحريك الأشخاص والأحداث في **بيئة مصرية**)، وجهود التعريب (أي: تحريك الأشخاص والأحداث في **بيئة عربية**)، منذ بدايات الترجمة إلى الأدب العربي في العصر الحديث، وكان التعريب أكثر استخدامًا عند ترجمة أعمال أدبية تاريخية، حيث تتحول الأحداث التاريخية والأماكن الأجنبية إلى ما يحل مكانها من أحداث وأماكن مستمدة من بيئة وتاريخ عربي، أو من **بيئة شرقية** بشكل عام، وقد يعني لفظ التعريب: نقل النص إلى العربية «**بتصرف**»، وهناك كثير من التفاصيل حول تاريخ التمصير والتعريب للنصوص الأجنبية، في تأريخ توفيق الحكيم للحركة الأدبية التي عاصرها في مقتبل حياته[٢].

وقد يتسبب **التصرف والتحويل والتحوير** في إبعاد العمل المترجم

(١) كان ذلك بتشجيع من «رفاعة الطهطاوي» لتلميذه المترجم: محمد عثمان. (انظر: أنور لوقا غبريال، ربع قرن مع رفاعة الطهطاوي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م، ص١٤٤ ـ ١٤٥).

(٢) انظر: توفيق الحكيم، سجن العمر، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها ١٩٦٤م، (ص١٥٩ ـ ١٦٠)، (٢٧٢ص).

عن أصله، كما يرى بعض النقاد في أعمال أدبية لمصطفى لطفي المنفلوطي، الذي كان يتلقى بعض القصص التي ترجمت إلى العربية، ويتصرف فيها بأسلوبه[١]، وقد حدث ذلك في صياغته لماجدولين، والفضيلة، وفي سبيل التاج، وغيرها[٢].

خامسًا: التحويل الوعائي للنص

يحدث ذلك عندما «يعاد سبك العمل الفني المتضمَّن في النص، لكي يتفق مع وسيط أو وعاء (medium) فني آخر؛ كتحويل **القصة إلى فيلم سينمائي أو مسرحية، أو المسرحية إلى فيلم**... إلخ[٣].

سادسًا: تفصيح النص

ويعني ذلك: تحويل النص من اللغة **العامية** إلى اللغة العربية **الفصحى**، وقد حدث مثل ذلك عندما أعاد محمود تيمور صياغة بعض قصصه، فأبرزها بالفصحى مستبعدًا الألفاظ العامية من النص القديم، ومن ذلك كتابه: «أبو علي عامل أرتست. وقصص أخرى»[٤]. الذي أصدره بعد عشرين عامًا بعنوان: «أبو علي الفنان وقصص أخرى»[٥].

---

(١) شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر، ط٨، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، ص٢٢٩، (٣٠٧ص).

(٢) ليس هنا مجال التقييم الأدبي لمثل هذه الأشكال من التحويل والتصرف في النصوص، ولكن الهدف هو رصدها وإدراجها في مكانها من أشكال التأليف النصِّي، وإن كان من الممكن القول بأن مجال الأدب مفتوح لكل أشكال التحويل والتصرف، ولكل عصر وأديب وجمهور حاجاته التي تلائمه.

(٣) Magdi Wahba, op. cit. p5 (adaptation).

(٤) القاهرة، المطبعة السلفية، ١٩٣٤م، (١٦٣ص).

(٥) القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٤م، (١٢٨ص). (اقرأ، ١٣٦).

سابعًا: ازدواج النص

ويتضح ذلك عندما نجد النص صادرًا في صورتين: بالعامية، والفصحى، وقد حدث ذلك عندما أصدر محمود تيمور، مسرحية بعنوان «قنابل»[١]، وقصة بعنوان «المخبأ رقم ١٣»[٢]، وجعل لكل منهما طبعتين، إحداهما بالعامية والأخرى بالفصحى، وصدرت الطبعتان في زمن واحد.

ثامنًا: التحويل التعليمي والإنقرائي للنص

ويشمل ذلك إعداد النص لأهداف تعليمية أو لمستوى قرائي معين؛ كتعديل بعض الروائع الأدبية لطلاب المدارس، أو تحويل أعمال تراثية إلى أعمال مبسطة للأطفال، ومن أمثلة ذلك إعداد «السيرة النبوية» لابن هشام[٣]، و«حي بن يقظان»[٤]، وترجمات عربية لأعمال شكسبير وديكنز وغيرهما في أسلوب وإخراج وتصوير يلائم الصغار.

---

(١) قنابل: مسلاة مصرية في ثلاثة فصول، القاهرة، مطبعة مكتبة مصر، ١٩٤٣م (١٨٩ص).

(٢) القاهرة، دار الهلال، ١٩٤٩م، (١٨٠ص).

(٣) انظر: السيرة النبوية، طبعة ميسرة، إعداد: إبراهيم الإبياري، رسوم محمد التهامي، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٨٣م.

(٤) إعداد: صلاح عبد الصبور، رسوم مصطفى حسين، بيروت، دار الشرق، د.ت.

الفصل الثامن

مصاحبة النص

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شرح النص وتفسيره.

المبحث الثاني: أشكال أخرى من الشروح.

المبحث الثالث: التخريج والتخريجات.

الفصل الثامن

مصاحبة النص

هناك أنـواع من التأليف التابـع، أكثر ما تتصف به هو **مصاحبتها للنص الأصلي**، شرحًا أو تحشية أو غير ذلك، وقد يكون النص التابع مصاحبًا للنص الأصلي بأكمله، كما في بعض الشروح التي تحتوي على النص، أو الحواشي الكاملة على النص، وقد يكون مصاحبًا لأجزاء مقتطعة من النص لشرحها . .

وفي ما يلي دراسة لبعض هذه الأنواع:

- **الشرح.**
- **الحاشية.**
- **التعليق.**
- **القول على..**
- **الكلام على..**
- **التنكيت على..**
- **الطُّرَر.**
- **التخريج والتخريجات.**

المبحث الأول

شرح النص وتفسيره

الشرح[١] هو كشف الغامض وتفسيره، وهو التوضيح والبيان[٢]، ويعني الشرح: التوسيع والإفساح، أو التعليق على مصنَّف يُدرَس من وجهة نظر علوم مختلفة[٣].

وتستخدم كلمة **التفسير** بمعنى البيان والكشف أيضًا. وهي أكثر استخدامًا لشروح القرآن[٤]، ولكنها مستخدمة في مجالات أخرى، مثلما نجد في: «تفسير كتاب ما بعد الطبيعة»، لابن رشد[٥].

وأكثر استخدام التفسير في الألفاظ ومفرداتها، أما **لفظ التأويل** وهو مستمد من «الأول»، فأكثر ارتباطًا بتفسير المعاني والجمل، وهو أكثر استعمالًا في الدلالة على تفسير باطن اللفظ[٦].

---

(١) تستخدم كلمة التشريح بمعنى الشرح أيضًا. انظر: كشف الظنون، ٢/ ١٧٦٣.

(٢) التهانوي، محمد علي الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون، ٤/ ٩٤.

(٣) فو، كارادي «شرح»، دائرة المعارف الإسلامية، ١٣/ ١٨٨.

(٤) كشف الظنون، ١/ ٤٢٧ ـ ٤٣٤ (تعريف كلمة تفسير).

(٥) عبد الرحمٰن بدوي، موسوعة الفلسفة، ١/ ٢٤.

(٦) أ ـ طاش كبري زاده. مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ٢/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤.
ب ـ انظر الفرق بين استخدام: Exegesis لتفسير الكتاب المقدس أو تأويل الأحلام، وبين Tafsir, Commentary = لتفسير القرآن الكريم في (مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٩م، ص٦٤ ـ ٦٥).

ومن الكلمات المستخدمة بمعنى الشرح أيضًا، كلمة «**الفَسْر**» وقد شرح ابن جِنِّي (ـ ٣٩٢هـ) ديوان المتنبي (ـ ٣٥٤هـ) وسمَّاه «**الفَسْر**»[١].

الشرح والتفسير: الحاجة والوظيفة

يُعد الشرح والتفسير أهم أشكال التأليف التابع، الذي يدور حول نص محوري، كما يعد من أهم علاقات التأليف وأكثرها استمرارًا وتجددًا عَبْر العصور. ولقد عرف التأليف العربي منذ نشأته حتى الآن، أصولًا وتقاليدَ يلتزم بها الشراح، واهتم العلَّامة الببليوجرافي حاجي خليفة بالحديث عنها[٢].

والمفروض أن كل من وضع كتابًا إنما وضعه **ليُفهم بذاته** من غير شرح[٣]، ولو لفئة معينة على الأقل يخاطبها المؤلف، «فالنصوص في نشأتها، **أبنية معرفية** تتصل اتصالًا وثيقًا بالعالم الخارجي عن طريق الارتباط والدلالة المباشرة»[٤].

ولكن «تعامل» النص مع مستويات متعددة من القراء، حتى في عصر واحد، أو «استمراره» عبر عصور ومجتمعات وثقافات وظروف متعددة، أو «احتكاكه» بتجارب إنسانية، ومداخل متعددة للمعرفة.

---

(١) أ ـ كشف الظنون، ١/ ٨١٠.

ب ـ وكلمة الفسر أيضًا تعني التحليل، وقد استخدم الأطباء قديمًا كلمة الفسر بدلًا من كلمة التحليل الآن.

ج ـ وقد استُخدم لفظ التفسير أحيانًا للدلالة على «الترجمة»، قال النديم: وفسَّره يحيى بن برمك؛ أي: ترجمه. (انظر: النديم، الفهرست... ص٥٤٠).

(٢) انظر: كشف الظنون «المقدمة»، ١/ ٣٦.

(٣) المرجع السابق.

(٤) بتلر، كريستوفر، التفسير والتفكيك والأيديولوجية، ترجمة وتقديم: نهاد صليحة، فصول، (القاهرة)، مج٥، ع٣ (أبريل ـ يونيو/ نيسان ـ حزيران ١٩٨٥م)، ص٨١.

كل ذلك يبرز الحاجة إلى التعامل مع هذا النص من خلال **«قراءات»** و«محاولات» متكررة ومتجددة ومختلفة، لشرحه وتفسيره، طالما بقيت للنص مبررات البقاء في ظروف تختلف عن **«لحظة الوضوح»** التي «يُفترض» أنها كانت موجودة عند نشأته الأولى، سواء في ذهن مؤلفه أو لدى فئة معينة.

ولم يتم بعد التوصل إلى «تفسير نهائي لأي نص، ولا حتى لمجموعة تفسيرات يكمل بعضها بعضًا، للخروج بتفسير كلي أو نهائي لنص معين، جديد أو قديم»[(١)].

وقد تنشأ الحاجة إلى تفسير النص في زمان قريب من ظهوره، فالفاصل هنا هو فرق في مستوى الفهم، أو في الوظيفة المنشودة من النص وشرحه في العملية التعليمية.

ولكن الشائع أن يلتقي المفسِّر بموضوعه بعد فاصل زمني، وفوق خلفية تاريخية، فالشرح جسر ينتقل عليه النص من لحظة تاريخية معينة (عصر، أو بيئة، أو مجتمع، أو ثقافة، أو مستوى، أو وظيفة. . .) إلى لحظات تاريخية أخرى[(٢)].

ومن خلال التجربة التي يخوضها النص وتفسيره معًا، يمكن أن نتصور التفسير أو الشرح عربة تحمل كثيرًا أو قليلًا من مغزى النص أو جدواه، في مسار **زماني ـ معرفي**، يصبح النص من خلاله قابلًا

---

(١) شتاينمتز، هورست، حول إهمال الوظيفة الاجتماعية للتفسير، ترجمة: مصطفى رياض، فصول (القاهرة)، مج٥، ع٣ (إبريل ـ يونيو/نيسان ـ حزيران ١٩٨٥م)، (ص٦٧).

(٢) يمكن أن يرشح لدراسات قادمة، دراسة الفترات الزمنية بين الشروح والنصوص الأصلية، فالمخطط الزمني لهذه العلاقة (أو كرونوجرام الشروح) يمكن أن يبرز حقائق مهمة في مجال لقاء النص مع شروحه عبر خلفيات تاريخية وسوسيولوجية مختلفة. (المؤلف)

ـ نسبيًّا ـ للمرور من خلال الخبرات الفردية المتباينة للقراء، الذين يقومون ـ خلال «**الاتصال القرائي**» ـ بدورهم في **إعادة تفسير** الرسالة، وهو ما يميز القراءة كفعل اتصال كامل[١]. وقد تتحقق بذلك الغاية من التفسير، وهي تحقيق أقصى ما يمكن من الانسجام العقلي، رغم وجود أقصى ما يمكن من التنوع الفردي لدى المستقبِلين[٢].

الأسباب الداعية إلى تفسير نصٍّ معين

من الممكن أن نُجْمِل الأسباب الداعية إلى تفسير نص معين في ما يلي:

١ ـ تقريب «اللغة الفوقية»[٣] أو الصعبة للنص:

أ ـ فقد تتصف بذلك لإعجازها أو قِدَمِها أو لطبيعة الموضوع ذاته، أو للجوء المؤلف إلى «دقة المعاني في كلام وجيز كاف في الدلالة على المطلوب، فربما يتعذر على غيره (فهمه) فيحتاج إلى زيادة بسط في العبارة، لتظهر المعاني الخفية، ولذلك شرح بعض العلماء تصنيفَه»[٤].

ب ـ وقد تُحَمَّل الألفاظ أكثر مما تطيق من المعاني، في المختصرات والمتون، مما يجعلها تحتاج إلى شرح.

---

(١) انظر: تعريف فعل الاتصال القرائي في المرجع التالي: كمال محمد عرفات نبهان. دراسة ميدانية على قراءات الكبار بالمكتبات العامة بالقاهرة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات، ١٩٧٩م، ص٧ ـ ٨.

(٢) ستاروبنسكي، جان، النقد والأدب، ترجمة: بدر الدين القاسم، دمشق وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٦م، ص١٥٨.

(٣) ستاروبنسكي، المرجع السابق، ص١٥٥.

(٤) كشف الظنون، المقدمة، ١/٣٦.

٢ ـ بَذْرِيَّةُ النص ودلالاته المتجددة:

وقد يشتمل النص على بذور التطور في المستقبل، من خلال شرحه وتفسيره، وهذا ما يجعله بَذريًّا، Seminal، وقضية الشرح أو التفسير تتعلق أساسًا بدلالة النص، التي يسعى كل مفسر إلى «احتوائها» بدرجة أو بأخرى داخل إطاره المعرفي»[١]؛ وذلك هو **الاستقصاء التفسيري**، الذي يهدف إلى تحويل ما يحتويه النص من «دلالة مسبقة» Présignification إلى دلالة موسَّعة Signification developée، حيث يرتبطُ القول الشارحُ بالواقع والوقائع»[٢].

وكما أن بعض النصوص ينطوي على دلالات مسبقة، فقد يتضمن بعضها ذخيرة لم تنضب بعد من المعاني المحتملة، التي تتجلى في ظل رؤى جديدة في عصور جديدة، «ويبدو الحوار معها في ظروف مغايرة مكسبًا يتفق مع الحقبة الراهنة»[٣]، سواء من الناحية الجمالية أو العملية.

٣ ـ «حاجة النص إلى مقدمات ضرورية (من الناحية المنهجية)، لبعض الأَقْيِسَة»[٤]:

وذلك ما يقوم الشارح بإضافته، حتى يتكامل البناء المنطقي بين المقدمات والنتائج، كما يمكن أن «يُعطِيَ الشارحُ عِللًا لما لم يُعطِ المؤلفُ»[٥].

---

(١) بتلر، كريستوفر، المرجع السابق، ص٨١.
(٢) ستاروبنسكي، المرجع السابق.
(٣) ستاروبنسكي، المرجع السابق، ص١٥٩.
(٤) كشف الظنون، المقدمة، ١/٣٦.
(٥) المرجع السابق.

٤ ـ ربط النص التشريعي بأشكال التطبيق المختلفة:

ويؤدي الشرح المتجدِّد دوره «الوسيط»، في إيجاد العلاقة، عن طريق القياس، **بين عمومية النص وديمومته**، وبين **خصوصية التطبيق وظرفيته**، ويتسع مجال القانون لمدارس تؤيد التمسُّك بالنص القانوني والاجتهاد في شرحه، ولمدارس تعادي تثبيت النص وتنادي بتجاوزه.

والحل الوحيد أمام خاصية **ثبات النص** هو **دينامية التفسير ونسبيته**، فهو يمثل محاولة لإزالة الفجوة بين النص والواقع، «أو للقضاء على الفارق في الفهم، مع استبقاء الفاصل بيننا وبين النص، باعتباره مغايرًا، وليس مجالًا للتصرف فيه»[١]، وخاصة في حالة النصوص الدينية.

٥ ـ قوة الارتباط بين ثقافة معينة وبين نص معين:

كما يتضح في علاقة التأليف العربي **بالقرآن الكريم**؛ كنصٍّ يدور حوله التأليف الشارح والمُفسِّر من مداخل كثيرة: لغوية وبلاغية وتشريعية وجمالية وعلمية وفلسفية. . . إلخ.

ويكفي أن ننظر إلى تأثير الحاجة إلى **تفسير القرآن** على مجال محدد من المراجع العربية، وهو مجال المعاجم اللغوية العربية، حيث يلاحظ «أن جميع مظاهر المعجم العربي التاريخية، من رسائل مفردة، وغريب مصنف، ودلائل إعجاز، ومعاجم مختصة أو عامة، كلها وضعت في أول أمرها تفسيرًا أو تأويلًا لآيات القرآن ومعانيه ومجازاته»[٢].

ولعل ذلك أصدق تصوير لخصائص **النص الفوقي**، من حيث لغته ودلالاته ومعانيه.

---

(١) ستاروبنسكي، المرجع السابق، ص١٥٨.

(٢) محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديمًا وحديثًا، تونس، المعهد القومي لعلوم التربية، ١٩٨٣م، ص٢٩.

وقد يصح القول بأن «نشأة التفسير كانت مرتبطة بخدمة العقيدة الدينية، التي ترى في الكون والتاريخ والنصوص براهينها الخاصة، حيث يربط التفسير بين الكائنات جميعًا برباط الولاء المشترك لمبدأ وحيد، ويأتي بالبيِّنات إما بواسطة شبكات القياس، وإما عن طريق تسلسل الوقائع وتوالدها»[١].

٦ ـ الاستمتاع بالاستكشاف الذي يحققه التفسير والشرح:

فثمة دوافع إنسانية معرفية[٢]، تكمن وراء هذا **الشوق** إلى الفهم، والشوق «نحو الصعود إلى المعنى»[٣].

٧ ـ طَرْح الشرح:

بمعنى تقادم بعض الشروح القديمة، وتجاوز النص الأصلي لها، فقد يحدث لبعض الشروح ما يمكن أن نطلق عليه في هذه الدراسة: ظاهرة «طَرْح الشرح»، عندما ينفُض النصُّ عنه بعضَ تفسيراته وشروحه السابقة التي تنتمي إلى عصور ورؤى وإمكانياتٍ مختلفة، ويستمر النص الأصلي محتفظًا بدلالاته المسبقة، ومعانيه الكامنة والمحتملة، وخصائصه البَذْرية المتطورة مع الزمن؛ مما يخلق الحاجة إلى تفسير جديد، يتفق مع ثلاثي يتغير ويتجدد محتواه، وهو:

أ ـ الخبرة الإنسانية.

ب ـ الإدراك في ضوء الخبرة الجديدة.

ج ـ الوقائع والحالات الجديدة التي يَصدُقُ عليها التفسير.

---

(١) ستاروبنسكي، المرجع السابق، ص١٥٦.

(٢) انظر تفصيل هذه الدوافع في المرجع التالي: كمال محمد عرفات نبهان، دراسة ميدانية على قراءات الكبار، ص١٢٤ ـ ١٢٨.

(٣) ستاروبنسكي، المرجع السابق، ص١٤٩، ١٦١.

وقد يصح القول بأن هناك صراعًا مستمرًّا وكامنًا بين «**النص**» و«**محاولات**» شرحه، وبأن هذا الصراع حينما ينتهي لصالح شرح ما، فإنه يعني: انتهاء حيوية النص واستخداميته، واستنفاد ذخيرته كنص **أصلي مولِّد ومحرِّك** لنصوص شارحة جديدة، ولا نقول انتهاء قيمته العلمية.

وقد يعني ذلك: ظهور علاقات جديدة في التأليف تبدأ لتجاوُز الشرح، وهي:

أ ـ «شرح الشرح»: حيث يصبح أحد شروح النص، **نصًّا أصليًّا** تبدأ منه دورة تأليف جديدة.

ب ـ أو يظهر شرح جديد على النص الأصلي، **يتجاوز** شرحًا سابقًا، أو **يستفيد** من مزاياه وعيوبه.

الأساليب والمعالجات المختلفة في شرح النص

هناك آفاق متعددة ينطلق فيها الشرح، تبعًا لنوع النص المشروح ولأهداف الشارح.

ويمكن أن نجمل الأساليب والأبعاد المختلفة التي يمكن أن يتحرك فيها التأليف الشَّارِحُ ويتميز بها شرح عن آخر، في ما يلي:

١ ـ تأويل الفكرة وشرحها:

مع ربطها بقدر الإمكان بوضعيتها التاريخية وسوسيولوجيتها المعرفية. ولمحاولة الوصول إلى المقاصد الأصلية للنص، في إطار منهجي مقنن، في محاولة للصعود إلى المغزى الأصلي للنص، **بحيث يُشَدُّ الواقع إلى النص**.

٢ ـ توسيع العلاقة مع الفكـرة:

من خلال ربطها بمتغيرات الكـون والحياة والمجتمع... إلخ، ووصلها بلحظة ووضعية جديدة، وإيجاد علاقات لا حصر لها للنص، مع مجالات المعرفة والعالم الخارجي، **بحيث يُشَدُّ النص إلى أرض الواقع،** الذي هو مستوى من الفهم، أو الانتشار، أو المنفعة، وذلك عكس الاتجاه السابق.

ويمكن أن يتم إيجاد العلاقة المتجددة مع الفكرة، وإنضاجها لكي تلائم الظروف والمتغيرات الجديدة، عن طريق إضافة الأبعاد التالية إليها:

٢/ ١ **البعد اللغوي** (الاشتقاقي، والإعرابي، والإحصائي لتكرار كلمات أو تعبيرات معينة في النص، مما يعد مؤشرًا للمعنى).

٢/ ٢ **البُعد البلاغي.**

٢/ ٣ **البُعد الديني.**

٢/ ٤ **البُعد التاريخي** (الظرفي المصاحِب لنشأة النص ـ المؤصِّل للمغزى.. أو الوقائع التاريخية التي تصدُق أو لا تصدُق عليها الفكرة...).

٢/ ٥ **البُعد الفلسفي** (البحث عن المغزى الكلي ـ تجاوز قَالَب النص إلى روح النص...).

٢/ ٦ **البُعد التطبيقي** (أوجه الربط بظواهر ملموسة، أو وقائع محددة).

٢/ ٧ **البُعد العلمي** (أوجه الربط باكتشافات حديثة في الفضاء أو الأحياء... إلخ).

٢/ ٨ .. **البُعد الموسوعي المتعدد** (من خلال مجموعة من الأبعاد السابقة).

٣ ـ تأويل الفكرة من وجهة نظر المفسِّر وآفاقه الخاصة:

وقد يعني ذلك: «إضفاء المعنى على رموز النص»[١]، أو إسقاط مفهوم أو رؤية معينة على النص. وقد يتسع الإضفاء والإضافة، لكي يحول الشرح من كونه **قراءة تفسيرية**، إلى نص جديد يحتاج بدوره إلى تفسير، وقد يتطرف التفسير ويتجاوز وظيفته كتفسير، ويصبح شكلًا آخر من أشكال التأليف، عندما يصبح مغامرة تتسم بالجرأة والجموح والابتعاد عن النص، وقد حدث ذلك مع نصوص كثيرة حتى مع النصوص الدينية.

ويرى شتاينميتز Steinmitz (من وجهة نظر أدبية): «أن التفسير حينما يقوم على إعادة بناء «مقصد النص»، أو يطابق وجهة نظر النص، لا يأتي بجديد، وأنه لا يمكن للتفسير أن يتحقق إلا من زاوية «**خارج النص**»... فأهم عناصر الفعل التفسيري في نظره، هي **إضفاء المعنى** على رموز النص، أو **تشكيل المعنى** من زاوية معينة، لا في قيام المفسر بإيضاح المعاني»[٢].

وقد يعني التفسير: «**مساءلة النص**»، في محاولة للخروج بإجابة على أسئلة، ومن خلال ذلك «التفسير» يتم ربط النص **بإطار مرجعي** frame of reference يوجد خارج نطاق النص»[٣].

فالتفسير يأتي من موقعٍ ما **خارج النص**، وقد يُكسب النصَّ جانبًا فلسفيًّا أو ثوريًّا... إلخ[٤].

ومن الواضح أن هذه الرؤية مغامرة شيِّقةً في مجال الأدب، ولكنها

---

(١) شتاينمتز، هورست، المرجع السابق، ص٦٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ستاروبنسكي، المرجع السابق، ص١٤٨.

لا تتفق كثيرًا مع وظيفة التفسير عندما يتعامل مع النص الديني أو التشريعي بعيدًا عن التعصب أو الجموح والمغالاة، أو ضلالات العقل، مما سبب كوارث مدمرة في تاريخ الإنسان.

وينبغي أن نشير إلى أن مناهج الشرح والتفسير تختلف من مجال معرفي إلى آخر، وتأخذ أبعادًا متدرجة بين المرونة والتقييد، ولكن السياق الذي يحكم تفسير النصوص الدينية والتشريعية «يتخذ في الغالب شكل إجراءات محددة، تخدم أهدافًا محددة، تتقيد بالنُّظم والمفاهيم والتقاليد التي يخدمها التفسير»[1]؛ ولذلك ينبغي أن نفرق بين موقع التفسير **كخادم للنص**، وموقعه **كمستخدِم للنص**، **أو كنِدٍّ له**.

طبيعة الجهد العلمي في التفسير والشرح

الشرح أو التفسير عمل علمي يحتاج إتقانه إلى علم وفن، وقد اجتهد كل شارح أو مفسر للوصول إلى غايته، من خلال معالجات ومداخل متعددة، ويتضح ذلك في ضوء العناصر السابقة للتفسير.

وهناك كثير من الإشارات إلى ما تتضمنه شروح القدماء من عمليات جانبية مساعدة، ومن إشارات القنوجي (*) وحاجي خليفة (**)، يمكن تحليل العمليات المساعدة التالية (تشير علامة (*) لأفكار القنوجي، وعلامة (**) لحاجي خليفة):

١ ـ «البحث»[*]، ويشمل «التحقيق والتدقيق» (**)، وقد شمل ذلك في مجال شرح نصوص الحديث مثلًا، الحرص على وصل

(١) بتلر، كريستوفر، المرجع السابق، ص٨١.

(*) انظر: القنوجي، أبجد العلوم، ١/ ٢٢١.

(**) انظر: كشف الظنون، ١/ ٥٦٤، ٢/ ١٤٧٨ ـ ١٤٧٩ (في شرح الكشاف للزمخشري).

الأحاديث المعلقة؛ أي: تكملة الحلقات المفقودة، في إسناد الأحاديث، وشرح غريب الألفاظ وضبط إعرابها[1].

٢ ـ «الاعتراض»(*) و«المحاكمة والمسائل والردود»(**).

٣ ـ تفصيل ما أجمله الأصل المشروح(*).

٤ ـ «الزيادة»(**)، وتكميل ما نقصه وأهمله الأصل المشروح(*).

٥ ـ التوفيق والتلفيق(**)، والتلفيق في هذا المجال يعني: ضم الأشياء وإلحاق بعضها ببعض[2].

وهذا المعنى قريب من المعنى اللغوي للتأليف والتصنيف.

٦ ـ الترتيب(*).

٧ ـ التغيير(*).

ومن الأمثلة التي تحوي صورة لهذا التعدد: كتاب ابن رشد (الفقيه الجد) (ـ ٥٢٠هـ): **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل** في مسائل المُسْتَخْرَجَة[3].

وليس من اليسير أن نجد شرحًا يقتصر على بُعد واحد في المعالجة، لغوي، أو موضوعي، أو تمثيلي (من خلال إيجاد الأمثلة والمسائل وتوضيح العلاقات المختلفة للمعنى).

---

(١) استخلصت هذه الملاحظات من الشروح على صحيح البخاري. (انظر: كشف الظنون ١/ ٥٥٢).

(*) انظر: القنوجي، أبجد العلوم، ١/ ٢٢١.

(**) انظر: كشف الظنون، ١/ ٥٦٤، ٢/ ١٤٧٨ ـ ١٤٧٩ (في شرح الكشاف للزمخشري).

(٢) والأصل في التلفيق هو لفق الثوب؛ أي: ضم شقيه بالخياطة (ابن منظور، لسان العرب، مادة: لفق).

(٣) تحقيق: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤م، ١٥مج.

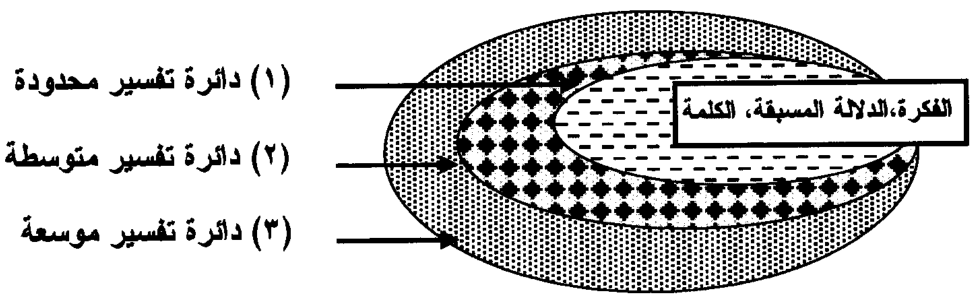
فالتفسير والشرح تأليف جديد، يمكن أن نطلق عليه «**التأليف التفسيري**»، ومن أدق خصائصه أنه يتحرك في دائرة يطلق عليها «ستاروبنسكي» دائرة التفسير، ويمكن توضيح ذلك في ما يلي:

دائرة التفسير

إذا صح أن الشارح (المفسِّر) ينطلق من الفكرة أو الدلالة المسبقة أو «الكلمة» الواردة بالنص المشروح، لكي يغطي ما تَصْدُق عليه من وقائع أو مفاهيم أو علاقات أو حالات...

فيمكن القول بأن التفسير «دائرة تنطلق من الكلمة أو الموضوع، لكي تعود إلى بدايتها، بعد أن تستوعب كل ما تلامسه في شمولها وانسجامها، ويمكن تسمية ذلك بدائرة التفسير[(١)] Cercle herménneutique، وتستوعب مساحة الدائرة الجهد الإنساني في التفسير.

ويمكن أن تُمثَّل عدة دوائر (محاولات) للتفسير في ما يلي:



مدى التغطية في دوائر التفسير

وكلما اختلف نصيب المفسر (الشارح) من التخصُّص والثقافة والموهبة، كلما اتسعت دائرة التفسير أو ضاقت، حيث يتجه كل مفسر

---

(١) ستاروبنسكي، جان، النقد والأدب، ترجمة: بدر الدين القاسم، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٦م، ص١٥٦ ـ ١٥٨.

في مدار يلامس مجالات متعددة من الخبرة والمعرفة (لغوية/ دينية/ فلسفية/ تاريخية/ اجتماعية/ نفسية/ جمالية/ علمية/ تطبيقية/ موسوعية . .).

ومن الممكن نظريًا عزل بعض أبعاد الجهد العلمي في التفسير والشرح، وتوضيح خصائصها منفصلة، في ما يلي:

١ ـ البعد المنهجي في الشرح والتفسير:

تأصّلت في مجالات الفقه الإسلامي والقانون مناهج راسخة في تفسير النصوص[١]. ويؤثر منهج المفسر في دور التأليف الذي يصدر عنه ومدى ما يؤديه من خدمة للنص، أو يحققه من فائدة.

وفي هذا الإطار المنهجي يميز زكي نجيب محمود بين **المفسر فقط**، الذي يقتصر على الشرح اللغوي وتفجير المعاني من الألفاظ، وبين **المفسر المفكر**، الذي يستخرج المعاني في إطار منهجي[٢].

٢ ـ البعد النقدي في الشرح:

يمتزج **الشرح بالنقد** أحيانًا، كما فعل ابن سيده في شرحه لكتاب إصلاح المنطق: لابن السِّكِّيت، إذ انتقد بعض الإجابات أو الحلول للمسائل اللغوية والصرفية[٣].

---

(١) انظر: أ ـ محمد أديب صالح، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، ط٢، (دمشق) المكتب الإسلامي، د.ت، ٢مج.
ب ـ محمد سليم العوا، تفسير النصوص الجنائية: دراسة مقارنة. . جدة، عكاظ للنشر والتوزيع، ١٩٨١م، (١٧٠ص).

(٢) زكي نجيب محمود «لا أظن أنني أشبه العقاد»، مجلة الحرس الوطني (الرياض) مايو/أيار ١٩٨٥م، ص٤٣.

(٣) رودريجث، داريو كابانيلاس، ابن سيده المرسي: حياته وآثاره، ترجمة: حسن الوراكلي، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٠م، ص٧٢.

ولم يقتصر الجهد التأليفي في مجال الشرح على نقد ما ورد في الأصل الذي يتناوله الشارح فحسب، بل تضمَّنت بعض الشروح التنبيه على أخطاء شروح سابقة للنص نفسه، كما حدث في بعض الشروح الكثيرة على «صحيح البخاري» (ـ ٢٥٦هـ)(١).

٣ ـ التناول الجزئي والتناول الشامل في الشرح:

يختلف الشرح في مدى علاقته بالمعاني المشروحة، فقد تكون دورة الشرح محدودة أو موسعة، **كما يلاحظ في المستويات التالية:**

١ ـ قد يقتصر الشرح على الألفاظ، فلا يلتفت إلى ارتباط الكلمات بعضها ببعض(٢)، ويُعَد هذا الشرح تفسيرًا ظاهريًّا للنص(٣).

٢ ـ قد يتعمَّق الشرح للإحاطة المتكاملة بالمعاني الظاهرة في النص.

٣ ـ وقد يتخطَّى التفسير أو التأويل ظاهر النص، ليبحث عن المعاني الباطنة، كما فعل الصوفية(٤) في بعض تفسيراتهم.

٤ ـ التعليق على النص:

هناك علاقة وثيقة بين الشرح والتعليق على النص، كما نجد في الأمثلة التالية:

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٥٤١ ـ ٥٥٥.

(٢) برجستراسر، مرجع سابق، ص٤٩.

(٣) زكي نجيب محمود، المرجع السابق، ص٤٣.

(٤) كشف الظنون، ١/ ٤٣٢ (يعرف حاجي خليفة التفسير بتوسع، ويذكر أمثلة لأنواع التفاسير. انظر: كشف الظنون ١/ ٤٢٧ ـ ٤٣٦).

١ ـ شروح وتعليقات الفارابي (ـ ٣٣٩هـ) على مؤلفات أرسطو، مثل:

- شرح كتاب «السماع الطبيعي» لأرسطو على جهة التعليق[(١)].
- «كتاب المقولات».
- «القول الشارح».
- «أنالوطيقا».
- «طوبيقا»[(٢)].

٢ ـ تعليق الفارابي على كتاب «أَلمَجِسْطِي» Almagesti لبطليموس (ـ حوالي ١٥٠م)[(٣)] (في الفلك والجغرافيا).

٣ ـ «أدب القاضي»، للخصَّاف (ـ ٢٦١هـ) مع شرح الجصَّاص (ـ ٣٧٠هـ).

فقد ورد الشرح في شكل محاضرات ألقاها الجصاص، معلقًا على أدب القاضي، وسجلها تلميذ للجصاص[(٤)].

أشكال الاشتغال بالشروح

يلاحظ في هذا المجال ما يلي:

١ ـ اهتمام بعض المؤلفين بشرح أعمالهم بأنفسهم.

---

(١) عبد الرحمٰن بدوي (محقق)، «مقدمته» في (الطبيعة، لأرسطوطاليس؛ ترجمة: إسحاق بن حنين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ١/ ١٧).

(٢) علي عبد الواحد وافي. المدينة الفاضلة للفارابي، جدة، شركة عكاظ، ١٩٨٤م، ص١٩ ـ ٢٠.

(٣) المرجع السابق.

(٤) فرحات زيادة (محقق)، «مقدمته» في (أدب القاضي وشرح الجصاص... القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٧٨م، ص١٣).

وكان بعضهم يصدر الكتاب الواحد في صورة مختصرة، وصورة أخرى مشروحة مطولة[1].

كما أعد بعض مؤلفي المتون المختصرة شروحًا لها[2].

٢ ـ تخصص شارح معين، في شرح مؤلفات مؤلف معين.

ويعتبر ابن رشد الشارح الكبير لمؤلفات أرسطو المختلفة، إلى جانب تأليفه الإبداعي الخاص[3].

٣ ـ اهتمام بعض المؤلفين بشرح كتب لعدة مؤلفين.

ومن هؤلاء الكاشاني (ـ ٧٥١هـ)، الذي تمكَّن «بسعة اطلاعه ودقة فهمه وتذوقه وتعشقه للفلسفة والتنظير والتعبير والتبويب والتنظيم، من شرح وتفسير وإيضاح آراء ومؤلفات الآخرين، وتيسير فهم القضايا والعبارات الصوفية لمعاصريه. ومكَّنته هذه المقدرة من تأليف معجم لاصطلاحات الصوفية»[4].

٤ ـ يشير «برجستراسر» إلى بعض الشروح غير المنسوبة لمؤلف محدد، بل جمعها كتاب النسخ من مصادر شتى، وبعضها لا فائدة منه[5].

---

(١) انظر: التدريج، ص٢٦٣ ـ ٢٦٦، والتوليد، ص٤٧٨.

(٢) انظر: نموذج السيوطي، ص٢٨٢.

(٣) عبد الكريم اليافي، مكانة ابن رشد في تاريخ المعرفة الإنسانية، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ع١، يونيو/حزيران ١٩٨٤م، ص٩٦.

(٤) انظر: محمد كمال جعفر (محقق)، «مقدمته» في (اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (ـ ٧٥١هـ)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص٣ ـ ٦) (٢٠٧ص).

(٥) برجستراسر، المرجع السابق، ص٤٩.

مجالات الشرح والتفسير

إلى جانب ظاهرة تفسير القرآن الكريم، ولعلها من أندر الظواهر في الفكر الإنساني، نلاحظ أن الشرح لم يقتصر على مجال علمي دون غيره، فنحن نجد الشروح على نصوص أصلية وتابعة في المجالات التالية:

- الحديث.

- الفقه.

- السيرة النبوية.

- القانون: (ولا يزال أكثر المجالات احتفاء بالشروح، امتدادًا وتطويرًا لتقاليد التأليف العربي في هذا المجال).

- اللغة والنحو.

- الطبيعة[1].

- الطب[2].

- البلاغة، والشعر (ويشمل ذلك دواوين الشعراء، ومجاميع كالحماسة).

- التاريخ: (ولكن الشرح فيه نادر، وقد وجد شرح على كتاب تاريخي هو: «الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي» (ـ ٤٢٧هـ)، شرح المنيني (ـ ١١٧٢هـ)[3].

---

(١) مثل: شرح ابن رشد لكتاب السماع الطبيعي لأرسطو، وهو في الطبيعة. وهو مفقود في العربية، وموجود في الترجمة اللاتينية المنقولة عن الترجمة العربية. انظر: عبد الرحمٰن بدوي، موسوعة الفلسفة، ١/ ٢٤.

(٢) مثل: شرح مسائل حنين في الطب. (كشف الظنون ٢/ ١٦٦٨).

(٣) محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص٤٤.

طرق الربط بين القول الشارح والنص المشروح

عَرَفَت الشروح القديمة عدة أشكال للعلاقة بين القول الشارح والنصوص المشروحة، سواء تناول الشرح النص كله، أو أجزاء منه، وفي هذا المجال يمكن تمييز الطرق التالية:

أولًا: تمييز النص عن الشرح بطريقة: قال ـ أقول[1]:

من الواضح أن الاتجاه الغالب كان يتمثل في الحرص على التمييز بين النص وشرحه، وأهم طريقة في ذلك الشرح بـ (**قال ـ أقول**)، حيث يتناول الشارح أجزاء النص بالشرح، وفي كل مرة تكون البداية بكلمة (**قال**)، أو (قوله...) (أي: قال مؤلف النص الأصلي) وتأتي بعدها فقرة أو كلمة من النص الأصلي، ثم يتدخل الشارح بكلمة (**أقول**)، ويذكر شرحه للفقرة أو الكلمة، ويستمر السياق بهذه الصورة حيث يتم التتابع بين أجزاء من النص الأصلي وشروحها.

وقد ظلت هذه الطريقة محتفظة بالنصوص الأصلية وشروحها مميزة واضحة. وقد تنبه إلى ذلك «ابن رشد في بعض شروحه لأرسطو، فكان حريصًا على تمييز كلامه تمامًا عن كلام أرسطو»[2].

ثانيًا: الشرح الممزوج بالمتن[3]، مع محاولة تمييز النص بعلامات أو ألوان:

وهذا النوع تمتزج فيه عبارة المتن بالشرح، وفي بعض المخطوطات الأصلية قد يميز المتن الأصلي بوضع خط فوقه، أو يميز بحرف (م)،

---

(١) انظر: كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٣٧، ٢/ ١١٨٢.
(٢) عبد الرحمٰن بدوي، موسوعة الفلسفة، ١/ ٢٥.
(٣) كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٣٧.

ويميز الشرح بحرف (ش)، ولا يلتزم الشارح التمييز بإشارات القول مثل (قال، أقول، قوله...) أو نحوه. وقد يكتب النص الأصلي باللون الأحمر في بعض المخطوطات[1]، ولكن عند استنساخ الكتاب في ما بعد، قد يهمل النسَّاخون العلامات المميزة، فيندمج المتن والشرح، ويمثل ذلك صعوبة عند تحقيق الكتاب ومحاولة الفصل بين النص والشرح.

ثالثًا: شرح أجزاء من المتن مع عدم الالتزام بتسلسله:

وفي هذه الحالة، يكون المقصود هو شرح مواضع من النص، ولا يلتزم الشارح هنا بتسلسل الفقرات بالمتن، بل يذكر ما يحتاج إلى شرحه، ويضع قبله كلمة (قوله...). وهذه الطريقة لا توصل إلينا النصوص الأصلية المشروحة، ولكن بعض المخطوطات شهد كتابة المتن بكامله مستقلًّا في الهامش[2].

ببليوجرام الشروح: (علاقات التأليف في الشروح)

يمكن وصف العلاقات الببليوجرافية للشروح، من واقع عينة الكتب على النحو التالي:

أولًا: الببليوجرام الإشعاعي للشروح:

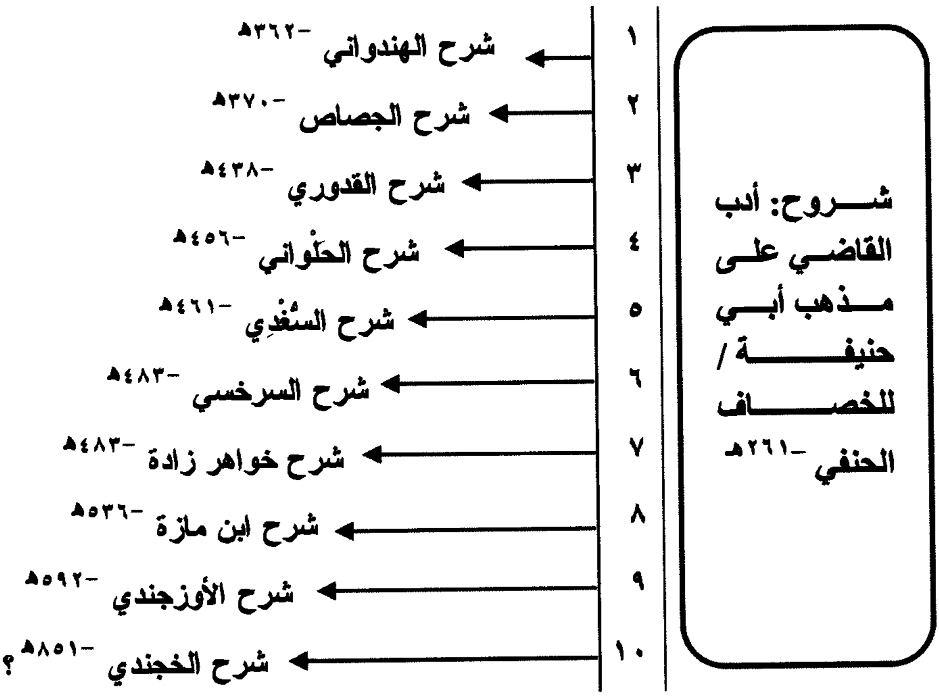
تحظى بعض الأعمال المهمة بشروح كثيرة، ويلاحظ أن كثيرًا من الشروح يتفرع مباشرة من النص الأصلي بشكل إشعاعي، كالمثالين التاليين:

---

(١) ومثال ذلك مخطوطة بعنوان: خلاصة الفِكَرْ في شرح المختصر في مصطلح أهل الأثر، للشنشوري (ـ ٩٩٩هـ). (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فهرست المخطوطات المصورة، ج٣، مج١، ص٣٧٩).

(٢) انظر: كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٣٧.

(نموذج ١):



شكل رقم (٤١)

(ببليوجرام «أدب القاضي»، للخصاف (ـ ٢٦١هـ) وشروحه)[1]

ملاحظات على كرونوجرام الشروح على «أدب القاضي»، للخصاف (ـ ٢٦١هـ):

يلاحظ من الشكل السابق أن التوزيع الزمني للشروح كما يلي:

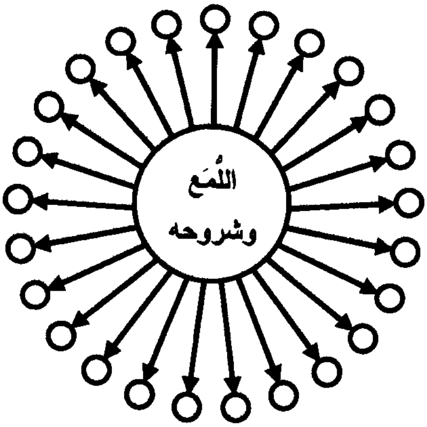
ـ ظهور النص الأصلي: في القرن الثالث الهجري.

شرحـــان: في القرن الرابع الهجري.
٥ شـــروح: في القرن الخامس الهجري.
شرحـــان: في القرن السادس الهجري.
شـــرح واحـــد: في القرن التاسع الهجري.
(المجموع) ١٠ شروح

---

(١) كشف الظنون، ١/٤٦ ـ ٤٧.

نموذج (٢):



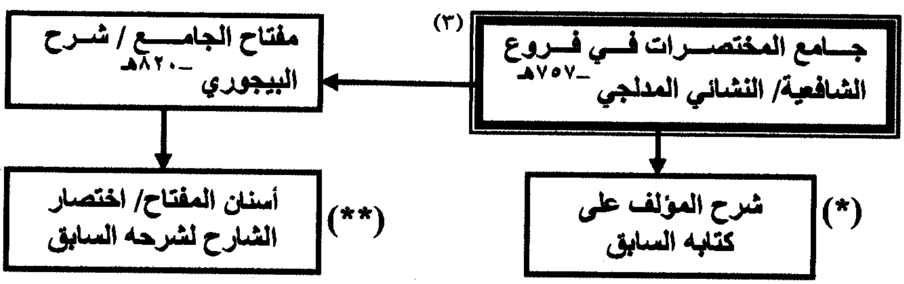
شكل رقم (٤٢)

(ببليوجرام اللُّمَع «في النحو»، لابن جِنِّي (ـ ٣٩٢هـ) وشروحه)

ملحوظة: بلغ عدد شارحيه ٢٥ شارحًا[(١)].

ثانيًا: علاقة التوليد والتدريج[(٢)] بالشروح:

قام بعض المؤلفين بتوليد الشرح على بعض مؤلفاتهم بأنفسهم، بل قاموا ـ أيضًا ـ بعمل شروح متدرجة للنص نفسه، ما بين مختصر ومطول. ومن الأمثلة التي تشمل التوليد والتدريج معًا:



شكل (٤٣)

(*) علاقة توليد في مجال الشروح. (**) علاقة توليد وتدريج في مجال الشروح.

---

(١) أ ـ فائز فارس (محقق) «مقدمته» في (شرح اللمع، للعكبري النحوي (ـ ٦١٦هـ) ١/ ٤٦ ـ ٥٢). ب ـ كشف الظنون، ١/ ٥٤٤.

(٢) انظر: التوليد من النص، ص٤٧٨، وتدريج النصوص، ص٢٦٣.

(٣) كشف الظنون، ١/ ٥٧٣.

ثالثًا: مستويات التدريج في الشروح:

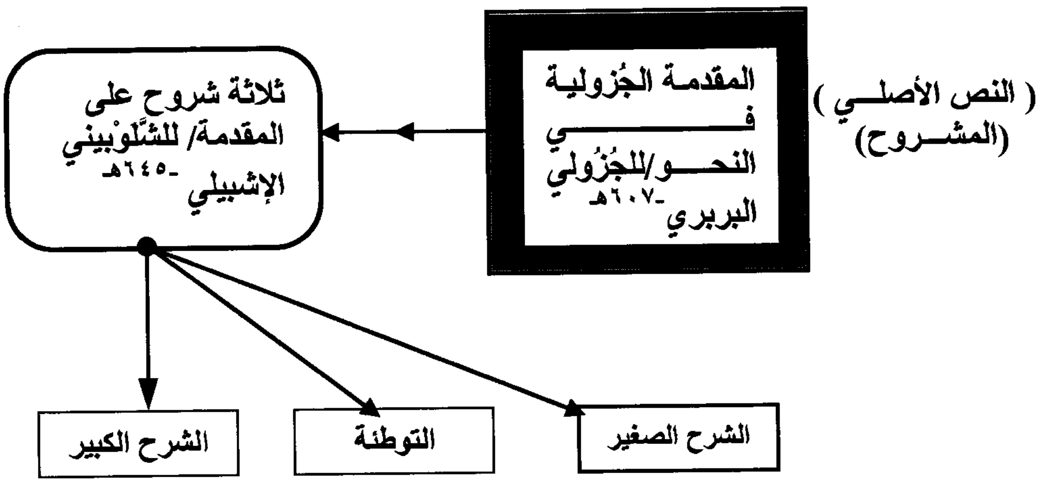
استخدمت تسميات معينة للدلالة على تدريج مستويات الشروح، مثل:

- الشرح المطول، أو المبسوط، البسيط، الكبير.
- الشرح المتوسط، أو الوسيط.
- الشرح المختصر.

ومن نماذج الشروح المتدرجة ما يلي:

أ ـ نموذج الشَّلَوْبيني (ـ ٦٤٥هـ) (في تدريج الشروح):

قام بتأليف ثلاثة شروح متدرجة لنص واحد، وأطلق على كل منها تسمية مختلفة، كما يلي[(١)]:



(شرح متوسط)
(أو توطئة لقوانين المقدمة)[(٢)]
شكل (٤٤)

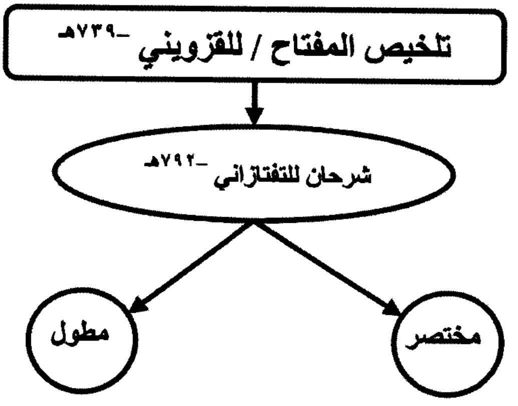
---

(١) يوسف أحمد المطوع (محقق): «مقدمته» في (التوطئة، للشلوبيني، القاهرة، د.ن، ١٩٨١م، ص١٠٢ ـ ١٠٣).

(٢) كشف الظنون، ١/٥٠٨.

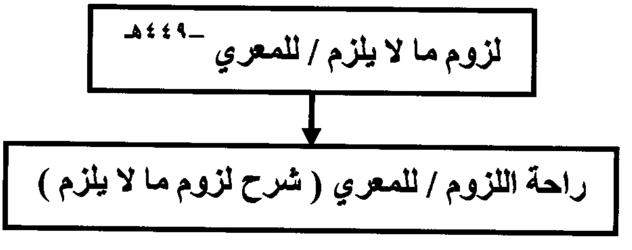
ب ـ نموذج التفتازاني (ـ ٧٩٢هـ) (في تدريج الشروح):

له شرحان: أحدهما مختصر، والثاني مطول، لكتاب: «تلخيص المفتاح» للقزويني (ـ ٧٣٩هـ)(١).



شكل (٤٥)

ج ـ نموذج أبي العلاء المعري (ـ ٤٤٩هـ)(٢) (في تدريج الشروح):



شكل (٤٦)

د ـ نموذج ابن رشد:

تدرَّجت شروح ابن رشد (ـ ٥٩٥هـ) على أرسطو (ـ ٣٢٢ق.م)، بين الشرح الأكبر، والشرح الأوسط، والشرح الأصغر(٣).

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٤٧٤.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٥٤٨.

(٣) فو، كارادي، مادة: (شرح). دائرة المعارف الإسلامية، مج١٣، ص١٨٨.

علاقة الشروح بأنواع التأليف التابع

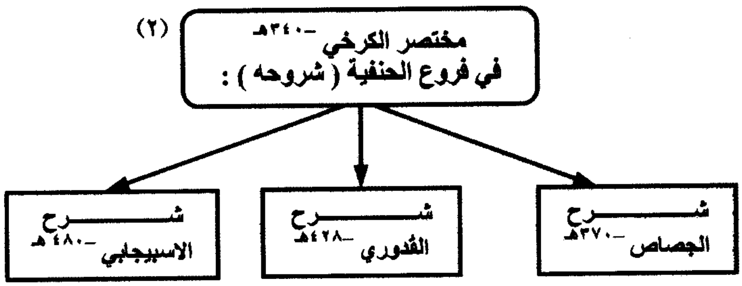
يتميز التأليف العربي بظاهرة الاطراد والتتابع بين أشكال التأليف التابع، فالتلخيص يمكن أن يكون مادة للشرح أو لشروح كثيرة، كما يكون الشرح مادة للتلخيص، ونادرًا ما نجد واحدًا من هذه الأشكال يستعصي على المعالجة في تفارع أو تأليف تابع جديد، **ومن أمثلة ذلك:**

١ ـ شرح التلخيص:

كان تلخيص العلم في متون للحفظ، ثم التوسع في شرح هذه المتون، يمثلان محورين أساسيين في التعليم والتأليف الإسلامي والعربي.

وقد عرف التأليف العربي في النحو مثلًا، ظاهرة المنظومات والمختصرات التي يسهل حفظها، وقد عُرفت باسم المتون، مثل متن الألفية لابن مالك، وهي «تضم القواعد والمسائل الجوهرية»، وتستبعد مواطن الخلاف والجزئيات والفروع، وتضم ما كثر من القواعد في موجز الكلام، فأصبحت غامضة عسيرة الفهم، ونشأت الحاجة سريعًا إلى شرحها والتعليق عليها، وربما لجأ مؤلف المتن نفسه إلى شرحه»(١).

*** ومن أمثلة العلاقة بين التلخيص والشروح:**



شكل (٤٧)

---

(١) هادي نهر (محقق)، «مقدمته» في (شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية: لابن هشام الأنصاري (ـ ٧٦١هـ)، بغداد، الجامعة المستنصرية، ١٩٧٧م، ١/ ٦).

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٦٣٤ ـ ١٦٣٥.

*** كما أن أكثر الأمثلة خصوبة وتعقيدًا في هذا المجال، الشروح على ألفية ابن مالك**[1].

٢ ـ تلخيص الشرح، وبسط الشرح:

وفي مقابل شرح التلخيص، نجد تلخيص الشرح، ثم بسط الشرح (أو تطويل الشرح، أو الشرح المبسوط).

نجد في بعض الأحيان التدريج الكامل: المطول/ والمتوسط/ والمختصر. كما رأينا في تدريج الشروح.

*** ومن أمثلة الدورات المتعاقبة من التلخيص والشرح:**

«**مختصر شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان**»، وتحليله كما يلي:

ـ مختصر (قام به التفتازاني (ـ ٧٩٢هـ)).

↙

ـ لشرح (للتفتازاني أيضًا).

↙

ـ لتلخيص (قام به القزويني (ـ ٧٣٩هـ)).

↙

ـ لتلخيص (هو كتاب مفتاح العلوم للسكاكي (ـ٦٢٦هـ)[2]، . . إلخ.

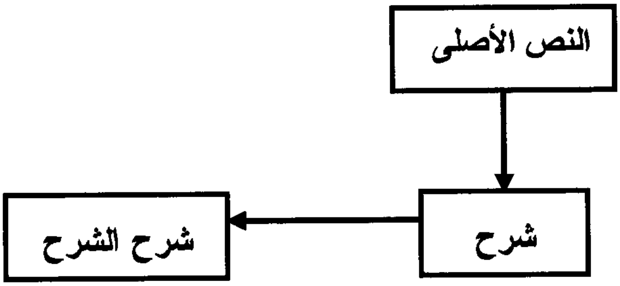
٣ ـ شرح الشرح:

أحيانًا يتحول الشرح الذي ينتمي إلى عصر أو ظروف تعليمية معينة إلى «رسالة» صعبة، تحتاج إلى توضيح جديد، فينشأ **شرح الشرح**. ويمثله الشكل التالي:

---

(١) كشف الظنون، ١/ ١٥١ ـ ١٥٥.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٤٧٤، ٢/ ١٧٦٢.



شكل (٤٨) نموذج شرح الشرح

٤ ـ شرح جزء من النص الأصلي:

قد يقتصر الشرح على جزء معين من النص الأصلي، **كما نجد في الأمثلة التالية:**

أ ـ «قُطْبَة الخُشاف لحل خُطْبة الكَشَّاف» (للزمخشري) (ـ ٥٣٨هـ)، شرح الفيروزآبادي (ـ ٨١٧هـ) لخطبة كتاب الكشاف[١].

ـ وبعدما تلف هذا الكتاب في بعض الأحداث أعاد كتابته بعنوان: «نُغْبَة الرِّشاف من خُطبة الكشاف»[٢].

ب ـ محمد الطاهر بن عاشور: شرح المقدمة الأدبية لشرح الإمام المرزوقي على ديوان الحماسة، لأبي تمام (ـ ٢٣١هـ)[٣].

ج ـ «مفتاح المفتاح»، شرح الشيرازي (ـ ٧١٠هـ) (وهو شرح للقسم الثالث من «مفتاح العلوم»، للسكاكي (ـ ٦٢٦هـ))[٤].

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٤٨٠، وقُطبة الخُشاف؛ تعني: مزيج الخُشاف. (المؤلف)

(٢) المرجع السابق. والنغبة هي: الجُرعة، والرشاف: هي الشراب الطيب. (المؤلف)

(٣) تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨م، (١٤٥ص).

(٤) كشف الظنون، ٢/ ١٧٦٣.

المبحث الثاني

أشكال أخرى من الشروح

(الحاشية - التعليق - القول على - الكلام على - التنكيت - الطُّرَّة - التقرير)

تمهيد:

تبدو وظيفة الشرح شديدة الأهمية والخصوبة في مجال التأليف النصِّي، ولم يكتف العلماء بشكل واحد للشرح والتفسير والتأويل والتعليق، بل تعددت أشكال التأليف في هذا المجال، واتخذت لنفسها تسميات، مثل: الشرح، والحاشية، والتعليق، والقول على، والكلام على، والتنكيت، والطُّرَّة، والتقرير.

وأستطيع القول بأنه رغم محاولة تحديد خصائص كل نوع من هذه الأنواع، أو كل مصطلح من هذه المصطلحات، فإن الأمر يبدو في بعض الأحيان شديد التداخل، وفي أحيان أخرى تتضح الخصائص والفروق والأهداف في ما بينها.

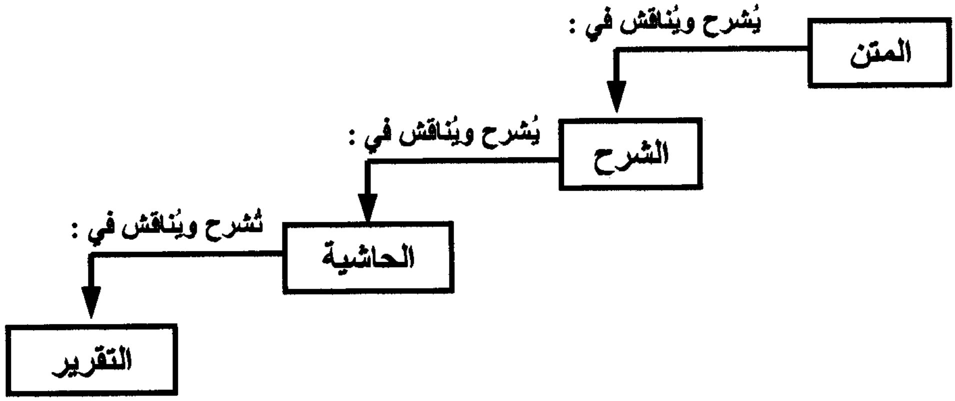
وقبل الخوض في تفاصيل هذه الأشكال من التأليف الشارح، يحسن بنا أن نتعرف إلى ما أُسمِّيه **نموذج شوقي ضيف في الاستخدام المتكامل للنصوص**.

فقد روى هذا العالم الجليل تجربته في الدراسة الأزهرية التقليدية القديمة، في بدايات القرن العشرين، في القراءة والاستفادة من أشكال متعددة من الشروح، وأشار بالتحديد إلى أنه كان يقرأ «**المتن**» وهو النص الدراسي المحدد في علم من العلوم، ثم يقرأ شرح المتن في «**الشرح**»،

ثم يلجأ إلى شرح ومناقشة هذا الشرح في **الحاشية**، ثم يجد شرحًا ومناقشة للحاشية في التقرير.

ورغم ما نلحظه من تعقيد ومشقة في هذه الطريقة من الدراسة، فقد أشاد شوقي ضيف بالاستفادة من هذه المراحل الخصبة في التعامل مع النص من خلال جدليات ورؤى وآفاق في الشرح والمناقشة خلال هذه المراحل المتسلسلة(١).

نموذج شوقي ضيف في الاستخدام المتكامل للنصوص:



شكل (٤٩)

ورغم وضوح وتسلسل الوظائف والأدوار لكل من الشرح والحاشية والتقرير في نموذج شوقي ضيف، إلا أن التدقيق في كل مصطلح على حدة، يُظهر لنا قدرًا من التداخل وتبادل الأدوار بينها أحيانًا، كما يُظهر لنا أن بعضها ظهر في وقت مبكر من التأليف العربي، وبعضها الآخر لم تتحدد معالمه ويتسع استخدامه إلا منذ القرن الخامس وحتى السابع الهجريين.

وفي ما يلي نعرض لكل نوع بالتفصيل:

---

(١) شوقي ضيف، معي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١م، ص٦٦.

الحواشي

قد تكون الحواشي أكثر أشكال المؤلفات التابعة عددًا في تاريخ التأليف العربي، بل هي عمل تلقائي يقوم به كثير من الناس عندما يكتبون ملاحظات على أجزاء من النص المقروء بهوامش الصفحات.

ولكن الحواشي كنوع من المؤلفات التابعة، لها دور في خدمة النص وتسجيل علاقةٍ ما لأحد العلماء به.

وهناك تداخل شديد بين وظائف الحواشي ووظائف الشروح، ويرى فايْر T.H. Weir أن الحاشية تتضمن نوعًا من الشرح... وقد تكون الحاشية **شرحًا على شرح النص**. وهو يرى الفرق بين الحاشية والشرح في أن الشرح يتضمن النص كله، بينما تتضمن الحاشية بضع كلمات من المتن[1].

وعلاقة التداخل التي يذكرها «فايْر» بين الشرح والحاشية صحيحة، ولكن التفرقة بينهما غير دقيقة، فهناك حواشٍ تتضمن النص كله كما سنرى بعد.

وأوجه التمايز بينهما يمكن أن تنحصر في ما يلي:

١ ـ الحاشية عمل جزئي في الأصل، وحتى إذا شملت النصَّ كلَّه فهي أشبه بمجموع مركب من التعليقات المرتبطة بالشرح أو بالنص.

٢ ـ نطاق الحاشية مرن ومتسع لانطباعاتٍ وتعليقاتٍ للمُحَشِّي، قد لا تدخل في نطاق الشرح.

٣ ـ الحاشية يمكن أن تمثل مرحلةً تاليةً من **الشرح على الشرح**، فإذا وُجد شرح كامل لنص ما، لا يبقى هناك مجال إلا لتعليقات وتوضيحات لمسائل وأجزاء من الشرح، تكون في شكل حاشية على الشرح.

---

(١) فايْر، ت. هـ. «حاشية». دائرة المعارف الإسلامية، مج٧، ص٢٥٢.

وإذا نظرنا إلى تسلسل عمليات التأليف ومراحلها التكوينية التطورية، نجد أن الحواشي في بعض الأحيان، كانت تحتوي على بذور الشرح وخمائره الأساسية، فهناك شروح بدأها مؤلفوها على أساس التحشية والتعليق، ثم تطورت إلى شرح كامل لجملة المعاني بالنص، **وقد حدث ذلك في المثال التالي:**

شرح مسائل حنين (ـ ٢٦٠هـ) في الطب، لابن أبي صادق (ـ ح٤٧٠هـ).

حيث يقول المؤلف...: «فرأيت أن أجمع للعويص من معانيه شرحًا على طريق التعليق على الحواشي، ثم رأيت أن أسرد الكلام في جملة المعاني سردًا، وبعد ذلك رأيت أن ألحق به ما يرتاح له المستبصر في الطب ففعلت»[١].

*** ولكي تزداد الصورة وضوحًا، يَحْسُنُ عرض المعاني المتعددة لمصطلح الحاشية، سواء بالمعنى المادي لها كهامش وفراغ بالصفحة، أو بالمعنى التأليفي لها كمعلومات وأفكار يتم تسجيلها، وهي:**

١ ـ الحاشية بمعنى الهامش:

أي: الفراغ الذي يوجد (في)، (على)، (بـ) الصفحة، حيث يمكن كتابة الملاحظات، وكان استخدام هوامش الصفحات للتعليقات واحدًا من عادات المشتغلين بالعلم[٢].

٢ ـ الحاشية بمعنى الملحوظة الهامشية:

(التي تكتب في هامش الصفحة بجوار النص)، أو الملحوظة عمومًا، وهي بهذا المعنى تبدو غير مستخدمة على وجه الإجمال في

---

(١) كشف الظنون، ٢/١٦٦٨.

(٢) Rosenthal, F. ((Hāshiya)). The Encyclopaedia of Islam/ ed. By B. Lewis & others. New ed. Leiden, E.J. Brill, 1979, vol.3, p268.

عناوين الكتب قبل القرن الخامس الهجري (١١م)[١]، أما التأليف المستقل للحاشية فقد ظهر في التأليف العربي في نهاية القرن السابع الهجري[٢].

٣ ـ الحاشية كتأليف مستقل:

وتستخدم في عناوين مؤلفات مستقلة، وتكون أحيانًا مؤلفات طويلة بدرجة ما، وتتضمن التعليق[٣] (gloss) على موضوعات عالجها مؤلفون سابقون.

٤ ـ الحاشية المندمجة مع المتن:

لم يعرف عصر المخطوطات التحشية في ذيول الصفحات footnotes بل عرف التحشية على الهوامش الجانبية marginal notes وهي تعليقات يُدَوِّنها من يقرأ المخطوط.

«وقد أدمج بعض المؤلفين الحواشي التي يرغبونها داخل المتن

---

(١) Ibid.

(٢) أحمد شوقي بنبين: معجم مصطلحات المخطوط، ص١٠٥.

(٣) وتعني (gloss) أيضًا: ملاحظة الهامش (التهميشة)، أو التفسير المختصر في الهامش، أو بين سطور المتن، لكلمة أو عبارة غامضة. انظر: (Magdi Wahba. Op. cit. p193).

ومن الألفاظ الواردة بالمرجع نفسه، والتي تدلُّ على معنى التهميشة والحاشية والتعليقة، ما يلي:

التهميشة ـ التعليقة	1 - Scholium. P502.
التهميشة	2 - Marginal note. P303.
التهميشات	3 - Marginalia. P302.
التهميش ـ التحشية ـ الشرح	4 - Annotation. P19.
التهميشة ـ التعليقة ـ الحاشية	5 - Note. P352.
ويُشار إلى المُحشِّي أو المعلِّق بكلمة	6 - Scholiast. P502.

الذي ألفوه حتى لا يتركها النساخ، مثلما فعل ابن الأثير (ـ ٦٣٠هـ) عندما أدمج الاختصارات الدالة على المصادر في كتابه (أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة، ١/ ٥). كما أدمجوا ما يرون إضافته من تفسير أو استطراد أو تعليل، وميزوه عن المتن بقولهم: (**تنبيه/ فائدة/ تعليق/ بيان/ حاشية/ مهم يتعين هاهنا ذكره/ إشارة لطيفة/ مبحث، مبحث شريف**)، وربما تكون هذه الأخيرة إشارة إلى أقوال العلويين»[١].

*** ويمكن تمييز الأنواع التالية من الحواشي التي تعلق على النص أو تشرحه:**

أولًا: من حيث الاكتمال أو عدم الاكتمال:

ويشمل ذلك:

١ ـ الحواشي التامة، التي تعلق على، أو تشرح النص بأكمله[٢]، وبعضها يحتل عدة مجلدات، مثل:

حاشية القوجوي (ـ ٩٥١هـ) «على أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، للقاضي البيضاوي (ـ ٦٨٥هـ). وهي في ٨ مجلدات، كتبها على سبيل الإيضاح والبيان[٣] (وهي في التفسير).

٢ ـ الحواشي غير التامة. التي تعلق على أجزاء من النص[٤].

ثانيًا: من حيث المكان:

ويشمل ذلك:

١ ـ الحواشي المجاورة للنص، على هامش الصفحات.

٢ ـ الحواشي المندمجة بين سطور النص.

---

(١) روزنتال، ف: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص١٠٩ ـ ١١١.
(٢) كشف الظنون، ١/ ١٨٨ ـ ١٩٠.
(٣) المرجع السابق.
(٤) المرجع السابق.

٣ ـ الحواشي المستقلة، التي تدوَّن في كتاب مستقل، وفي بعض الأحيان «كان يتم تجريدها من هوامش الكتب وأطرافه، ثم تدون في كتاب مستقل»[١]. **ومن أمثلة ذلك:**

«ذيل كشف الظنون»: تعليقات وتقييدات جاد بها قلم المحقق آغا بزرك الطهراني[٢].

وقد احتوت بعض الطبعات المبكرة للكتب العربية، على أشكال من الحواشي المندمجة مع النص، والحواشي الهامشية في بعض الكتب، مثل الطبعة الإيرانية من «موسوعة الشفاء» لابن سينا (ـ ٤٢٨هـ)، في القرن (١٩م)[٣].

وظائف الحواشي

من بين المعاني المتعددة التي ذكرت لكلمة حاشية، سوف يستخدم مصطلح (حاشية) في الجزء التالي من المعالجة، بالمعنى التأليفي للحاشية؛ أي: التعليق أو الشرح على النص، سواء كانت التحشية تامة أو غير تامة، أو كانت مندمجة أو بالهامش أو مستقلة.

وعلى ضوء ما سبق، يمكن القول بأن الحواشي نوع من التأليف التابع لنص أصلي، أو تابع للتابع من رتبة التفارع الثاني أو أكثر، يتناول جزئيات من النص، ويسجل استجابات وتدخلات وتعليقات بعض

---

(١) المرجع السابق، ١/ ٦٢٣.

(٢) وكانت مدونة بنسخته من كشف الظنون، واستخرجها الموسوي الخرسان ورتبها وهذبها وأضاف إليها، ونشرت كملحق في نهاية كتاب «هدية العارفين». انظر: الباباني، إسماعيل البغدادي. هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مج٢، (الملحق: بعنوان «ذيل كشف الظنون»، ص٣ ـ ٤).

(٣) جورج قنواتي، دراسة ببليوجرافية لموسوعة الشفاء، عالم الكتاب، (القاهرة) ـ ع١، يناير ـ مارس/كانون الثاني ـ آذار ١٩٨٤م، ص٤.

الدارسين الذين كانوا يقرأون ويدققون ويحققون في النص، وتؤدي الحواشي في الأصل عدة وظائف خاصة بكاتبها، وإن كانت تتحول في ما بعد إلى منفعة عامة وتأليفٍ يظهر للآخرين، **ومن أهمها**:

١ ـ «إيضاح وبيان شيء غامض بالنص»(١):

ويتدرج ذلك من مجرد التوضيح الجزئي لكلمات أو تراكيب لغوية، سواء باللغة العربية أو بلغات أخرى من لغات العالم الإسلامي، إلى شرح وتفسير أجزاء من النص، أو شرح النص بأكمله بتعقبه تحشية وتعليقًا.

٢ ـ «التحقيقات الفائقة والمباحث الدقيقة على النص»(٢):

ففي إطار وحدة الثقافة الإسلامية، كان المجال واسعًا أمام العلماء لكي يحققوا جزئيات النص ويربطوا بينها وبين أصول أو مترادفات أو أضداد لغوية، ولكي يحققوا مسائل دينية وتاريخية وتراجمية وغيرها، ويبدو ذلك دراسة للنص من زوايا مختلفة، وضبطًا لما ورد به من معلومات.

٣ ـ إضافة أشياء ناقصة بالنص، أو معلومات وقراءات إضافية في المجال نفسه، أو «**تطويل شيء مختصر**»(٣):

وقد يقوم بذلك مؤلف النص نفسه بعد الانتهاء منه، أو يقوم به آخرون. وفي بعض الأحيان كان الهامش يستخدم لتدوين مادة ليس لها علاقة مباشرة بأية فقرة من النص، مثل الملاحظات العامة أو الاقتباسات أو الشروح والتفسيرات. وقد يبدو الأمر في ظاهره وكأن العلاقة مفقودة بين الملاحظة والنص، ولكن من طبيعة القراءة أن توحي بأفكار تومض

---

(١) كشف الظنون، ١/١٨٨، ١٩١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) Rosenthal, F. op. cit, p269.

في ذهن القارئ، فيسرع بتسجيلها، ولا ندري في ما بعد سر الارتباط بين الفكرة والنص في ذهن المُحشِّي.

٤ ـ **ربط بعض الأفكار في النص بمصادرها الأصلية**، أو الإشارة إلى مراجع إضافية في المجال نفسه.

٥ ـ **استخراج فوائد من النص وإبرازها**.

٦ ـ **الاستدراك على النص وتصويب الأخطاء**، أو انتقاد المؤلف والرد عليه، أو الدفاع عنه والرد على منتقديه.

ويمكن القول بأن بعض هذه العناصر يمكن في ظروف أخرى غير التحشية، أن يشكل نوعًا من التأليف التابع، مثل **الشرح والتذييل والاستدراك** وغيرها، ولكنها، في ظروف التحشية، تمثل جهودًا من أجل تحقيق النص وضبطه من نواح عديدة، وإن كان ذلك في الغالب يتم بطريقة جزئية تراكمية، تتعدد فيه العناصر وتتداخل، ولا يتم في إطار منهج متكامل للتحقيق، أو الشرح، أو التذييل أو الاستدراك على النص، كما نرى في هذه الأنواع عندما تكون من المؤلفات الكاملة.

كما أن بعض هذه الجهود من التحشية والتعليق، «تمثل مراحل من **تدريس** النص المُحشَّى عليه وتوضيحه ونقده من جانب الأستاذ أمام طلابه»[١].

وتشمل أدبيات التأليف العربي توجيهًا بخصوص التحشية، فقد أشار ابن جماعة (ـ ٧٣٣هـ) إلى إمكانية استخدام الملاحظة الهامشية في الكتاب الذي يملكه الفرد، بشرط عدم إفساد النص أو إضافة مسائل غريبة على المحتوى[٢].

---

(١) Rosenthal, F. op. cit.

(٢) ويشترط «ألا يكتب إلا الفوائد المهمة المتعلقة بذلك الكتاب مثل تنبيه على إشكال أو احتراز أو رمز أو خطأ أو نحو ذلك». انظر: ابن جماعة، تذكرة =

المصطلحات الأخرى المرادفة لـ «الحاشية»

استخدمت في التأليف العربي كلمات ومصطلحات تشير إلى وظائف الحاشية أو تقترب منها، ومن المهم أن يعرفها الببليوجرافي، وخاصة من زاوية علاقتها بالتأليف، ونذكر منها: **(التعليق)**، و**(القول على)**، و**(الكلام على)**، و**(النكت)**. وفي ما يلي تفصيلها:

أولًا: التعليق[1]:

استخدم مصطلح التعليق وبعض مشتقاته **(تعليقة، تعليقات، تعاليق)** في التأليف العربي أحيانًا بمعنى التحشية أو شرح جزء من كتاب معين، ووردت تعليقات على هوامش المخطوطات في شكل حواشٍ، كما وردت في شكل مؤلفات ورسائل مستقلة، مثل:

- «تعليقة على الترغيب والترهيب»، لابن سعد المنذري (ـ ٦٥٦هـ)، تأليف الناجي (ـ ٩٠٠هـ)[2].

- تعاليق على كتاب أبي نصر (الفارابي) (ـ ٣٣٩هـ) في المدخل والفصول من إيساغوجي، تأليف ابن باجه (ـ ٥٣٣هـ)[3].

- تعليقات في كتاب «باري أرمينياس»، ومن كتاب «العبارة» لأبي نصر (الفارابي) (ـ ٣٣٩هـ)، تأليف ابن باجه (ـ ٥٣٣هـ)[4].

= السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٣هـ، ص١٩٠ ـ ١٩١.

(١) استخدم مصطلح التعليق في معانٍ كثيرة أخرى، مثل: الشرح والكتاب المستقل (مثل: تعليقة أبي الأسود الدؤلي في النحو، وبمعنى الأمالي عند علماء الشافعية، ولتسمية جزء منقول من كتاب). (المؤلف)

(٢) الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص١٨١.

(٣) عبد الرحمٰن بدوي، موسوعة الفلسفة، ١/ ١٢.

(٤) تحقيق: سليم سالم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

ويذكر حاجي خليفة (ـ ١٠٦٧هـ)[١] عدة تعليقات على بعض مواضع من صحيح البخاري (ـ ٢٥٦هـ)، ومنها تعليقة التوقاتي (ـ ٩٠٠هـ) على أوائل البخاري، وتعليقة السروري (ـ ٩٦٩هـ) وتصل إلى قريب من نصف البخاري.

ـ وهناك تعليقة أُلِّفت عليها حاشية[٢].

ولا يزال مصطلح التعليق يستخدم في مجال التأليف القانوني؛ مثل:

ـ التعليق على قانون الحجز الإداري رقم (٣٠٨) لسنة (١٩٥٥م)..[٣].

ثانيًا: القول على:

ومن أمثلة استخدامه:

ـ قول على بعض كتاب «الكون والفساد»، لأرسطو طاليس (ـ ٣٢٢ق.م)، لابن باجه (ـ ٥٣٣هـ)[٤].

ثالثًا: الكلام على:

ومن أمثلة استخدامه:

كلام على شيء من كتاب «الأدوية»، لجالينوس (ـ ح٢٠١م)، لابن باجه (ـ ٥٣٣هـ)[٥].

وربما يكون استخدام لفْظَيْ: (القول على كذا)، و(الكلام على كذا) قاصرًا على ابن باجه، حيث لم تسعف العينة بمزيد من الحالات لمؤلفين آخرين.

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٥٥٤.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٤٢٤.

(٣) مصطفى مجدي هرجة، القاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٦م.

(٤) عبد الرحمٰن بدوي، المرجع السابق.

(٥) ماجد فخري (محقق)، «مقدمته» في (رسائل ابن باجه الإلٰهية، ص١٦ ـ ١٧).

رابعًا: التّنكْيت[1]:

كان التنكيت لونًا من التأليف العربي القديم، وكان أحيانًا يمثل تأليفًا مستقلًّا في موضوع معين[2]، وأحيانًا يتشابه في وظيفته مع التحشية، ويُكتب تعليقًا على نص معين[3]، ولكنه في كتاب أو رسالة مستقلة، **ومن ذلك:**

١ ـ «النُّكَت على كتاب ابن الصلاح» (ـ ٦٤٣هـ)، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ) (ويشتمل على تعليقات، وفوائد، ودفاع عن المؤلف، ومناقشته، واعتراض عليه، وشرح لبعض الأمور اللغوية والاصطلاحية، وإضافة فوائد وبحوث واستطرادات واسعة ومفيدة)[4].

٢ ـ «النكت الظِّراف على الأطراف»، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ).

(ويشمل تعليقات ابن حجر على «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف»، للمِزِّي (ـ ٧٤٢هـ)[5].

---

(١) النكتة هي مسألة دقيقة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر، وسُمِّيت المسألة الدقيقة نكتةً، لتأثير الخواطر في استنباطها، وهي إما موافقة في الرأي أو مخالفة لمؤلف الكتاب الأصلي. انظر: ربيع بن هادي عمير (محقق)، «مقدمته» في (النكت على كتاب ابن الصلاح (تنكيت) ابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٩٨٤م، ١/ ٥٥ ـ ٥٦).

(٢) ومن أمثلة ذلك كتاب: النكت في علم الجدل، لأبي إسحاق الشيرازي (ـ ٤٧٦هـ). (انظر: كشف الظنون ٢/ ١٩٧٧).

(٣) في حالة وجود التنكيت كتعليق على نص معين، يذكره حاجي خليفة مع الكتاب الأصلي الذي يتبعه، كما فعل مع الحواشي والمؤلفات التابعة الأخرى.

(٤) كشف الظنون، ٢/ ١١٦٢، وابن حجر العسقلاني، مرجع سابق.

(٥) أ ـ نشر مع تحفة الأشراف، بتصحيح وتعليق: عبد الصمد شرف الدين، بمباي، الدار القيومية ١٩٨٢م، ١٣مج. =

٣ ـ وفي بعض الأحيان، كان التنكيت يتم تعليقًا على مجموعة نصوص، مثل: «النكت على الألفية» و«الكافية والشافية» و«نزهة الطرف» و«شذور الذهب» (في فن النحو)، للسيوطي (ـ ٩١١هـ)[١].

٤ ـ وله أيضًا: النكت اللوامع على المختصر والمنهاج وجمع الجوامع[٢].

خامسًا: الطُّرَر:

الطرة تعني: الهامش الموجود بالصفحة، وتكتب الطرر على هوامش الكتب المقروءة وحواشيها، وتُعتبر الطرر أحيانًا في حُكم المؤلفات، وإذا جمعت تكون حواشي عديدة[٣]؛ أي: مجلدات مستقلة.

سادسًا: التقرير:

يرتبط مصطلح التقرير بوظيفة الشرح، ويبدو استخدامه معاصرًا لمصطلح الحاشية، ورغم أن د.شوقي ضيف قد اعتبره مرحلة شارحة للحاشية، إلا أنه جاء مباشرة بمعنى شرح على النص؛ أي: أنه في مستوى التفارع الأول على النص، **ونجد ذلك في المثالين التاليين:**

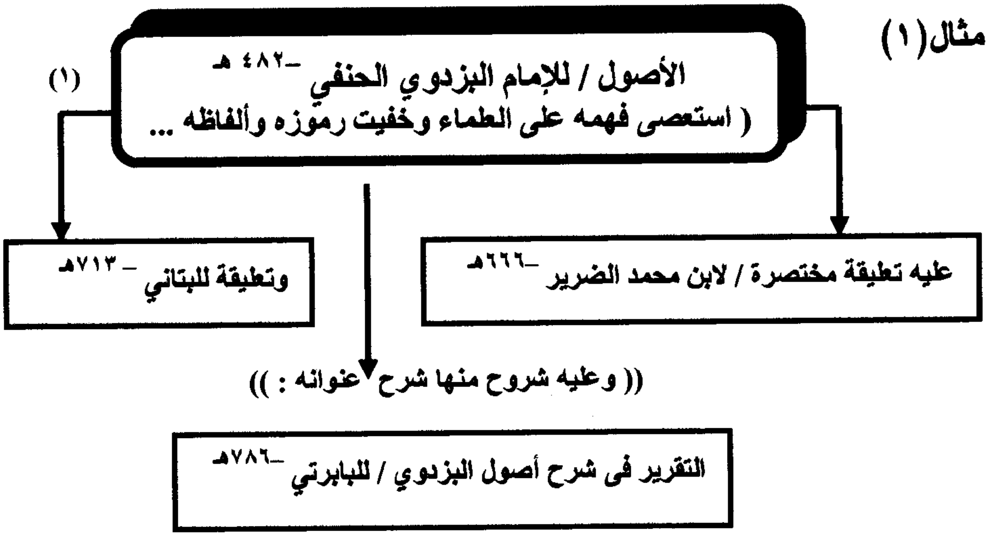
= ب ـ يضع المحقق مصطلح (supplements) كترجمة «للنكت». انظر: المرجع السابق (في صفحة العنوان بالإنجليزية).

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٩٧٧.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٩٧٧.

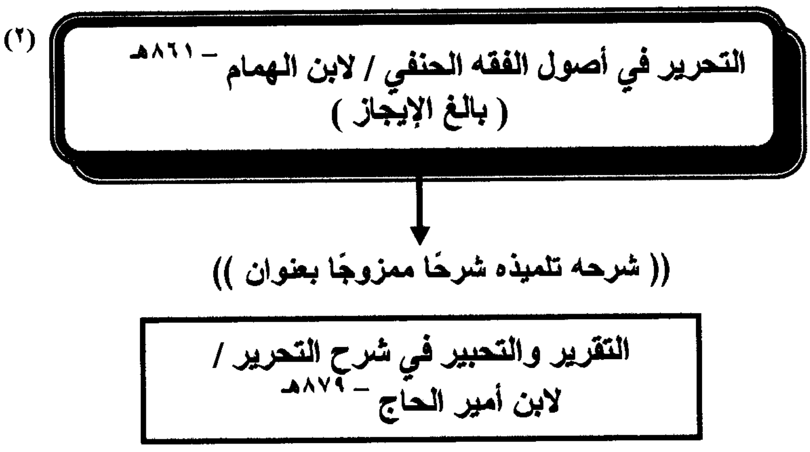
(٣) محمد المنتصر الكتاني، «مقدمته» في (الرسالة المستطرفة لبيان كتب السُّنَّة المشرفة، للكتاني... ص٣٦).

مثال(١)



شكل (٥٠) التقرير كنوع من الشروح (نموذج البزدوي)

مثال (٢)



شكل (٥١) التقرير كنوع من الشروح (نموذج ابن الهمام)

---

(١) كشف الظنون، ١/ ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٣٥٨، والتحرير هو الضبط والتقويم والإصلاح والتجويد، والتحبير: هو التحسين والتزيين والتنميق (أحمد بنبين.. معجم مصطلحات المخطوط ص٦٠).

ببليوجرام الحواشي

١ ـ الحواشي مؤلفات تابعة، بعضها مجاور للنص بهوامش الكتاب، وبعضها مستقل قد يصل إلى عدة مجلدات.

٢ ـ شملت بعض الحواشي (النكت) مجموعة من النصوص في مجلد واحد.

٣ ـ حظيت بعض الحواشي بمؤلفات تابعة لها، حيث تم تشغيل نص الحاشية ذاته كما يلي:

أ ـ الانتخاب من الحاشية: مثل:

* منتخب من حاشية القوجوي (ـ ٩٥١هـ) على «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للقاضي البيضاوي (ـ ٦٨٥هـ) انتخبها بعض الفضول؟[١].

ب ـ تدريج نصوص الحواشي: فقد أخرج بعض المؤلفين مستويين من الحواشي على نص واحد. كما فعل الشيخ صبغة الله عندما جمع من ثماني عشرة حاشية وألف حاشية كبرى وحاشية صغرى على كتاب «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (في التفسير)، للبيضاوي (ـ ٦٩٢هـ)، وكذلك فعل السروري (ـ ٩٦٩هـ) على النص نفسه[٢].

ـ وهناك ثلاثة مستويات (كبير ووسط وصغير) ألَّفها الهمداني (ـ ٦٠٠هـ) بعنوان: «التعليقة في الخلاف»[٣]، ومن الواضح أنه تأليف مستقل وليس تابعًا لنص سابق عليه.

---

(١) كشف الظنون، ١/ ١٨٨.

(٢) كشف الظنون، ١/ ١٨٩.

(٣) كشف الظنون، ١/ ٤٢٤.

المبحث الثالث

التخريج والتخريجات

التخريج معناه: إبانة مصادر المعلومات للتوثيق، وقد استخدم هذا المصطلح في أوجه متعددة في مجالَي الحديث والأدب، ويشار في ما يلي إلى أهم مفاهيمه وأبعاده في مجال **التأليف التابع** للنصوص.

أولًا: في مجال القرآن الكريم:

يقصد بتخريج النصوص ردها إلى مصادرها، فإذا وُجدت آية قرآنية ذكرت السورة التي وردت بها ورقم الآية بها(١).

ثانيًا: في مجال علم الحديث:

يقصد بالتخريج: التحقيق والتوثيق وتكملة الحلقات الناقصة في إسناد الأحاديث النبوية الشريفة(٢)، وذكر المصدر الذي ورد فيه الحديث

---

(١) عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، ص٢٧٩.

(٢) يقصد بالتخريج أن يتناول المصنف كتابًا من كتب الحديث فيُخرِّج أحاديثَه بأسانيد مختلفة من غير طريق صاحب الكتاب، من أجل تحقيق العُلُو في الإسناد، وربما يُسقط أحاديث لا يُرضيه سنَدها. ويتعقب المخرِّج مصادر الأحاديث ويذكر أصولها وأهم أماكن وجودها، كما يكمل الحلقات المعلقة؛ أي: الناقصة في سلسلة الإسناد (ويطلق على ذلك تغليق التعليق).
انظر:
أ ـ شرف الدين علي الراجحي، مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي =

ومكان وجوده بهذا المصدر أو المصادر، وعن طريقه ظهرت مؤلفات تسمَّى بالتخريجات، والمستخرجات، وهي مؤلفات تابعة ترتبط بالنصوص الأصلية التي خُرِّجَت أحاديثُها، ويذكرها حاجي خليفة ملحقة بالأصول التي تتبعها، **ومن أمثلة هذا النوع من المؤلفات:**

- «تحفة الأحياء في ما فات من تخاريج أحاديث الإحياء»، لابن قطلوبغا (ـ ٨٧٩هـ)[١].

- «نصب الراية لأحاديث الهداية» (تخريج لأحاديث الهداية)، للزيلعي[٢].

- «مستخرَج أبي نعيم الأصفهاني على التوحيد»، لابن خزيمة[٣].

كما يطلق اسم (**المستخرَج**) أحيانًا على كتاب يستخرجه صاحبه من كتب مخصوصة للتذكِرة، **مثل:**

«المستخرج من كتب الناس للتذكِرة»، و«المستطرف من أحوال الناس للمعرفة»، لابن مَنْده (ـ ٤٧٠هـ)[٤].

وينبغي التفرقة بين المستخرج الذي يتضمن تخريج الأحاديث، والمستخرج الذي يتضمن نصوصًا مختارة مجمَّعة من كتب أخرى، وهو ما عولج في مبحث اختيار النصوص في هذا الكتاب.

= عند العرب، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م، ص٢٧٠ ـ ٢٧٣.
ب ـ الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص١٨٥ ـ ١٩١.
ج ـ ولابن حجر العسقلاني كتاب (تغليق التعليق) غَلَّق فيه الأسانيد المعلقة في الجامع الصحيح للبخاري. (كشف الظنون ١/ ٥٥٢).

(١) كشف الظنون، ١/ ٢٤.
(٢) الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص١٨٨.
(٣) المرجع السابق، ص٣١.
(٤) المرجع السابق.

ثالثًا: في مجال الأدب:

استخدم مصطلح التخريج عند تحقيق دواوين بعض الشعراء، ومن خلال التخريج يحدد المحقق مدى دوران الشعر في المراجع على مختلف العصور، ومدى ما يعتور روايتَه من تغيير أو تحريف، أو نسبته لغير صاحبه[1]. ويلاحظ هنا تأثر هذا المنهج بمناهج علم الحديث في تحقيق النصوص ونسبتها إلى رواتها.

كما استخدم **مصطلح التخريج** بمعنى استخراج الأشعار المنتشرة لشاعر معين في مصادر متعددة، مع ذكر مصادرها، وجمعها في ديوان للشاعر يظهر لأول مرة في التاريخ.

---

(١) حسن كامل الصيرفي (محقق)، «مقدمته» في (ديوان المُثقِّب العبدي، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٩٧١م، ص٣١).

الفصل التاسع

خدمة ومحاورة النص

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: الاستدراك على النص.

المبحث الثاني: التذييل على النص.

المبحث الثالث: البناء على النص.

المبحث الرابع: إدماج النصوص.

المبحث الخامس: ردود ومعارك النصوص.

المبحث السادس: مسائل النص وتطبيقاته.

المبحث السابع: مفاتيح النص.

المبحث الثامن: استخراج النص.

الفصل التاسع

خدمة النص ومحاورته

هذا النوع من التأليف لا ينفذ إلى النص، ولا يخترق بنيته أو يغيرها أو يتخلَّلها بأي شكل من الأشكال، ولكنه يتضمن أنواعًا من التأليف الذي يوازي النص، فقد يكمله أو يبني عليه أو يدمجه بنص آخر، أو يرد عليه أو يساهم في مزيد من التدريب والاستيعاب والتطبيق للنص، أو يوصل إليه بواسطة كشافات ومداخل مختلفة، أو ينقب عنه ويستخرجه ويمنحه كيانًا مستقلًّا من جديد، **وهو يشتمل على العلاقات والأشكال التالية:**

١ ـ الاستدراك على النص.

٢ ـ التذييل على النص.

٣ ـ البناء على النص.

٤ ـ إدماج النصوص.

٥ ـ ردود النصوص ومعاركه.

٦ ـ مسائل النص وتطبيقاته.

٧ ـ مفاتيح النص.

٨ ـ استخراج النص.

المبحث الأول

الاستدراك على النص

تمثل المستدركات نوعًا من التأليف الذي يرتبط بنص معين، لكي **يتابعه ويلاحقه ويتدارك ما ينقصه أو يعيبه**[(١)].

وقد نشأ مصطلح **المستدرك** نتيجة اهتمام العلماء المسلمين بالنصوص الأساسية، أو النصوص الأمهات، فكانت بدايته في علوم الحديث، ثم انتقل المصطلح إلى التأليف في مجال اللغة، استدراكًا على المصادر الأمهات وكتب الأوائل في اللغة[(٢)].

كما ورد الاستدراك على بعض كتب التفسير أثناء تلخيصها، كما فعل البيضاوي (ـ ٦٩٢هـ) في كتابه «أنوار التنزيل»، فقد لخص فيه «الكشاف» للزمخشري وأزال عنه أفكار المعتزلة، وحرر واستدرك[(٣)]. ويمكن أن يلاحظ الاستدراك في مجالات أخرى غير الحديث واللغة.

وتحاول هذه الدراسة تحديد مصطلح **المستدرك** وبلورة أهم الخصائص التي تُكسبه تعريفًا محددًا، وعزل الملامح الفرعية المشتركة بين المستدرك وأنواع أخرى من التأليف.

---

(١) كل هذه المعاني من صميم المعنى اللغوي للمصدر: «درك». (انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: (درك)).

(٢) شرف الدين علي الراجحي، مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٣م، ص٢٦٠، ٢٦٢.

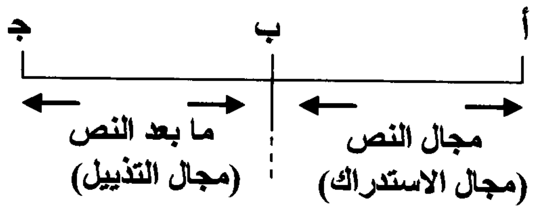
(٣) كشف الظنون، ٢/ ١٤٨١.

فالاستدراك في التأليف العربي القديم يتداخل أحيانًا مع التذييل في بعض أبعاده ووظائفه. وفي بعض الأحيان استخدم مصطلح التذييل أو التكملة أو الصلة، للدلالة على بُعدين في التعامل مع النص، **هما**:

* الاستدراك على أخطاء النص.

* الإضافة إلى النص.

ويمكن تمثيل حدود الاستدراك إذا تصوَّرنا مجال النص الأصلي نفسه، باعتباره يبدأ من النقطة (أ) وينتهي عند النقطة (ب). وبذلك نتصور الاستدراك بمعناه المثالي، يتحرك في المجال نفسه بين (أ)، و(ب)؛ لأنه يدور على النص ذاته: **متابعة وملاحقة ونقدًا وتصويبًا واستكمالًا لمسائل ناقصة** من أجل تعويض ما فات النص الأصلي. أما التذييل فإنه في أنقى صوره يتحرك في مجال جديد خارج النص، فيبدأ من النقطة (ب) إلى نقطة جديدة هي (ج)، **ويمكن تمثيل ذلك كما يلي**:



شكل (٥٢) اتجاه الاستدراك واتجاه التذييل

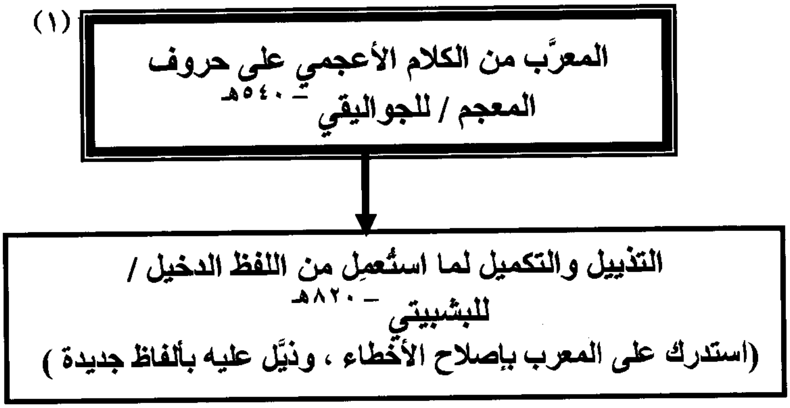
ويمكن بناءً على ذلك تقرير ما يلي:

ـ **الاستدراك**: تصحيح للأخطاء وإضافة للنص من الداخل؛ أي: في داخل نطاقه ومجاله، وهو يضيف نواقص كان من المفروض أن توجد داخل النص الأصلي بحسب تقدير «المستدرِك».

ـ **التذييل**: إضافة ومتابعة للنص من الخارج؛ أي: بعد النقطة التي يتوقف عندها النص.

ولا يمنع ذلك من أن نجد كثيرًا من المؤلفات يختلط فيها الاستدراك والتذييل، وربما أشكال أخرى أيضًا، فتلك هي طبيعة التأليف النصِّي على وجه الخصوص.

وفي ما يلي مثال لهذا التداخل بين النوعين:



شكل (٥٣) تداخل الاستدراك مع التذييل

طبيعة الجهد العلمي في الاستدراك

يتم عن طريق الاستدراك تحقيق مزيد من الضبط والإتقان للنصوص، وتتمثل في الاستدراك ظاهرة تكامل النصوص في التأليف العربي سواء عن طريق إضافة ما ينقص النص، أو عن طريق نقد وإصلاح وتصحيح ما يعيبه.

ويلاحظ أن مجالي **الحديث واللغة**، هما أخصب المجالات التي شهدت تأليف المستدركات؛ ربما لأن النصوص في هذين المجالين أكثر خضوعًا لمعايير الخطأ والصواب، وأشد احتياجًا لتعقب النقصان والزيادة.

فالجزئيات الدقيقة في هذه النصوص لها أهميتها وخطرها.

---

(١) أحمد محمد شاكر (محقق)، «مقدمته» في (المعرب من الكلام الأعجمي، للجواليقي، ص١٤ ـ ١٥).

والمستدركات هي أنسب أشكال التأليف التي «**تهتم بموضوع محدد أو قضية جزئية واحدة**»[١].

والاستدراك هو المجال الملائم لكل غيور على هذه النصوص، خاصة وأن نصوص الحديث واللغة لا تُنْسَب إلى مصنِّف الكتاب كبقية أنواع التأليف، بل يُنسب إليه الفضل في جمعها وتدوينها وتصنيفها، والسعي إلى توصيلها بأكمل صورها؛ ولذلك تلقى تبعة الاستدراك على كل من يدرسها، من أجل تحقيق الغاية من هذه النصوص.

ومن أجل تحقيق الغاية من الاستدراك، يلجأ القائم به أحيانًا إلى عدة أشكال من الجهد العلمي، مثل توثيق بعض النصوص أو تخريجها. (انظر الجزء الخاص بالتخريج).

ورغم وجود الاستدراك في مجالات أخرى كالتفسير والأدب وغيرهما، إلا أن مجالي الحديث واللغة لهما الفضل في إبراز أهم أبعاد الجهد العلمي في الاستدراك، وهما جديران بذلك سواء في المنهج، أو مؤسسات التأليف[٢]، أو نماذجه.

وفي ما يلي أهم هذه الأبعاد:

أولًا: الاستدراك على أمهات الكتب في الحديث:

ويشمل:

١ ـ التمحيص والتدقيق والدراسة المتأنية لكل الجزئيات بالنص،

---

(١) شرف الدين علي الراجحي، المرجع السابق، ص٢٤٥.

(٢) إن خير لفظ يطلق على المؤلفين في هذين المجالين هو لفظ المؤسسات، فالأفراد هنا لا يمكن قياس إبداعهم بمقاييس الجهد والعمر البشري، إذا نظرنا إلى أمثلة كالبخاري والذهبي وابن حجر العسقلاني في مجال الحديث، والخليل بن أحمد والجوهري وابن سيده في مجال اللغة وغيرهم، فالمؤلف هنا مؤسسة بإمكانياته العلمية، وتأليفه، وتلامذته الذين يروون عنه ويواصلون رسالته.

قياسًا على كل ما يتوافر في العلم من مناهج وأصول.

٢ - توثيق المصدر وضبط الرواية والإسناد، قياسًا على أسس الجرح والتعديل وعلم الرجال.

٣ - ضبط الزائد عن النصوص، والضبط هنا يتضمن الإشارة إلى ما يراه المستدرِك زائدًا، وتعليل ذلك، ويشمل ذلك تعقب الأحاديث الموضوعة والمدسوسة، والتي تسمَّى بالموضوعات. أما **التجاهل والحذف** فيدخل في إطار **التهذيب**.

٤ - الموافقة والمخالفة في الحكم على الأحاديث[1].

وقد تمثلت هذه الأبعاد في النماذج التالية:

أ - «المستدرَك على الصحيحين» (البخاري ومسلم)، للحاكم النيسابوري (ـ ٤٠٥هـ).

ب - «المستدرَك على المستدرَك» (للنيسابوري)، تأليف الذهبي (ـ ٧٤٨هـ)[2].

ج - تنقيح كتاب «التحقيق في أحاديث التعليق»، لابن الجوزي (ـ ٥٩٧هـ)، للذهبي (يرد على ابن الجوزي بعض أوهامه في اعتبار درجات الحديث)[3].

د - «النكت البديعات على الموضوعات»، لابن الجوزي (ـ ٥٩٧هـ)، تأليف السيوطي (ـ ٩١١هـ).

هـ - «التعقُّبات على الموضوعات» (مختصر النكت البديعات)،

---

(١) العناصر الأساسية فقط مأخوذة من: محمد رشيد رضا، «مقدمته» في (مفتاح كنوز السُّنَّة، أ. ي. فنسنك؛ ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٣٤م، ص(ع)).

(٢) الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٢١.

(٣) بشار عواد معروف، الذهبي، ص٢٢٣.

تأليف السيوطي[1].

و ـ «تَغْليق التعليق»، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)[2].

(التغليق: وصل وإكمال حلقات ناقصة في إسناد الأحاديث، في «صحيح البخاري»، والتعليق: إسقاط أحد الرواة في الحديث).

ثانيًا: الاستدراك على أمهات الكتب في اللغة:

ويشمل:

١ ـ التنبيه على ما فات بعض معاجم اللغة. ومن أمثلته:

أ ـ ما أغفله الخليل (ـ ١٧٠هـ) في كتاب «العين»، للكرماني (ـ ٣٢٩هـ)[3].

ب ـ «فائت العين»، لأبي عمر الزاهد المطرِّز (ـ ٣٤٥هـ)[4].

ج ـ «الاستدراك لما أغفله الخليل»، للهمذاني المراغي (ـ ٣٧١هـ)[5].

د ـ الاستدراك على المعاجم العربية في ضوء مئتين من المستدركات (الكلمات) الجديدة على «لسان العرب» و«تاج العروس»، محمد حسن حسن جبل[6]. ويحتوي على استدراك نحو مئتين من الألفاظ والصيغ والعبارات والاستعمالات والمعاني مما فات هذين المعجمين في إطار بحث لمعالجة مسألة فوات المعاجم.

---

(١) الكتاني، المرجع السابق، ص١٥٠.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٥٥٢.

(٣) حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره، القاهرة، مكتبة مصر، د.ت، ١/ ٢٩٨.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق، ص٣٠١.

(٦) القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٦م. (مقدمة الكتاب ص٦ ـ ٧).

٢ ـ التنبيه على الخطأ والوهم والتصحيف: ومن أمثلته:

أ ـ «الرد على الخليل وإصلاح ما في كتاب «العين» من الغلط والمحال والتصحيف»، للمفضل بن سلمة (ـ ٢٥٠هـ)[١].

ب ـ استدراك الغلط الواقع في كتاب «العين»، للزبيدي (ـ ٣٧٩هـ)[٢].

ج ـ التنبيه والإيضاح عما وقع من الوهم في كتاب «الصحاح»، لابن بري (ـ ٥٨٢هـ)[٣].

ثالثًا: الاستدراك على كتب في الأدب:

ومن أمثلته:

ـ إصلاح ما غلط فيه النمري في تفسير أبيات الحماسة، للأسود الغُنْدِجَاني[٤].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٧٤.

(٢) السيوطي، المزهر، ١/ ٧٩.

(٣) نشر بتحقيق: مصطفى حجازي، القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٨١م.

(٤) أ ـ نشر بتحقيق: محمد علي سلطاني، الكويت، معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥م.
ب ـ كان الغندجاني حَيًّا سنة (٤٣٠هـ).

المبحث الثاني

تذييل النص

لاحظنا في مبحث الاستدراك أنه يمثل ظاهرة «**تكامل النصوص**»، أما التذييل فهو يمثل ظاهرة معلومات مهمة أخرى في التأليف العربي، يمكن أن نطلق عليها ظاهرة «**اتصال النصوص**»، وهي تعني في الوقت نفسه اتصال المعلومات، واستمرار تراكم المعرفة في مجال معين.

وغالبًا ما تحمل الذيول في عناوينها كلمات تحدد علاقتها التذييلية بنص سابق مثل: **الذيل، والصلة، والتتمة، والتكملة، والإكمال، والزيادة، والتذنيب**... إلى جانب ذيول أخرى تحمل عناوين عادية لا تفصح مباشرة عن وظيفة التذييل التي تقوم بها.

وليست الذيول أعمالًا تابعة تمامًا للنصوص الأصلية التي ترتبط بها، فهي في الغالب مستقلة «**تالية**»، والأفضل أن نعتبرها «**مرتبطة**» بالنصوص الأصلية أو السابقة.

وعندما ألف السخاوي (ـ ٩٠٢هـ) ذيلًا على كتاب «رفع الإصر عن قضاة مصر»، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)، أشار إليه باعتباره «الأصل»، وقال عن الذيل: «**ورتبته كأصله**»: «الترتيبَ المألوفَ على الحروفِ»[1].

(١) السخاوي، الذيل على رفع الإصر، أو «بغية العلماء والرواة»، تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبح، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، ص٣.

وفي ما يلي محاولة لتحديد مفهوم التذييل وتمييز الخصائص الفارقة التي تميزه عن غيره من أنشطة التأليف التكميلي.

أولًا: التذييل الكامل (أو التكملة خارج النص):

من أجل تحديد الصورة المثالية للذيول، التي تتمثل فيها الخصائص الكاملة للتذييل، فإنه يعتبر بالتحديد:

١ ـ تاليًا لعمل سابق. ٢ ـ ومستقلًا عنه. ٣ ـ ويكمله من الخارج.

فهو يبدأ من النقطة التي توقَّف عندها النص السابق؛ أي: **ما بعد النص**، فإذا كان النص المذيَّل عليه في مجال التراجم مثلًا، تتوقف تغطيته عند تاريخ معين يمثل «**تاريخ الإغلاق**»[(١)]، وهو ما سبق تسميته بالنقطة (ب)، فإن العمل التالي ـ وهو «الذيل» ـ يواصل تغطية التراجم بادئًا من تاريخ الإغلاق السابق؛ أي: إنه يتحرك من النقطة (ب) إلى نطاق جديد وينتهي عند نقطة ما... هي (ج).

ويُستخدم في التأليف العربي مصطلح للدلالة على تاريخ الإغلاق في النص الأصلي وهو (**قَطَعَ، وانقطع**)، والذي يواصل التغطية من بعده ذيل أو صلة... إلخ.

فنجد قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي (ـ ٧٢٦هـ) يقول: «إن ابن الجوزي مؤلف «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»، قد **انقطع** إلى سنة (ـ ٦٥٤هـ)، وهي التي توفي في أثنائها، فآثرتُ أن **أذيِّله بما يتصل** به إلى حيث **يقدره** الله تعالى من الزمان»[(٢)].

كما أن ابن حجر العسقلاني عندما يتحدث عن كتاب «تاريخ البدر

---

(١) هذه التسمية مأخوذة من: عبد الجبار عبد الرحمٰن، ذخائر التراث العربي الإسلامي... بغداد، جامعة البصرة، ١٩٨١م، ٦/١.

(٢) كشف الظنون، ١٦٤٧/٢ (تحت: مرآة الزمان).

في أوصاف أهل العصر»، للعيني (ـ ٨٥٥هـ) يقول: «منذ **انقطع** ابن كثير (ـ ٧٧٤هـ) (أي: توقف تاريخه) صارت عمدة العيني (أي: اعتماده) على تاريخ ابن دقماق (ـ ٨٠٩هـ)»[1]، الذي يواصل التغطية بعد توقف تاريخ ابن كثير.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن تاريخ أو نقطة القطع، هي تاريخ أو نقطة توقف وإغلاق النص الأصلي، أما بداية الذيل، فيمكن تسميتها تاريخ أو نقطة الوصل أو **تاريخ الافتتاح**.

والمفروض نظريًا أن الذيل لا يتداخل مع النص السابق في تغطيته، ولا يكرر معالجة الفترة الزمنية أو المسائل التي عالجها النص السابق، وهذا ما يمكن أن يكون الصورة المثلى لما نسميه «**اتصال النصوص**» حيث يعتبر الذيل امتدادًا للتأليف بعد النص السابق. وإن كانت هذه الصورة المثلى نادرة الحدوث، فغالبًا ما تشمل الذيول شيئًا من استدراك نواقص النص الأصلي.

ولا يصح اعتبار الذيول بشكل عام ملاحق للنصوص الأصلية[2].

---

(١) أ ـ ابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ج١، المقدمة، ص٣.
ب ـ ووردت في أصول الكتاب كلمة «**قطع**» بدلًا من «**انقطع**». انظر: المرجع السابق، حاشية (٢).
ج ـ وذكر حاجي خليفة أيضًا كلمة «قطع». انظر: كشف الظنون، ١/ ٢٨٧ (تحت مدخل: تاريخ البدر في أوصاف أهل العصر، للعيني).

(٢) يطلق على الذيول في اللغة الإنجليزية المصطلحات التالية:
أ ـ Appendix: وهو الذيل أو التتمة التي ليست من صلب النص وإن كانت مكملة له ومهمة لفهمه، وتطبع بعده مباشرة، وتسبق عادة الكشاف. والفرق بين الذيل والإضافات أن الأول جزء من خطة التأليف، أما الإضافات فقد مثلت في ذهن المؤلف أثناء الطبع. =

وإذا كان ذلك صحيحًا في بعض الأحيان، فهي في أحيان أخرى تمثل تأليفًا أوَّليًّا غيرَ مسبوق في مجاله. له أهميته واستقلاله، وقد يفوق النص الأصلي دقة وإبداعًا، ولكنه يوجه نحو هدف معين، وهو متابعة التجميع أو التغطية أو البحث والتعمق في موضوع أو مسألة عالجها نص سابق. ومن أهم تقاليد التذييل أن يرتكز الذيل على نص سابق في الموضوع، ثم يبدأ من نقطة معينة يقدرها المؤلف المذيِّل، ويعتبرها نقطة القطع أو الانقطاع أو الإغلاق للنص السابق، ونقطة الوصل أو الافتتاح للذيل، وهو ما أُطلق عليه، عند معالجة الاستدراك، النقطة (ب)، وقد تكون هذه النقطة واضحة في النصوص التاريخية والتراجمية التي يتم التذييل عليها؛ لأن لها مسارًا زمنيًّا محددًا، ولكن تقديرها يحتاج إلى جهد وإحاطة، عند التذييل على نص في موضوع واسع مثل اللغة أو الفقه أو الطب. . . إلخ. وقد لا يكون الذيل بادئًا من نقطة إغلاق محددة للنص السابق، وإنما يتناول نقطة عولجت فيه ولكن الذيل يعالجها بتوسع أو بمنهج مخالف.

= ب ـ Excursus: وهو الذيل، أو البحث يضاف إلى مؤلَّف لشرح نقطة عولجت بإيجاز من قبل في المؤلَّف نفسه.

ج ـ Supplement: وهو الملحق، أو جزء من كتاب به إضافات إلى الكتاب الأصلي، وينشر عادة في مجلد مستقل. انظر:

Magdi Wahba. A dictionary of literary terms... p28, 154, 549.

د ـ ورغم أهمية التعريفات السابقة، فإنها ترتبط بعصر الطباعة، ولا تحيط بوظائف وخصائص التذييل التي عرفها التأليف العربي في عصر المخطوط.

هـ ـ ويلاحظ أن كلمة (Supplement) هي الأكثر استخدامًا للإشارة إلى الذيول في المؤلفات العربية القديمة: انظر كمثال إطلاق هذه التسمية على كتاب السيوطي: «التذييل والتذنيب على نهاية الغريب»، في فهرس المخطوطات التالي:

Catalogue of the Mingana collection of manuscripts. V.4: Islamic - Arabic Manuscripts / by Gotteschalk, H.L & others. Zug, Switzerland, 1985, p264.

ثانيًا: الاستدراك وتداخله مع التذييل:

قد يختلط الاستدراك بالتذييل، أو يتداخل معه في عمل واحد، وقد تمَّت التفرقة بينهما في المبحث السابق.

ثالثًا: التذييل المتداخل:

هناك نوع من الذيول، يستدرك على بعض ما فات النص الأصلي، ثم يتابع التغطية بعد نقطة الإغلاق التي توقف عندها، وهذا النوع نسميه «التذييل المتداخل» مع النص الأصلي، وهو الأكثر شيوعًا في حالات التذييل التي جاءت بها عينة الكتب، فقد لوحظ أنه من الصعب الحكم على كتاب ما بأنه تذييل خالص أو استدراك خالص، ومثال ذلك كتاب السخاوي (ـ ٩٠٢هـ)، الذي ألفه ذيلًا على كتاب أستاذه ابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)، وهو: «بُغْية العلماء والرواة في الذيل على رفع الإصر عن قضاة مصر»[(١)]، وذكر فيه ما فات ابن حجر من تراجم، فهو تذييل واستدراك كبير يصل في حجمه إلى (٥٨٨) صفحة، ولعل ذلك التداخل هو ما أدى إلى استخدام كلمتي الذيل والمستدرك أحيانًا وكأنهما مترادفتان، حيث يوصف بعض الكتب في عنوانه بأنه ذيل، وفي المقدمة بأنه استدراك على النص الأصلي.

ويشير المراكشي (ـ ٦٤٧هـ)؟ إلى هذا المزج بين التذييل والاستدراك بوضوح في مقدمة كتابه «الذيل والتكملة على كتابي الموصول والصلة»، بقوله: «قصدت في هذا الكتاب إلى تذييل «**صلة**» الراوية أبي القاسم ابن بشكوال (ـ ٥٧٨هـ)، «**تاريخَ**» الحافظ ابن الفرضي (ـ ٤٠٣هـ) رحمهما الله في علماء الأندلس والطارئين عليها من غيرهم، بذكر مَنْ أتى بعده (أي:

---

(١) أ ـ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص٢٠٦.
ب ـ كشف الظنون، ١/٢٤٩، ٩٠٩.

بعد ابن بشكوال)، وتكميلها بمن كان من حقه أن يذكراه فأغفلاه»[1].

وكذلك يشير المراكشي إلى ما فعله ابن الزبير (ـ ٧٠٧هـ) عندما ذيل على كتاب الصلة لابن بشكوال، فيقول: «إن ابن الزبير أصلح كتاب الصلة وأكمله»[2].

فالإصلاح من أعمال الاستدراك، والتكملة من أعمال التذييل.

رابعًا: التذييل التركيمي:

وذلك عند التذييل على كتب المختارات في الأدب والطرائف، فليس للنص الأول تاريخ أو نقطة إغلاق محددة. وليس للذيل نقطة بداية محددة، ولا يحكم التغطية إطار زمني محدد، بل يكون التذييل مزيدًا من الاختيارات في الموضوع نفسه، تخضع لتقدير المذيِّل، ويمكن أن تختلف من شخص لآخر، وذلك بخلاف التذييل على عمل تاريخي توقف عند تاريخ محدد.

خامسًا: أشباه الذيول:

توصف بعض الكتب بأنها «كالذيل» على نصٍّ معين، ويبدو أن مؤلفها لم يوضح صراحة مقصده من التذييل، ونجد مثالًا لذلك في الحديث عن كتاب: «دُمية القصر وعُصْرة أهل العصر» للباخرزي (ـ ٤٦٧هـ). فقد ذكر ابن خلكان أن «البيهقي (ـ ٥٦٥هـ) وضع عليه كتابًا سماه: وشاح الدمية، وهو كالذيل عليه»[3].

---

(١) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، ص٦.

(٢) المرجع السابق، ص٧.

(٣) كشف الظنون، ١/ ٧٦١.

سادسًا: الحلقات:

هناك كثير من المؤلفات يكمل بعضها بعضًا بشكل أو بآخر، وقد يكون التلامس بين حدودها واضحًا أحيانًا، رغم أن مؤلفيها لم يلتزموا في الأصل بأن يذيِّلوا على نصوص سابقة.

وتحقق هذه المؤلفات بعض وظائف الذيل، ولكنها لا تعتبر ذيولًا، إذا اعتبرنا أن التذييل على نص معين، يكون منذ البداية في وعي المؤلف (المُذيِّل) وتخطيطه، بحيث يراعي عند التذييل **ما يلي**:

أ ـ وضوح الارتباط بنص سابق.

ب ـ التكامل أو الوصل المقصود، ومتابعة التغطية بعد نقطة الإغلاق في النص السابق.

ج ـ الاتساق في المنهج المتبع في النص السابق، سواء باتباعه أو تطويره، ويشمل ذلك معايير الاختيار أو الترتيب، أو الأسس الزمنية أو الموضوعية أو المكانية للتغطية.

أما الأعمال التي تتابع التغطية في مجال معين وتحقق قدرًا من تكامل النصوص، ولو بغير تخطيط للوصل أو التذييل بين عمل سابق وآخر يكمل من بعده، فمن المفيد أن يهتم البيبليوجرافي بإظهار علاقتها بالنصوص التي تتكامل معها، ويمكن تسمية هذه المؤلفات «**بالحلقات**».

فسلسلة التراجم العربية المتتابعة، التي تسمَّى «تراجم القرون الهجرية»[(١)]. أُفضِّل اعتبارها **حلقات**، طالما لم تتضح فيها خصائص

---

(١) أ ـ تعد حلقات تراجم القرون من أروع الظواهر في التأليف العربي، ولها نفس أهمية الذيول بالنسبة لتواصل النصوص في الثقافة العربية.

ب ـ وتتتابع هذه الحلقات لتغطية تراجم القرون الهجرية من السادس حتى الرابع عشر، وكان بعضها يغطي أحيانًا أكثر من قرن واحد، وكان أول من بلور =

التذييل السابقة، رغم أن بعض مؤلفي هذه الحلقات كانوا من مؤلفي الذيول والعارفين بفنونها.

و«كشف الظنون»، لحاجي خليفة، لم يكن تذييلًا لـ «مفتاح

= فكرة «التراجم الدائرية» المقتصرة على قرن واحد هو ابن حجر العسقلاني. (انظر: عبد الستار الحلوجي، مدخل لدراسة المراجع، القاهرة، دار الثقافة، مكتبة الخانجي، ص٥٢ ـ ٥٣).

ـ وفي ما يلي جدول بهذه التراجم. (من: محمود محمد الطناحي، الموجز في مراجع التراجم... القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م، ص٧٣ ـ ٧٤)، ومصادر أخرى:

القرن الهجري	عنوان الكتاب	المؤلف
٦ ـ ٧	الذيل على الروضتين	أبو شامة (ـ ٦٦٥هـ)
٧	الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة التاسعة	ابن سعيد المغربي (ـ ٦٨٥هـ)
٧ +..	البدر الطالع بمحاسن من بَعد القرن السابع	الشوكاني (ـ ١٢٥٠هـ)
٨	الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة	ابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)
٨	الكتيبة الكامنة في من لقيناه في الأندلس من شعراء المئة الثامنة	لسان الدين بن الخطيب (ـ ٧٧٦هـ)
٩	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع	السخاوي (ـ ٩٠٢هـ)
١٠	النور السافر عن أخبار القرن العاشر	العيدروس (ـ ١٠٣٨هـ)
١٠	الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة	الغزي (ـ ١٠٦١هـ)
١١	خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر	المحبي (ـ ١١١١هـ)
١١ + ١٢	نشر المثاني لأعيان القرن الحادي عشر والثاني (عشر)	القادري (ـ ١١٨٧هـ)
١٢	سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر	المرادي (١٢٠٦هـ)
١٢ + ١٣	الدر المنتثر في أعيان القرن الثاني عشر والثالث عشر	علي الآلوسي (ـ ١٣٤٠هـ)
١٣	حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر	البيطار (ـ ١٣٣٥هـ)
١٣	المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر	محمود الآلوسي (ـ ١٤٤٢هـ)
١٣ + ١٤	تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر	أحمد تيمور (ـ ١٣٤٨هـ)
١٤	الأعلام الشرقية في المئة الرابعة عشرة الهجرية	زكي مجاهد (ـ ١٣٩٩هـ)

السعادة»، لطاش كبري زاده، وإنما كان حلقة تالية في الببليوجرافيات العربية، وكذلك العلاقة بين «مفتاح السعادة» و«الفهرست» للنديم، بينما كان «التذييل على كشف الظنون» هو الأساس والركيزة التي ألف عليها الباباني «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون»[١].

وتعتبر الجهود المتفرقة لحصر ما نشر باللغة العربية في أوروبا منذ (١٥٠٥ حتى ١٩١٠م)، حلقات في المجال نفسه، جمع بينها هدف عام، وحدث في تغطياتها تلامس للدوائر أحيانًا (بمعنى عدم التداخل في التغطية الزمانية أو المكانية)[٢]، وتداخل في التغطية أحيانًا أخرى.

وبالرغم من أن تسمية الذيل والصلة لا تستخدم في عصرنا، إلا أن الوظيفة والعلاقة نفسها موجودة في بعض الأعمال الببليوجرافية العربية الحديثة والتي تقوم بالدور نفسه، **مثل**:

١ ـ «الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي (١٩٢٦ ـ ١٩٤٠م)، إعداد: عايدة نصير»[٣].

---

(١) أ ـ من بواكير التذييل في مجال الببليوجرافيا، الثبت الذي ألّفه الرازي، كذيل للببليوجرافية الخاصة بمؤلفات جالينوس. انظر: عبد الستار الحلوجي، نشأة علم الببليوجرافيا عند المسلمين، الدارة (الرياض)، س٢، ع٣ ـ ٤. (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٦م)، ص١٨٠.

ب ـ حظي كشف الظنون بكثير من الذيول، ولكن ما يحتاج إلى إجابة هو: لماذا لم يحظ كل من الفهرست (ـ ق٤هـ)، ومصباح السعادة (ـ ق١٠هـ) بمثل هذا الاهتمام في التذييل؟ انظر: كشف الظنون، ٢/١٣٠٣، ١٧٦٢، حيث لا يرد ذكر لذيول أو تكملات لكليهما.

(٢) انظر: عبد الستار الحلوجي «مقدمته» في (دليل المطبوعات المصرية (١٩٤٠ ـ ١٩٥٦م)، إعداد: أحمد منصور وآخرين، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٧٥م، ص (ز)).

(٣) القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٦٩م.

فقد قامت ـ أيضًا ـ بإعداد عمل آخر هو «الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٥م)»[١]، في ما يشبه التذييل الراجع في الزمان[٢].

٢ ـ دليل المطبوعات المصرية (١٩٤٠ ـ ١٩٥٦م)، إعداد: أحمد منصور وآخرين[٣].

ويمكن اعتبار هذا العمل تذييلًا لعمل عايدة نصير الذي غطى الفترة السابقة عليه، وذلك بالمعنى الاصطلاحي للتذييل في هذا البحث، لوضوح التلامس بين تاريخي الإغلاق والافتتاح في كل منهما، واشتراكهما في الإطار المكاني وهو: مصر.

سابعًا: الكتاب المتمِّم:

هناك نوع من المؤلفات لا يعد من الذيول ولا من الحلقات، ولكنه وثيق الصلة بالنص، بسبب المشاركة في تغطية مجال معين، **ومن أمثلة ذلك كتاب:**

ـ «أسماء الكتب»، (تجميع) رياضي زاده (ق١١هـ).

فهو يمثل «محاولة» للتجميع الببليوجرافي للإنتاج الفكري العربي الإسلامي، ويتداخل في الغرض والمجال مع كشف الظنون، وقد فرغ

---

(١) القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٨٣م.

(٢) وفي إطار التكامل المنشود بين حلقات الحصر الببليوجرافي القومي أوصى د. محمود الشنيطي بأن يستمر التذييل الراجع في الزمان، لكي يشمل الإنتاج الفكري المصري من بدايته الحديثة في أوائل القرن التاسع عشر، وحتى ١٩٠٠م وهو ما أنجزته بالفعل د. عايدة نصير. انظر: محمود الشنيطي، «تقديمه» في (الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٥م)، إعداد: عايدة نصير... ص(ط)).

(٣) الجامعة الأمريكية، ١٩٧٥م.

منه مؤلفه سنة (١٠٤٥هـ)، بينما فرغ حاجي خليفة من كتابه في تاريخ متأخر عن ذلك. وقد يكون من ينابيع «كشف الظنون»، ولكنه ليس من مستواه ولا شموله ولا منهجه، ويحتوي على بعض المؤلفات التي فاتت «كشف الظنون». بينما ينقصه الكثير مما ذكره كشف الظنون، وخير وصف للعلاقة بينهما هو أنه «متمم لكشف الظنون» كما وصفه محققه[(١)].

ويمكن اعتبار كتب التراجم التي تشترك في تغطية فترة معينة، كتبًا متممة لبعضها البعض، مثلما نلاحظ في الجدول السابق لتراجم القرون حيث يلاحظ التداخل والمشاركة بشكل أو بآخر، عند تغطية تراجم القرون الهجرية التالية: السابع (كتابان)، الثامن (كتابان)، العاشر (كتابان)، الحادي عشر (كتابان)، الثاني عشر (ثلاثة كتب)، والثالث عشر (أربعة كتب)، والرابع عشر (كتابان).

ثامنًا: إكمال التأليف:

هناك تأليف يقصد به إكمال «نص» توفي مؤلفه قبل إكماله، ولا نعتبر ذلك تذييلًا، بل هو إكمال، قد يدمج في النص الأصلي، وينسب إلى مؤلفه الذي لم يكمل تأليفه، وقد يظهر مستقلًّا يحمل اسم المؤلف الجديد الذي قام بالتكملة، ولعل من أمثلة ذلك، ما قيل عن وفاة المِزِّي (ـ ٧٤٢هـ)، قبل إنهاء كتابه «تهذيب الكمال» في التراجم، وعن قيام مُغْلُطاي (ـ ٧٦٢هـ)، بمواصلة تأليفه في كتابه «إكمال تهذيب الكمال»[(٢)].

---

(١) انظر: محمد التونجي (محقق)، «مقدمته» في أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون: (تجميع) رياضي زاده (ـ ق١١هـ)، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م، ص٨ ـ ٩.

(٢) كشف الظنون، ٢/١٥٠٩ ـ ١٥١٠.

أبعاد التذييل

يمكن تحديد الأبعاد التالية، التي يتحرك فيها التأليف التذييلي:

أولًا: البُعد الزمني:

يلاحظ أن البعد الزمني من أهم الأسس التي قام عليها التذييل، حيث يغطي الذيل مجالًا معينًا عالجه نص سابق (كالتراجم مثلًا)، ويتحرك الذيل في إطار زمني يتلو تاريخ الإغلاق في النص السابق، وغالبًا ما يكون المذيِّل من عصر قريب لظهور النص السابق الذي يذيل عليه.

وفي ما يلي مثال لذلك، في مجال تراجم نقلة الحديث، وكلها مرتبة بحسب الوفيات بالسنين ثم الشهور الهجرية[(١)]:

مثال (١):

الأصل والذيول	المؤلف	حدود التغطية الزمنية للكتاب	
		من... هـ	إلى... هـ
ـ وفيات النقلة (النص الأول)	ابن عبد الله (٣٧٩هـ)	أول الهجرة	(٣٣٨هـ)
ـ (ذيل)	الكتاني (٣٦٦هـ)	(٣٣٩هـ)؟	(٤٦٥هـ)؟[(٢)]
ـ (ذيل) (يغطي نحو عشرين سنة)	الأكفاني (٤٨٥هـ)	(٤٦٦)[(٣)]	(٤٨٥هـ)

---

(١) أ ـ المرجع الرئيسي: كشف الظنون، ٢/ ٢٠١٩ ـ ٢٠٢٠.
ب ـ كلمة ذيل الموضوعة بين قوسين ذكرت وحدها بكشف الظنون، وقد تكون جزءًا من العنوان الأصلي، وقد يكون للكتاب عنوان آخر لم يذكر.
ج ـ التواريخ بين قوسين افتراضية من المؤلف، باعتبارها تالية لتاريخ الإغلاق السابق.

(٢) (٤٦٥هـ) تاريخ افتراضي أوجده المؤلف حسابيًّا بالنظر للعشرين سنة التالية التي غطاها الأكفاني تقريبًا واقتصر كشف الظنون على تحديد نهايتها سنة (٤٨٥هـ).

(٣) (٤٦٦هـ) تاريخ افتراضي أوجده المؤلف حسابيًّا بطرح عشرين سنة من تاريخ =

الأصل والذيول	المؤلف	حدود التغطية الزمنية للكتاب	
		من... هـ	إلى... هـ
ـ (ذيل)	المقدسي (٦١١هـ)	(٤٨٦)	(٥٨١هـ)
ـ التكملة لوفيات النقلة	المنذري (٦٥٦هـ)	(٥٨٢)	(٦٤٢هـ)[1]
ـ صلة التكملة[2]	الحسيني(٦٩٥هـ)	(٦٤٣هـ)	(٦٩٥هـ)[3]
ـ (ذيل)	ابن أيبك الدمياطي (٧٤٩هـ)	(٦٩٦هـ)[4]	(٧٤٩هـ)
ـ (ذيل)	زين الدين العراقي (٨٠٥هـ)	(٧٥٠هـ)	إلى زمانه (٨٠٥هـ)؟[5]

ومن هذا المثال، نلاحظ أن النص الأول غطى ما يقرب من أربعة قرون من تراجم نقلة الحديث، وأن سبعة ذيول من بعده أوصلت التغطية إلى ثمانية قرون تقريبًا.

مثال (٢):

«المقتفي لتاريخ أبي شامة»، للبرزالي الإشبيلي ثم الدمشقي (ـ ٧٣٩هـ).

= الإغلاق الذي ذكره كشف الظنون وهو (٤٨٥هـ).

(١) أ ـ وهو تذييل واستدراك لما أُهمل من تراجم في الكتب السابقة.
ب ـ نشر بتحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨١م.
ج ـ (٥٨٢هـ) و(٦٤٢هـ) ذكرهما بشار معروف بالمرجع السابق.
د ـ اختصره الذهبي. انظر: (بشار معروف، المرجع السابق، ص٢٣٨).

(٢) العنوان: «صلة التكملة» موجود بمخطوط بمكتبة كوبريللي ـ إستانبول.

(٣) هذا التاريخ نقله كشف الظنون عن المنهل الصافي، كما يذكر تاريخًا محتملًا آخر للإغلاق هو (٦٧٤هـ). (كشف الظنون ٢٣/ ٢٠٢٠).

(٤) تاريخ افتراضي من المؤلف، وترتبط صحته بصحة تاريخ الإغلاق السابق. (انظر: الحاشية السابقة).

(٥) هكذا ذكر في كشف الظنون، ٢/ ٢٠٢٠، وأقصى حد ممكن للتغطية هو تاريخ وفاته سنة (٨٠٥هـ).

وقد جعله **صلة** لتاريخ أبي شامة المسمَّى «الروضتين»، جمع فيه البرزالي من عام مولده (والذي توفي فيه أبو شامة)، وهو عام (٦٦٥هـ)[١].

٢ ـ البعد المكاني:

شملت بعض الذيول والحلقات تغطية ترتبط بمكان معين لتكملة نص أو نصوص سابقة، **ومن أمثلة ذلك:**

مثال (١):

ـ «بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان»، ترجمه واقتبسه حسين خوجة (ـ ١٧٣٢م) من كتاب المولى مصلح الدين لاري أفندي. (النص الأصلي).

ـ «ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان»، تأليف حسين خوجة[٢]. (الذيل)

وهذا الذيل هو إكمال للكتاب السابق، وهو مخصص لتونس (مسقط رأس المؤلف). وكان هذا الذيل قبل نشره مستقلًّا، يمثل الباب ٢٤ من الكتاب الأصلي[٣].

مثال (٢):

الجواني، محمد بن إسماعيل (ـ ٥٨٨هـ) (مؤرخ ونَسَّابة مصري): النقط لمعجم ما أشكل من الخطط.

---

(١) ويذكر فوات الوفيات، ٢/ ١٦٢ أنه في خمسة مجلدات، وموجود منه الآن الجزآن الأول والثاني بمكتبة أحمد الثالث (٢٩٥١، ف ٦٤١). انظر: فهرس المخطوطات المصورة: ج٢: التاريخ: القسم الأول: وضعه: لطفي عبد البديع، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ص٢٦٠.

(٢) نشر بتحقيق: الطاهر المعموري، تونس، الدار العربية للكتاب، د.ت.

(٣) أ ـ محمد الحبيب ابن الخوجه، «مقدمته» في (المرجع السابق ص٦).
ب ـ الطاهر الزاوي، «مقدمته» في (المرجع السابق ص٩٦).

(نبه فيه على ما حدث من المعالم بعد تأليف السابقين له، وما اندثر من الآثار التي وصفوها)[1]. ويمكن اعتباره حلقة مكملة لكتب الخطط السابقة عليه.

٣ ـ البعد الموضوعي:

يلاحظ من عينة الكتب أن الذيول أُلفت في مجالات موضوعية كثيرة، منها: الببليوجرافيات، وعلوم الحديث، والفقه، واللغة، والطب، والأدب، والتاريخ، والتراجم.

وترتبط بعض الذيول بالأصل، على أساس مواصلة التغطية في الموضوع، بدون تحديد زماني أو مكاني لهذه التغطية، **ومن أمثلة ذلك:**

مثال (١): في الفقه:

الإبانة في فقه الشافعي: للفوراني المروزي - ٤١١ هـ

↓

تتمة الإبانة / للمتولي النيسابوري - ٤٧٨ هـ (تلميذ المروزي).

↓

تتمة التتمة / للعجلي الأصفهاني. - ٦٠٠ هـ[2].

شكل (٥٤) التذييل لمتابعة الموضوع (في الفقه)

مثال (٢): في اللغة:

ـ «تاج اللغة وصحاح العربية»، للجوهري (ـ ٣٩٣هـ).

---

(١) أ ـ محمد عمارة، دراسات في الوعي بالتاريخ، بيروت، دار الوحدة ١٩٨١م، ص١٠٩.
ب ـ كشف الظنون، ٢/ ١٩٧٥.

(٢) كشف الظنون، ١/١.

- التكملة والذيل والصلة لكتاب «تاج اللغة وصحاح العربية»، للصاغاني (ـ ٦٥٠هـ)[١].

مثال (٣): في الطرائف المنوعة:

ثمرات الأوراق / لابن حجة الحموي - ٨٣٧ هـ (طرائف مختارة في الأدب والتاريخ)

↓

الذيل على ثمرات الأوراق / لنفس المؤلف. (في نفس الموضوع وبنفس المنهج)[٢].

شكل (٥٥) التذييل لمتابعة الموضوع (في الطرائف)

مثال (٤): في الحديث:

- «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير الجزَري (ـ ٦٠٦هـ).

- «التذييل والتذنيب على نهاية الغريب»، للسيوطي (ـ ٩١١هـ)[٣].

---

(١) أ - القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٦م، ٦مج.
ب - ينبغي التنويه إلى أن الصاغاني جعل كتابه المكون من ٦ مجلدات، تكملة وذيلًا وصلة «للصحاح»، وكان بإمكانه أن يجعله معجمًا جديدًا متجردًا من صفة التذييل، خاصة إذا علمنا أنه جمع مادته التي يستدرك ويذيل بها في الصحاح من ألف مصدر. **ويمكن أن نستنتج من ذلك ما يلي:**
- قوة احترام النص الأصلي.
- وضوح تقاليد التواصل العلمي والفهم العميق للطبيعة التراكمية والتكاملية للعلم والمعلومات.
- التواضع الشديد لدى بعض العلماء الأفذاذ.

(٢) محمد أبو الفضل، «مقدمته» في (ثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي. القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧١م، ص٦).

(٣) أ - Catalogue of the mingana collection of manuscripts... p264.
ب - كشف الظنون، ٢/ ١٩٨٩.

تقييم ظاهرة الذيول

الوجه الأخلاقي والمعلوماتي للظاهرة:

تمثل ظاهرة التذييل واحدة من خصائص النمو في بنية التأليف العربي، ومما يثير الانتباه، تواضع العلماء الذين سموا مؤلفاتهم بـ «الذيول»، وهو تواضع يأباه الآن ترفع مؤلفين معاصرين، ولقد وجد بعض القدماء سعادة في تكملة عمل سابق بمتابعة التغطية في مجاله ووصْل تأليفهم به، حتى ليشبه التذييل قطارًا تتتابع عرباته في مجرى الزمان والمكان والموضوع والمنهج.

وإلى جانب تسمية الذيول بتواضعها «الرفيع» نقف أمام تسمية «الصلة»، وبخصائصها الجمالية والمعلوماتية، وهي أشبه في نسيج التأليف بصلة الرحم في نسيج القرابة.

وهذا الاتصال الوجداني بين أجيال من المؤلفين، يختلف تمامًا عما نشهده في بعض مظاهر التأليف العربي المعاصر، في علاقاته الإنسانية والببليوجرافية، التي تتسم أحيانًا بتجاهل أعمال الآخرين، والانفصال والفردية في جهود التأليف، بحيث لا نجد عملًا يتكامل مع عمل آخر إلا نادرًا.

ومهما كانت قيمة الأعمال العلمية، فإن هناك قيمة أساسية وحيوية في العلم، وهي التواصل، وكانت الذيول تحقق هذه القيمة في تقاليد التأليف القديمة، ومن الممكن أن تختلف الظروف فلا تعود المطالبة بالتذييل مقبولة، ولكن عندما تُفتَقدْ قيمةُ التواصل ذاتُها في العمل العلمي، فإنه يفقد الركيزة والغاية معًا.

وتنطوي ظاهرة التذييل والاستدراك على الجوانب المعلوماتية التالية:

١ ـ النظرة النقدية التقويمية للنص السابق.

٢ ـ المعالجة التعويضية للنص السابق في حالة الاهتمام بالاستدراك عليه وتكملة ما ينقصه، وهو ما يطلق عليه في هذه الدراسة: «**تكامل النصوص**» وهو أمر مشترك في أحيان كثيرة بين الذيول والمستدركات.

٣ ـ الاستمرارية والتطور في تغطية جانب معين من المعرفة، وهو ما نطلق عليه «**اتصال النصوص**». وهي ظاهرة خصبة بما تنطوي عليه من انتماء وتواصل وتكامل في التأليف العربي القديم، وامتداد في الزمان والمكان والموضوع والمنهج والجهد الإنساني، ولعل مما يبرز وعي المؤلفين العرب بفلسفة التذييل، ذلك التعبير البليغ «للحميدي»، إذ يقول: «وقد اتصلت الذيول على كتاب «كذا...»[١]. ولا يمكن أن يتطرق إلى هذه الظاهرة شيء مما يقال حول التكرار والجمود في تاريخ التأليف العربي.

٤ ـ القدوة والمثال، أو «المدرسة» في التأليف، فكثير من الذيول يقوم على نمذجة النص السابق[٢]. والتأليف على مثاله.

ببليوجرام التذييل

أولًا: تذييل المؤلف على بعض كتبه:

ويشمل:

١ ـ تذييل المؤلف على كتاب واحد من كتبه:

مثال (١): العبادي (ـ ٤٥٨هـ)[٣].

(١) كشف الظنون، ٢/٢٠١٩ حاشية (٢).
(٢) انظر: نمذجة النص، ص٤٩٥.
(٣) كشف الظنون، ٢/ ٩٦٤.

- الزيادات في فروع الشافعية.
  - زيادة الزيادات (تكملة).
    - الزيادة على زيادة الزيادات (تكملة التكملة).

مثال (ب): ابن زهر (الطبيب الأندلسي) (ـ ٥٥٧هـ)[١].

- التيسير في المداواة والتدبير.
  - الجامع (وهو ذيل التيسير).

مثال (ج): أبو شامة (ـ ٦٦٥هـ).

- الروضتين في أخبار الدولتين
  - الذيل على الروضتين[٢].

٢ ـ تذييل المؤلف على أكثر من كتاب من كتبه:

مثال: الجويني (ـ ٤٧٨هـ):

- العمد (كتاب).
  - الأساليب (كتاب).
    - الدرة المُضّية في ما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية (تكملة واستدراك لموضوعات ومسائل العمد والأساليب)[٣].

ثانيًا: تذييل العائلة (أو التأليف بالموارثة):

شهد التأليف العربي ظاهرة طريفة ونادرة، فقد اشترك ستة أدباء

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٥٢٠.

(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية.

(٣) عبد العظيم الديب (محقق)، «مقدمته» في (الدرة المضية في ما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية، الدوحة (قطر)، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٦م، القسم الأول، ص٨٤م، ٩٠م).

من الأندلس، منهم خمسة من أسرة واحدة وعلى مدى ١١٥ سنة (تمتد من القرن السادس إلى القرن السابع هـ) في تأليف كتاب بالموارثة جيلًا بعد جيل، وهم:

١ ـ أبو محمد الحجاري (ـ ٥٨٤هـ).

٢ ـ عبد الله بن سعيد.

٣ ـ أحمد بن عبد الملك.

٤ ـ محمد بن عبد الملك.

٥ ـ موسى بن محمد بن عبد الملك.

٦ ـ علي بن موسى بن عبد الملك (ـ ٦٧٣هـ).

والكتاب هو: «**المُغرب في حُلى المَغرِب**».

وقد تداولوه بالتنقيح والتكميل واحدًا بعد واحد، وتقلب العنوان في عدة صور حتى استقر على العنوان المذكور سابقًا. وقد امتزج جهدهم في التأليف في عمل واحد لا تنفصل فيه ذيول عن أصول[(١)].

ثالثًا: تذييل مؤلِّف على مؤلِّف:

وهذا هو الأكثر شيوعًا في التذييل، ويتجلَّى في كثير من نماذج التذييل بهذا المبحث.

رابعًا: تذييل مؤلف أجنبي على مؤلف عربي:

قام المستشرق إدوارد لان Edward W. Lane بالتذييل على «القاموس المحيط للفيروزآبادي»، فوضع قاموسه المسمَّى:

---

(١) أ ـ شوقي ضيف (محقق)، «مقدمته» في (المغرب في حلي المغرب)، تأليف: الحجاري وآخرين، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م، ص١ ـ ٢.
ب ـ كشف الظنون، ٢/ ١٧٤٧.

مَد القاموس = Arabic - English Lexicon[(١)].

وقد ضم «المد» مفردات من أمهات كتب الأدب مما لم يرد في القاموس المحيط.

خامسًا: تكملة مؤلِّف عربي على مؤلَّف أجنبي:

مثل: «التاريخ العربي القديم»، تأليف نيلسن وآخرين، (ترجمه واستكمله فؤاد حسنين علي)[(٢)].

سادسًا: تذييل مؤلف على عدة مؤلفين:

كما نشهد في الأمثلة التالية:

١ ـ الذيل والصلة لكتابَيْ «الموصول والصلة» المراكشي[(٣)].

٢ ـ ذيل تواريخ **الحافظ الذهبي والبرزالي وابن كثير**، تأليف ابن قاضي شهبة (ـ ٨٥١هـ) (يبدأ من سنة ٧٤١هـ)[(٤)].

سابعًا: تذييل مؤلِّف أجنبي على عدة مؤلِّفين عرب:

مثل:

ـ «معجم دوزي» (ـ ١٨٨٣م). (وهو ذيل وتكملة للمعاجم العربية)[(٥)].

---

(١) London, William & Norgate, 1863. ...

(٢) القاهرة، مكتبة الأنجلو، د.ت.

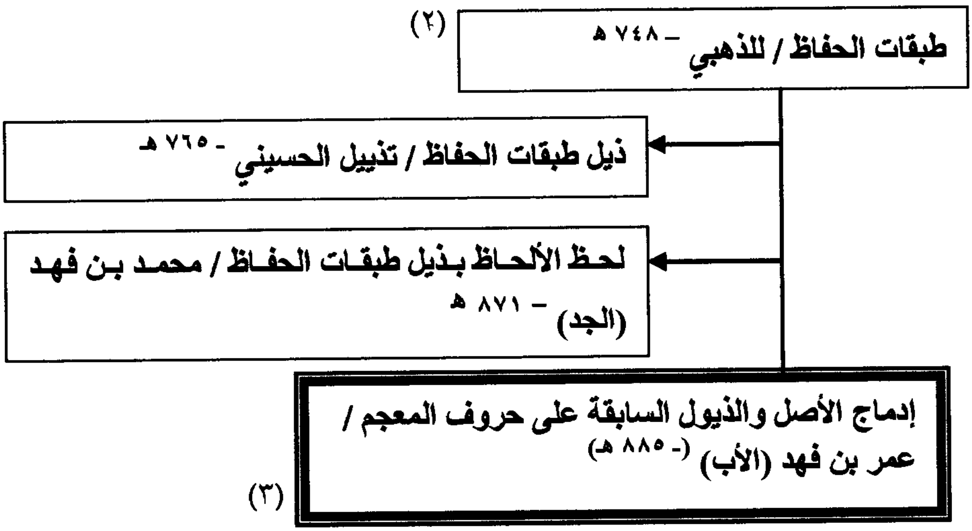
(٣) قصد المراكشي تذييل كل من تاريخ ابن الفرضي وهو المقصود بالموصول، والصلة لابن بَشكوال. انظر: المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، بيروت، دار الثقافة ١٩٧٣م، ص٦.

(٤) كشف الظنون، ١/١/٨٢٩.

(٥) ليدن، (١٨٧٧ ـ ١٨٨١م)، ٢مج.

ثامنًا: إدماج الذيول والأصول:

شهد التأليف العربي ظاهرة الإدماج لأكثر من نص أصلي[1]. كما شهد ـ أيضًا ـ ظاهرة إدماج الذيول بالأصول، **ومن أمثلتها:**



شكل (٥٦) إدماج الذيول مع الأصول

تاسعًا: اختصار الذيول:

تعرضت بعض الذيول للاختصار، كما نجد في الأمثلة التالية:

مثال (١):

(الذيل) ـ التكملة لكتاب «الصلة» لابن بَشْكُوَال، (تكملة) ابن الأبَّار (ـ ٦٥٨هـ).

---

(١) انظر: إدماج النصوص في الفصل التاسع ـ المبحث الرابع، ص٣٩٧ بهذا الكتاب.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٠٩٧.

(٣) هناك بقية من المؤلفين من عائلة الفهود، من طبقة الأحفاد، وقام أحدهم بالتذييل على الحسيني وابن فهد الجد. وقد ألف عمر بن فهد (ـ ٨٨٥هـ)، كتابًا بعنوان: بذل الجهد فيمن سمي بفهد وابن فهد. انظر: الزركلي، الأعلام، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ٥/ ٦٣.

(مختصر الذيل) ـ مختصر التكملة لكتاب «الصلة»، (اختصره الذهبي (ـ ٧٤٦هـ)[١].

مثال (٢):

(الذيل) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (للصفدي)، لابن تغري بردي (ـ ٨٧٤هـ) (اختيار من الوافي، وإضافة تراجم قرن من الزمان إلى تراجمه).

(مختصر الذيل) الدليل الشافي على المنهل الصافي، لابن تغري بردي (أيضًا) (قام المؤلف باختصار المنهل، وجعله كالديباجة له، بالترتيب نفسه، وهو بمثابة كشاف للمنهل)[٢].

عاشرًا: شرح الذيول:

حظيت بعض الذيول بالشرح ومن أمثلة ذلك:

---

(١) بشار عواد معروف، الذهبي، ص٣٢٧.

(٢) أ ـ فهيم محمد شلتوت (محقق)، «مقدمته» في (الدليل الشافي على المنهل الصافي، لابن تغري بردي ـ مكة المكرمة، جامعة أم القرى ١٩٧٩م، ١/ ٦ ـ ٨.

ب ـ **تعليق على فكرة الدليل الشافي:** قصد ابن تغردي بردي من كتابه الدليل الشافي، أن يكون «الموجز الكشاف»، الذي يستخدم كمرجع سريع، ويقوم بدور الكشاف الذي يوصل إلى النص الموسع وهو المنهل الصافي، وكلاهما بنفس الترتيب. ونجد نفس الفكرة مطبقة في الموسوعة البريطانية في طبعتها ذات المستويات الثلاثة (Britannica Three) الصادرة في ١٩٧٤م، حيث جعلت المستوى المصغر من المعرفة Micropaedia مرجعًا سريعًا وكشافًا (Ready reference & index) في نفس الوقت للمستوى الموسع من المعرفة Macropaedia، وقد سبق ابن تغري بردي إلى فكرة الموجز الكشاف، بأكثر من ١١ قرن. انظر:

The New Encyclopaedia Britannica, 15 th ed, Chicago! Enc, Brit. Inc., 1974, 30 vols.

- «دمية القصر وعصرة أهل العصر»، للباخرزي (ـ ٤٦٧هـ) (ذيل ليتيمة الدهر للثعالبي).

- «شرح الدمية»، لعبد الوهاب المالكي.

حادي عشر: الانتقاء من الذيول:

وجدت مؤلفات منتقاة من الذيول، **من أمثلتها**:

- «ذيل تاريخ بغداد» (للخطيب البغدادي)، تذييل ابن النجار (ـ ٦٤٣هـ).

  - «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد» (لابن النجار)، (انتقاء) ابن أيبك الدمياطي (ـ ٧٤٩هـ) (وهو انتقاء لتراجم رجال الحديث)[١].

ثاني عشر: تفارع الذيول على الذيول:

شهد تأليف الذيول عدة رتب من التفارع المتجانس؛ أي: (تذييل التذييل)، أو (تكملة التكملة)، أو (صلة الصلة)... إلخ.

وقد وصل هذا التفارع في بعض النماذج إلى التفارع السابع، في سلسلة من الذيول تمتد لتغطي عدة قرون من الزمان، وصلت إلى ثمانية كما شهدنا في نموذج وفيات النقلة وذيوله[٢].

ويتضح من ذلك ظاهرتا تكامل النصوص، واتصال النصوص في أجلى صورهما، وفي ما يلي نماذج أخرى لتفارع الذيول:

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ٧٦١.

(٢) انظر: النموذج، ص٣٦٦ بالبحث.

تفارع (١) * **تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي**[1].

تفارع (٢) * ذيل تاريخ بغداد / لابن النجار (ذيل)

تفارع (٣) * ذيل على ذيل ابن النجار / لابن الساعي (ذيل / ذيل)

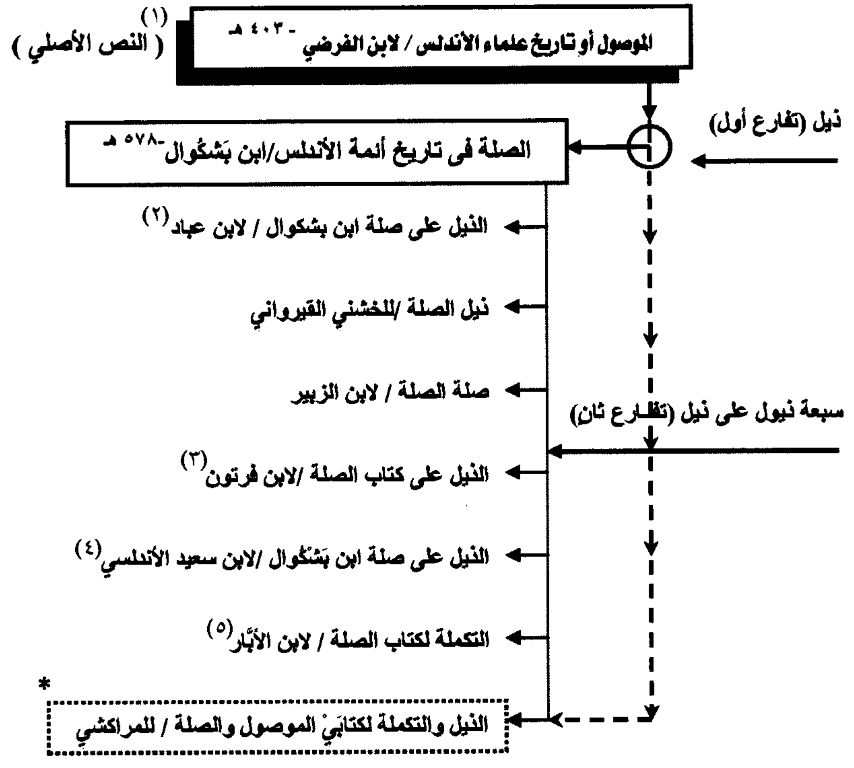
تفارع (٤) * ذيل على ذيل ابن الساعي / لابن الفوطي (ذيل/ ذيل/ ذيل)

شكل (٥٧)

ببليوجرام تذييل متجانس حتى التفارع الثالث

---

(١) انظر: أ ـ كشف الظنون، ١/ ٢٨٨.
ب ـ السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص٢٥٤ ـ ٢٥٥.
ج ـ قيصر أبو فرح، (محقق)، «مقدمته» في (تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تأليف: الخطيب البغدادي (ـ ٤٦٣هـ)، بيروت دار الكتاب العربي، د.ت، مج ١، ص (ب ـ ج).



شكل (٥٨)

ببليوجرام تفارع متجانس للذيول حتى الدرجة الثانية

(ويلاحظ تكرار الذيول في الرتبة الثانية)

* ويلاحظ أن الذيل الأخير يُذيِّل على كل من: الكتاب الأصلي (الموصول)، وأول ذيل له وهو (الصلة) لابن بشكوال؛ أي: أنه تفارع أول وتفارع ثانٍ في وقت واحد.

---

(١) القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

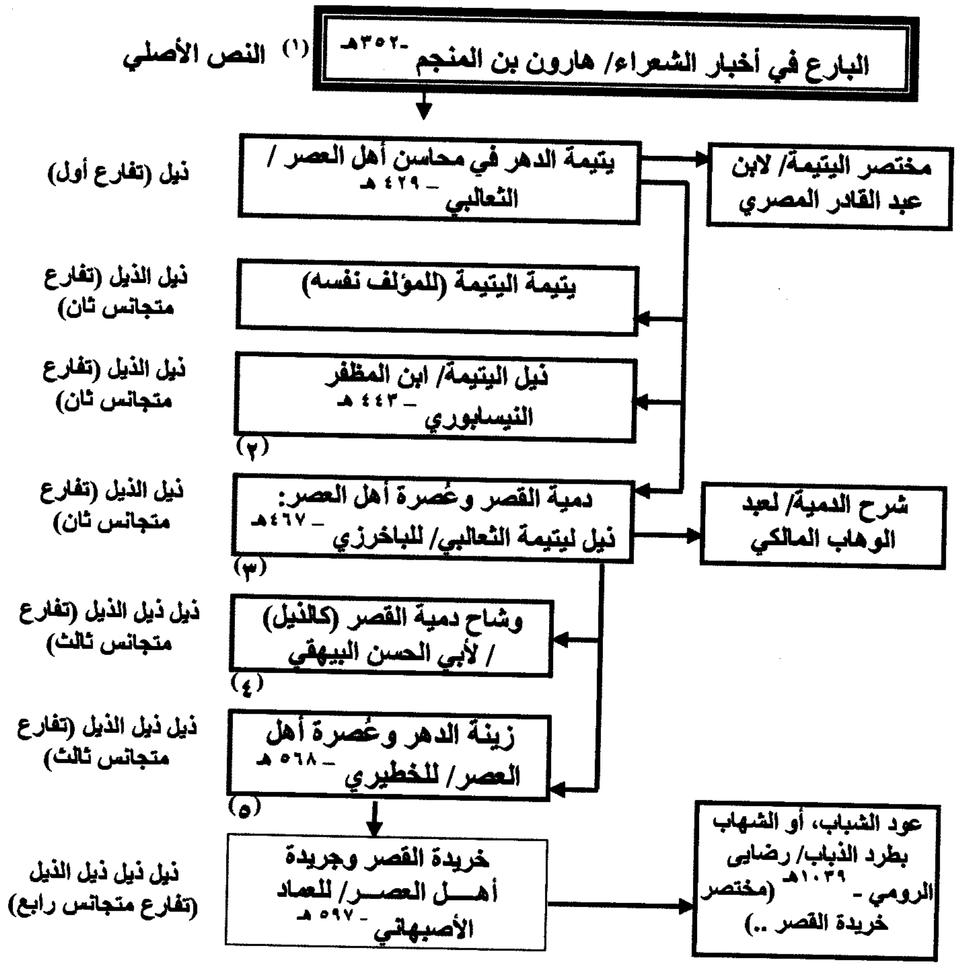
(٢) الباباني، إيضاح المكنون، ٢/ ٧٠.

(٣) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، ص٩.

(٤) الباباني: إيضاح المكنون، ١/ ٥٤٥، ٢/ ٧٠.

(٥) أ ـ نشر بمدريد ١٨٨٢م، وبالجزائر ١٩١٩م.

ب ـ ويَرِد عنوانه هكذا: (مشكل الصلة) في: كشف الظنون، ١/ ٢٨٦.



شكل (٥٩)

ببليوجرام الذيول وأشباه الذيول حتى التفارع الرابع
وتكرار الذيول عند تفارع الدرجة الثانية والثالثة
مع مؤلفات تابعة على الذيول (مثل المختصرات والشروح...)

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٧٠١ ـ ٧٠٢، ٧٦١، ٢/ ٢٠٤٩ ـ ٢٠٥٠، والسخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص٢٠٠.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٧٦١.

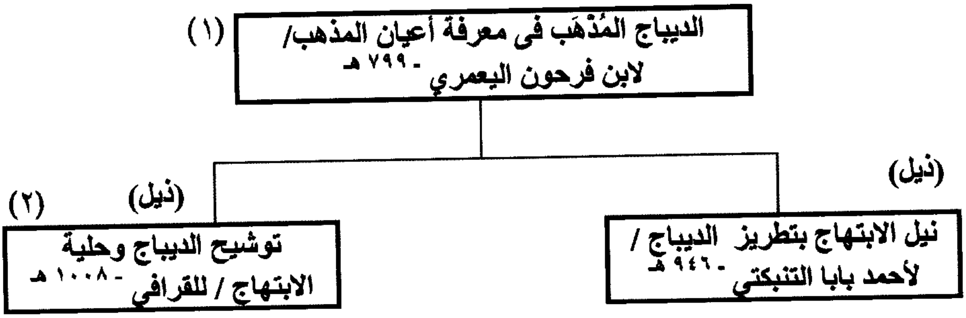
(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق، ٢/ ٩٧٢.

(٥) أورد الشعراء من سنة (٥٠٠ ـ ٥٩٢هـ) من أهل العراق والشام ومصر والجزيرة والمغرب (كشف الظنون ١/ ٧٠٢).

ثالث عشر: تكرار الذيول على نص واحد:

شهد التأليف العربي، ظاهرة تكرار الذيول على نص واحد، **ومن أمثلة ذلك:**



شكل (٦٠)

رابع عشر: تفارع الذيول على المختصرات:

وقد رأينا أمثلة لذلك في المبحث الخاص بالتلخيص، حيث كان بعض المؤلفين يختصر النص الأصلي ثم يُلحق به التذييل الجديد، ليجمع في نص واحد بين الاستفادة من الأصل ومن الذيل.

مثال:

«التهذيب في الفروع»، للزجاجي (ـ ٣٥٠هـ):

* وهو مختصر لكتاب: «المفتاح في فروع الشافعية»، للطبري (ـ ٣٣٥هـ).

---

(١) يشمل طبقات المالكية (كشف الظنون ١/ ٧٦٢).

(٢) لاحظ الزخرف اللفظي المبني على العنوان الأصلي.

* ويشتمل على فروع زائدة على المفتاح؛ ولذلك يلقب «**بزوائد المفتاح**»(٣).

* ويجمع بين **التلخيص والتذييل** من رتبة التفارع الأول، على نص أصلي هو «المفتاح».

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٥١٧، ٢/ ١٧٦٩.

المبحث الثالث

البناء على النص

يُعد البناء على النص شكلًا ثالثًا من أشكال التأليف التكميلي، الذي شمل من قبل **الاستدراك والتذييل**.

والبناء على النص، هو طريقة من التأليف، لجأ إليها بعض المؤلفين، عندما اتخذوا نصًّا معينًا، كأساس لبناء كتاب جديد عليه، فهو يعني: احتواء النص الجديد لنص سابق، مع تنمية وتطوير وإضافة يقوم بها مؤلف النص الجديد، ويشمل ذلك إضافة معلومات وبيانات جديدة، كما قد يشمل تطويرًا أو تغييرًا في طريقة عرض المعلومات، أو تنظيم الوحدات المعرفية في حالة تأليف الكتب المرجعية كالمعاجم وغيرها.

ويتفق ذلك مع نظرة القدماء إلى النصوص كركائز للتواصل العلمي والتأليفي، وأسس للبناء الجديد. فإلى جانب ما شهدناه من حرص في بعض الأحيان على الاحتفاظ ببعض النصوص، والإبقاء عليها، ومحاولة تكملة نواقصها من الداخل بتأليف المستدركات، أو السعي إلى المواصلة والتكملة من بعدها أو من خارجها، بتأليف الذيول عليها ـ نجد ظاهرة أخرى في التأليف النّصِّي، هي ظاهرة تفكيك بعض النصوص وإدماجها في بناء جديد، باعتبار النص في هذه الحالة، مادة حيوية في مجال معين، لا يمكن تخطيها أو تجاوزها، كما لا يكفي الاستدراك أو التذييل من بعدها.

ولقد سبق وصف الاستدراك بأنه يمثل في التأليف العربي ظاهرة «**تكامل النصوص**»، ووصف التذييل بأنه يمثل ظاهرة «**اتصال النصوص**»،

أما البناء على النص، فهو يمثل ظاهرة ثالثة هي «**تنمية النصوص**».

فالنص القديم يندمج في كيان جديد، مضافًا إليه رصيد ضخم من المعلومات، وكأنه طبعة جديدة من النص القديم، يتم إعدادها أحيانًا بعد وفاة المؤلف الأصلي بقرون عديدة.

ويلاحظ أن البناء على النص كان يحدث من خلال طريقتين:

ـ إما أن يكون ضمن خطة المؤلف الجديد منذ البداية، بحيث يختار نصًّا معينًا لكي يبني عليه كتابه الجديد.

ـ إما أَن يحدث ذلك عَرَضًا، عندما يَتَعَمْلَق[1] مشروع التأليف ويتحول مساره، فقد كان بعض المؤلفين يشرع في التأليف لشرح نص معين، أو التذييل أو الاستدراك عليه، ولكن عمله لا يلبث أن يتطور ويتضخم، ويتخطى مجرد الشرح أو التذييل أو الاستدراك، لكي يصبح تأليفًا جديدًا.

ومن أهم المجالات التي حدث فيها التحول من الشكل المقصود إلى البناء على النص، مجالا: التذييل والشرح، حيث نجد أمثلة عديدة لتعملُق الذيول والشروح، والتهامها للنص الأصلي، وسوف تُستعرض في ما يلي، مع تحديد الملامح الفارقة بين البناء على النص وبين غيره من أشكال التأليف النصّي.

فمن المعروف في الخصائص المُثلى للذيل، أنه يلامس النص الأصلي عند نقطة انتهائه ثم يكمله من بعده، وربما يتداخل الذيل مع النصّ الأصلي بشيء محدود من الاستدراك والتكملة لما ينقصه

---

(١) أ ـ يقصد بالتعملق تفوق النص التابع على النص الأصلي في الحجم أو القيمة. (المؤلف)

ب ـ تَعمْلقَ مشتق من عَمَلق، والعملاق ما يفوق جنسه في الوزن والطول. (انظر: ابن منظور، لسان العرب. . . عملق).

من الداخل، ولكن بعض الذيول تجاوز دوره، وأصبح يلتهم النص الأصلي كله ويحتويه ثم يضيف إليه، ولا يمكن أن نعتبر العمل الجديد استدراكًا أو تذييلًا بل هو بناء جديد على النص القديم، ومعنى ذلك أن البناء على النص قد يشمل ضمن أبعاده الواسعة، أشكالًا من الاستدراك والتذييل.

ويمكن توضيح الفروق بين أشكال التأليف المكملة للنص، وهي:

١ ـ الاستدراك.

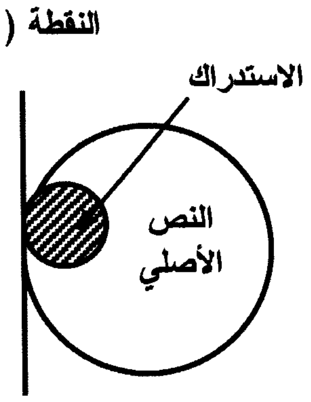
٢ ـ التذييل بنوعيه:

أ ـ الكامل.

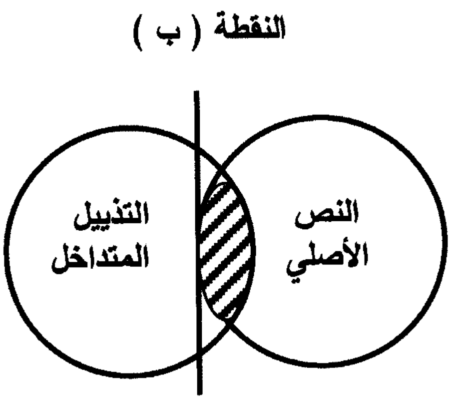
ب ـ المتداخل.

٣ ـ البناء على النص.

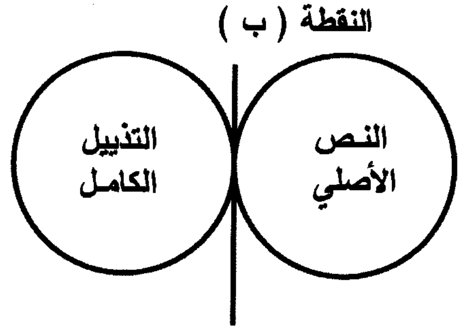
وذلك عن طريق الأشكال التالية:



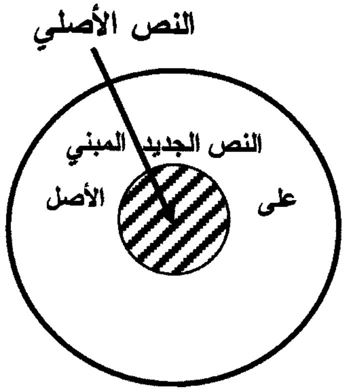
شكل (٦١)
(الاستدراك)



شكل (٦٢)
(التذييل المتداخل)



شكل (٦٣)
(التذييل الكامل)



شكل (٦٤)
(البناء على النص)

ولا يخلو التأليف في أي مجال من مجالات العلم من بعض أشكال البناء على النص القديم، سواء ذُكر ذلك صراحة أو لم يذكر. ومن أهم المجالات التي شهدت البناء على النص، مجال المعاجم العربية، فمن الطرق التي كانت مطروحة أمام المصنِّف الذي ينشد إخراج معجم جديد يفي بمتطلبات جديدة، «أن يتخذ من قاموس الاستخدام الشائع بداية لعمله»[(١)].

وتلك بداية منطقية عملية، لا يمكن بغيرها لمثل هذه الأعمال المرجعية الضخمة أن تظهر إلى الوجود.

ولقد احتوى البناء على النص على أشكال متعددة من جهود التأليف، تجمع بين الشرح والاستدراك والتذييل وغيرها.

ولدينا في هذا المجال نموذج متسلسل من البناء على النصوص، كما يلي:

- البناء الأول: «الصحاح في اللغة»، للجوهري (ـ ٣٩٣هـ).

---

(١) سعد محمد الهجرسي، المراجع العامة: دراسة نظرية نوعية عن القواميس اللغوية ودوائر المعارف، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢٠.

بُنِيَ عليه:

«القاموس المحيط»، للفيروزآبادي (ـ ٨١٧هـ).

ـ البناء الثاني: «القاموس المحيط»، للفيروزآبادي.

بُنِيَ عليه:

«تاج العروس»، للزبيدي (ـ ١٢٠٥هـ)[١].

ففي البناء الأول، اتخذ الفيروزآبادي معجم الصحاح أساسًا يبني عليه؛ نظرًا لتداول الصحاح واشتهاره، ولكنه ـ كما يقول ـ وجده قد فاته نصف اللغة أو أكثر، إما بإهماله المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادرة، وأراد الفيروزآبادي بتأليف القاموس، أن يُظهر فضل كتابه على صحاح الجوهري؛ ولذلك ميز باللون الأحمر، المواد التي أضافها وكان قد أهملها الصحاح، كما أضاف اجتهادات لغوية وصرفية أخرى[٢].

وقد حدث نفس الشيء عندما صنف الزبيدي معجمه «تاج العروس من جواهر القاموس»، «فقد رأى أن «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، من أجلِّ ما أُلف في اللغة العربية، فاهتم «بشرحه» للكشف عن معانيه،

---

(١) يلاحظ أن المسافة الزمنية بين النص الأصلي والبناء عليه في كلتا الحالتين السابقتين، تبلغ أربعة قرون، فالصحاح ينتمي إلى أواخر القرن الرابع الهجري، والقاموس إلى أواخر القرن الثامن الهجري، وتاج العروس إلى أواخر القرن الثاني عشر الهجري، ويبدو ذلك مدى معقولًا لتراكم المعرفة الذي يسمح بتجديد نص سابق بالبناء عليه، بل ويبدو ذلك التراكم والتعدد والانتشار مغريًّا وملحًا بالبناء على نص قديم وإخراج نص جديد. (المؤلف)

(٢) ويذكر حاجي خليفة أنه سمَّى معجمه «القاموس المحيط والقابوس الوسيط لما ذهب من كلام العرب شماطيط». (كشف الظنون ٢/١٣٠٦ ـ ١٣١٠).

والقابوس: الجميل الوجه الحسن اللون، **والشماطيط**: القطع المتفرقة، والواحدة: شِمْطِيط. انظر: (ابن منظور، لسان العرب. . .، مادة: (قبس، شمط)).

واستعان بعدد كبير من كتب اللغة العربية وشروحها وحواشيها وملخصاتها وتهذيباتها ومستدركاتها وذيولها ومختاراتها، وكتب الأنساب وتراجم المحدِّثين والمفسرين والفقهاء وكتب الحديث والتواريخ: مثل تاريخ دمشق وتاريخ بغداد وذيوله، وكتب المسائل والفروق في الفقه، والأمثال والأدب كالمقامات ومجاميع الشعر وشروحها، وكتب الحيوان وعلوم القرآن وكتب دواوين الإنشاء والخطط والطب والعقاقير والنبات وفنون أخرى...

وقد أضاف الزبيدي في معجمه الجديد من الشواهد والأدلة ما لم يَجمَع مثلُهُ مثلَهُ، وجمع ما تفرق في الكتب من الفوائد، فانتظم شمل تلك الأصول في عمله الجديد، الذي أصبح بمثابة «المجموع»، وصار في نظر الزبيدي بمنزلة الأصل، والأصول الأخرى بمنزلة الفروع»[1]، وهو «يهتم بشرح الأعلام والأماكن شرحًا مفصلًا، ويذكر المعاني المجازية، وبعض الألفاظ العامية، ويذكر في آخر كل مادة استدراكاته على صاحب القاموس»[2].

ومما سبق، يتضح مدى اتساع الجهد التأليفي وعمقه في عمل الزبيدي، فهو ليس مجرد «شرح» للقاموس المحيط كما يذكر، وهو ليس مجرد استدراك أو تذييل للقاموس، بل هو عمل جديد، اتخذ من القاموس المحيط أساسًا **وهيكلًا للبناء عليه**، ومؤشرًا لضبط حركاته في اتجاه التوسع والإضافة والشرح والتذييل وغيره من أبعاد التأليف.

فالشرح ليس وصفًا كافيًا للإحاطة بهذا النوع من التأليف، بل هو

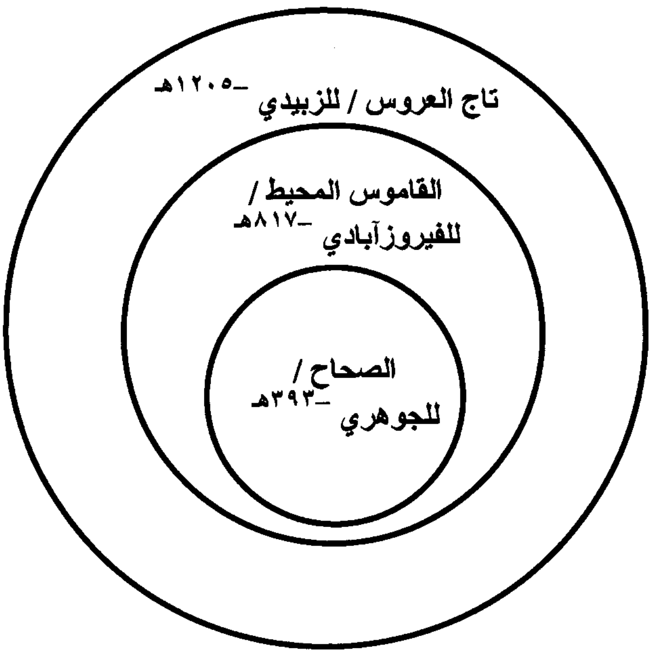
(١) انظر: الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٤٠٦هـ، المقدمة، ص٢ ـ ٥.

(٢) عبد الستار الحلوجي، مدخل لدراسة المراجع، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م، ص٣٨.

جزء منه، وواحد من أبعاده، يضاف إلى أبعاد أخرى في التأليف، تجعل من العمل الجديد نِدًّا لسابقه، يستوعبه ويتجاوزه وينافسه في أداء نفس الدور والوظيفة كمعجم لغوي، في حين أن الشرح عادة لا ينافس النص الأصلي المشروح، إلا إذا حدث خلل أو تغير في العلاقة بينهما، يخرج بالشرح عن وظيفته، إلى وظيفة أخرى[1].

ولا ينفصل إنجاز البناء الأول الذي تم على الصحاح، عن البناء الثاني الذي تم على القاموس المحيط، فقيمة البناء الأول مضافة إلى البناء الثاني، وهكذا نجد تتالي البناء على النصوص أشبه بالمعمار الذي يعلو ويتسع ويتعاظم، في إطار ظاهرة «**تنمية النصوص**».

ويمكن أن نصور الببليوجرام البنائي للمعاجم الثلاثة كما يلي:



شكل (٦٥) ببليوجرام بناء النصوص (المعاجم الثلاثة)

---

(١) انظر: مبحث الشروح على النص، ص٣٠٠.

وبالإضافة لنموذج الزبيدي ونيته الأصلية في شرح القاموس، والتي تحولت إلى عمل ضخم يفوق الشرح ويتجاوزه، نجد نماذج أخرى لمؤلفين اتخذوا من الشرح سبيلًا للتأليف، واتسع عملهم ليتجاوز نطاق الشرح أو الالتزام بدوره التفسيري تجاه النص الأصلي، وليصبح عملًا جديدًا يبنى عليه، ويضيف إليه، **ومن أمثلة ذلك**: العلاقة بين النصَّين التاليين:

- النص الأصلي:

«كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ»، لأبي إسحاق إبراهيم الأجدابي (نحو ٦٥٠هـ) (مختصر في اللغة).

- البناء الجديد:

«شرح كفاية المتحفظ»، لابن الطيب الفاسي (ـ ١١٧٠هـ).

فقد بدأ الفاسي بشرح كفاية المتحفظ، ولكنه خرج بكتاب جديد في مادته وأسلوبه، فإلى جانب الضبط والشرح، أكثر الفاسي من إضافة الشواهد والنقول والآراء المختلفة، والمسائل اللغوية والنحوية، والحديث عن الأعلام والمواقع والحيوان والنبات، وأصبح الكتاب الجديد موسوعة لغوية، وهو معجم للمعاني أو الموضوعات، مثل المخصص لابن سيده[(١)].

وينتمي هذا العمل اللغوي أيضًا، إلى نفس القرن الذي أنجز فيه عمل الزبيدي. وهو القرن الثاني عشر الهجري، مع فارق زمني بسيط.

ولم يتوفر للمؤلف أن يدرس العلاقة البنائية بين بعض الببليوجرافيات العربية التراثية والبعض الآخر، ومدى احتواء أحدها على الآخر، ولدينا في هذا المجال «الفهرست» (ق٤هـ)، «مفتاح السعادة»

---

(١) علي حسين البواب، (محقق)، «مقدمته» في (شرح كفاية المتحفظ، أو تحرير الرواية في تقرير الكفاية، لمحمد بن الطيب الشركي الفاسي (ـ ١١٧٠هـ)، الرياض، دار العلوم، ١٩٨٣م، ص١٦ ـ ١٧.

(ق١٠هـ)، و«كشف الظنون» (ق١١هـ)[(١)].

طبيعة الجهد العلمي في «البناء على النص»

تتضح طبيعة هذا الجهد، إذا عرفنا العلاقة بين النص القديم، أو «**النص الأساس**»، الذي يُبنى عليه، وبين النص الجديد، ويمكن أن تشمل هذه العلاقة البُعدين التاليين:

أولًا: الاحتواء:

---

(١) أ ـ تستحق هذه المسألة أن تنال دراسة تحليلية مقارنة تشمل العلاقة بين هذه الأعمال بالتتابع، على أساس الفرضية القائلة بأن العمل اللاحق في هذا المجال الببليوجرافي لا منأى له عن احتواء السابق والإضافية إليه. (المؤلف)

ب ـ وثمة نموذج مهم في هذا المجال، يصح ذكره هنا لاتصاله بالإنتاج الفكري العربي، رغم أنه ألماني الأصل، ألا وهو نموذج العلاقة بين تاريخ التراث العربي، لسزكين، والعمل السابق عليه: تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ففي منتصف الستينات من القرن العشرين بدأ سزكين تصنيف كتابه، كملحق وتكملة لكتاب بروكلمان، وبنفس المنهج في مجال حصر الإنتاج الفكري العربي، ولكن عمله تضخم وتخطّى حدود بروكلمان، ورأى سزكين أن يدمج نص بروكلمان في كتابه الجديد، وأن يزيد عليه أضعافًا، ثم طور سزكين عمله من مجرد حصر ببليوجرافي إلى تأريخ للعلوم عند العرب، وتجاوز الاكتفاء بالفهارس إلى الاطلاع على المخطوطات نفسها[(*)].

وبذلك تحول عمله من تذييل إلى احتواء وتوسع من ناحية الحصر الببليوجرافي، وأضاف هدفًا جديدًا هو التأريخ للعلوم عند العرب، ومنهجًا جديدًا هو الاطلاع على المخطوطات نفسها.

(*) انظر: سزكين، فؤاد، «مقدمته» في (تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٣م، مج١، ١/٧).
ـ سزكين، فؤاد، محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ١٩٨٤م، ص١١ ـ ١٣.

وهو يعني: هضم النص القديم، ويُقصد بذلك ضم وحدات المعرفة في النص القديم، واتخاذها أساسًا للبناء، ومؤشرًا لما ينبغي إضافته في النص الجديد، وقد يتم تلخيص هذه الوحدات أو تهذيبها وتصحيحها والاختيار منها.

ثانيًا: التمايز:

وهو يعني: احتواء النص الجديد على عناصر تميزه عن النص القديم، وقد يتحقق التمايز من خلال واحد أو أكثر من العناصر التالية:

١ ـ إضافة المزيد من المادة العلمية، ويشمل ذلك استدراك ما ينقص النص الأصلي، وإضافة الجديد من المعلومات والشواهد والمسائل والشروح ووجهات النظر... إلخ.

٢ ـ تحقيق المزيد من الدقة في المعلومات، مع ضبط بعض ما ورد في النص الأصلي وتصحيحه وتهذيبه.

٣ ـ شرح ما يبدو غامضًا بالنص الأصلي وتوضيحه.

٤ ـ تطوير المنهج والهدف.

٥ ـ توسيع حدود التغطية المكانية أو الزمنية أو الموضوعية.

٦ ـ التوسع في المصادر، والاستفادة من تراكم المعرفة في الفاصل الزمني بين النص الأصلي والبناء على النص، وتطوير وتوسيع أدوات جمع البيانات كالمشاهدة والمعاينة... إلخ.

٧ ـ تطوير أسلوب العرض وتحسينه أو التنظيم المرجعي لوحدات المعلومات (هجائيًا ـ زمنيًا ـ موضوعيًا ـ أو بالمزج بين أكثر من نسق في الترتيب)، وذلك في حالة التأليف المرجعي.

٨ ـ المقارنة وإظهار جوانب التفوق على النص القديم، كما رأينا في إبراز الفروق بين «القاموس المحيط»، للفيروزآبادي، والنص القديم

الذي تم البناء عليه وهو «الصحاح»، للجوهري.

ولكي يتضح مدى تعدد الجهود العلمية في البناء على النص، والجمع بين كثير من العناصر الثمانية السابقة، في الاحتواء والتمايز، فإنه من المهم أن نتأمل النموذجين التاليين في هذا المجال:

١ ـ نموذج الزبيدي (ـ ١٢٠٥هـ):

نلاحظ خصوبة الجهود العلمية التي قام بها الزبيدي في إخراج معجمه: «تاج العروس»، سواء في معالجته للنص القديم: القاموس «المحيط»، للفيروزآبادي (ـ ٨١٧هـ)، أو في المادة التي جمعها وأضافها، حيث **شرح** «القاموس المحيط» **شرحًا ممزوج العبارة، وصوَّب** وذكر **نُكَتَهُ** (أي: مسائله الدقيقة) **ونوادره**، وكشف عن **معانيه** وأشار إلى **مآخذه** (أي: مصادره) **ونُقُولِهِ** (اقتباساته)، والتقط أبيات **الشواهد** له من مصادر كثيرة ذكرها في مقدمته، وتحَرَّى **الاختصار والتنقية والاختيار، وجمع** في معجمه الجديد بين ما تفرق من كتب المشارقة والمغاربة من **منطوق ومفهوم**[(١)].

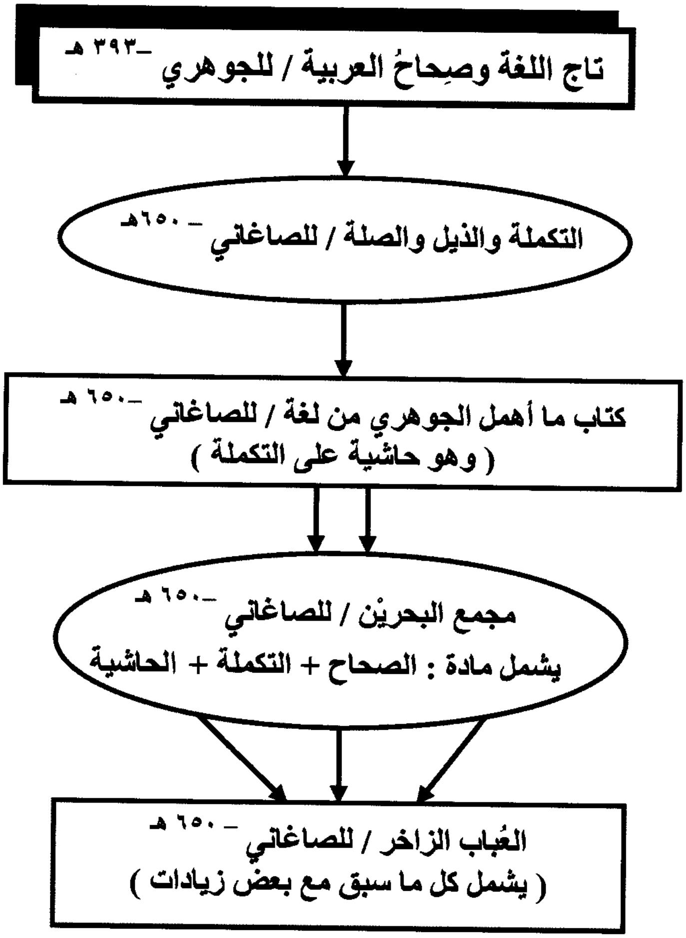
ويمكن أن نتعرف هنا إلى الأنواع التالية من التأليف: الشرح، والتصويب والاستدراك، والتنكيت (المسائل الدقيقة)، وتوثيق المصادر والتخريج، والتلخيص، والتهذيب والانتقاء، والبناء على النص وإدماج النصوص.

٢ ـ نموذج الصاغاني (ـ ٦٥٠هـ):

يلخص النموذج التالي مراحل وجهودًا عديدة قام بها الصاغاني.

---

(١) أ ـ انظر: الزبيدي، تاج العروس، المقدمة، ص٣ ـ ٥.
ب ـ بلغت الجذور اللغوية في تاج العروس ١١٩٧٨ جذرًا، (انظر: محمد حسن جبل: الاستدراك على المعاجم العربية ص٧).



شكل (٦٦) الجهود العلمية في البناء على النص (نموذج الصاغاني)

التفاصيل:

* اهتم الصاغاني (ـ ٦٥٠هـ) بالاستدراك والتذييل على معجم (تاج اللغة وصحاح العربية)، للجوهري (ـ ٣٩٣هـ). وألَّف من أجل ذلك: (التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية) وقد جمع مادته من ألف مصدر[1].

* ثم وضع الصاغاني: (كتاب ما أهمل الجوهري من لغة)، وجعله

---

(١) القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٩٧٦م، ٦مج.

حاشية على التكملة، وميَّز مادته بحرف (ح) في مخطوطة التكملة[1]، ويعتبر ذلك استدراكًا على «الصحاح».

* ثم وضع كتابا جديدًا سمَّاه (مَجْمع البحريْن)؛ أي: مَجْمع الصحاح والتكملة، جمع فيه مادة الصحاح مميزة بعلامة (ص)، ومادة التكملة مميزة بعلامة (ت)، ومادة حاشية التكملة مميزة بعلامة (ح)[2].

* ثم رأى ان يتحاشى التكرار الذي حدث في «مجمع البحرين»، فمزج مادته مع بعض زيادات في معجم جديد خاص به بعنوان: «العُباب الزاخر واللُّباب الفاخر في اللغة»، الصاغاني بلغ عشرين مجلدًا، واستخدم فيه الترتيب نفسه «الصحاح» (الباب والفصل)، وتوقف عند حرف الميم في مادة (بكم)[3].

ويمكن أن نتعرف في نموذج الصاغاني إلى الأنواع التالية من التأليف:

الاستدراك، والتذييل الذي استعان فيه بألف مصدر، والبناء على النص (أي: على «الصحاح» للجوهري)، ومَرْجَعَةُ النصوص، ومَوْسَعَةُ النصوص، ثم إدماج النصوص، وهو ما سيتناوله المبحث التالي.

(١) حسين نصار، المعجم العربي، ٢/٥١٨ ـ ٥١٩.
(٢) المرجع السابق، ص٥١٩.
(٣) المرجع السابق، ص٥٣٠ ـ ٥٤٣، وكشف الظنون، ١/٦٠٠، ٢/١١٢٢.

المبحث الرابع

إدماج النصوص

يعرف التأليف النصِّي شكلًا آخر من علاقات النصوص، وهو إدماج بعض النصوص في كيان واحد.

والمقصود بالإدماج هو ذلك العمل التأليفي المزجي الذي يعاد فيه تركيب وحدات النصوص، لإظهار بنية جديدة وتركيب متجانس لنص جديد، يغني وجوده عن الاستعمال المتفرق لعدة نصوص كانت منفصلة مستقلة من قبل، ويُعطَى النص التركيمي الجديد **عنوانًا جديدًا** في الغالب[١].

ويختلف ذلك عما عرفناه من قبل في مبحث البناء على النص، الذي يعني: اتخاذ نص أساسًا **للتعلية** والتنمية بما أضافته المعرفة في سعة زمنية تالية للنص الأصلي، فقد يستخدم في البناء والإضافة عشرات أو مئات من المراجع في موضوعات متعددة، ينتقي منها المؤلف الجديد ما يراه صالحًا للإضافة إلى النص الأساسي، وهو **الطرف المعلوم** الذي تلحق به الإضافة، مثل الإضافة إلى مفردات معجم الصحاح، لإنشاء معجم جديد يشمله ويُعَلِّي عليه، ونلاحظ هنا (وجود نص معلوم + إضافات).

---

(١) لا ينبغي أن يختلط ذلك المفهوم التأليفي بالعمل الطباعي المادي الذي يضم في طبعة شاملة مجموعة كتب منفصلة لمؤلف معين كالعقاد أو طه حسين... إلخ.

أما إدماج النصوص فهو يتناول نصوصًا محددة معروفة من قبل، وهي بالضرورة في مجال معرفي واحد متجانس، كالحديث؛ أي: إننا نلاحظ وجود عدة أطراف معلومة يتم إدماجها.

وفي سياق الظواهر السابقة التي تم تعريفها في التأليف النصِّي، يمكن أن نسمي إدماج النصوص وتجميعها، ظاهرة «**تركيم النصوص**».

المبررات العلمية لإدماج النصوص

يمكن أن يحدث الإدماج لسبب أو أكثر **من الأسباب التالية**:

١ - قوة الارتباط بين نصَّين أو أكثر من حيث التغطية الموضوعية، والتكامل الوظيفي.

٢ - اختزال الجهد الموزع في البحث عن معلومة محددة في نصوص متعددة، وتركيز البحث في نص واحد.

٣ - توحيد النصوص في ترتيب أو نسق استرجاعي واحد، سواء بالتبويب الموضوعي أو المدخلة(١) الهجائية.

٤ - عرض الأوجه المختلفة لمعلومة واحدة كما وردت أصلًا في النصوص وإتاحة المقارنة بينها، أو اختزال الاختلاف بينها عند الإدماج إذا كان ذلك ممكنًا من الناحية المنهجية، في إطار العلم الذي تعالجه النصوص، أو إلغاء التكرار بين النصوص.

---

(١) المدخلة هي عمل مداخل نَسَقية أو منهجية (Systematic) لوحدات المعلومات، كأن ترتب هجائيًّا بحسب تتابع الحروف في بناء الفقرة المتخذة كوحدة للمعلومات، مثلما يحدث في المداخل الهجائية للمؤلفين، أو لكلمات المعجم، أو لأوائل الحديث النبوي الشريف.

أشكال الإدماج

ويمكن أن نتعرف إلى الصور التالية في إدماج وتركيم النصوص:

أولًا: إدماج مؤلفات للمؤلف نفسه، وفي الموضوع نفسه:

ويُعد ذلك خدمة تكميلية لغايات المؤلف الأصلية التي دفعته إلى تأليف عدة أعمال لتغطية موضوع معين، وإبرازها في كيان واحد جديد ينهل منه المستفيد في سياق واحد من الاستخدام، وأبرز مثال لذلك ما حدث لثلاثة مؤلفات للسيوطي (ـ ٩١١هـ) حاول فيها تحقيق مشروعه الكبير لتجميع كل الأحاديث النبوية وهي[١]:

١ ـ «الجامع الصغير من حديث البشير النذير».

٢ ـ «زيادة الجامع الصغير (وهو ذيل للجامع، يبلغ مثل حجمه)».

٣ ـ «الجامع الكبير».

فقد كان التكامل الواضح بينها، عاملًا ملحًّا في عصور مختلفة لتجميعها وإدماجها، كما يلي:

(نموذج ١):

قام بجمعها وترتيبها على الأبواب الفقهية في القرن العاشر الهجري علاء الدين الهندي الشهير بالمتقي (ـ ٩٧٥هـ)، في عنوان جديد، هو: «**كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**»[٢].

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٦٥٠.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٥٦١، ١/ ٥٩٨، ٢/ ١٥١٨، وقد ورد ـ أيضًا ـ في كشف الظنون بعنوان: «غاية العمال...»، كما ورد له عنوان آخر هو: «منهاج العمال في سنن الأقوال»، في المرجع التالي: (جمعية دائرة المعارف العثمانية: مقالة تاريخية تحتوي على أخبار جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن (الهند)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٥م، ص٤ ـ ٥).

(نموذج ٢):

جمع بين الجامع الصغير وذيله، يوسف النبهاني (ـ ١٣٥٠هـ) بعنوان: «**الفتح الكبير في ضم الزيادات إلى الجامع الصغير**»[١].

(نموذج ٣):

جمع بين المؤلفات الثلاثة ورتبها كل من عباس أحمد صقر وأحمد عبد الجواد بعنوان: «**جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير**»[٢].

ثانيًا: إدماج مؤلفات لمؤلفين مختلفين، في الموضوع نفسه:

ومن أمثلة ذلك:

(نموذج ١):

جمع الصاغاني (ـ ٦٥٠هـ) بين:

أ ـ «صحيح البخاري».

ب ـ «صحيح مسلم».

في عنوان جديد هو:

مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية[٣].

(نموذج ٢):

جمع المرغيناني (ـ ٥٩٣هـ) بين:

---

(١) القاهرة، ١٣٢٠هـ.

(٢) دمشق، مطبعة محمد هاشمي، ؟ ١٩٦، ٢ج.

(٣) أ ـ كشف الظنون، ٢/١٦٨٨.

ب ـ الكتاني، الرسالة المستطرفة ص١٧٣.

ج ـ وهناك مؤلفات أخرى تجمع بين صحيحي البخاري ومسلم، مثل: الجمع بين الصحيحين، للفراء البغوي (ـ ٥١٦هـ)، والجمع بين الصحيحين، للحميدي الأندلسي (ـ ٤٨٨هـ). (كشف الظنون ١/٥٩٩).

أ ـ «مختصر القُدُوري»، للقدوري (ـ ٤٢٨هـ).

ب ـ «الجامع الصغير»، للشيباني (ـ ١٨٧هـ).

واتبع في عمله الجديد ترتيب الجامع، وأخرجه بعنوان: «**بداية المبتدي**»، للمرغيناني[١].

(نموذج ٣):

جمع السَّرَقُسْطِي (ـ ٥٣٥هـ) بين الأصول الستة في الحديث، وهي:

أ، ب، ج ـ الصحاح الثلاثة للبخاري ومسلم والموطأ.

د، هـ، و ـ السنن الثلاثة لأبي داود والترمذي والنسائي.

في عنوان جديد هو:

التجريد للصحاح والسنن[٢].

(نموذج ٤):

جمع التجيبي الغرناطي (ـ ٦٤٦هـ) بين الأصول الستة السابقة في عنوان جديد، هو:

«**أنوار المصباح في الجمع بين الكتب الستة الصحاح**»، للتجيبي[٣].

(نموذج ٥):

جمع الأعلم النحوي (ـ ٦٤٦هـ) بين المعجمَيْن التاليين[٤]:

أ ـ «الصحاح في اللغة»، للجوهري (ـ ٣٩٣هـ).

---

(١) كشف الظنون، ١/٢٢٨.

(٢) أ ـ الكتاني، المرجع السابق، ص١٧٤.
ب ـ ورد العنوان في كشف الظنون، ١/٣٤٥ هكذا: تجريد الصحاح الستة في الحديث.

(٣) الكتاني، المرجع السابق، ص١٧٥.

(٤) كشف الظنون، ١/٦٠٠.

ب ـ «الغريب المصنف»، للشيباني (ـ ٢٠٦هـ).

في عنوان جديد، هو:

الجمع بين صحاح الجوهري وغريب المصنف في اللغة.

(نموذج ٦):

جمع تاج الدين ابن مكتوم (ـ ٧٤٩هـ) بين المعجمين التاليين(١):

أ ـ «العُباب الزاخر»، للصاغاني (ـ ٦٥٠هـ)(٢).

ب ـ «المُحْكَم والمحيط الأعظم»، لابن سيده (ـ ٤٥٨هـ)(٣).

في عنوان جديد هو:

الجمع بين العُباب والمُحْكم في اللغة(٤).

الآفاق المعاصرة لإدماج النصوص

يمثل إدماج النصوص وتركيمها خدمة تأليفية مهمة، تزداد الحاجة إليها في عصرنا الحاضر. ويرى المؤلف أن مستقبل كثير من النصوص المهمة والخاصة المرجعية منها (كالتراجم التراثية والحديثة، والببليوجرافيات التراثية والحديثة، ومعاجم البلدان ومعاجم اللغة،

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٦٠٠، ٢/ ١١٢٢.

(٢) بلغ العباب عشرين مجلدًا، وتوقف في حرف الميم عند مادة: (بكم) وترتيبه كصحاح الجوهري بأواخر الكلمات ثم أوائلها (المرجع السابق).

(٣) وهو مختلف في نسقه الهجائي عن الصحاح، فترتيب الحروف يبدأ بالعين هكذا: ع ح هـ خ غ... وهو مشابه لترتيب معجم العين للخليل بن أحمد، مع خلاف في ترتيب الواو في نهاية الحروف.
انظر: ترتيب المحكم في (كشف الظنون ٢/ ١٦١٦ ـ ١٦١٧)، وانظر: ترتيب العين في (السيوطي: المزهر... ١/ ٨٩ ـ ٩٠).

(٤) ثم لخصه ابن مكتوم في «المَشُوفُ المُعْلَمْ في تلخيص الجمع بين العُبابِ والمُحْكَمْ. (كشف الظنون ١/ ٦٠٠).

ومعاجم المصطلحات وغيرها)، في عصر الحاسب الآلي، سيكون هو الاندماج في سياق واحد، يضم كل نوع من النصوص في تركيم وسياق واحد، وتتسع الآفاق أمام هذا التصور لتشمل أنواعًا كثيرة من النصوص، يضمن تركيمُها تعويض الانفصال واختزال التكرار والتداخل والنقل في ما بينها، وحسم التناقض والاختلاف في بعض بياناتها، كما يجمع ويبرز جهود مؤلفيها وتحقيقاتهم في مختلف المسائل والقضايا في سياق ومدخل استرجاعي موحد.

وهناك اقتراحات قيِّمة في هذا المجال، منها اقتراح بإدماج «كشف الظنون»، لحاجي خليفة مع ذيله «إيضاح المكنون»، للباباني، وكشافهما «هدية العارفين»: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، للباباني(١).

ويمكن أن يُضَم إلى هذه المنظومة الببليوجرافية لـ«كشف الظنون»: الببليوجرافيات العربية التراثية منذ بواكيرها، الخاصة والمتخصصة، على يد حنين ابن إسحاق وغيره(٢)، وارتكازًا على التجميع «الببليوجرافي الأساسي الأول»، وهو «الفهرست»، للنديم، ويليه «مفتاح السعادة»،

---

(١) أ ـ انظر: عبد الوهاب أبو النور، بحوث في المكتبة العربية، ص٢١٥.
ب ـ بالإضافة إلى دوره ككشاف، يذكر هدية العارفين أحيانًا تفاصيل أدق لبعض العناوين، التي أُشير إليها بغير تفصيل في كشف الظنون، كما لم ترد في ذيله، مثل كتاب غاية العمال للمتقي الهندي السابق ذكره. (المؤلف)

(٢) مثل قائمتي حنين ابن إسحاق: «في ما ترجم من كتب جالينوس وما لم يترجم»، «مقالة في إثبات الكتب التي لم يذكرها جالينوس في فهرست كتبه». انظر:
أ ـ بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، ٤/١٠٨.
ب ـ عبد الستار الحلوجي، «نشأة الببليوجرافيا عند المسلمين». الدارة (الرياض)، س٢، ع٣ ـ ٤ (أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٦م)، ص١٨٠.

لطاش كبري زاده، و«أسماء الكتب»، لرياضي زاده وغيرها، في كيان واحد، وسوف يتكامل ذلك بالضرورة مع أعمال بروكلمن وسزكين وغيرهما من فهارس وقوائم للمكتبات، والببليوجرافيات الحديثة الجارية في سياق ونَسَق ببليوجرافي واحد.

وفي مجال التراجم التراثية والحديثة يبدو إدماج وتراكم النصوص مطلبًا علميًّا وحيويًّا، ولعل أبرز الإنجازات في هذا المجال، المشروع المسمَّى بـ«الأسماء العربية» Onomasticum Arabicum، الذي يهدف إلى تفريغ مجموعة مختارة من النصوص لإنشاء مرجع مُحَسَّب للتراجم العربية[١].

ويمكن أن نتصور إسهامًا عربيًّا في هذا المشروع، يضيف المزيد من المصادر الحاوية للتراجم، وخاصة سلسلة تراجم القرون السابق ذكرها، وبرامج الشيوخ والببليوجرافيات التراثية الحافلة بكنوز التراجم ابتداء من فهرست النديم وغيره، وكتب التواريخ العامة والمحلية وغيرها من المصادر المباشرة وغير المباشرة[٢]، بالإضافة إلى الأعمال المعاصرة للزركلي وكَحَّالة وغيرهما...

---

(١) بدأ بهذا العمل الإيطاليان: كيتاني وجابرييلي، منذ منتصف العشرينيات على بطاقات، ثم تابعه الفرنسيان فاجدا وسوبليه منذ منتصف الستينيات في معهد بحوث النصوص بباريس، باستخدام الحاسب الآلي. انظر: سعد محمد الهجرسي. «مقدمة علمية» في (بنوك المعلومات، أو المصادر والمراجع الببليوجرافية المحسَّبة، تأليف: سيد حسب الله، الرياض دار المريخ، ١٩٨٠م، ص٢٠ ـ ٢٣).

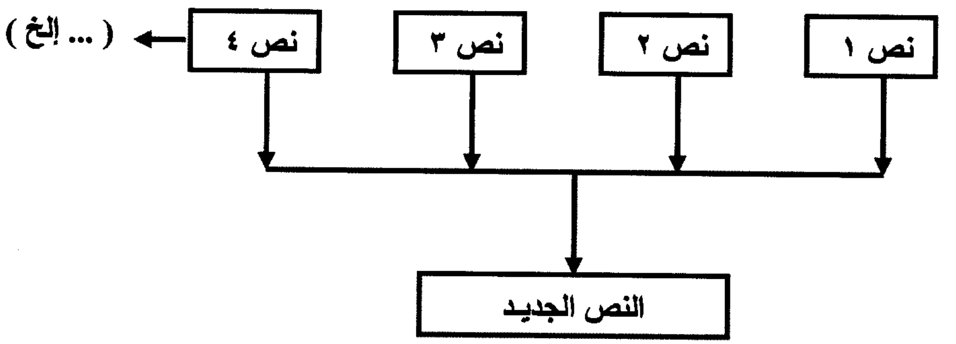
(٢) هناك كثير من التراجم المنتشرة في مجموعات الأدب والببليوجرافيات وبرامج الشيوخ والتاريخ العام وتواريخ المدن ومعاجم البلدان والموسوعات... إلخ. وينبغي أن تؤخذ هذه المصادر في الاعتبار عند تجميع الببليوجرافيات، إلى جانب نصوص التراجم المباشرة. (المؤلف)

ويمكن أن يسهم الاختزان المحسَّب للنصوص مستقبلًا، في توفير إمكانيات هائلة لإدماج النصوص الأصلية وتوابعها ومكملاتها من استدراكات وتصويبات وذيول وتكملات، للخروج بتجميعات مكثفة توفر التكامل وإمكانية الوصول للباحثين.

ببليوجرام إدماج النصوص

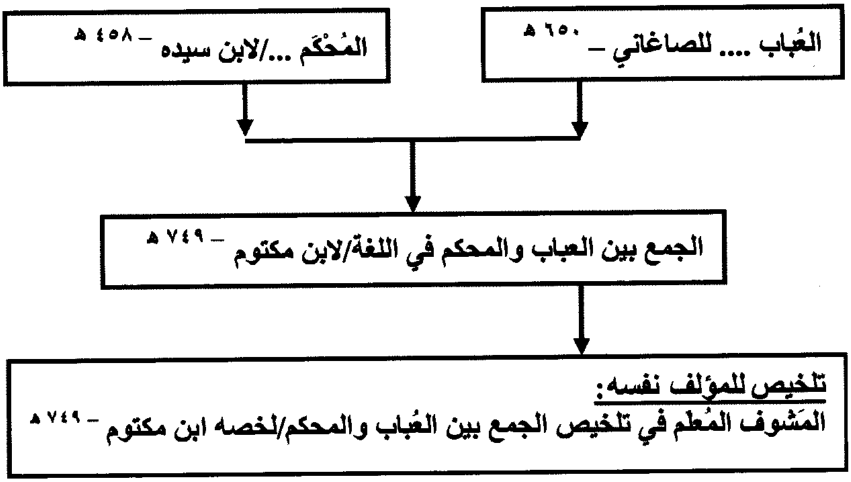
أولًا: تنحصر كل حالات الإدماج السابقة في شكل واحد من الببليوجرام هو الببليوجرام المتجمع.

وقد اتضح أن النصوص الأصلية المتجمعة يمكن أن تبدأ من اثنين فأكثر، ولكنها تلتقي في مركز واحد هو النص التركيمي الجديد كما نرى في الشكل التالي:



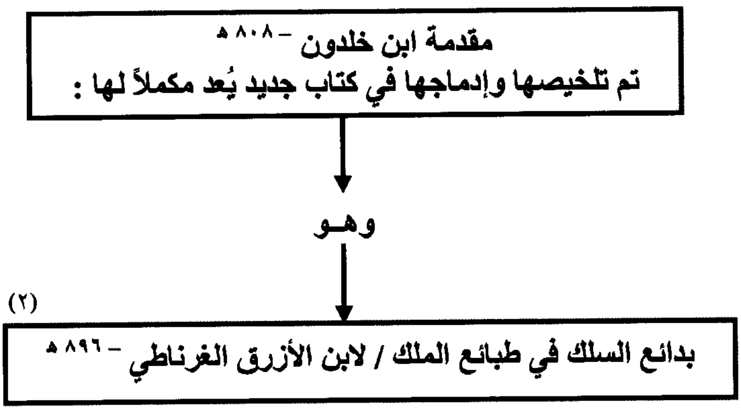
شكل (٦٧) ببليوجرام إدماج النصوص

ثانيًا: خضعت بعض التجميعات للتلخيص، كالمثال التالي[1]:



شكل (٦٨) تلخيص تجميعات النصوص

ثالثًا: حدث الإدماج لنص سابق تم تلخيصه، مع كتاب جديد لمؤلف جديد، مثل:



شكل (٦٩) إدماج الملخص مع نص جديد

(١) كشف الظنون، ١/ ٦٠٠.

(٢) محمد عبد الكريم (محقق)، «مقدمته» في (بدائع السلك في طبائع المُلك. . . ١/ ٦).

المبحث الخامس

ردود النصوص ومعاركها

هذا النوع من التأليف المرتبط هو تأليف **جدلي**، حيث تظهر بعض المؤلفات ردًّا على كتاب سابق، سواء **بالهجوم أو التأييد**، أو **بالموازنة والتحكيم** بين الاتجاهات المتعارضة، ويعد النص الأصلي الذي يتسبب في ظهور الردود عليه **نصًّا محرِّكًا**، وقد يصبح بعض الردود في ما بعد محرِّكًا لردود تالية، وقد تتحول إلى معركة فكرية تسجل وقائعها نصوص المعركة، في دورة واسعة من الجدل، أو في دورات متعددة لا تلبث أن تتطرق إلى مناطق جديدة من الفكر والخلاف.

وفي مختلف عصور التأليف العربي، أثَّرت الحركة النقدية والمعارك الفكرية والمناظرات[1]، في تأليف الكتب التي تتبنى قضايا معينة، وظهور مؤلفات عليها، وقد حدث ذلك في مجالات فكرية متعددة، حيث أظهرت عينة الكتب أن الردود قد أُلفت في مجالات **فلسفية ودينية ولغوية وأدبية وكيميائية وطبية وتراجمية**[2] وغيرها.

---

(١) الأصل في المناظرة أن تكون مشافهة، ولكنها تنوعت بين المشافهة والمكاتبة وتأليف الكتب. انظر: أحمد أمين مصطفى. المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع، القاهرة، د.ن، ١٩٨٤م، ص٧.

(٢) من أمثلة الردود في مجال كتب التراجم، ما حدث عندما هاجم السخاوي السيوطي وغيره في كتابه «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع»، فرد عليه السيوطي بتأليف: «الكاوي في تاريخ السخاوي». انظر: ص٤١٤ بالبحث. (وانظر أيضًا: جدول عينات الردود ص٤١٣ إلى ص٤٢٠).

وقد يبدو الجدل والخلاف والردود في هذه المجالات شيئًا غريبًا ومتميزًا بالنسبة لحياتنا الفكرية واتجاهاتنا التأليفية المعاصرة، سواء من ناحية تعدد المجالات الفكرية التي يؤلف فيها للجدل والحوار، أو النسبة العددية لهذا النوع من التأليف.

وقد اتضح من قبل أن الاستدراك كان يؤلَّف تكملةً لنواقص النص الأصلي، وإصلاحًا وتصحيحًا لأخطائه، ولكنه في مجموعه كان ينصب على إصلاح النص وتكملته، ويتعامل مع جزئيات معينة من النص، علمية أو لغوية. . إلخ.

ولكننا في مجال الردود نجدها تتجه أساسًا للرد على **الاتجاه الفكري** للنص **الأصلي**، أو على **المنهج** الذي اتبع في تأليفه بشكل عام، ولا تنصب أساسًا على إصلاح نواقص وأخطاء بالنص الأصلي، أو تكملة جزئيات ناقصة بالنص إلا نادرًا، وفي هذه الحالة يختلط الرد بشيء من الاستدراك على النص.

وكانت الردود مجالًا حيويًا للفكر والنقد والجدل والمناظرة، واتسم ذلك في بعض الأحيان بالموضوعية والاتزان، وفي أحيان أخرى كان ينطوي على تجريح متبادل بين أبناء عصر أو مهنة أو أقاليم متناحرة، وقد يحتد هذا الجدل أحيانًا ليصبح كاويًا، أو صواعق مرسلة. . وقد دارت حول بعض النصوص **معارك** اتسع نطاقها في المكان والزمان.

ولم تكن الردود دائمًا تؤلَّف للرد على نص مكتوب، بل كانت أحيانًا في صورة كتاب يرد على «**أقوال**»، ربما كانت تتردد في مجتمع أو عصر معين، في قضية معينة.

وقد يكون الرد على نصٍّ ما في صورة كتاب يخصَّص للرد بأكمله، أو يكون الرد ضمن فصل معين، أو بين ثنايا الحديث في كتاب يعالج موضوع الخلاف.

وهذا النوع من التأليف يشمل ما هو معروف في مجال الاتصال بـ «التغذية الراجعة Feedback»، أو«العائد». ويشمل استجابة شخص أو أشخاص آخرين نحو كتاب معين، وهذه الاستجابة قد تأخذ صورة مؤلفات جديدة ترد عليه، أو صورًا أخرى من الاتصال.

وقد تدخلت دوافع كثيرة في تأليف الردود، **أهمها**:

- الخلاف في الرأي في قضايا أدبية أو علمية أو عقائدية.
- الصراعات الشخصية.
- العصبيات الإقليمية.

ولا توجد دراسات كافية تحدد أكثر الدوافع تأثيرًا في تأليف الردود، ولكن يبدو أن الدافع الديني والعقائدي كان قوي التأثير في حركة الردود وحيويتها.

ويبدو الجدل في المجال الديني والعقائدي في أربعة أبعاد:

١ ـ الجدل بين المسلمين والأديان الأخرى.

٢ ـ الجدل بين الغيورين على الدين ومن توجه نحوهم شبهة الإلحاد.

٣ ـ الجدل بين المذاهب الدينية في إطار الدين نفسه.

٤ ـ الجدل بين أصحاب مذهب واحد كالإسماعيلية مثلًا..

ومن أمثلة البعد الأول: «الدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود» (يعني: ابن كمّونة (ـ ٦٧٦هـ))، لمظفر الدين أحمد بن علي (ابن الساعاتي) (ـ ٦٩٤هـ)[١].

ومن أمثلة البعد الثاني، ما نراه من ردود تنهال على مؤلفات

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٧٣٤.

ابن الراوندي (ـ ٣٠١هـ) المتهم بالإلحاد، مثل: «التاج»[١] و«القضيب»[٢]، و«الزمرد» و«الفريد»، فقد رد عليه النوبختي والجبائي والخياط وأبو الحسن الأشعري في مؤلفات متعددة[٣].

أما البعد الثالث من الردود الدينية، فمن أبرز أمثلته تلك المعركة الكبرى التي دارت حول كتاب: «الكشاف عن حقائق التنزيل»، للزمخشري (ـ ٥٣٨هـ)، وهو في علم التفسير، وقد تفرَّعت عليه أنواع كثيرة من المؤلفات من بينها الردود وردود الردود، والمناقشة، والاستشكال، والانتصاف والإنصاف والاعتراض والمحاكمات والإجابة عن المحاكمات، والتعليقات. . . إلخ، ولقد كان ذلك راجعًا إلى أهمية الكتاب من ناحية، وللخلاف مع الزمخشري لميله نحو مذهب المعتزلة من ناحية أخرى[٤].

وكان للمعتزلة بدورهم نشاط كبير في تأليف الكتب للرد على المخالفين، وقد روي أن لأبي الهذيل العلاف (ـ ٢٣٥هـ)، ستين كتابًا في الرد على المخالفين في دقيق الكلام وجليله[٥].

ويتمثل البُعد الرابع في ما يمكن أن نسمِّيه بمعركة[٦] «كتاب المحصول» للنسفي (ـ ٣٣١هـ) وهو من فلاسفة المذهب الإسماعيلي، وقد

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٤٠٣.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٤٥٠.

(٣) انظر: أحمد أمين مصطفى، المرجع السابق، ص٢٢٩.

(٤) كشف الظنون، ٢/ ١٤٧٥ ـ ١٤٨٤.

(٥) الهمذاني، عبد الجبار (ـ ٤١٥هـ)، المُنية والأمل، جمعه: أحمد بن يحيى المرتضى، تحقيق وتقديم: عصام الدين محمد علي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م، ص٤٤.

(٦) أطلق لفظ المعركة هنا على حركة التأليف ومجموعة المؤلفات التي دارت حول نص معين هجومًا ودفاعًا وتحكيمًا بين المتخاصمين.

أُلِّفت ردود عليه شملت الاعتراض، والتأييد، والتحكيم بين الطرفين، من جانب بعض أئمة الإسماعيلية أيضًا[(١)].

ومن معارك النصوص في مجالات فكرية أخرى متعددة: معركة «العين»، التي دوِّنت فيها المؤلفات هجومًا ودفاعًا عن معجم العين للخليل بن أحمد[(٢)]. ومعركة المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير (ـ ٦٣٧هـ) (وهو في علم البيان)[(٣)]، وقد تفارعت فيها المؤلَّفات هجومًا ودفاعًا ومعاودة للهجوم ضد المثل السائر، ومعركة «تهافت الفلاسفة»، للغزالي (ـ ٥٠٥هـ) ومعركة كتاب «السير»، لأبي حنيفة (وهو في الفقه).

وهناك معارك دارت في العصر الحديث حول بعض المؤلفات، مثل معركة «في الشعر الجاهلي» لطه حسين (ـ ١٩٧٣م)، ومعركة «خريف الغضب»، لمحمد حسنين هيكل، ومعركة «قبل السقوط»، لفرج علي فودة، وغيرها[(٤)]. . . ، وإن كانت المعارك المعاصرة تدور غالبًا على صفحات الصحف والمجلات، أكثر مما تتمثل في كتب ومؤلفات مستقلة.

ومن تحليل عينة الكتب، أمكن تخطيط هيكل يضم العلاقات المختلفة التي تشمل النصوص المحركة والردود عليها، والردود على الردود، والمؤلفات التي ظهرت في ما بعد للمحاكمة والموازنة بين النصوص المتعاركة، **وتشمل هذه العلاقات:**

---

(١) انظر: ببليوجرام معركة المحصول للنسفي، ص٤٣١ بالكتاب.

(٢) أ ـ انظر: السيوطي. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ١/ ٨٦ ـ ٨٧.
ب ـ حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره. القاهرة، مكتبة مصر، د. ت، ١/ ٣٠٦.

(٣) يشمل علم البيان علم البلاغة وفن البديع، انظر: جبور عبد النور، المعجم الأدبي (ص٥٣)، مادة: (بيان).

(٤) انظر: تفاصيل هذه المعارك في نماذج ببليوجرام الردود بالصفحات من ٤١٣ إلى ٤٣١ بهذا الكتاب.

أولًا: النص الأصلي المحرك، الذي حرك الرغبة في الرد عليه من مؤلفين آخرين.

ثانيًا: اتجاهات وملابسات التأليف ردًّا على النص المحرك، وتشمل الحالات التالية:

١ ـ **الرد المؤيد للنص المحرك** (أي: الذي يؤيد النص الأصلي بغير أن يرتبط أو يشتبك مع مؤلفات أخرى تهاجمه).

٢ ـ **الرد المضاد للنص المحرك** (أي: المهاجم أو الناقد للنص المحرك).

٣ ـ **الرد المؤيد للمضاد** (الذي يدعم ويؤيد الهجوم على النص الأصلي).

٤ ـ **الرد المضاد للمضاد** (الدفاع من جانب أنصار الكتاب المحرك ضد خصومه).

٥ ـ **دفاع مؤلف الكتاب المحرك** (ردًّا على المؤلفات التي تهاجمه).

٦ ـ **المناظرة مع مؤلف الكتاب المحرك** (التي حدثت مواجهةً بينه وبين آخرين ثم سجلت في كتاب).

٧ ـ **الرد المضاد للدفاع** (الرد على المؤلف أو أنصاره).

٨ ـ **المحاكمة والموازنة بين آراء جبهتين** أو نصَّين متعارضين.

٩ ـ **التعليق على الإجابة عن المحاكمة** (التأليف تعليقًا على المحاكمة، وقد يشبه الاستئناف في الحكم).

١٠ ـ **التحدي العلمي للنص المحرك** (لإظهار الإبداع والتفوق عليه).

١١ ـ **التراسل بين مؤلف النص ومؤلفين آخرين** بتبادل رسائل تصبح مؤلفات في ما بعد.

وفي الجدول التالي تفصيل لهذه العلاقات في حدود ما سمحت به عينة الكتب:

جـدول

اتجاهات وعلاقات الردود بالنص الأصلي المحرك

مفتاح الجدول:		
علامة	✓	تعني إمكانية الحدوث
علامة	؟	تعني ضعف احتمال الحدوث
علامة	–	تعني عدم إمكانية الحدوث
كلمة	(فلان)	بديل لاسم مؤلف
كلمة	(كذا)	بديل لعنوان الكتاب

مسلسل	اتجاه التأليف نحو النص المحرك	عاجل أو معاصر: قد يظهر عقب ظهور النص المحرك	آجل قد يظهر في عصر مختلف ربما بعد قرن	رتبة التفـارع	* نماذج من كتب الردود (يرمز لها بحرف ك) * نماذج للكلمات الدالة على الرد في عناوين كتب أخرى (يرمز لها بحرف ر)
١	مؤيد	✓	✓	أول	(ك): ـ الروض الزاهر في محاسن المثل السائر السميساطي. ـ نزهة الناظر في المثل السائر، للَّبودي[(١)]. ـ تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، للعيدروسي[(٢)]
٢	مضاد أو ناقد	✓	✓	أول	(ك): ـ الفلك الدائر على المثل السائر، لابن أبي الحديد[(٣)]. ـ دلائل الإعجاز، للجرجاني (ـ ٤٧١هـ) (ينقض كلام القاضي عبد الجبار في كتابه المغني ولكنه لا يذكر اسمه صراحة)[(٤)]. ـ نقض العثمانية للجاحظ، لأبي جعفر الإسكافي، (يرد على الجاحظ لدفاعه عن أبي بكر)[(٥)].

(١) انظر: ببليوجرام المثل السائر، ص٤٢٣ بالكتاب.

(٢) عبد الرحمٰن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص١١٢ ـ ١١٣.

(٣) انظر: ببليوجرام المثل السائر، ص٤٢٣ بالكتاب.

(٤) تحقيق: محمود شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م، (مقدمة المحقق ص (ب ـ هـ)).

(٥) جميل جبر، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، بيروت، دار الكتاب اللبناني ١٩٥٩م، ص٥٦ ـ ٥٧.

مسلسل	اتجاه التأليف نحو النص المحرك	عاجل أو معاصر: قد يظهر عقب ظهور النص المحرك	آجل قد يظهر في عصر مختلف ربما بعد قرن	رتبة التفارع	* نماذج من كتب الردود (يرمز لها بحرف ك) * نماذج للكلمات الدالة على الرد في عناوين كتب أخرى (يرمز لها بحرف ر)
	مضاد أو ناقد (تكملة)	✓	✓	أول	- الرد على ابن سينا (في الكيمياء) للطغرائي (ـ ٥١٥هـ)[١]. - رسالة في الرد على كتاب أبي الفرج الطيب، لابن سينا (ـ ٤٢٨هـ) (يرد فيه على كتاب القوى الأربعة)[٢]. - التَّجَني عَلَى ابن جِنِّي، لابن فَوْرَجَة (ـ ٤٥٥هـ)؟ (يرد فيه على شرح ابن جني لديوان المتنبي)[٣]. - الانتقاد على التمدن الإسلامي لجرجي زيدان، تأليف النعماني[٤]. - نقض كتاب في الشعر الجاهلي، محمد الخضر حسين. - نقد كتاب في الشعر الجاهلي، محمد فريد وجدي.
	مضاد أو ناقد (تكملة)	✓	✓	أول	الكر على عبد البر، للسيوطي (ـ ٩١١هـ) (خلاف في إعراب آية)[٥]. - الكاوي في تاريخ السخاوي، للسيوطي[٦].

(١) كشف الظنون، ١/ ٨٣٨.

(٢) جعفر آل ياسين، فيلسوف عالم: دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي، بيروت، دار الأندلس ١٩٨٤م، ص٨٦، ٣٢٨.

(٣) كشف الظنون، ١/ ٨١١.

(٤) لكنهو (الهند)، مطبعة آسي بريس، ١٩١٢م، (٨٤ص).

(٥) كشف الظنون، ٢/ ١٤٧٤.

(٦) رد وتشنيع على السخاوي؛ لأنه ذم السيوطي وغيره في «الضوء اللامع» (كشف الظنون، ٢/ ١٠٨٩)، ومخطوط بدار الكتب المصرية.

مسلسل	اتجاه التأليف نحو النص المحرك	عاجل أو معاصر: قد يظهر عقب ظهور النص المحرك	آجل قد يظهر في عصر مختلف ربما بعد قرن	رتبة التفارع	* نماذج من كتب الردود (يرمز لها بحرف ك) * نماذج للكلمات الدالة على الرد في عناوين كتب أخرى (يرمز لها بحرف ر)
					ـ الجاسوس على القاموس، للشدياق (ـ ١٣٠٥هـ) (نقد وتعقب لعيوب القاموس للفيروزآبادي).
					(ر): ـ تهافت (كذا)، الكاوي على (فلان)، الصواعق المرسلة على. . .، الاعتراض المبدي لوهم (فلان)[1]، محاكمات[2]، استدراكات (بمعنى الانتقادات)، الكشف عن مساوئ (فلان). . هفوات كتاب (كذا)[3]، الإعلام بأغلاط كذا[4]، تعقب (كذا)، جواب على (كذا) (بمعنى الرد عليه)، الجاسوس على. . .
٣	تأييد للمضاد	✓	؟	ثانٍ	(ك): ـ نُصرة الثائر على المثل السائر، للصفدي[5]. ـ الأقوال الذهبية في الطب الروحاني، للكرماني[6].

---

(١) كشف الظنون، ١/ ١١٩.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٤٧٨.

(٣) كشف الظنون، ٢/ ١٢٠٩ (كتاب: في هفوات كتاب الغريبين للهروي).

(٤) إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء للغزالي، لابن الجوزي (ـ ٥٠٥هـ) (كشف الظنون ١/ ٢٤).

(٥) انظر: ببليوجرام المثل السائر، ص٤٢٣ بالكتاب.

(٦) يؤيد كتاب المناظرات، لأبي حاتم الرازي ضد كتاب الطب الروحاني، لأبي بكر الرازي: (انظر: ببليوجرام معركة الطب الروحاني، ص٤٣٠ بالكتاب).

مسلسل	اتجاه التأليف نحو النص المحرك	عاجل أو معاصر: قد يظهر عقب ظهور النص المحرك	آجل قد يظهر في عصر مختلف ربما بعد قرن	رتبة التفارع	* نماذج من كتب الردود (يرمز لها بحرف ك) * نماذج للكلمات الدالة على الرد في عناوين كتب أخرى (يرمز لها بحرف ر)
٤	مضاد للمضاد (دفاع من أنصار الكتاب المحرك ضد خصومه)	✓	✓	ثانٍ	(ك): ـ الرد على المفضل في نقضه على الخليل، لمحمد نفطويه (ـ ٣٢٣هـ). ـ الرد على المفضل في الرد على الخليل، لابن درستويه (ـ ٣٤٧هـ)(١). ـ الانتصاف فيمن رد على أبي بكر الأدفوي في كتاب الإمالة، للقيسي (ـ ٤٣٧هـ)(٢). ـ الرد على نقض الطب للجاحظ (ـ ٢٥٥هـ)، لابن مندويه الطبيب (ـ ٤٤٠هـ)(٣).
	مضاد للمضاد (دفاع من أنصار الكتاب المحرك ضد خصومه) (تكملة)	✓	✓	ثانٍ	رد الانتقاد على لفظ الإمام الشافعي، للبيهقي (ـ ٤٥٨هـ)(٤). ـ تدمير المُعارض في تكفير ابن الفارض، للبقاعي (ـ ٨٨٥هـ)(٥). ـ الانتصار للحريري، لابن بري (ـ ٥٨٢هـ)(٦). ـ نشر المثل السائر وطي الفلك الدائر، للسنجاري (ـ ٦٥٠هـ)(٧).

(١) حسين نصار، المعجم العربي، ١/ ٣٠٦.
(٢) كشف الظنون، ١/ ١٧٤.
(٣) كشف الظنون، ٢/ ١٩٧٥.
(٤) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، مج١، ج٣، (الفقه)، ص١٨٢.
(٥) كشف الظنون، ١/ ٣٨٢.
(٦) يرد فيه على ابن الخشاب البغدادي (ـ ٥٦٧هـ)، في رسالته بعنوان: الاعتراض على الحريري في مقاماته.. (انظر: الحريري، المقامات الأدبية، ومعها ثلاث رسائل، ط٣، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٠م).
(٧) انظر: ببليوجرام المثل السائر، ص٤٢٣ بالكتاب.

مسلسل	اتجاه التأليف نحو النص المحرك	عاجل أو معاصر: قد يظهر عقب ظهور النص المحرك	آجل قد يظهر في عصر مختلف ربما بعد قرن	رتبة التفارع	* نماذج من كتب الردود (يرمز لها بحرف ك) * نماذج للكلمات الدالة على الرد في عناوين كتب أخرى (يرمز لها بحرف ر)
	مضاد للمضاد	✓	✓	ثانٍ	(ك): ـ الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء المُلْك، للصفدي (ـ ٧٦٤هـ)[١]. ـ الإجابة عن محاكمات الكشاف للزمخشري، لابن سماونة[٢].
	(دفاع من أنصار الكتاب المحرك ضد خصومه) (تكملة)				(ر) ـ الرد على رد (فلان) ـ الرد على من رد على (فلان) في تعصباته على (فلان) ـ الانتصار (لفلان) من (فلان) ـ الانتصار (لفلان) على (فلان) ـ الانتصار ممن. . . ـ الانتصاف فيمن رد على (فلان). . . ـ (نشر المثل السائر وطي الفلك الدائر) ـ قطع الدابر عن (كذا). ـ انتقاض الاعتراض على (كذا). ـ «النُّصرة»[٣].

(١) (مخطوط) يرد فيه على الصفي الحلِّي (ـ ٧٥٢هـ) في كتابه: العاطل الحالي والمرخص الغالي، وعلى شرف الدين علي بن إسماعيل جبارة (ـ ٦٣٢هـ) في كتابه: نظم الدرِّ في نقد الشعر، وانتصر فيه لابن سناء الملك على القاضي هبة الله السعدي (ـ ٦٠٨هـ).
انظر:
مخطوطات الأدب في المتحف العراقي، إعداد أسامة النقشبدي وظمياء عباس، الكويت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٥م، ص٤١.

(٢) كشف الظنون (١/ ١٤٨٧) (تحت الكشاف في حقائق التنزيل، للزمخشري).

(٣) انظر: ببليوجرام المحصول، للنسفي، ص٤٣١ بالكتاب.

مسلسل	اتجاه التأليف نحو النص المحرك	عاجل أو معاصر: قد يظهر عقب ظهور النص المحرك	آجل قد يظهر في عصر مختلف ربما بعد قرن	رتبة التفارع	* نماذج من كتب الردود (يرمز لها بحرف ك) * نماذج للكلمات الدالة على الرد في عناوين كتب أخرى (يرمز لها بحرف ر)
٥	دفاع مؤلف الكتاب المحرك	✓	-	ثانٍ	(ك) ـ الأجوبة المسكتة على الأسئلة المبهتة، للغزالي (ـ ٥٠٥هـ). (ردًّا على مثيري الإشكالات حول كتابه: إحياء علوم الدين)(١)
٦	المناظرة (مناقشات مع مؤلف الكتاب المحرك تدوَّن في كتاب)	✓	-	ثانٍ	(ك): ـ المناظرات، لأبي حاتم الرازي (ـ ٣٢٢هـ)(٢)
٧	المضاد للدفاع (رد على المؤلف وأنصاره)	✓	-	ثالث	(ك): الأم، للإمام الشافعي (ـ ٢٠٤هـ) (يرد فيه على دفاع أبي يوسف (ـ ١٨٢هـ) عن أستاذه أبي حنيفة (ـ ١٥٠هـ)(٣).
٨	المحاكمة والموازنة بين الآراء والنصوص المتعارضة	✓	✓	ثانٍ وثالث	(ك): ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه في نقد شعره، للجرجاني (ـ ٣٩٢هـ). (تحكيم بين مهاجمي المتنبي كالصاحب بن عباد في (الكشف عن مساوئ المتنبي) وبين أنصاره مثل ابن جني (في شرح ديوان المتنبي) وابن فورجة في (التجني على ابن جني) وغيرهم(٤).

---

(١) أ ـ كشف الظنون، ١/ ١٢.
ب ـ عبد الرحمٰن بدوي، مؤلفات الغزالي، ص١١٢. وقد ورد أيضًا بعنوان: «الإملاء على مُشْكِلِ الإحياء».

(٢) انظر: ببليوجرام معركة الطب الروحاني، ص٤٣٠ بالكتاب.

(٣) انظر: ببليوجرام كتاب السير، لأبي حنيفة، ص٤٢٧ بالكتاب.

(٤) أ ـ نشر بتحقيق وشرح: محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت، (٥٣٤ ص).
ب ـ كان ابن فورجة حيًّا عام (٤٣٧هـ). انظر: كشف الظنون، ١/ ٨١٠ ـ ٨١٢.

مسلسل	اتجاه التأليف نحو النص المحرك	عاجل أو معاصر: قد يظهر عقب ظهور النص المحرك	آجل قد يظهر في عصر مختلف ربما بعد قرن	رتبة التفارع	* نماذج من كتب الردود (يرمز لها بحرف ك) * نماذج للكلمات الدالة على الرد في عناوين كتب أخرى (يرمز لها بحرف ر)
	المحاكمة والموازنة بين الآراء والنصوص المتعارضة (تكملة)	✓	✓	ثانٍ وثالث	(ك): ـ الإنصاف بين ابن بري وابن الخشاب في كلامهما عن المقامات، موفق الدين البغدادي (ـ ٦٢٩هـ)[١]. ـ الرياض، للكرماني (موازنة بين المحصول والإصلاح والنُّصرة)[٢]. ـ محاكمة البرسوي ومحاكمة الطوسي للتهافت وتهافت التهافت[٣].
					(ر): ـ الإنصاف ـ الموازنة بين فلان وفلان... ـ محاكمات
٩	التعليق والاجابة على المحاكمة	✓	✓	ثالث أو رابع	(ك): تعليق على محاكمتي البرسوي والطوسي بين التهافت وتهافت التهافت، لابن كمال باشا (ـ ٩٤٠هـ)[٤].
١٠	التحدي العلمي لإثبات التفوق على النص المحرك	✓	✓	ثانٍ	(ك): ـ المسلسل، للتميمي (ـ ٥٣٨هـ) (وفي تأليفه تحدٍّ لكتاب المداخل، للمُطَرِّز (ـ ٣٤٥هـ)[٥].

---

(١) كشف الظنون، ١/ ١٧٤.

(٢) انظر: ببليوجرام المحصول، ص٤٣١ بالكتاب.

(٣) انظر: ببليوجرام التهافت، ص٤٢٩ بالكتاب.

(٤) انظر: ببليوجرام التهافت، ص٤٢٩ بالكتاب.

(٥) انظر: محمد عبد الجواد (محقق)، «مقدمته» في (المسلسل في غريب لغة العرب، للتميمي، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، ١٩٥٧م، ص٤).

مسلسل	اتجاه التأليف نحو النص المحرك	عاجل أو معاصر: قد يظهر عقب ظهور النص المحرك	آجل قد يظهر في عصر مختلف ربما بعد قرن	رتبة التفارع	* نماذج من كتب الردود (يرمز لها بحرف ك) * نماذج للكلمات الدالة على الرد في عناوين كتب أخرى (يرمز لها بحرف ر)
١١	التراسل بين المؤلفين	✓	-	أول	(ك): - رسالة الغفران، للمعري (ـ ٤٤٩هـ) (ألفها المعري ردًّا على رسالة ابن القارح إليه)[١]. - رسالة إلى مالك بن أنس (في الفقه)، لليث بن سعد (ـ ١٧٥هـ)[٢]. - رسالة في دوران الصوفية ورقصهم، للقراماني (ـ ٩٣٤هـ). (كتبها ردًّا وجوابًا على المولى عرب الواعظ وغيره)[٣].

ملاحظات على عنونة كتب الردود

أشار شوقي ضيف من قبل إلى تأثير المناظرات على تأليف الكتب، وإلى مسحة المناظرة والجدل على عنوانات الكتب المؤلفة لهذا الغرض، وذكر أن كثيرًا منها يعنون بكلمة (الرد)، أو كلمة (النقض)[٤].

وفي الجدول السابق، حرصت على إيراد أكبر قدر ممكن من الكلمات المستخدمة في عنونة كتب الردود بأنواعها، لتوضيح أبعاد هذا النوع من التأليف وبلاغة الكلمات في التعبير عن أغراضه وتوجهاته.

---

(١) انظر: مفيد قميحة (محقق)، «مقدمته» في (رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، والنص الكامل لرسالة ابن القارح، بيروت، دار الهلال، ١٩٨٤م، ص١٠ ـ ١٧).

(٢) أ ـ سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، مج ١، ج ٣، ص٢٥٠.
ب ـ وقد اشتهرت ظاهرة التراسل والترادّ بين الفقهاء، حول بعض القضايا الفقهية مثل الحجة على أهل المدينة... إلخ. (المؤلف)

(٣) كشف الظنون، ١/ ٨٦٤.

(٤) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الثاني، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣م، ص٥٣٩.

ويتضح من عينة الكتب أنه ليس شرطًا أن تحمل الردود في عناوينها ما يوضح وظيفتها في الرد على النص، ولكن كثيرًا منها يتضمن كلمات تدل على وجهتها والمقصود منها، ويمكن في هذا المجال التعرف إلى التوجهات التي سُخِّرت من أجلها الكلمات المستخدمة في عناوين كتب الردود:

١ ـ الرد الموجه بالتحديد إلى شخص معين (قد يكون مؤلف النص المحرك المردود عليه).

٢ ـ الرد الموجه بالتحديد إلى أكثر من شخص.

٣ ـ الرد الموجه بالتحديد إلى عنوان كتاب معين (قد يكون عنوان الكتاب المحرك).

٤ ـ الرد الموجه إلى أكثر من عنوان.

٥ ـ الرد الموجه إلى مؤلف معين وتحديد كتابه المردود عليه (مثل: الرد على فلان في كتابه كذا).

٦ ـ الرد الذي لا يذكر شخصًا أو عنوانًا بشكل محدد، وقد يمكن في بعض الأحيان الاستدلال على المقصود بالرد من تحليل النص[1].

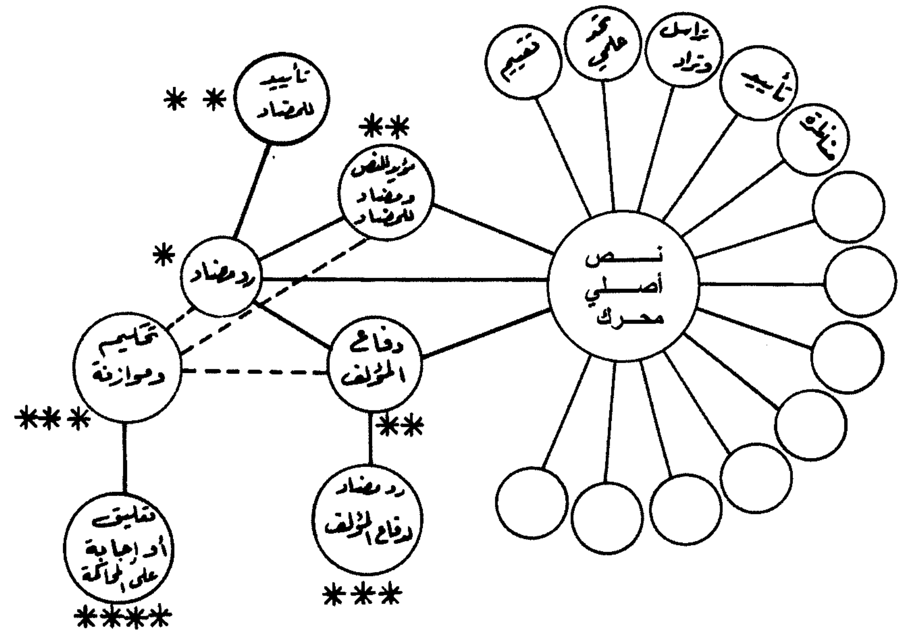
ببليوجرام الردود

يرى المؤلف أن ظاهرة الردود على النص من الظواهر التي تحتاج إلى مزيد من الدراسات من مداخل متعددة، يأتي في بدايتها المدخل الببليوجرافي التكويني الذي يرصد علاقاتها من زاوية التأليف، ويمكن أن

(١) كما فعل محمود شاكر عندما استدل على الشخص الذي يوجه إليه الجرجاني الرد ولا يذكر اسمه صراحة، في كتابه «دلائل الإعجاز». وقد أوضح أن المقصود بالرد هو القاضي عبد الجبار في كتابه «المغني». انظر:
محمود محمد شاكر (محقق) «مقدمته» في (دلائل الإعجاز، للجرجاني، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م، ص (ب ـ هـ).

نتصور الآفاق التي سوف يتيحها الحصر الببليوجرافي لردود النص، سواء كانت كتبًا مستقلة أو أجزاء من كتب أو رسائل أو مقالات، وربط كل ذلك في ببليوجرام شامل؛ مما يتيح للباحث رؤية وإحاطة بالنص وردوده، وبالمؤلفات التي تقوم بالتحكيم بين هذه الردود[1].

وفي ما يلي ببليوجرام افتراضي لتصور علاقات نظرية بين نص أصلي وردوده:



شكل (٧٠)

ببليوجرام افتراضي لنص محرك وردود مرتبطة به[2]

---

(١) وقد كان لذلك جذور في ما اتبعه الببليوجرافي حاجي خليفة في كشف الظنون، عندما جمع بين النص وردوده في كثير من الأحيان.

(٢) * تفارع أول

** تفارع ثان

*** تفارع ثالث

**** تفارع رابع

ملحوظة (١): الخط المتصل يدل على علاقة الردود بالنص مباشرة.

ملحوظة (٢): الخط المنقوط يدل على نوع آخر من العلاقة بالنص، وهي التحكيم أو تقييم الردود والموازنة بينها.

وقد سبق في الجدول التحليلي لعلاقات التأليف، في مجال الردود على النص، معالجة الحالات بصورة مجزأة لإيجاد السند الأدبي لاتجاهات الردود.

وفي ما يلي سوف توضح أشكال الببليوجرام علاقات الردود مع النص ومع بعضها البعض بصورة متكاملة، في نماذج مختارة من حالات الردود التي شهدها التأليف العربي القديم والحديث.

ويلاحظ أن الردود تأخذ أشكالًا متعددة من الببليوجرام، وفي ما يلي أهم نماذجها وأشكالها:

أولًا: الببليوجرام الإشعاعي للردود:

نموذج (١):

ببليوجرام معركة المثل السائر، لابن الأثير الكاتب (ـ ٦٣٧هـ).

عندما ألف ابن الأثير الكاتب كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، ثارت حوله حركة فكرية خصبة، حرَّكتها دوافع فكرية وإقليمية، واستمر تأليف الردود إلى أكثر من قرن ونصف.

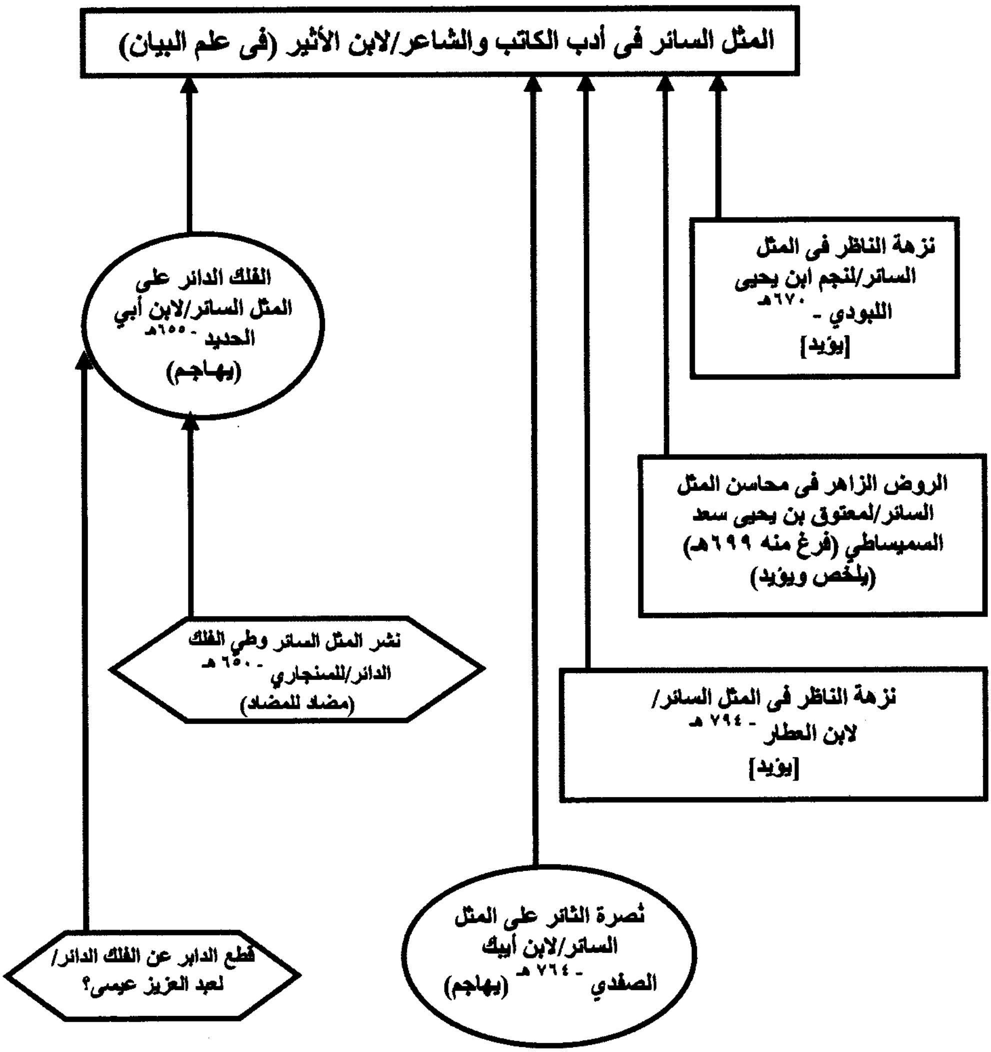
وفي ما يلي تفصيل هذه الردود المؤيدة، والمضادة، والمضادة للمضادة[١]:

---

(١) انظر:
أ ـ كشف الظنون، ١/١٥٨٦.
ب ـ محمد عبد الرحمٰن الهدلق، «مخطوط الروض الزاهر في محاسن المثل السائر، للسميساطي: قراءة تقويمية»، مجلة كلية الأداب، جامعة الملك سعود، مج١٠، ١٩٨٣م، ص١١٣ ـ ١٣٨.

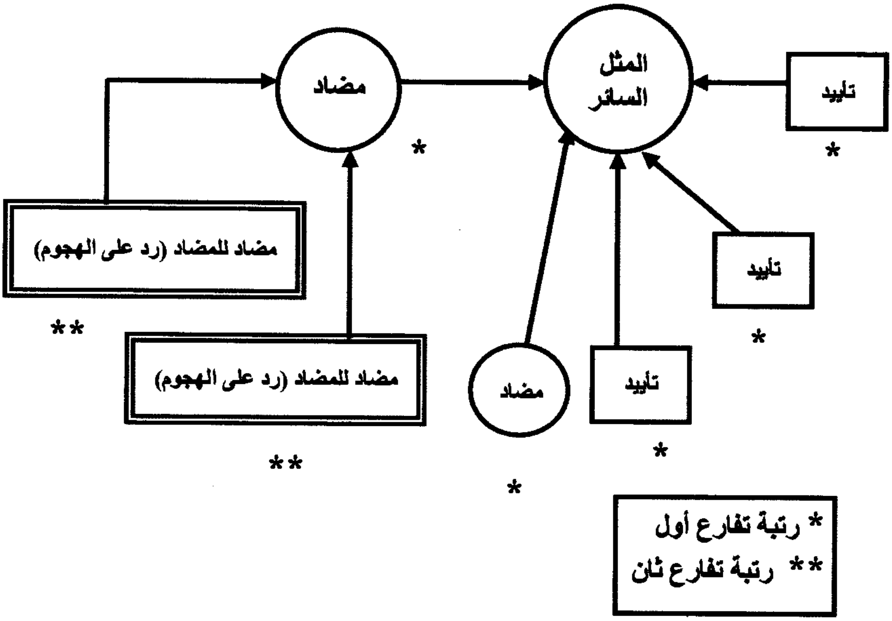
ببليوجرام معركة «المثل السائر»

لابن الأثير الكاتب (- ٦٣٧هـ)



شكل (٧١) ببليوجرام معركة «المثل السائر» لابن الأثير

وفي الشكل التالي مخطط إجمالي لردود «المثل السائر» السابقة:



شكل (٧٢) مخطط إجمالي لمعركة المثل السائر

ملاحظات على ببليوجرام المثل السائر:

١ ـ التحليل العددي للردود:

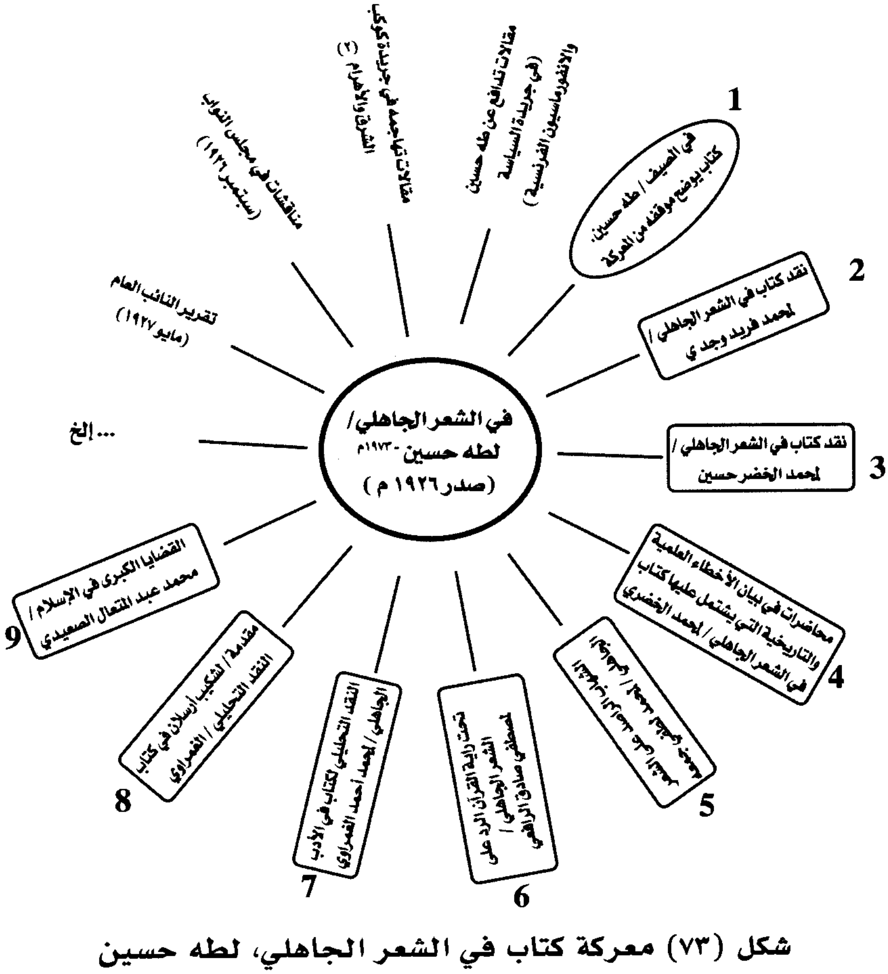
	عدد	اتجاه الرد	رتبة التفارع
	٣	تأييد..........	(تفارع أول)
	٢	مضاد..........	(تفارع أول)
	٢	مضاد للمضاد (رد على الهجوم)	(تفارع ثانٍ)
الإجمالي	٧	ردود على النص المحرك: وهو (المثل السائر)	

٢ ـ أشكال الببليوجرام في النموذج السابق:

يلاحظ أن ردود المثل السائر تأخذ شكل «ببليوجرام إشعاعي» بين النص الأصلي وردوده (من رتبة التفارع الأول)، و«تشجيري بسيط» بين النص المضاد وردوده (من رتبة التفارع الثاني).

نموذج (٢) للببليوجرام الإشعاعي للردود:

معركة كتاب في «الشعر الجاهلي»، لطه حسين[1]



شكل (٧٣) معركة كتاب في الشعر الجاهلي، لطه حسين

---

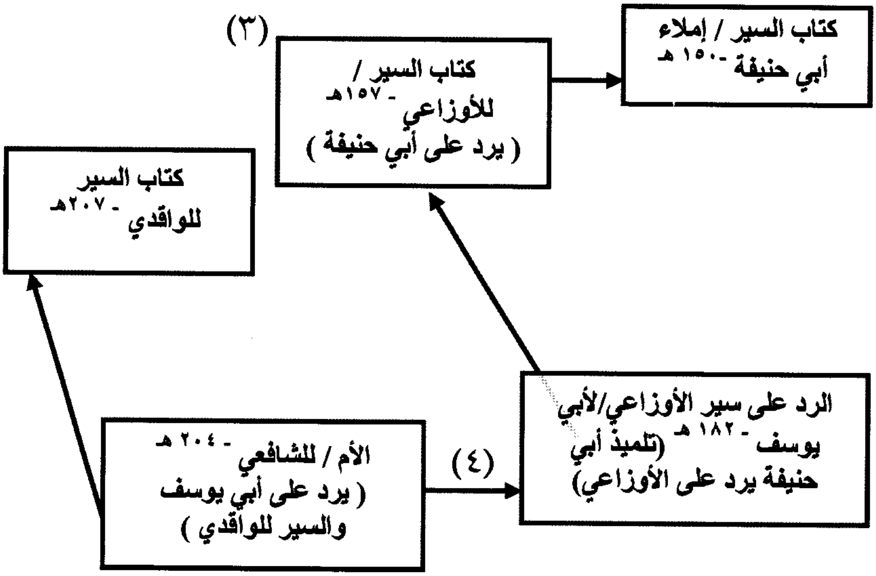
(١) أ - مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الرياض، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية لدول الخليج العربي ١٩٨٥م، ١/ ٣٩٧.
ب - أنور الجندي، المعارك الأدبية في مصر منذ (١٩١٤ - ١٩٣٩م)، القاهرة، الأنجلو، ١٩٨٣م، ص٣٤٦ - ٣٧٤.

(٢) منها مقالات ليوسف الدجوي ومحمد عبد المتعال الصعيدي ومحمد عبد المطلب وعبد ربه مفتاح وشكيب أرسلان وإسماعيل حسن ومحمد أحمد العدوي... (انظر: المرجع السابق).

ثانيًا: الببليوجرام الخطي للردود:

نموذج (١):

ببليوجرام معركة «كتاب السير»[١]، لأبي حنيفة (ـ ١٥٠هـ)[٢]



شكل (٧٤)

---

(١) يرتبط لفظ السير بالسيرة النبوية أساسًا، ولكنه قد يستخدم في مجال الفقه مرتبطًا بأحكام الجهاد والمغازي. انظر: أمين الخولي. تعليق على مقال السيرة، دائرة المعارف الإسلامية، مج١٢ ص٤٤٣).

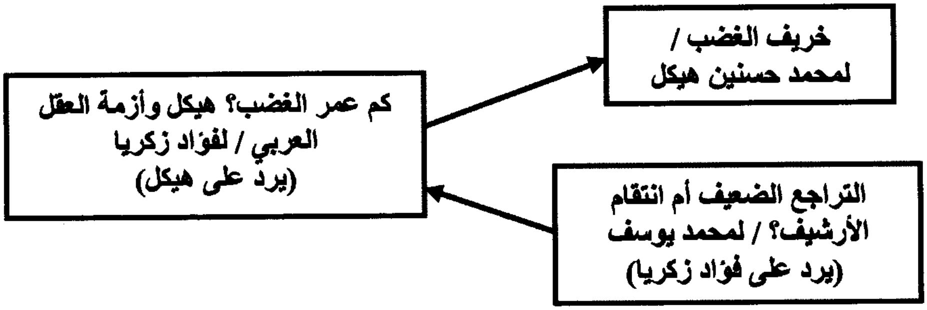
(٢) تتعلق المؤلفات المذكورة هنا في مجال السير، بأحكام الجهاد وعلاقة المسلمين بغير المسلمين، وهو ما يشبه الآن أحكام القانون الدولي في حالتي السلم والحرب. انظر: فهمي هويدي: هم أصحاب حق ولسنا أصحاب فضل، العربي (الكويت)، ع٢٩٦، إبريل/نيسان ١٩٨١م، ص٣٨ ـ ٤١.

(٣) ورد ضمن كتاب الأم للشافعي. انظر: (سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، مج١، ٣/ ٢٤٤، في موضوع الأوزاعي).

(٤) ورد ضمن كتاب الأم للشافعي. انظر: (المرجع السابق ص١٨٦، في موضوع الشافعي).

نموذج (٢):

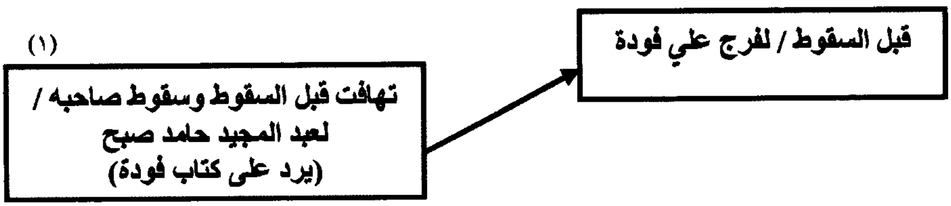
ببليوجرام معركة «خريف الغضب»، لمحمد حسنين هيكل



شكل (٧٥)

نموذج (٣):

ببليوجرام معركة «قبل السقوط» لفرج علي فودة



شكل (٧٦)

ملاحظات على الببليوجرام الخطي للردود:

يلاحظ على هذا النوع تفارع نص على نص من الرتبة الأولى فقط وعدم التشعب في كل مرحلة من الردود، **ولعل ذلك يرجع إلى**:

١ ـ صعوبة الموضوع وارتباطه بجمهور ضيق وحاجته إلى كفاءات خاصة للردود في مجاله. كما يُرجَّحُ بالنسبة لموضوع السير.

٢ ـ ارتباط المعركة بموضوع عاجل يفقد إثارته بمرور الزمن.

٣ ـ قصر المدة الزمنية، فقد تتعدد الردود بمرور الزمن.

---

(١) المنصورة، دار الوفاء، ١٩٨٥م، (٤٩١ص).

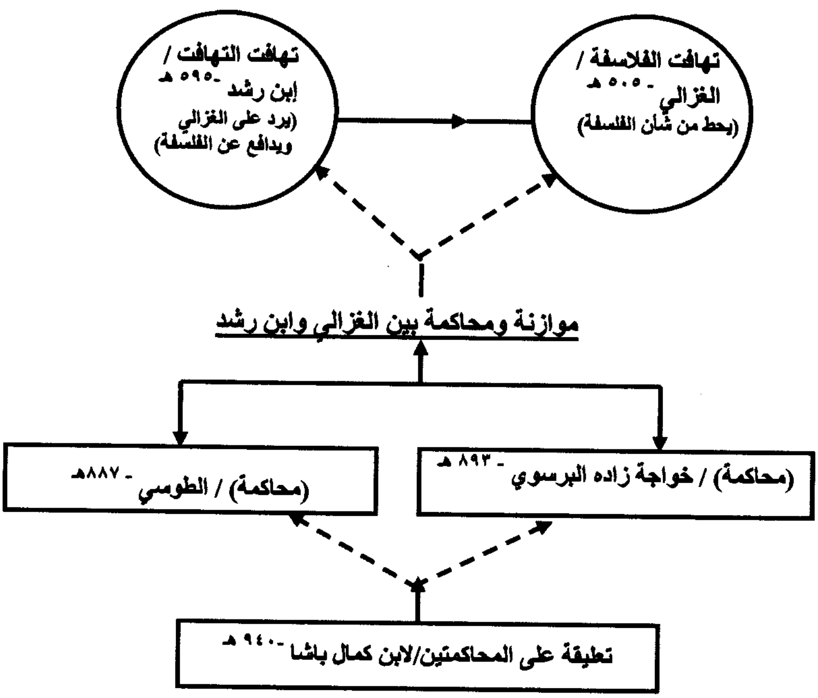
٤ ـ ضعف الحركة الفكرية، وبالتالي قلة تأليف الردود من وجهات نظر متعددة.

٥ ـ استيعاب الصحافة للردود في شكل مقالات، مما يتضح عند الضبط الببليوجرافي لمحتويات الصحف، (وهو ما يرجح بالنسبة للعدد المحدود من الردود على خريف الغضب في شكل كتب، ولعل أكثر الردود عليه في صورة مقالات بالصحف).

ثالثًا: الببليوجرام المغلق للردود:

نموذج (١):

ببليوجرام معركة «تهافت الفلاسفة» والمحاكمة[١]



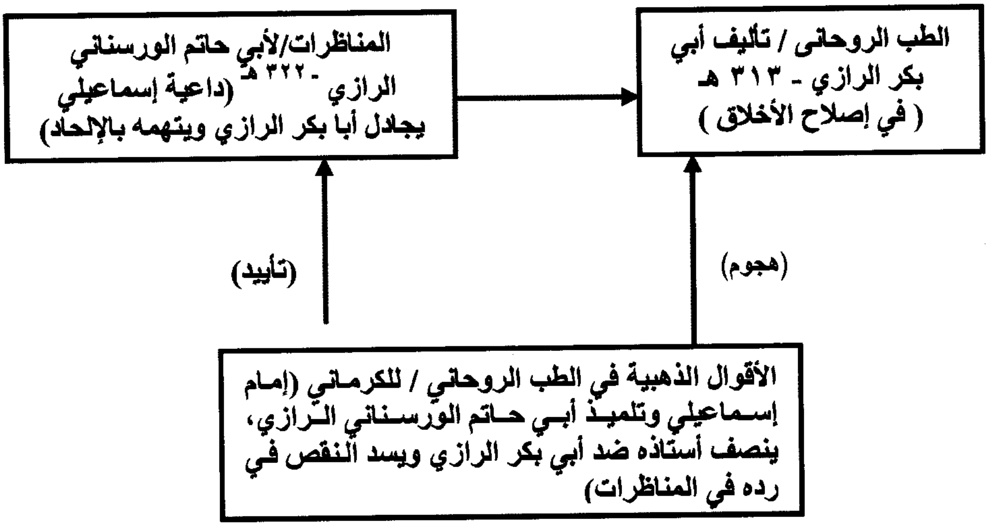
شكل (٧٧)

---

(١) كشف الظنون، ١/٥٠٩ ـ ٥١٣.

نموذج (٢):

ببليوجرام معركة «الطب الروحاني»، لأبي بكر الرازي (ـ ٣١٣هـ)[1]



شكل (٧٨)

نموذج (٣):

ببليوجرام معركة «المحصول» للنسفي (ـ ٣٣١هـ):

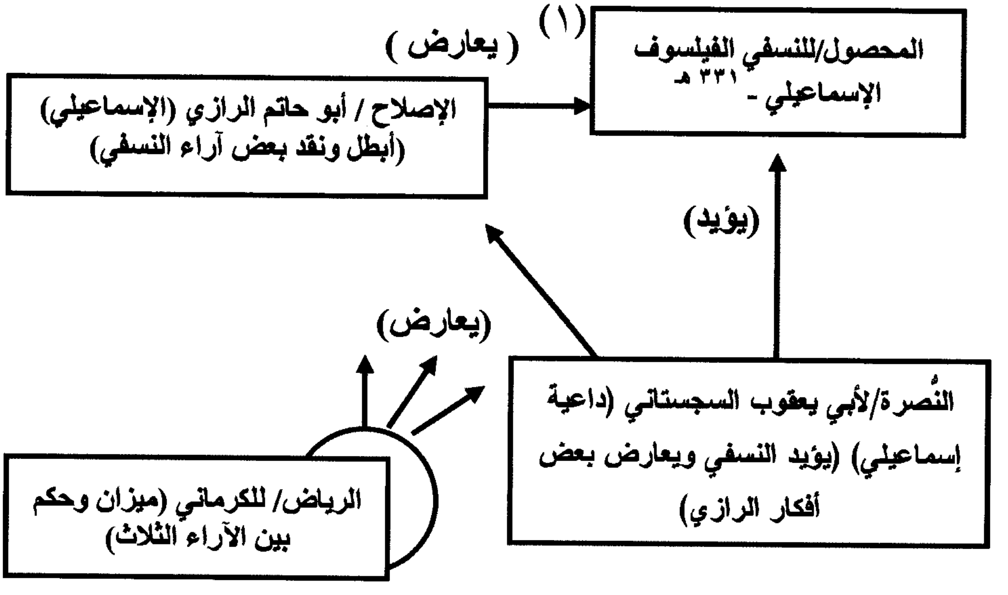
كانت الردود أحيانًا وليدة خلاف فردي في الرأي بين مؤلفين ينتمون إلى مذهب واحد، والنص وردوده في الببليوجرام التالي، كلها في إطار مذهب واحد هو المذهب الإسماعيلي، ومن تأليف أربعة من دعاة الإسماعيلية[2]:

---

(١) انظر: عبد اللطيف العبد (محقق)، «مقدمته» في (الطب الروحاني، لأبي بكر الرازي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م، ص٧).

(٢) انظر: عارف تامر. نصير الدين الطوسي في مرابع ابن سينا، بيروت، مؤسسة عز الدين، ١٩٨٣م، ص١٠٦ وسزكين، المرجع السابق، ص٣٥٨.

ببليوجرام معركة «المحصول»، للنسفي (ردود في إطار المذهب الإسماعيلي)



شكل (٧٩)

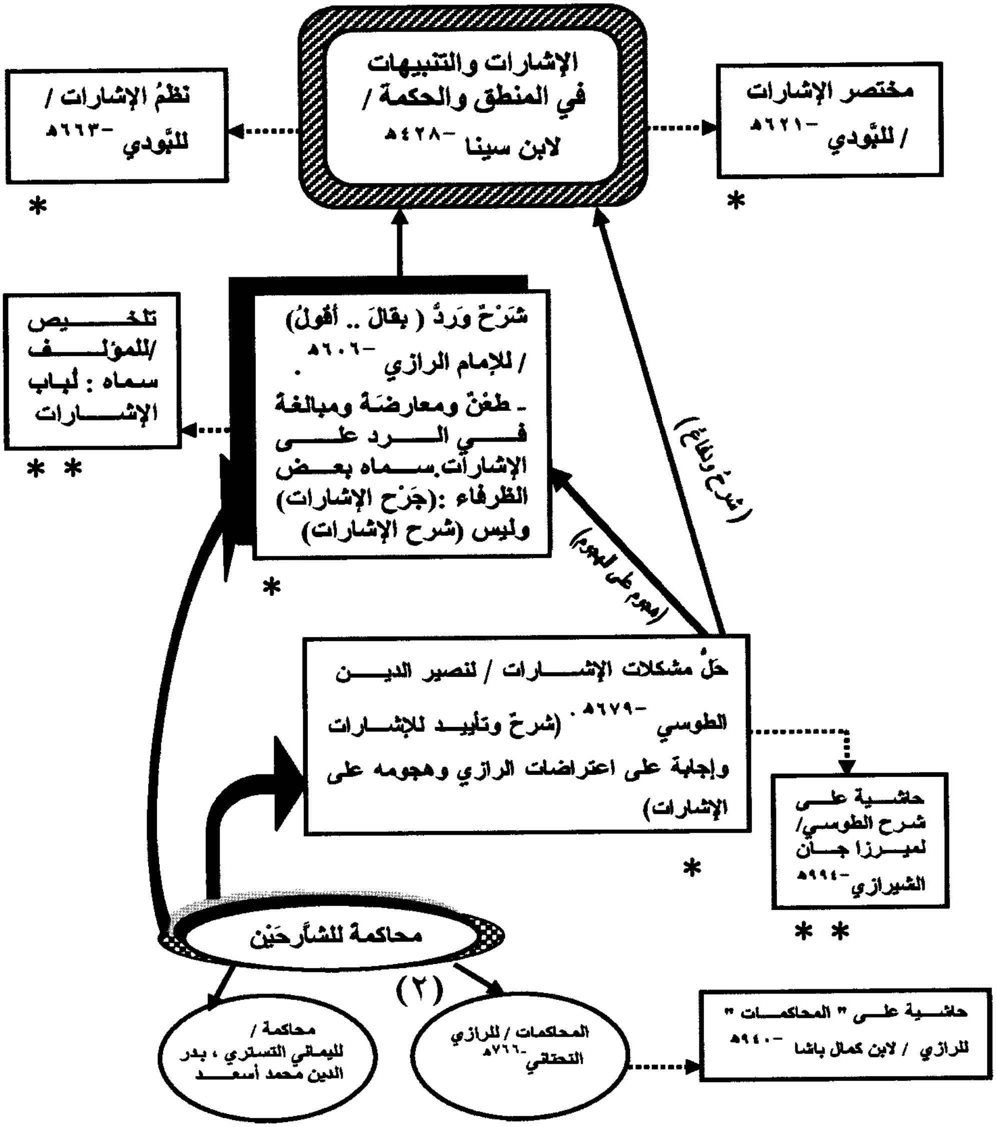
---

(١) كتاب «المحصول» يعتبر الأساس والأصل في الفلسفة الإسماعيلية (عارف تامر، المرجع السابق).

رابعًا: البيلوجرام التشجيري للردود:

ببليوجرام معركة «الإشارات» لابن سينا (ـ ٤٢٨هـ)

(في مجال المنطق والفلسفة)[1]



شكل (٨٠)

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) كتبها بإشارة من قطب الدين الشيرازي (ـ ٧١٠هـ).

* **تحليل معركة الإشارات، لابن سينا (ـ ٤٢٨هـ):**

أولًا: تحليل ببليوجرام المعركة:

التحليل العددي: حظي كتاب الإشارات بكثير من الأعمال من أهمها:

العدد	نوع التأليف التابع (للإشارات)	رتبة التفارع
١	شرح وهجوم على الإشارات، للرازي	أول *
١	مختصر للإشارات	أول *
١	نَظْم للإشارات	أول *
١	شرح ودفاع عن الإشارات وهجوم على الهجوم	أول *
١	مختصر للشرح والهجوم (لنفس مؤلف الشرح، الرازي)	ثانٍ **
٢	محاكمتان للهجوم والدفاع	ثانٍ **
١	حاشية على الشرح والدفاع	ثانٍ **
١	حاشية على إحدى المحاكمتين	ثالث ***
٩	الإجمالـــــــــــي	(٣ رُتب)

- بلغ عدد العناوين في عائلة النص عشرة، منها ٩ نصوص متفارعة على الأصل.

الخلاصة: وصلت رتب التفارع على الإشارات إلى مستوى التفارع الثالث كما يلي:

رتبة التفارع الأول = ٤ مؤلفات

رتبة التفارع الثاني = ٤ مؤلفات

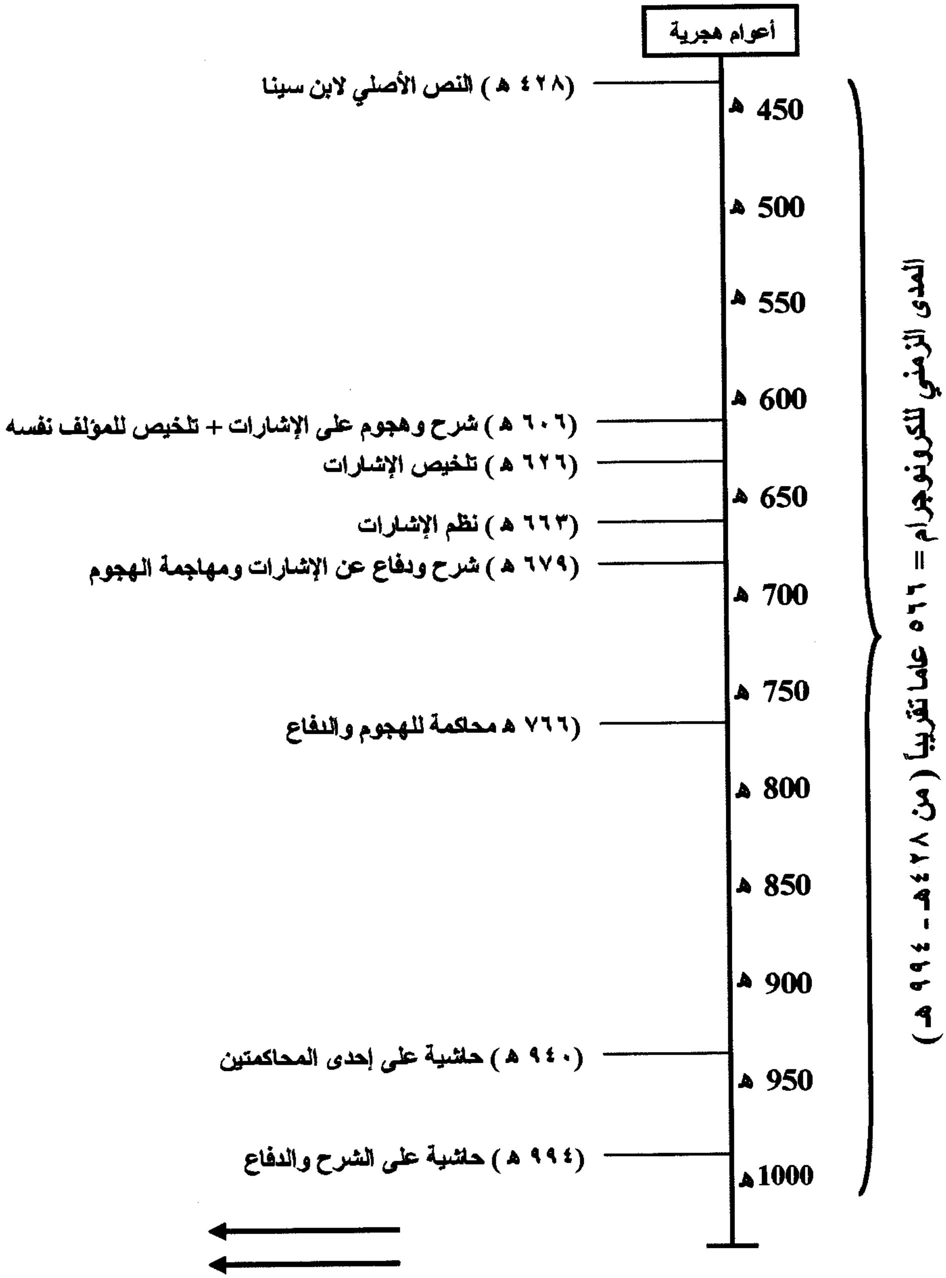
رتبة التفارع الثالث = ١ (مؤلَّف واحد)

ونلاحظ ما يلي:

(١) قوة التأثير وتشعُّب التفارع على النص الأصلي.

(٢) كانت المحاكمة للشارحيْن المتعاركيْن أساسًا.

ثانيًا: كرونوجرام معركة الإشارات: (بحساب الفروق بين تواريخ وفاة المؤلفين وهي فروق تقريبية).



شكل (٨١)

التحليل الزمني للمعركة بحسب الكرونوجرام: (لقياس مدى التأثير الزمني للنص الأصلي في التأليف):

١ ـ ظهر النص الأصلي في الربع الأول من القرن الخامس الهجري (٤٢٨هـ).

٢ ـ امتد تأثيره في التأليف عمومًا حتى نهاية القرن العاشر (٩٩٤هـ)؛ أي: حوالي ٥٦٦ عامًا. (بحساب الفرق بين وفاة ابن سينا وميرزا جان).

٣ ـ المدة بين الأصل والهجوم عليه حوالي ١٧٨ عامًا.

٤ ـ المدة بين الهجوم والرد عليه حوالي ٧٣ عامًا.

٥ ـ المدة بين الأصل والدفاع عنه حوالي ٢٥١ عامًا.

٦ ـ حدثت المعركة حول النص (هجوم ودفاع) خلال القرن ٧هـ (بين ٦٠٦هـ و٦٧٩هـ).

٧ ـ إحدى المحاكمتين في القرن الثامن الهجري؛ أي: بعد الأصل بحوالي (٣٣٨هـ)، والأخرى مجهولة التاريخ.

٨ ـ «المحاكمة» بعد بداية المعركة بحوالي ١٦٠ عامًا تقريبًا (بين ٦٠٦هـ و٧٦٦هـ).

٩ ـ ظهرت حاشية على الدفاع بعد نحو ٣١٥ عامًا (بين ٦٧٩هـ و٩٩٤هـ).

١٠ ـ ظهرت حاشية على إحدى المحاكمتين بعد نحو ١٧٤ عامًا (بين ٧٦٦هـ و٩٤٠هـ).

(بين:

١١ ـ أطول مدة بين الأصل وحاشية الدفاع هي حوالي ٥٦٦ عامًا (بين ٤٢٨هـ و٩٩٤هـ).

١٢ ـ الحاشية على الدفاع معاصرة للحاشية على المحاكمتين (٩٩٤هـ و٩٩٠هـ)، وظاهرة التحشية على المحاكمات تبدو هنا فريدة في نوعها ولم أشاهد لها مثيلًا في حدود اطلاعي.

المبحث السادس

مسائل النص وتطبيقاته

أولاً: كتب المسائل

عَرف التأليف العربي نوعًا من المؤلفات، التي تهتم بالمسائل[١] وأجوبتها. وقد تطرق هذا النوع إلى مجالات عديدة، **من أهمها**:

الفقه، ومفردات اللغة، والنحو والصرف، والبلاغة، والحساب، والفلك، والطب[٢].

وفي بعض الأحيان خصصت للمسائل كتب مستقلة، وفي أحيان أخرى وردت المسائل ضمن كتب أعم من ذلك[٣].

وكانت عناوين المؤلفات في كثير من الأحيان، تتضمن كلمات مميزة، مثل:

---

(١) المسائل: هي المشكلات التي تطرح لدراسة العلم، عن طريق طرح أسئلة تتطلب حلًّا، أو إثارة قضايا تحتاج إلى برهان. انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٩م، ص١٨١، مادة: (مسألة Question)، ص١٨٤، مادة: (مشكلة Problem).

(٢) انظر: كشف الظنون، ١/ ١١ ـ ١٣، ٢/ ١٦٦٧ ـ ١٦٧٠، ١/ ١٢٥٧ ـ ١٢٥٨.

(٣) كشف الظنون، ٢/ ١٢٥٨.

المسائل، المسألة[1]**، المطارحات، المعاياة، الفروق**[2]**، الفوارق**[3]**، الألغاز، الأحاجي، الأُغلوطات**[4]**، الأجوبة**[5]**، الفُكوك**[6] **(أي: الحلول)**. . . إلخ.

وتبدو هذه المفردات بالغة الدلالة في مجال كتب الأسئلة، ومن خلال توضيح بعضها تتضح وظيفة هذا النوع من المؤلفات، **كما يلي**:

*** المطارحة:**

يقول الإسنوي (ـ ٧٧٢هـ): «إن **المطارحة** **بالمسائل** ذوات المآخذ المؤتلفة المتفقة، والأجوبة المختلفة المتفرقة، مما يثير أفكار العلماء». . .[7].

ومن نماذجها[8]:

المطارحات، للقطان الشافعي (ـ ٤٠٧هـ).

وقد وضعها للامتحان، يتطارح بها الفقهاء عند اجتماعهم؛ أي:

---

(١) انظر: كتب المسائل في كشف الظنون، ٢/١٦٦٧ ـ ١٦٧٠.

(٢) انظر: كتب الفروق والمعاياة والمطارحات في كشف الظنون، ٢/١٢٥٧ ـ ١٢٥٨.

(٣) كشف الظنون، ٢/١٧١٨.

(٤) انظر كتب الأحاجي والأغلوطات في: كشف الظنون، ١/١٣.

(٥) انظر: كتب الأجوبة في كشف الظنون، ١/١١ ـ ١٣.

(٦) انظر: الفكوك في مستندات حكم الفصوص، للقونوي (ـ ٦٧٣هـ)، وقد ألَّفه لحل مشكلات كتاب فصوص الحِكَم، لابن عربي (أ ٦٣٨هـ). (كشف الظنون ٢/١٢٨٨).

(٧) في كتابه: مطالع الدقائق في الجوامع والفوارق (وهو في الفوارق والمشتبهات في الفقه). كشف الظنون، ٢/١٧١٨.

(٨) كشف الظنون، ٢/١٢٥٨.

يمتحن بها بعضهم بعضًا لدقته كما يمتحن بالألغاز[1].

* **المعاياة:**

وهي تعني: طرح المسائل الصعبة التي تعيي العقول، وهي توضع وتعلم للمُحاجَّة بها، واختبار التمكن من العلم، وهي من كتب المسائل والفروق، ومنها:

- «المعاياة في العقل»، للجرجاني[2].

* الأحاجي والأُغلوطات:

ويمثل ذلك علمًا من العلوم، وأكثر ما يستخدم في مفردات اللغة والنحو والصرف، والغرض من التأليف في هذا العلم هو تحصيل ملكة تطبيق الألفاظ، وغايته حفظ القواعد العربية عن طريق الألغاز، وإثارة المسائل المشتبهة التي يمكن أن تحدث فيها الأغلاط. وتحوي بعض المؤلفات هذه الألغاز في صورة نثر أو نَظْم، وقد سُميت الأحاجي أيضًا بـ (المُحاجَّات)[3].

* **«الفروق»:**

وتعني: الفروق بين المسائل المشتبهة، ويتم إجلاء هذه الفروق عن طريق المسائل وحلِّها، ومن نماذجها كتاب «الوسائل في فروق المسائل»، لابن جماعة[4].

وإذا نظرنا إلى هذه المؤلفات من زاوية علاقتها بالتأليف النصِّي، **نجد بينها ما يلي:**

١ - مؤلفات مباشرة مستقلة، في شكل أسئلة وأجوبة في علم

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٧١٣.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٢٥٨، ١٧٣٠.

(٣) كشف الظنون، ١/ ١٣.

(٤) كشف الظنون، ١/ ١٣، ٢/ ١٦٧٠.

معين، بغير ارتباط بنصوص محددة[1].

٢ ـ مؤلفات ترتبط بنصوص أصلية محددة، وتلك هي التي تهمنا في هذا المبحث، **وقد تشمل هذه المؤلفات ما يلي:**

أ ـ الإجابة على أسئلة أثيرت في النص الأصلي، وحلول للمسائل الصعبة الواردة بهذا النص.

ب ـ طرح أسئلة ترتبط بما ورد في النص الأصلي، يثيرها مؤلف النص الجديد، لأغراض التعلم والدراسة، وإثارة الذهن وامتحان الفهم مع الإجابة عليها وحل ألغازها، ويشمل ذلك طريقة «**الفَنْقَلَة**»[2].

ومن نماذج مؤلفات الأسئلة والأجوبة، المرتبطة بنصوص معينة[3]. ما يلي:

نموذج (١):

(النص الأصلي): **مختصر الكرخي** (ـ ٣٤٠هـ) **(في فروع الحنفية).**

(مسائل النص): التجريد من الإيضاح، لأبي الفضل الكرماني.

قام الكرماني بشرح مختصر الكرخي، وسمَّى شرحه بالإيضاح، ثم جرَّد من الإيضاح مسائله وسمَّاه بالتجريد، والتجريد مشتمل على مسائل

---

(١) كشف الظنون، ٢/١٢٥٨.

(٢) أ ـ وفي بعض الأحيان كانت تطرح أسئلة افتراضية بعيدة عن الواقع، واعتبر ذلك نوعًا من الترف العلمي.

ب ـ وقد شهد التأليف العربي أسلوبًا في معالجة المسائل، يعتمد على طرح السؤال والإجابة عليه، يسمى «**الفَنْقَلَة**»، وهذه الكلمة منحوتة من مخاطبة المؤلف للقارئ بكلمة: «فإن قلتَ كذا . . .»، ويطرح سؤالًا كأنه جاء على لسان القارئ، ثم يبدأ الاجابة بقوله: «قلتُ كذا . . .»، وقد استخدم حاجي خليفة هذه الطريقة وهو بصدد الدفاع عن المنطق وتعلمه. انظر: (كشف الظنون ٢/ ١٨٦٣).

(٣) يلاحظ أن المؤلفات المرتبطة بنصوص سابقة أقل عددًا من تلك التي تثير أسئلة في الموضوع بصورة مباشرة وبغير ارتباط بنصوص محددة.

«مختصر الكرخي» و«الإيضاح»[1].

نموذج (٢):

(النص الأصلي): **«مختصر المزني»** (ـ ٢٦٤هـ).

(مسائل النص): **«الفروق في فروع الشافعية»، لابن سريج** (ـ ٣٠٦هـ).

(وهو مشتمل على أجوبة عن أسئلة متعلقة بمختصر المزني)[2].

نموذج (٣):

(النص الأصلي): **«مسائل حنين في الطب»**.

(عمله على طريق المسألة والجواب في موضع البحث عن المعنى المقصود إليه).

(النص التابع): **«شرح مسائل حنين في الطب»، لابن أبي صادق**.

(مسائل النص): **«انتخاب الاقتضاب المجموع على طريقة المسألة والجواب»، لابن عبد العزيز النيلي**.

(مسائل منظومة): قام ابن رقيقة بنظم المسائل السابقة، وسمَّاها: **«لُطَفُ المسائل وتُحَف السائل»**[3].

(ويلاحظ هنا أن النص الأصلي لحنين بن إسحاق هو تأليف مباشر في الطب على هيئة أسئلة وأجوبة، ثم تبعه الشرح، وجاءت مسائل النص تابعة للشرح، ثم نُظِمَت مسائل النص في شكل شعري ليسهل حفظها).

ثانيا: التطبيقات

«يُقصد بالتطبيق وضع المبادئ العلمية أو الفنية موضع الاختبار والاستعمال، ولا تقل الحاجة إليه عن الحاجة إلى القانون والنظرية»[4].

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٦٣٤، ١٧٣٥ حاشية (٢).

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٢٥٧ ـ ١٢٥٨.

(٣) كشف الظنون، ٢/ ١٦٦٨.

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص٤٦، مادة: (تطبيق Practice).

وفي مجال التأليف، يقصد بتطبيقات النص، نوع من المؤلفات يرتبط بنص أصلي، كان يهتم بالمعالجة النظرية للموضوع، ويتولى النص التطبيقي تفصيل الجوانب العملية، ويكون الجانب التطبيقي في النص الجديد مكملًا للجانب النظري في النص الأصلي السابق، ويحفل التأليف الحديث بكثير من النصوص النظرية ومكملاتها من النصوص التطبيقية في علوم الرياضيات والنبات والكيمياء... إلخ.

وفي التأليف العربي القديم، نجد نموذجًا مهمًّا لذلك، تتكامل فيه المعالجة النظرية الكلية مع المعالجة التطبيقية الجزئية، ويُروى أنه عندما ألف ابن رشد (ـ ٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ) كتابه: «**الكليات في الطب**» طلب من الطبيب الأندلسي المعاصر له «ابن زُهْر (ـ ٤٦٤ ـ ٥٥٧هـ)، أن يقوم بتأليف كتاب يتناول الأمور الجزئية في الطب؛ أي: التطبيقات والمعالجات، ليكون الكتابان ككتاب كامل في صناعة الطب.

وقد استجاب ابن زهر لهذا التكليف، وألف كتابه: «**التيسير في المداواة والتدبير**»، وقد ذكر فيه المعالجات فقط، ويدل عنوانه على أنه كتاب عملي تدريسي[(١)]، وتبدو هذه الرواية شيئًا ملفتًا للنظر، نظرًا لفارق السن بين الاثنين، فعندما وُلد ابن رشد كان عمر ابن زهر ٥٦ سنة، وعندما توفي كان عمر ابن رشد ٣٧ سنة، ولذلك أُرجِّحُ أن كتاب «التيسير» قد ظهر قبل كتاب «الكليات».

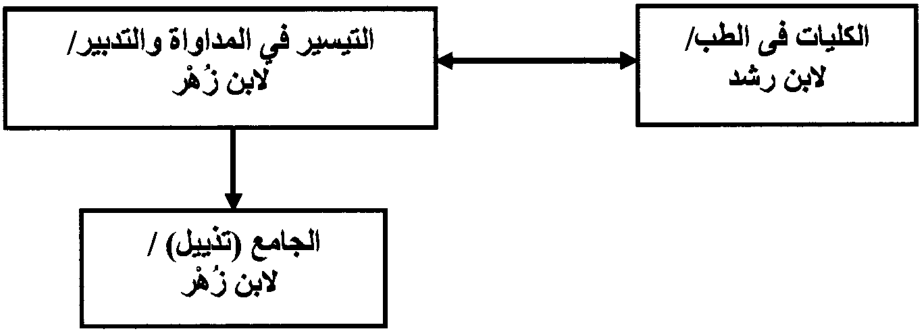
وقام ابن زهر في ما بعد بتأليف ذيل وتكملة لكتاب التيسير، سمَّاه «**الجامع**»[(٢)].

---

(١) عبد الكريم اليافي، مكانة ابن رشد في تاريخ المعرفة الإنسانية، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي. (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ع١، (يونيو/حزيران ١٩٨٤م)، ص٩٦.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٥٢٠ (ولم يرد في كشف الظنون ذكر لكتاب الكليات في الطب لابن رشد).

وفي ما يلي ببليوجرام التكامل بين ابن رشد وابن زُهْر:



شكل (٨٢) ببليوجرام التكامل بين ابن رشد وابن زُهَر

ومن وجهة نظر ببليوجرافية تكوينية، ينبغي الربط بين «**الكليات**» وكتابي: «**التيسير**» و«**الجامع**»، كمجموعة متكاملة.

واذا كان من غير الممكن اعتبار «الكليات» و«التيسير» تأليفًا مشتركًا بين ابن رشد وابن زهر، بالمعنى المعاصر للتأليف المشترك[١]، فمن الممكن اعتبارهما **تأليفًا متكاملًا**، بين النص النظري وتطبيقه العملي.

(١) يعني: التأليف المشترك إسهام مؤلِّفيْن أو أكثر في تأليف عمل معين، وفي الغالب لا يشار بالتحديد إلى ما كتبه كل منهم. انظر:

(Harrod's Librarians ' glossary...p. 422 (Joint author, Joint authorship).

المبحث السابع

مفاتيح النص[1]

يقصد بذلك المؤلفات المرتبطة بنصٍّ معين، لكي تقوم بوظيفة مرجعية مساعدة، هي توصيل الباحث إلى عناصر مفردة أو وحدات محددة من المعلومات داخل النص الأصلي، ومن أمثلة ذلك: **الكشافات** indexes المتعلقة بنص معين، وكشافات مفردات النصوص (**أو المعاجم المفهرسة**)[2] concordances، وكتب **الأطراف** في مجال نصوص الحديث، وغيرها.

---

(١) لهذه التسمية خلفية في الإنتاج الفكري العربي، فقد استخدمت في عنوان مثل: مفاتيح العلوم، للخوارزمي (ـ ٣٨٧هـ)، (وهو معجم مصنف للمصطلحات)، وهي تنطبق على الوظيفة المقصودة هنا، للمؤلفات التي تقوم بدور المفاتيح أو الكشافات الموصلة لمحتويات النصوص، وقد استخدمت في عنوان «مفاتيح كنوز السُّنَّة» لفنسنك.
كما تتفق مع المعنى الأساسي المشترك في المصطلحات التكشيفية المرتبطة بمصطلح «الكلمة المفتاحية» Keyword ومنها: Kwac, Kwic, Kwoc, Kwot.
انظر:
أ ـ محمد فتحي عبد الهادي. التكشيف لأغراض المعلومات. جدة، مكتبة العلم ١٩٨٢م، ص٧٢ ـ ٧٦.
ب ـ Harrod's librarians' glossary... p.430 - 431.

(٢) وهي تختص بتحليل كل المفردات الواردة بالنص وتحديد مكان ورودها وترتيبها في نسق هجائي حسب خطة معينة، وهي بذلك تعتبر كشافًا موصلًا لمجموع النص: (index access to full text)، مثل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي.

ومفاتيح النصوص هذه[1]، يمكن أن تؤخذ عناصرها (سواء كانت كلمات أو مقاطع)، **كما يلي**:

١ ـ من النص الأصلي فقط، مثل: المفردات اللغوية، وأسماء الأشخاص، وأسماء الأماكن، وأسماء القبائل، وأسماء الأشياء، والقوافي، وعناوين الكتب، والمقاطع الأولى من الأحاديث أو النصوص الأدبية.... إلخ. وقد يتم ذلك لكل كلمات النص في حالة إعداد الـ concordance، أو بطريقة انتقائية للكلمات الدالة بالنص.

٢ ـ من قوائم اصطلاحية استرجاعية مقننة مثل: رؤوس الموضوعات، وقوائم الأسماء... إلخ، أو بصياغة كلمات من خارج النص للدلالة على المعاني والأفكار الواردة به.

٣ ـ بالمزج بين عناصر من داخل النص وعناصر مضافة من خارج النص.

الفرق بين مفاتيح النص والترتيب المرجعي للنص

وفي مبحث سابق، عولج شكل آخر من أشكال التأليف النصِّي، يقوم بوظيفة مشابهة للتوصيل إلى وحدات معلومات من النص، ولكن بأسلوب مخالف، والشكل المقصود هو «إعادة ترتيب النص الأصلي بحسب نسق مرجعي معين» (هجائي، زمني، جغرافي، موضوعي،... إلخ)[2]. وقد اتضح من قبل أن هذا النوع من الترتيب المرجعي للنص يتضمن تفكيك النص الأصلي نفسه إلى وحدات من المعلومات، ثم

(١) ينصب الحديث هنا على المفاتيح الموصلة إلى النصوص، والتي تعتمد في التكشيف على العناصر المأخوذة من النص، ولا تقتصر على عناصر مأخوذة من عنوان الوثيقة فقط مثل أنواع أخرى من الكشافات.

(٢) انظر: ص٢٤٤ بالكتاب.

إعادة توليفها وترتيبها وفق نسق مرجعي معين، والنص الجديد المرتب يمكن أن يكون بديلًا عن النص الأصلي، وأن يستخدم بذاته ليحقق «**الوصول**» و«**الحصول**» في آن واحد على المعلومات المطلوبة ولذلك فهو يختلف عن مفاتيح النص؛ لأن هذه الأخيرة تكون منفصلة عن النص الأصلي في صفحات خاصة بها في نهاية المجلد أو في كتاب مستقل أو شكل إلكتروني تكشيفي يوصل في مرحلة تالية من البحث إلى النص الأصلي إذا شاء الباحث ذلك. وتقتصر مفاتيح النص على توفير أدوات تساعد على «**الوصول**» إلى المعلومات المطلوبة، أما الحصول عليها فيتحقق من خلال النص الأصلي بصورته الأصلية.

الأهمية العلمية لمفاتيح النصوص

تحتاج النصوص إلى مفاتيح توصل إلى أدق محتوياتها، والمؤلفات العربية القديمة أكثر احتياجًا لهذا اللون من خدمات التأليف؛ لأن كثيرًا منها موسوعي في تغطيته، كثير الاستطراد في مجالات معرفية متعددة، «فقد يجمع بعضها بين الأدب والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعلوم الدينية ونظم الحكم والتراجم والفنون والعلوم»... إلخ[(١)].

ويلاحظ أن كثيرًا من محتويات هذه المؤلفات لا يتيسر الوصول إليه والإفادة منه إلا بإيجاد المفاتيح الموصلة إلى الوحدات الدقيقة من المعلومات Bits of information[(٢)] داخل نصوصها، ولا تستغني النصوص الحديثة ـ أيضًا ـ عن مثل هذه الخدمات.

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور. «مقدمته» في (فهارس كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا)، إعداد: محمد قنديل البقلي، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٢م، ص (ج).

(٢) أ ـ Bit تعني أصغر وحدة من المعلومات، مثل «صفر»، أو «واحد» أو «نعم» أو «لا». انظر: =

والكشافات تكشف عن كنوز الكتاب وتفتش عن الوحدات المعلوماتية؛ ولذلك يُسمى استخدام الكشاف: «**المُفاتشة**»، أما البحث داخل الكتاب بالتصفح والقراءة فيسمى «**المُداخلة**»، ولا يستغني الباحث في ظروف التعمق عن كل من **المُفاتشة والمداخلة**[1]. كما يمكن تسمية استخدام الكشافات في البحث «**بالمكاشفة**»، أما صناعة الكشافات فهي «التكشيف».

حول مصطَلحي «كشاف» و«فهرس»

يكثر الخلط في استخدام كلمتي: فهارس، وكشافات، للدلالة على القوائم أو الكشافات التحليلية الهجائية Indexes أو الكتب المرجعية المنفصلة Concordances التي تحتوي على المداخل الموصلة إلى وحدات دقيقة من النصوص.

وينبغي أن تخصص كلمة «فهرس» للدلالة على المعنى الببليوجرافي الأصلي لها، وهو catalog؛ أي: قائمة بأسماء الكتب[2].

= Harrod's Librarians ' glossary... p. 81.

ب ـ وانظر: عبد الوهاب أبو النور. بحوث في المكتبة العربية، الكويت، دار القلم، ١٩٨٥م، ص١٨٣، (قضية التراث)، وانظر بنفس المرجع: (تكشيف كتب التراث ص١٩١ ـ ٢٠٤).

ج ـ ويمكن أن نتصور عملًا عربيًّا منظمًا لتكشيف النصوص العربية القديمة يبدأ بحصر للموسوعات والنصوص التي لها أهمية خاصة، وإعطائها الأولوية في التكشيف.

د ـ وإلى جانب الخبرات وإمكانيات التكشيف اليدوي، فهناك آفاق وإمكانيات واسعة يتيحها التكشيف الآلي لمجموع النص (automatic indexing of full text).

(١) يعود هذان اللفظان للشيخ الأستاذ محمود شاكر. انظر: (محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث ص١١٨).

(٢) انظر: سعد محمد الهجرسي. الببليوجرافيا ودراستها في علوم المكتبات ص٨٠.

ويمكن - أيضًا - التجاوز مرحليًّا، باستخدام كلمة «فهرس» للدلالة على «البيان المختص بأبواب الكتاب وفصوله»[(١)]، أو قائمة المحتويات (table of contents).

كما ينبغي أن تخصص كلمة «**كشاف**» index، وأن يوحد استخدامها، للدلالة على **القائمة التحليلية الهجائية** التي تشير إلى الوحدات الدقيقة من المعلومات داخل النص، مثل المفردات اللغوية أو أسماء الأشخاص أو الأماكن أو المعاني أو غير ذلك من وحدات المعرفة التي ترد في نص معين، مع تحديد أماكن ورودها بالنص[(٢)].

مفاتيح النصوص في التأليف العربي القديم والحديث

يمكن أن نميز من هذه المفاتيح ثلاثة أنواع، هي:

أولًا: كتب الأطراف:

في حدود ما توصَّلت إليه، فإن من أقدم أنواع «مفاتيح النصوص» أو «كشافات النصوص»، ما ابتكره علماء الحديث في القرن **الأول الهجري**، وأسمَوه «**بالأطراف**».

والأطراف تسمية مأخوذة من طَرَفِ الحديث النبوي الشريف، حيث كان يُدَوَّنُ طَرَفٌ من **بداية الحديث**، يكفي للتذكير أو الدلالة والتوصيل إلى بقيّته في كتاب من كتب الحديث أو عدة كتب منها.

- وقد استُخدمت الأطراف لغرضين:

الأول: هو الاستخدام المبكر قبل السماح بتدوين الحديث كتابةً، وكان للاستيعاب والتذكر لبقية الحديث لمن يعتمد على الحفظ والذاكرة.

---

(١) سعد محمد الهجرسي. البيليوجرافيا ودراستها في علوم المكتبات، ص٨٠.

(٢) أ - المرجع السابق، ص٨٢ - ٨٣.

ب - Magdi Wahba. Op. cit. p.248 (index).

الثاني: وهو المساعدة على الرجوع إلى الحديث **المدوَّن** في كتابٍ أو كتب معينة، ورد فيها الحديث كاملًا[١].

وفي إطار المعنى الأول للأطراف، يمكن القول بأنها وجدت قبل سنة (٩٦) هجرية، وكان المحدث يكتب جملة بارزة من الحديث في أوراق مستقلة للتعريف والتذكرة ببقية الحديث. ويروي الدارمي (في سنن الدارمي) أنه رأى حمادًا (ـ ١٢٠هـ) يكتب الحديث عن إبراهيم النخعي (ـ ٩٦هـ)، فقال له النخعي: ألم أَنْهَكَ؟ (يعني: عن كتابة الحديث) فقال: إنما هي أطراف. كما جاء في كتاب «العلم» للنسائي عن النخعي أنه قال: لا بأس بكتابة الأطراف، وقال يحيى بن سعيد القطان: كان معي (أطراف عَوْنٍ) عن الحسن عن النبي ﷺ[٢].

وكانت الأطراف في القرن الأول والثاني من الهجرة عملًا خاصًا جزئيًّا (لتدوين جزء من الحديث وليس كله) يقوم به المحدث لنفسه، ليستذكر به الأحاديث، ثم غدا هذا العمل في القرن الرابع الهجري وما بعده علمًا قائمًا بذاته وأُلِّفت فيه تآليف كثيرة[٣].

وهنا ننتقل إلى المعنى الثاني للأطراف، فقد تحوَّلت مع التطور في الوظيفة والاستخدام إلى لون من **المراجع**، أو **الكشافات** التي تخدم نصوص الحديث بعد أن تم تدوينه كاملًا، وهي تعد أقدم نوع من (كشافات المقاطع) التي توصل إلى النصوص، وهي أقدم من كشافات الكلمات الدقيقة والمعاجم المفهرسة، التي تستخدم كلمات جزئية محددة للتوصيل إلى الحديث وغيره من النصوص.

---

(١) انظر: الكتاني: الرسالة المستطرفة، ص١٦٧.

(٢) عبد الفتاح أبو غدة. فهارس سنن النسائي، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ، ص٢٤.

(٣) المرجع السابق، ص٢٥.

ويعتقد أن أول من استخدم الأطراف ككشاف لنصوص الحديث بعد تدوينها هو ابن سيرين (ـ ١١٠هـ)[١]؛ أي: في نهاية القرن الأول الهجري، أو بداية القرن الثاني.

ومن الناحية الفنية، يمكن أن نصف كتاب الأطراف بأنه: «**كشاف المقاطع الاستهلالية**»؛ وذلك لأنه يستخدم في مداخله مقطعًا من بداية الحديث النبوي المطلوب الوصول إليه، بشرط أن يتذكر الباحث هذا المقطع الأول.

وقد عرفت المراجع الأوروبية في العصر الحديث نوعًا مشابهًا من الكشافات المقطعية، ويسمى: كشاف السطر الأول (First - Line index).

ويعرَّف بأنه «كشاف يوصِّل إلى الشعر، أو الأغاني، أو التراتيل، عن طريق مداخل تتضمن السطر الأول من القصيدة أو غيرها، مرتبةً ترتيبًا هجائيًّا»[٢]. وكانت كتب الأطراف ترتب أحيانًا **هجائيًّا بأوائل** الحديث، وأحيانًا **هجائيًّا بأسماء** الصحابة، وتحت أسماء الصحابة ترتب الأطراف الأولى أو المقاطع الاستهلالية الدالة في بداية الحديث، ويبين بعدها موضع كل حديث في كل كتاب، أو عدة كتب من كتب الأحاديث التي يتم تكشيف محتواها بطريقة الأطراف[٣].

---

(١) محمد مصطفى الأعظمي: دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، الرياض، جامعة الرياض، ١٩٦٧م، ص٣٣٤ ـ ٣٣٥.

(٢) أ ـ Harrod's Lib.Glossary... 5th ed. P. 303.

ب ـ ALA Glossary... p95. (First - Line index).

(٣) انظر:

أ ـ أحمد محمد شاكر. «مقدمته» في (مفتاح كنوز السُّنَّة/ فنسنك؛ ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٣٤م، ص (ض).

ب ـ محمد مصطفى الأعظمي. المرجع السابق.

وتختلف السعة أو التغطية في كتب الأطراف، فبعضها يُكشِّف نصًا واحدًا محددًا، وبعضها يزيد عن ذلك.

ومن أمثلة هذه المستويات المتعددة في التغطية:

أطراف النص الواحد: «إطراف المُسنِد المُعتلِي بأطراف المُسنَد الحنبلي»، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)[١]. (وهو يُكشِّف مسند الإمام أحمد بن حنبل (ـ ٢٤١هـ)).

أطراف النَّصين: «أطراف الصحيحين» (البخاري ومسلم)، للواسِطي (ـ ٤٠١هـ)[٢].

أطراف لستة نصوص:

- «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف»، للمِزِّي (ـ ٧٤٢هـ)[٣].
- «الكشاف في معرفة الأطراف»، للحسيني الدمشقي (ـ ٧٦٥هـ)[٤].

---

(١) وقد استخرجه وأفرده ابن حجر من كتابه الضخم المسمَّى: «إتحاف المهرة بأطراف العشرة». كشف الظنون، ١/١١٦ ـ ١١٧.

(٢) الكتاني. المرجع السابق، ص١٦٧.

(٣) أ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: (معجم مفهرس لمسانيد الصحابة والرواة عنهم، وموسوعة علمية لجميع أحاديث الكتب الستة الصحاح) تأليف: المِزِّي، علق عليه: عبد الصمد شرف الدين، بومباي، الدار القيومية ١٩٨٢م.
ب ـ ترجم المعلق عنوان تحفة الاشراف كما يلي:
Concordance to the six canonical books
واعتبر الأطراف معجمًا مفهرسًا في العنوان الأجنبي حسب ترجمته، وذلك الاستخدام لا يتفق تمامًا مع معنى الأطراف.
ج ـ قام الباحث الهندي عبد الصمد شرف الدين بعمل فهارس إضافية لأطراف المزي نشرت بعنوان: الكشاف على أبواب مراجع تحفة الأشراف: فهارس كتب الأصول الستة. . . بومباي، الدار القيومية، ١٩٦٦م.
د ـ انظر: مؤلفات متفارعة على أطراف المزي، ص٤٦٧.

(٤) الكتاني، المرجع السابق، ص١٦٨.

أطراف لعشرة نصوص: «إتحاف المَهَرة بأطراف العَشَرة»، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)[(١)].

أطراف للنص وشرحه معًا:

جمعت بعض كتب الأطراف بين النص الأصلي وشروحه في تكشيف واحد، مثل: «مفتاح الصحيحين» (البخاري ومسلم): لمحمد الشريف بن مصطفى التوقادي التركي[(٢)].

وقد أورد ضمن محتويات الكتاب السابق: (مفتاح صحيح البخاري)، وهو مرتب على أوائل الحديث، ويشمل متن صحيح البخاري وشروحه.

ورغم أهمية كتب الأطراف كأداة مرجعية تُوصل إلى نصوص كتب الحديث، إلا أن استخدامها كان يستلزم معرفة الباحث بالفقرة الاستهلالية الأولى من الحديث، وباسم الصحابي الذي يبحث تحته، ويرى أحمد شاكر أن كتب الحديث ظلت «كالصناديق المغلقة»، حتى ترجم محمد فؤاد عبد الباقي «مفتاح كنوز السُّنَّة، بإشراف فنسنك»، فأسلم إلى الباحث مفتاحها»[(٣)].

ثانيًا: كشافات النهايات (كشافات القوافي):

وفي مقابل التكشيف بالأطراف وهي المقاطع الأولى من نصوص الحديث، نجد عكس ذلك وهو التكشيف **بالنهايات**، والمجال الحيوي

---

(١) المرجع السابق، ص١٦٩ (ويذكر أنه في ثمانية مجلدات).

(٢) عبد الفتاح أبو غدة، المرجع السابق، ص٦.

(٣) أ ـ أحمد محمد شاكر «مقدمته» في (مفتاح كنوز السُّنَّة) فنسنك... ص (ح ح).
ب ـ مفتاح كنوز السُّنَّة يصنف الأحاديث النبوية تحت رؤوس موضوعات مرتبة هجائيًا، مع الإشارة إلى مواضع الحديث التي جمعها من (١٤) كتابًا من كتب الحديث والسير والتراجم. (انظر: المرجع السابق).

لهذا النوع من الكشافات هو قصائد الشعر؛ ولذلك يمكن تسميته «**كشاف القوافي**»، وقد اقترحت في هذا الكتاب أن نتخلى عن استخدام كلمة **فهرس** (القوافي أو غيرها...) لأن الأدق هو مصطلح **كشاف**.

وقد وضعت بعض كشافات القوافي لخدمة دواوين شعر أو قصائد معينة، وتشمل ترتيبًا هجائيًّا بالحروف النهائية للقوافي، بحيث يمكن أن توصل الباحث إلى بيت معين من الشعر ثم القصيدة التي ورد بها وكذلك صاحبها إذا كان معروفًا.

مثال:

.... وخير صديق في الزمان **كتابُ**

فالباء في كلمة كتاب، ثم كلمة كتاب كلها، هي المدخل للتوصيل إلى كل البيت ثم القصيدة ثم الشاعر.

ومن أمثلة فهارس القوافي فهرس القسم الأول من:

شرح المختار من لزوميات أبي العلاء (ـ ٤٤٩هـ)، للبطليوسي[١].

وشبيه بذلك في المراجع الأجنبية نوع من الكشافات يسمَّى «قاموس القوافي»: Rhyming Dictionary[٢].

ثالثًا: الكشافات التحليلية لمحتوى النص:

أما النوع الثالث من الكشافات الأكثر تفصيلًا وتحليلًا، فهو **كشافات الكلمات الدقيقة**، التي تتيح الوصول إلى المطلوب من خلال **كلمات مفتاحية** دالة وموصلة إلى النص.

---

(١) القاهرة، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، ١٩٧٠م.

(٢) مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص١٥٨، مادة: (قاموس القوافي).

* فالمَدْخَلة[1] في الأطراف تكون بالفقرات أو المقاطع الأولى من النص.

* والمدخلة في كشافات القوافي تكون بالحرف ثم الكلمة الأخيرة من بيت الشعر.

* والمدخلة في الكشافات التحليلية تكون بكلمات مفتاحية دالة.

والآن نتساءل: ما هو مكان الكشافات التحليلية في أنشطة التأليف النصي المحوري في التأليف العربي؟

تبدو الإجابة على هذا السؤال مشوقة إذا بدأنا من الصورة السائدة عن تكشيف النصوص العربية القديمة على أيدي المؤلفين العرب القدماء، لدى مؤرخ مهتم بهذا الموضوع، هو «روزنتال». فهو يرى ـ بشكل عام ـ، أن بعض المؤلفين العرب وضعوا في مؤلفاتهم قائمة بمحتويات الكتاب table of contents ولكن لم يكن معروفًا عندهم عمل كشافات Indexes لمؤلفاتهم[2].

ويبدو الاعتقاد في وجود هذا النقص في كشافات النصوص العربية القديمة، أمرًا غريبًا، **للأسباب التالية:**

١ ـ أن العرب والمسلمين الذين عرفوا تأليف الأطراف ووظيفتها، واستفادوا من إمكانياتها ومزاياها، وعانوا في الوقت نفسه من بعض تعقيداتها وصعوبتها، لا بد أنهم انتبهوا لهذا النقص، ومن البدهي أن نتوقع أن طبيعة التطور طرحت مزيدًا من التعديل والاقتراب من نوع أفضل وأيسر من الكشافات.

---

(١) المدخلة هي عمل المداخل (entries) وهي الكلمات الأولى المحددة للترتيب الهجائي للوحدات المرجعية (كلمات، أو عناوين كتب، أو أسماء أشخاص، أو فقرات كاملة. . . إلخ). (المؤلف)

(٢) روزنتال، ف، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي: ترجمة: أنيس فريحة، ط٣، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م، ص١١١.

٢ ـ أن التقدم والسبق التاريخي البعيد الذي أحرزه المؤلفون العرب في صناعة المعاجم اللغوية بأنواعها الكثيرة وترتيبها، والذي يقوم على أسس وآليات التكشيف، وخاصة للكلمات، والمعاني، ومداخلها المتعددة: الهجائية في معاجم الباب والفصل، والمصنفة في معاجم المعاني مثل «المخصص»، لابن سيده (ـ ٤٥٨هـ) ـ، يجعل من المنطقي وجود بعض الكشافات التحليلية للنصوص في التأليف العربي.

فمنذ حوالي اثنى عشر قرنًا، والقواميس اللغوية ما هي إلا كشافات هجائية، سواء لمفردات موضوع معين، أو للغة العربية بأكملها[1]، وتلك القدرة على تكشيف لغة بأكملها، تدعونا بداهة إلى البحث عن شيء غائب أو مستتر في قضية تكشيف النصوص العربية.

كما أن ترتيب كتب الرجال والتراجم والبلدان هو من صميم عمل الكشافات[2].

٣ ـ أن التكامل والوحدة بين فروع العلم والمعرفة عند العرب في عصور إبداعهم المختلفة، من ناحية، ومدى التكامل والوحدة في التكوين الموسوعي لثقافة العلماء العرب أنفسهم، يذكرنا بأن الاهتمام باللغة العربية ومعاجمها لم يكن بعيدًا عن علماء في الفقه والحديث والتاريخ والطب والفلسفة والكيمياء. . . إلخ؛ مما يدفع إلى الاعتقاد بإمكانية إدراك بعضهم لأهمية تسخير فكرة التكشيف اللغوي لخدمة نصوص علمية أخرى في مجال أو آخر.

---

(١) انظر: سعد محمد الهجرسي، المراجع العامة: دراسة نظرية نوعية عن القواميس اللغوية ودوائر المعارف، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠م، ص٢١ ـ ٢٢.

(٢) محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥.

ونجد روزنتال نفسه يعود إلى القول بأن بعض المؤلفين العرب انتبه إلى أهمية خدمة النصوص وتكشيفها، **ويورد الأمثلة السبعة التالية:**

* أعد الذهبي (ـ ٧٤٨هـ) كشافًا بأسماء الأعلام الواردة في:

١ ـ كتاب «الثقات»، لابن حبان البُستي (ـ ٣٥٤هـ)[(١)].

* وضع نجم الدين بن فهد (ـ ٨٨٥هـ) «فهارس» لكل من الكتب التالية:

٢ ـ «حلية الأولياء» في الحديث، لأبي نعيم الأصبهاني (ـ ٤٣٠هـ)[(٢)].

٣ ـ «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك»، للقاضي عياض (ـ ٥٤٤هـ)[(٣)].

٤ ـ «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، لابن أبي أصيبعة (ـ ٦٦٨هـ)[(٤)].

٥ ـ «طبقات الحفاظ»، للذهبي (ـ ٧٤٨هـ)[(٥)]، وتكملته التي أضيفت إليه، . . .[(٦)].

---

(١) روزنتال. المرجع السابق.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٦٨٩ (لم يذكر كشاف ابن فهد).

(٣) كشف الظنون، ١/ ٣٩٥ (لم يذكر كشاف ابن فهد).

(٤) كشف الظنون، ٢/ ١١٨٥ (لم يذكر كشاف ابن فهد).

(٥) كشف الظنون، ٢/ ١٠٩٧ (لم يذكر كشاف ابن فهد).

(٦) لم يذكر روزنتال لمن التكملة، والأقرب أن تكون هي: ذيل طبقات الحفاظ، تذييل تقي الدين ابن فهد (ـ ٨٩٠هـ). (كشف الظنون ٢/ ١٠٩٧). وهناك ظاهرة مهمة في التأليف العربي هي جهود عائلة فهد: الجد والأب والحفيد. . . في خدمة النصوص وتذييلها وإدماجها وتكشيفها. . . إلخ، وثمة كتاب يتعلق بهذا الموضوع بعنوان: بذل الجَهْد فيمن سمي بفهد وابن فهد، تأليف: نجم الدين بن فهد (انظر: البابانى، هدية العارفين ١/ ٧٩٤).

٦ ـ «طبقات الحنابلة»، لابن رجب (ـ ٧٩٥هـ)[١].

٧ ـ فعل ذلك الشعراني (ـ ٩٧٣هـ) للمختصر الذي وضعه لكتاب «التذكرة الهادية» (في الطب)، للسويدي (ـ ٦٢٠هـ)[٢].

٨ ـ وبالإضافة إلى ما ذكره روزنتال، نجد أن ابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ) في آخر كتابه «تهذيب التهذيب» وهو في ستة مجلدات، قد استخدم **الإحالات** من الكُنى والألقاب، وأشار إلى أن من عُرفوا بها قد سبقوا في اسم كذا وكذا[٣].

وفي دراسة قيمة في هذا المجال[٤]، أورد أبو غدة أمثلة كثيرة تؤكد أنه بالإضافة إلى صنع أطراف الأحاديث، فإن فهرسة أشهر الكلمات وأسماء الرجال فيها (ويقصد تكشيفها)، هي من ابتكار المسلمين قبل وجود الاستشراق والمستشرقين[٥].

وقد أوضح حسام الدين القدسي، «أن ابن فهد (ـ ٨٧١هـ)، (تقي الدين محمد بن محمد)، قام بسرد أكثر وفيات السنين مرتبة على الحروف، وأنه قال عند ترجمته للحافظ ابن ظهيرة: وقد جمعت أسانيد

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٠٩٧ (لم يذكر كشاف ابن فهد).

(٢) أ ـ كشف الظنون، ١/ ٣٨٦ (لم يذكر كشاف ابن فهد).

ب ـ لم ترد الكشافات السابق ذكرها لدى روزنتال في: هدية العارفين، للباباني، تحت أي من الأسماء التالية: ابن فهد، ١/ ٧٩٤، (الذهبي ٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥)، (الشعراني ١/ ١٦٤ ـ ٦٤٢).

(٣) أ ـ كشف الظنون، ٢/ ١٥١٠.

ب ـ محمود محمد الطناحي: مدخل إلى تاريخ نشر التراث، ص٢٧٥.

(٤) وهي دراسة موجزة تمثل «مقدمة» للمرجع التالي: عبد الفتاح أبو غدة. فهارس سنن النسائي. حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ (الجزء التاسع من مجموعة سنن النسائي).

(٥) المرجع السابق، ص٢٠.

مسموعاته في مجلد ضخم، مرتب على حروف المعجم. كما ذكر عن الحافظ ابن سند (محمد بن موسى) (ـ ٧٩٢هـ)، أنه قد رتب أجزاء على حروف الهجاء من أسماء أصحابها، وما هذا إلا فهرس (أي: كشاف) لتلك الأجزاء[١].

وقام ـ أيضًا ـ الزيني العراقي (ـ ٨٠٦هـ) بترتيب من له ذِكْرُ تجريحٍ أو تعديلٍ في كتاب (بيان الوهم والإيهام، لابن القطان)، وذلك على حروف المعجم (أي: بترتيب هجائي)، بل إن كثيرًا من الحفاظ رتَّبوا مسند الإمام أحمد على الحروف (أو غيرها..)... ومنهم ابن كثير...[٢].

ويُعد من هذا القبيل، ترتيب التراجم على الحروف الهجائية، وأول من ابتكر هذا المنهج هو البخاري (ـ ٢٥٦هـ)، في تاريخه، وكانت التراجم من قبله تؤلف (أي: ترتب) بحسب البلدان أو الطبقات، فهؤلاء وكثير من أمثالهم من علماء المسلمين هم القدوة في استخراج الفهارس (الكشافات) والتفنن فيها، لا الغربيون الذين اقتبسوا ذلك من المسلمين، ثم غمطوا (أنكروا) فضلهم عليهم[٣].

وفي إطار الفرضية التي أطرحها، وهي أن هذه التراكمات من خبرات التأليف العربي، وصناعة المعاجم اللغوية والتراجمية والموسوعية، وتحليل واختيار المداخل الدقيقة الموصلة إلى المعلومات

---

(١) حسام الدين القدسي (محقق) «دراسة ملحقة» ـ (ذيول تذكرة الحفاظ للذهبي، للحسيني وابن فهد والسيوطي، دمشق، ١٣٤٧هـ). (وردت قبل الفهارس التي أعدها للكتاب). نقلًا عن: (عبد الفتاح أبو غدة. المرجع السابق، ص٢٠.

(٢) أ ـ حسام الدين القدسي. (نقلًا عن: أبو غدة، المرجع السابق ص٢٠ ـ ٢١).
ب ـ عالجت موضوع إعادة ترتيب النص بأكمله في مبحث: (إعادة ترتيب النص)، انظر: الفصل السادس ـ المبحث الثالث بهذا الكتاب، ص٢٤٤.

(٣) حسام الدين القدسي (نقلًا عن: أبو غدة، المرجع السابق ص٢١).

داخل الكتب والنصوص، وترتيبها النسقي (هجائيًا أو زمنيًا أو موضوعيًا، في مراجع مستقلة، فإنني أجد مثالًا من البداية المبكرة للقرن السابع الهجري، يدعم تاريخ التكشيف عند العرب والمسلمين، يتجلى في ما قام به ابن الأثير المُحدِّث (ـ ٦٠٦هـ)، الذي كان يجرب أو «يَتَلَمَّحُ» صنع فهرس أو كشاف لكتابه: «جامع الأصول في أحاديث الرسول»، على غرار «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» الذي أشرف عليه فنسنك[١]، وجاء بعد تجربة أو محاولة ابن الأثير بثمانية قرون.

ويقول ابن الأثير في نهاية كتابه: «إنه استخرج من تلك الأحاديث... **كلمات، ومعاني**، هي أشهر ما فيها، ... فإنه لا يخلو الإنسان أن يعرف من ذلك الحديث **كلمة** يُستَدَل بها من بعض **ألفاظه** المشهورة، أو **معانيه** المودعة في مطاويه»، وأشار على القارئ أن يعرف أن يطلب تلك **الكلمة** أو ذلك **المعنى**، وقد أثبت تلك **الكلمات** على **هوامش** الكتاب، مقفاة (أي: مرتبة) على حروف المعجم (أ ب ت ث)، وبإزائها ذكر **مواضعها** في الكتاب[٢].

ويصل أبو غدة إلى أن ابن الأثير هو **مؤسس منهج المعجم المفهرس** (أي: التكشيف) قبل المعجم المفهرس للمستشرقين بثمانية قرون، وإلى أن العلماء المسلمين هم الذين قاموا بابتكار الفهارس (الكشافات).

---

(١) عبد الفتاح أبو غدة: فهارس سنن النسائي، (المقدمة)، ص٢١.

(٢) نقل بتصرف من حديث ابن الأثير في «الخواتم»، وهي الجزء الثاني عشر من كتابه: «جامع الأصول...» في الطبعة الأولى التي صححها ونشرها الشيخ محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة السُّنَّة المحمدية، (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م). ويسمِّي الفقي هذه الخواتم «مفاتيح الكتاب»، ويقصد الكشافات، وتنفرد طبعة الفقي دون غيرها بنشر هذه الخواتم. (انظر: عبد الفتاح أبو غدة، المرجع السابق ص٢١ ـ ٢٣).

ـ وهناك مسألة مهمة أخرى شديدة الارتباط بفكر التكشيف، وردت عند ابن الأثير، وهي «الإحالات». وقد استخدم ابن الأثير الجزري كلمة الإحالات، وعمل إحالات في كتابه «جامع الأصول...» من مواضع بالكتاب إلى مواضع أخرى(١).

ـ ويمكن أن نلاحظ أن علماء المسلمين قاموا بصنع الكشافات للعناصر التالية من النص:

ـ المعاني.

ـ الكلمات.

ـ الأسماء: الصريحة، والمبهمة، لكل من النساء، والرجال.

ـ الكنى.

ـ الألقاب.

بحيث يصيب الباحث طَلِبَتَهُ (أو حاجته) من النص المُكشَّف(٢).

وإذا توقفنا أمام عمل ابن الأثير السابق، وأخضعناه للمفاهيم العلمية الحديثة للتكشيف، يتضح أنه اعتمد في تكشيف نصوص الحديث **على ما يلي:**

١ ـ تكشيف الكلمات المفتاحية الدالة Keywords الواردة في النص، ويمكن أن نعتبره قد سبق إلى اختراع نوع من الكشافات، يصح أن نطلق عليه: «**كشاف الكلمات المفتاحية في النص**»(٣). (Kwit)

---

(١) ابن الأثير الجزري (ـ ٦٠٦هـ): جامع الأصول في أحاديث الرسول، القاهرة، طبعة حامد الفقي، (١٣٦٨هـ)، ص٢٧، ٢٩.

(٢) أ ـ عبد الفتاح أبو غدة. المرجع السابق، ص٢٤، ٢٩.
ب ـ وقد استخدمتُ كلمة الكشاف بدلًا من كلمة الفهرس؛ لأن الكشاف تتفق مع تعريفات ومصطلحات هذا الكتاب. (المؤلف)

(٣) ويمكن اعطاؤه التسمية التالية بالإنجليزية (Keyword - in - text) = Kwit، =

٢ ـ عدم الاقتصار على كلمات داخل النص، بل إنه أوجد كلمات كشفية تصلح للدلالة على «**المعاني**» المودعة في طيات (مطاوي) النص، وبناء على **فهمه** لهذه المعاني، وهو بذلك يضيف كلمات مفتاحية كشفية من صنعه الخاص، ويمكن أن نعتبره قد سبق إلى اختراع نوع ثان من الكشافات، يصح أن نطلق عليه: «**كشاف الكلمات المفتاحية المضافة إلى النص**»[(١)] . (Kwat)

وبالإضافة إلى النماذج السابقة، فان هناك أنواعًا جديدة من المؤلفات التي تقوم بدور كشافات لنصوص عربية، تظهر من خلال دراسة المعاجم العربية، ويمكن أن يذكر من هذه (المعاجم ـ الكشافات):

١ ـ «المفردات في غريب القرآن»، للراغب الأصفهاني (ـ ٥٠٢هـ)[(٢)]، (وذلك بالنسبة لنص القرآن).

٢ ـ «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير (المحدِّث) (ـ ٦٠٦هـ)[(٣)].

الجمع بين الأطراف والكشافات التحليلية

قام بعض الباحثين المعاصرين، بالجمع بين الأطراف التقليدية القديمة، وبين الكشافات التحليلية الحديثة تحقيقًا للفائدة من كلٍّ من **الأطراف والكشافات الدقيقة**، ومن أمثلة ذلك:

= وذلك في مقابل (Kwic) المعروفة، عندما تؤخذ كلمات دالة من عنوان الوثيقة (وليس من النص). كما فعل ابن الأثير.

(١) ويمكن إعطاؤه التسمية التالية بالإنجليزية (Keyword -augmented - in - text) = Kwat.

وذلك في مقابل (Kwac) المعروفة، عندما تضاف كلمات كشفية إلى **عنوان الوثيقة (وليس النص)**، من جانب المكشف.

(٢) سعد محمد الهجرسي، المراجع العامة، ص٢١.

(٣) كشف الظنون، ٢/١٩٨٩.

١ ـ فهارس البخاري، إعداد رضوان محمد رضوان[١]. (أي: كشافات البخاري).

٢ ـ فهارس صحيح مسلم، إعداد محمد فؤاد عبد الباقي[٢]. (أي: كشافات صحيح مسلم). وهو يشتمل على ثمانية كشافات لصحيح مسلم.

الكلمات والمصطلحات الدالة على الأطراف والكشافات

نظرًا لتعدد الأزمنة والأمكنة والاجتهادات، فهناك تعدد واختلاط في استخدام الكلمات والمصطلحات التي يراد بها أن تدل على وظيفة الأطراف ووظيفة الكشافات، وكلاهما متفق في الهدف ومختلف في الوسائل والأدوات كما أوضحت من قبل.

وفي الجدول التالي يمكن توضيح بعض هذه الكلمات والمصطلحات المنفردة والمشتركة التي استخدمت في عناوين الكتب في هذا المجال، في حدود عينة هذا البحث:

كلمات/ مصطلحات دالة على الأطراف	كلمات/ مصطلحات دالة على الكشافات
أطراف	X X X
كشاف. . .	كشاف. . .
مفتاح. . .	مفتاح. . .
فهرس/ فهارس	فهرس/ فهارس
Concordance = المعجم المفهرس	Concordance = المعجم المفهرس
X X X	معجم
X X X	ثَبَتٌ ألفبائي
X X X	أسماء المؤلفين والمصنفين
	الخواتم

(١) القاهرة، دار الكتاب العربي، (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، ص٦٠٠.

(٢) وهو المجلد الخامس من طبعة صحيح مسلم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٢م)، ص٦٠٨.

جهود المستشرقين في تكشيف النصوص العربية

كان للمستشرقين جهود منهجية عظيمة في فهرسة النصوص العربية القديمة وتكشيفها، ورغم ما اتضح من قبل من ابتكارات عربية في مجال التكشيف التحليلي الدقيق للنصوص، فإنه من المعتقد أن ذلك الخيط قد أفلت في فترة من الزمن من أيدي ورثة هذه الحضارة من العرب والمسلمين، وأن هذه الأعمال التكشيفية لا زالت بحاجة إلى العثور على معظمها، وإلى دراسة فنونها التكشيفية.

ولعل ما ذكره سابقًا العلَّامة أحمد شاكر حول صعوبة الوصول إلى نصوص الحديث رغم وجود الأطراف (التي ظلت معروفة ومستخدمة ونشر بعضها)، حتى ظهرت الكشافات الحديثة ومن بينها كشاف فنسنك ـ ينبهنا إلى فضل المستشرقين في تكشيف النصوص العربية، وإذا لم نعتبر ذلك ابتكارًا، نظرًا لسبق العرب والمسلمين في هذا المجال ـ كما اتضح من قبل ـ فيمكن أن نعده إحياء وتجديدًا لمسار قديم، أو إمساكًا بخيط كان قد أفلت، وسواء كان بعضهم على علم بالابتكارات العربية المبكرة في هذا المجال أو لم يكن، فإن من أمثلة الجهود البارزة والمضنية التي تنسب إليهم، والتي جددت الاهتمام بمَفْتَحَة(١) النصوص العربية وتكشيفها ما يلي:

(١) **المَفْتَحَة**: لفظ مقترح للدلالة على إعداد مفاتيح للنصوص، سواء كانت كشافات أو تجنيسات موضوعية للنصوص... إلخ، ويمكن أن تشمل المفتحة العمليات والمصطلحات التالية:

* **التكشيف**: وهو عمل الكشافات للنصوص عامة (وقد شاع استخدام هذا المصطلح).

* **التَّطريف**: وهو عمل الأطراف لنصوص الحديث (لفظ مقترح في هذه الدراسة).

* **المَعجَمة**: وتعني الترتيب حسب حروف المعجم أيًّا كان الترتيب المتبع (لفظ مقترح في هذه الدراسة). =

أولًا: مفاتيح القرآن الكريم:

١ ـ «نجوم الفرقان في أطراف القرآن»، فلوجل.

٢ ـ «تفصيل آيات القرآن الكريم»، جول لابوم، ويليه «المستدرك»، إدوارد مونتيه، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي.

ثانيًا: مفاتيح نصوص الحديث:

٣ ـ «مفتاح كنوز السُّنَّة»، وضعه أ. ي. فنسنك (ـ ١٩٣٩م)، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي. (يُكشِّف أربعة عشر كتابًا من كتب السُّنَّة).

٤ ـ «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي»، وضعه لفيف من المستشرقين، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي. (استغرق تأليفه ونشره ثلاثة وخمسين عامًا).

ثالثًا: مفاتيح نصوص أخرى:

٥ ـ «فهارس نقائض جرير والفرزدق»، إعداد بيفان الهولندي (ـ ١٩٣٤م).

٦ ـ «فهرس الأغاني»، للأصفهاني، إعداد جويدي.

جهود العرب المعاصرين في تكشيف النصوص العربية

ازدهرت حركة مَفْتَحة النصوص العربية وتكشيفها، ونشط باحثون معاصرون من العرب والمسلمين في هذا المجال، وقد كان من ضمن إنتاجهم كتب جديدة في الأطراف، ذُكر كثير منها في دراسة أبي غدة[١].

= * **الألْفَبَة**: وتعني الترتيب حسب الألفباء (أ ب ت ث ج...). (لفظ مقترح في هذه الدراسة).

(١) وقد شارك في بعضها علماء أتراك في العصر الحديث. انظر: عبد الفتاح أبو غدة، فهارس سنن النسائي، ص٥ ـ ١١.

ومن المهم هنا التركيز على جهود **التكشيف التحليلي الدقيق** للنصوص، ومنها:

أولًا: مفاتيح القرآن الكريم:

١ ـ «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»، إعداد محمد فؤاد عبد الباقي.

ثانيًا: مفاتيح الحديث النبوي:

٢ ـ «ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث»، لعبد الغني النابلسي (ـ ١١٤٣هـ) (وهو بنظام الأطراف).

٣ ـ فهارس (أي: كشافات) البخاري، رضوان محمد رضوان[١].

٤ ـ فهارس (أي: كشافات) «صحيح مسلم»، محمد فؤاد عبد الباقي[٢].

٥ ـ فهارس (أي: كشافات) «سنن النسائي»، عبد الفتاح أبو غدة.

ثالثًا: فهارس نصوص أخرى:

٦ ـ فهارس كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي، إعداد محمد فؤاد البقلي[٣].

٧ ـ فهارس كتاب «وفيات الأعيان»، صنعها محمد محيي الدين عبد الحميد[٤].

٨ ـ فهارس «تهذيب اللغة» للأزهري: المواد اللغوية والأشعار

---

(١) (يجمع بين الأطراف والكشافات الدقيقة).

(٢) (يجمع بين الأطراف والكشافات الدقيقة).

(٣) القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٢م، (٦٢٧ ص).

(٤) محمود محمد الطناحي. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص٧٣.

والأرجاز، عبد السلام هارون[١].

٩ ـ فهارس كتاب «الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف»، للمبرد، إعداد محمد سيد كيلاني[٢].

١٠ ـ فهارس «سمط اللآلئ»، عبد العزيز الميمني[٣].

١١ ـ «المخصص» لابن سيده: دراسة ودليل، لمحمد الطالبي[٤].

تقسيم مفاتيح النصوص بحسب السعة

يمكن تصنيف كشافات النصوص من حيث السعة إلى ثلاث فئات رئيسة:

أولًا: كشافات فردية (تخدم نصًّا واحدًا).

ثانيًا: كشافات مزجية (تخدم عدة نصوص):

وهذه الفئة بدورها نوعان:

١ ـ نوع يتناول نصًّا معينًا مع ذيوله وتوابعه، أو شروحه، مثل:

---

(١) المرجع السابق، ص٩٩. (ويعتبر هذا العمل مجانسة لموضوعات مختارة من النص. انظر: «المجانسة» في الفصل السادس، المبحث الرابع بهذا الكتاب، ص٢٥٩.

(٢) القاهرة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٦م، (٢٧٦ ص).

(٣) القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧م، (١٣٥ص).

(٤) أ ـ تونس، ١٩٥٦م، ـ رسالة جامعية بإشراف: المستشرق الفرنسي بلاشير.
ـ استهدف بها التعريف بالمخصص، وتسهيل تناوله بوضع فهارس متقنة لمضامينه، نقلًا عن: رودريجث، داريو كابانيلاس. ابن سيده المرسي ص١١.
ب ـ يطالب «رودريجث» بعمل ثَبَت ألفبائي بالمادة اللغوية التي يتضمَّنها المخصص. (المرجع السابق ص١٤٨).

أ ـ مفتاح «صحيح البخاري» (وشروحه)، لمحمد الشريف بن مصطفى التوقادي التركي[1].

ب ـ فهرسة «طبقات الحفاظ» للذهبي وتكملته التي أضيفت إليه، لنجم الدين ابن فهد[2].

ج ـ «هدية العارفين...»، لإسماعيل البغدادي (يشمل كشف الظنون وذيله: إيضاح المكنون).

٢ ـ كشافات تتناول عدة أعمال مستقلة، مثل تكشيف عشرة نصوص[3].

ثالثًا: كشافات انتقائية (لبعض محتويات نص معين)

مثل:

* فهارس الأشعار والأرجاز في كتاب «المخصص» لابن سيده، إعداد عبد السلام هارون[4].

ببليوجرام المفاتيح

أولًا: قد تكون الكشافات (الفهارس التحليلية) ملحقة بالنص الذي تخدمه في مجلد واحد، أو كحاشية على الهوامش مثلما فعل ابن الأثير في تكشيف كتابه «جامع الأصول» السابق ذكره.

ثانيًا: وقد تنشر مستقلة عن النص الأصلي.

---

(١) انظر: ص٤٥١ بالكتاب.

(٢) انظر: ص٤٥٥ بالكتاب.

(٣) انظر: إتحاف المهرة بأطراف العشرة، لابن حجر العسقلاني.

(٤) أ ـ محمود محمد الطناحي. المرجع السابق، ص٩٩.
ب ـ انظر: موضوع المجانسة، ص٢٥٩ بالكتاب.

ثالثًا: وجدت أعمال تابعة (تفارع ثان) على بعض مفاتيح النصوص مثل:

«تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف»، للمِزِّي (ـ ٧٤٢هـ) (تفارع ثانٍ على كتب الحديث).

أ ـ النكت «الظِّراف على الأطراف»، تعليقات لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)، (تفارع ثالث، ونلاحظ تأليف «التعليقات» «والنكت»؛ أي: المسائل الدقيقة على كتاب أطراف)[1].

ب ـ «الإطراف بأوهام الأطراف»، ولي الدين بن إبراهيم العراقي - (تفارع ثالث، وهو استدراك على نواقص وأخطاء الأطراف للمزي).

(١) انظر: النكت، ص٣٣٨ بالكتاب.

المبحث الثامن

استخراج النص

يقصد بالاستخراج **استعادة** كتابات أو أقوال لشخص معين عربي أو أجنبي، مبددة ومنتشرة في كتاب واحد أو عدة كتب أخرى، **ويمكن أن يتناول الاستخراج ما يلي**:

١ ـ نصًّا قديمًا بأكمله، أو أجزاء من النص القديم. فثمة نصوص كانت مدونة في صورة مؤلفات كتبها صاحبها أو سجلها تلامذته، ولكنها بمرور الزمن انتثرت فصوصًا وانتشرت نصوصًا في مؤلفات أخرى لمؤلفين آخرين، في صورة **نقول** أو **استشهادات**، ويمكن أن يطلق على هذه الحالة: «تصدع النص»[(١)] أو تشتته.

٢ ـ أقوالًا وفتاوي واجتهادات رويت عن صاحبها متفرقة، ولكنه لم يسجلها في نص مكتوب من قبل ـ وربما لا يُعرف عنه أنه ألف كتبًا على الإطلاق ـ ولم يكن له إطار تدريسي أو تلامذة يدوِّنون أقواله في مؤلفات، ولكن ما رُوي عنه يمثل فكرًا متميزًا، ومن النماذج البارزة في هذا المجال، استخراج وتجميع **فقه عمر بن الخطاب** من أقواله واجتهاداته المتفرقة في نصوص ومؤلفات كثيرة تروى عنه.

وعن طريق التنقيب في مظان ومصادر مختلفة، لاستخراج وتجميع

---

(١) ماس، پوْل. «نقد النص». في (النقد التاريخي: مجموع من اختيار وترجمة عبد الرحمٰن بدوي، ط٣، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٧م، ص٢٥٧).

النصوص التي لم تصلنا بصورة محددة في هيئة كتب مستقلة، ولكنها تحدَّرت وترامت إلينا في صورة نقول أو أقوال أو أشعار تروى وتنسب لشخص معين، ودوِّنت مجمعة، أو مجزأة، أو ممتزجة بغيرها في كتب لمؤلفين آخرين، أو في مؤلفات تابعة للنص المفقود كالشروح والحواشي وغيرها، يمكن أن يُستعاد أو يُركب من خلالها، **نص مستقل**، يُنسب إلى مؤلفه الأصلي أو إلى قائله الذي رُوي عنه.

وثمة إمكانيات هائلة لاستخراج مؤلفات وأشعار وأقوال ونُقول كاملة من الكتب والمجاميع والموسوعات العربية المكتنزة بتراث قرون طويلة من الزمان الثقافي العربي الإسلامي.

منهج استخراج النصوص بين القديم والحديث:

ليس منهج استخراج النصوص المتصدعة أو المشتتة أو الممتزجة شيئًا جديدًا في التأليف العربي، بل إن له جذورًا عميقة، لعل من أقدمها ما قام به ابن رشد (ـ ٥٩٥هـ) في القرن السادس الهجري، حينما عمد إلى تجريد أقوال وآراء **أرسطو** لكي يقوم بشرحها، وكان قد وجدها ممتزجة بغيرها من الفلسفات، وفي شروح تلاميذ أرسطو[(١)].

وفي العصر الحديث، فعل ذلك المستشرق الألماني رودلف جاير (ـ ١٩٢٩م) Rudolf Geyer عندما استخرج شعر **المسيِّب** بن عَلَسْ، من كتاب **الغريبين** (في القرآن والحديث)[(٢)]، الذي ألفه أبو عبيد الهروي (ـ ٤٠١هـ)[(٣)].

(١) عبد الكريم اليافي. مكانة ابن رشد، ص٢.

(٢) محمود محمد الطناحي. مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي... القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م، ص٢٧٧.

(٣) كشف الظنون، ٢/١٢٠٩.

ويلاحظ أن هذا المنهج قد نضج وتطور في التأليف العربي المعاصر، ومن النماذج القيمة في هذا المجال:

نموذج (١):

- فقه الإمام الأوزاعي (ـ ١٥٧هـ): أول تدوين لفقه الإمام، تجميع وصياغة عبد الله محمد الجبوري[١].

فقد استخرج الجبوري ما تشتت من آراء الأوزاعي الفقهية في كتب **التفسير والحديث والفقه والتاريخ**، بعد فقدان مؤلفاته وما دوَّنه تلاميذه عنه، وصاغ ما استخرجه في نص جديد يجمع آراءه واجتهاداته.

نموذج (٢):

- فقه عمر بن الخطاب (ـ ٢٣هـ)، (استخراج وتجميع) رويعي بن راجح الرحيلي[٢].

ولم تذكر لعمر بن الخطاب مؤلفات مفقودة ـ كما كان للأوزاعي ـ بل كان له فكر وعمل واجتهاد وأقوال، انتثرت في مؤلفات كثيرة عبر ١٤ قرنًا، وقام الرويعي باستخراج هذه الآراء والمواقف، وتجميعها في كتاب ينتظم فقه عمر بن الخطاب، مما تفرق من قبل في نصوص ومؤلفات شتى.

وإذا كان من الممكن أن نسمي ما حدث مع فقه الأوزاعي، **توليف ما سبق تأليفه**، فإن ما حدث مع فقه عمر بن الخطاب، هو **تأليف ما لم يؤلف**.

وقد استخرجت بهذه الطريقة نصوص متعددة كانت في حكم المفقودة. ويمكن أن نعتبر ذلك العمل بداية عصر تدوين وتوثيق جديد

---

(١) بغداد، وزارة الأوقاف، ١٩٧٧م، مج٢.

(٢) بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م، مج٣.

للثقافة العربية، يعيد إلى رصيد الفكر ما تبدد أو اختلط روايةً أو اقتباسًا أو اختلاسًا، وسوف يتيح ذلك استرجاع أعمال كثيرة بصورة كاملة أو جزئية، وإعادة تركيبها، سواء بصورتها وترتيبها الأصلي، أو بشكل تقريبي، أو في قالب يصمم لكي يلائمها، وثمة آفاق لتطوير هذا المنهج، من خلال ما يلي:

١ ـ تطور مناهج الببليوجرافيا النقدية Critical bibliography، وهي تشمل نقد النصوص[١] Textual criticism لتمييز النصوص واستخراجها بأسلوب منهجي.

٢ ـ تطور مناهج تحليل النصوص على أسس لغوية واجتماعية ـ معرفية، تتيح تمييز النصوص تبعًا لخصائص كاتبها، ومصطلح عصرها، والأطر المعرفية والاجتماعية التي حددت نشأتها.

٣ ـ تطور استخدام الحاسبات الإلكترونية، سواء في مجال تخزين النصوص أو تحليلها، مما يتيح التعرف على خصائصها اللغوية والبنائية.

٤ ـ تكشيف الموسوعات والمجاميع والكتب العربية القديمة للسيطرة على موضوعاتها واستكشاف مجاهلها وفك اشتباكها.

٥ ـ تطور الدراسة الببليوجرافية التكوينية للمؤلفات وتوضيح علاقاتها التأليفية سواء في إطار التأليف **النصِّي** أو التأليف

---

(١) الببليوجرافيا النقدية (critical Bibliography) كما يعرفها جريج (W.Greg)، هي علم يهتم بالانتقال المادي للنصوص الأدبية، والبحث في تحدر وانتقال النصوص من عصر إلى عصر (Textual tradition)... ويرى جريج أن الببليوجرافيا النقدية، تمثل في الغالب ما يقصد بمصطلح نقد النصوص Textual criticism. انظر:

Blum, Rudolf. Bibliographia: an inquiry into its definition and designations/ transl. from the German by Mathilde. V. Rovelstad, Chicago, ALA., 1980, p.176.

الاستشهادي[1].

ولم يلحق الشتات بأعمال القدماء فحسب، بل إن كثيرًا من أعمال أدبائنا ومفكرينا المحدثين والمعاصرين، انتشرت في كتب ودوريات وتسجيلات صوتية ومرئية، ولا زالت مجموعاتهم ودواوينهم ينقصها الكثير من إنتاجهم. وسوف يؤدي منهج الاستخراج والتجميع دورًا مهمًّا في استكمال وتوثيق أعمالهم.

وقد استخدم هذا المنهج في تجميع شعر رفاعة الطهطاوي من الكتب والدوريات في العمل التالي:

- ديوان رفاعة الطهطاوي، جمع ودراسة طه وادي[2].

وحدث مثل ذلك عندما جمع الحوفي ووثق بعض قصائد أحمد شوقي من مصادر ودوريات مختلفة، في طبعة جديدة تجاوزت تسمية «**الشوقيات**» وأصبح ممكنًا أن تسمى: «**ديوان شوقي**»[3].

وفي هذا الإطار، استخرج محمد الدري (ـ ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م) السيرة الذاتية لعلي مبارك، التي كانت ضمن كتابه «الخطط التوفيقية». ونشرت مفردة في نحو ستين صفحة[4].

---

(١) التأليف الاستشهادي هو الذي يتم بالاستعانة بمصادر متعددة ولا يرتبط فيه النص الجديد بنص محدد سابق عليه كما يحدث في التأليف النصي المحوري الذي تدور حوله هذه الدراسة، ولا ينفي ذلك استخدام التأليف النصي لعدة مصادر أخرى.

(٢) ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤م.

(٣) أحمد شوقي، ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب: أحمد الحوفي، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٨٠م، مج٢.

(٤) انظر: أ ـ شوقي ضيف، الترجمة الشخصية، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٦م، ص١٠٥.

ب ـ محمد الدري، تاريخ حياة علي باشا مبارك، القاهرة، ١٣١٨هـ.

الفرق بين استخراج النص وتحقيق النص

يختلف الجهد العلمي في استخراج النص، عن فن آخر من فنون التأليف الذي يدور حول النص، وهو تحقيق النص؛ فالتحقيق يقصد به إعادة إظهار النص الأصلي لأثر أدبي معين، بالاستعانة بمخطوط أو مخطوطات أصلية موجودة بالفعل للنص[١]، حيث يبدأ محقق النص من مرحلة تسمى مرحلة التحقيق الابتدائي recension، وهي «تشمل جمع النسخ المخطوطة المختلفة للكتاب، ومعرفة تاريخها ومقابلتها بعضها ببعض، وذكر كل الاختلافات بينها، واختيار الأقرب منها للصواب»[٢].

فالمحقق هنا لا ينقِّب عن شتات النص في مؤلفات متعددة كما يحدث عند استخراج النص، وإنما يحاول أن يُكوِّن ما يسمَّى «**بشجرة العائلة**» a family tree التي تضم كل النسخ الموجودة من مخطوطات كتاب معين، من أجل الوصول إلى الأصول الأولية، والاقتراب بقدر الإمكان من النموذج الأصلي للكتاب archytype[٣]، وإذا ما تعددت واختلفت النصوص، فإنه يحاول أن يجد نصًا حاسمًا a critical text يعتمد عليه[٤].

وقد يحتاج المحقق editor أحيانًا إلى التلفيق والمزج لتوليف

---

(١) مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٩م، ص١٥٥ (فن تحقيق النصوص).

(٢) المرجع السابق، ص٥٢ (التحقيق الابتدائي).

(٣) - Bowers, Fredson. ((Established texts and definitive editions. in (Bowers, F. Essays in bibliography, text, and editing, Charlottesville (U.S.A.), TheUniv.Press of Verginia, 1975, p.360.

(٤) - Gaskell, Philip. From writer to reader: studies in editorial method, Oxford, The Clarendon Pr., 1978, p. 1.

نسخة للكتاب من بين النسخ المخطوطة المختلفة للكتاب، وإن كان برجستراسر يعترض على ذلك ويصر على اختيار إبرازة واحدة للكتاب عند نشره[١].

ويبقى الدور الذي يقوم به المحقق بعد ذلك، وهو القراءة والتصويب والتكملة «والتعليق على النص المحقق»[٢]، كما يقوم بعض المحققين بدراسات قيمة تمثل مقدمات للنص المحقق، حول المؤلف وعصره وظروف التأليف وطبيعة النص وعلاقاته.

ويحفل تحقيق المخطوطات العربية بتراث منهجي خصب، ويتمثل ذلك في تراث العرب أنفسهم في تحقيق النصوص، وفي مؤلفات لبرجستراسر وعبد السلام هارون وصلاح الدين المنجد وغيرهم[٣]، وفي الجهود الضخمة وراء النصوص المنشورة[٤].

ويتضح من تعريف **التحقيق** editing، الفارق بينه وبين النوع الآخر من التأليف وهو **استخراج النص** كما سبق تعريفه وتحديده.

---

(١) برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب: محاضرات المستشرق الألماني برجستراسر بكلية الآداب سنة (١٩٣١ ـ ١٩٣٢م)، إعداد وتقديم محمد حمدي البكري، القاهرة، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، ١٩٦٩م، ص٢٧.

(٢) مجدي وهبة وكامل المهندس، المرجع السابق، ص٥٢.

(٣) انظر: أ ـ برجستراسر، المرجع السابق.

ب ـ عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧م.

ج ـ صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، ط٥، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦م.

(٤) انظر: عبد السلام هارون، التراث العربي، بيروت، المركز العربي للثقافة والعلوم، د.ت، ص٥٧ ـ ٨٥.

الفصل العاشر

نمذجة النص واحتواؤه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التوليد من النص.

المبحث الثاني: احتواء النص: الحاويات.

المبحث الثالث: نَمْذَجَةُ النص: (محاكاة النموذج).

الفصل العاشر

نمذجة النص واحتواؤه

هذا النوع من التأليف تغلب عليه خاصية الاستخدام، سواء لمحتوى النص، أو للنموذج الذي يمثله، وذلك باحتذائه في التأليف.

ويُعد هذا النوع من الاستخدام منتجًا لنصوص لها ارتباط بالنص الأصلي، وإن كان النوع الأخير وهو **تشغيل النموذج**، أقل هذه الأنواع ارتباطًا بالنص، ولكن الببليوجرافي قد يهتم بمعرفة أسرة النموذج في التأليف سعيًا وراء آفاق أوسع من الخدمات الببليوجرافية.

فمن المهم في الخدمة الببليوجرافية، أن نوصل للقارئ معلومات حول مجموعات كاملة من المؤلفات العربية التي نمذجت نصًّا معينًا واحتذته، وكان للنموذج أثر كبير في طبيعة التأليف وعرض المعلومات ونمط الاستخدام في كثير من مجالات التأليف، وخاصة في مجال المعاجم اللغوية والتراجم... كما سيتضح في ما يلي:

المبحث الأول

التوليد من النص

يعني: قيام المؤلف بتأليف كتاب، يستمده ويستولده من كتاب سابق له، وهي علاقة تطورية بين **أعمال المؤلف نفسه**.

فنحن نجد أحيانًا بين أعمال المؤلف ما يمكن تسميته بـ«**الكتاب الأساس**»، وهذا الكتاب إما أن يكون قد استأثر بأفضل جهود المؤلف وخلاصة منهجه واجتهاده، أو يمثل منعطفًا حاسمًا في حياته الفكرية، أو يمثل صفوة أعماله وذروة إبداعه، أو واحدًا من مؤلفاته المبكرة، يحتوي على ركيزة أفكاره البذرية التي تنمو معه في مراحل تأليفه التالية، وتتوالد في مؤلفات جديدة له.

وغالبًا ما تكون الكتب التي يتم توليدها، نوعًا من المؤلفات الأكثر تعمقًا وتحديدًا في تناول موضوع معين، ولا يعني ذلك أن تكون أصغر أو أكبر حجمًا.

وتُكوّن مجموعة الكتب **المولَّدة** من الكتاب الأساس ما يمكن أن نسميه بـ«**الكتب الشقيقة**».

*** ومن أمثلة المؤلفات التي ولَّد منها مؤلفوها كتبًا أخرى. ما يلي:**

١ ـ «تاريخ الإسلام»، للذهبي (ـ ٧٤٦هـ):

وهو أضخم مؤلفاته التاريخية، وعمدتها وأساسها، وقد ولَّد الذهبي منه بعض مؤلفاته مثل:

أ ـ «العِبَر في خَبر من غَبر».

ب ـ «الإشارة إلى وفيات الأعيان والمنتقى من تاريخ الإسلام»[1].

٢ ـ «المقدمة»، لابن خلدون (ـ ٨٠٨هـ):

ربما تكون المفاهيم المضمرة في كتاب العبر لابن خلدون، عن الدولة والسياسة، هي التي حددت **إشكاليات ومفاهيم المقدمة**[2]، وإذا صح ذلك يمكن أن نعتبر المقدمة توليدًا من كتاب العبر، خاصة إذا عرفنا أن المقدمة تم تأليفها بعد كتاب «العبر» أو في مراحله الأخيرة[3].

٣ ـ «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، للمقريزي (ـ ٨٤٥هـ):

يلاحظ محمد مصطفى زيادة أن المقريزي جعل «المواعظ والاعتبار» أساسًا تفرعت عليه مؤلفاته التاريخية في مختلف مراحل التاريخ المصري في العصور الوسطى. واهتم بأن يشرح في كل منها ما أجمله، **وتلك المؤلفات هي**:

- «البيان والإعراب فيمن دخل مصر من الأعراب».
- «عِقد جواهر الأسفاط في أخبار مدينة الفسطاط».
- «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميِّين الخلفا».
- «السلوك لمعرفة دول الملوك».

كما استلهمه واستوحاه المقريزي في تأليف كتاب في التاريخ القديم عنوانه:

- «الخبر عن البشر»[4].

---

(١) بشار عواد معروف، الذهبي، ص١٥، ١٥٦، ١٥٧.

(٢) انظر: عزيز العظمة، ابن خلدون وتاريخيته، ترجمة: عبد الكريم ناصف، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١م، ص١٥.

(٣) انظر: ص١٨٧.

(٤) محمد مصطفى زيادة. «تاريخ حياة المقريزي». في (دراسات عن المقريزي: مجموعة دراسات. . . القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م، ص١٩).

٤ ـ «إتحاف المهرة بأطراف العشرة»[١]، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ):

وقد أفرد منه العسقلاني المؤلفات الجزئية التالية:

أ ـ «أطراف الصحيحين».

ب ـ «إطراف المُسنِد المعتلي بأطراف المُسنَد الحنبلي»[٢].

٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ):

أفرد منه المؤلف كتابًا جديدًا في التراجم سمَّاه: «الزهر النضر في حال الخضر»[٣].

٦ ـ «دراسات في العالم العربي»، جمال حمدان[٤]:

يشير جمال حمدان إلى أن كتابه الموسوعي بعنوان، شخصية مصر (٤ج)، له جذور أو بذور في الكتاب السابق له وهو: دراسات في العالم العربي[٥].

وفي الأمثلة السابقة، نجد أنفسنا بإزاء عدة أشكال لتوليد مؤلفات جديدة يقوم بها المؤلف من أحد كتبه، وذلك بإفراد جزء منه، أو استلهام أو تطوير فكرته على مر الزمان، أو متابعة وتعميق موضوعه، أو شرح بعض موضوعاته.

---

(١) كتب الأطراف هي نوع من كشافات كتب الحديث. والمقصود بالعشرة هو عشر كتب في الحديث.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٧، ١١٦، ١١٧.

(٣) شاكر محمود عبد المنعم. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة، بغداد، دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٨م، ١/ ٨٠٠ ـ ٨٠١.

(٤) القاهرة، ١٩٥٨م.

(٥) جمال حمدان، شخصية مصر، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٤م، (المقدمة)، ١/ ١٨ (٤ مج).

المبحث الثاني

احتواء النص (الحاوِيَات)

لا يخلو كثير من المؤلفات من اقتباس أو نقل من نصوص أخرى. وثمة نوع من المؤلفات العربية يتضمن في بنيته نصًّا كاملًا أو شبه كامل لمؤلف آخر، بصورته الأصلية أو بعد تلخيصه، وقد يتضمن عدة نصوص مجتمعة، وأُسمي هذا النوع من الكتب التي تقوم على احتواء النصوص بـ «**الحاويات**»[1].

وفي مبحث سابق، عولج نوع آخر من التأليف النصِّي هو **البناء على النص**، وهو يعني: التوظيف العمودي والمركزي «للنص الأساس»؛ كنقطة بداية، يرتفع فوقها بناء جديد ويتوسع في نفس الاتجاه العلمي (لغوي معجمي مثلًا. . .)، وعلاقة البناء هذه علاقة تطورية تنموية واعية، تنطوي في الغالب على جهد أصيل في التأليف، ويُعد اختيار مؤلف ما، لنص سابق يبني عليه كتابًا جديدًا، لحظة تجاوزية لإبداع وجهد المؤلف الأصلي، يعلن فيها المؤلف الجديد مقدرته ـ وربما تحديه ـ للتفوق أو الإضافة أو التطور.

---

(١) يطلق على هذا النوع من المؤلفات: الكتاب المجموع (Omnibus volume) وهو يشتمل على أعمال مختلفة لمؤلف واحد أو لعدة مؤلفين في موضوعات متقاربة.
انظر:
Magdi Wahba, op. cit., p.366 - 367.

كما سبقت معالجة **إدماج النصوص**، ويعني: المزج بين أكثر من نص في نص واحد جديد.

أما **الاحتواء**، فهو توظيف **أفقي** لنص معين، أو عدة نصوص يتم ضمُّها في عمل **اختزاني** داخل كتاب آخر، وهو لحظة مكررة منتزعة من إبداع المؤلف الأصلي وجهده، وقد يأخذ الاحتواء صورة أو أخرى مما يلي:

١ ـ النقل الكامل لنص معين بصورته الأصلية. وقد يُضم النصُّ إلى جانب نصوص أخرى، يستقل كل منها عن الآخر، في ما يشبه عربات قطارٍ متصلةٍ اصطناعًا.

٢ ـ النقل شبه الكامل لنص معين بصورته الأصلية.

٣ ـ نقل جزء من نص معين بصورته الأصلية.

والمهم في هذه الحالات الثلاث، أن النصوص المنقولة لم يتم تذويبها في المؤلفات الجامعة التي تشملها، ويمكن في عصور تالية أن تُستخرج هذه النصوص، التي تعتبر «من الأصول القديمة المنقولة في أثناء أصول أخرى»[(١)]، وهي الحاويات.

ويتدرج احتواء النصوص حتى يصل إلى درجات أقل من ذلك، لا تدخل في باب الاحتواء، وإنما تدخل في باب **الاقتباس والاستعارة الجزئية** من نصوص أخرى عن طريق الاستشهاد، وتختفي حينئذ العلاقة النصية بين كتاب وآخر، وتبدأ علاقة أخرى في التأليف الاستشهادي متعدد المصادر، ويبدأ ذلك من الصور التالية:

٤ ـ نقل فقرات منتقاة ومتفرقة من نص معين.

---

(١) انظر: عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها... ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧م، ص٣٠.

٥ ـ ضبط مسائل معينة (لغوية أو تاريخية أو فقهية. . . إلخ) بالاستعانة بنص معين.

٦ ـ المقارنة والموازنة بين مقتبسات من نصوص متعددة في إطار الدراسة والتحليل.

ولعل من الممكن حصر بعض أسباب **احتواء النصوص** في ما يلي:

١ ـ ندرة الكتاب في عصر المخطوط، فكان نقله كاملًا أو مختصرًا نوعًا من الإشارة إلى النص الأصلي[١].

٢ ـ الملكية المشاع للعلم، في حدود تقاليد معينة، ففي علم كالحديث مثلًا، «كان من الممكن أن يستفيد من يشاء من أية مادة مكتوبة أو شفهية في التأليف أو التدريس بشرط واحد، وهو أن يحصل على تلك المواد بواحدة من طرق تحمُّل العلم المعروفة عند المحدِّثين»[٢]، وما يخالف ذلك يعتبر ضعيفًا غير موثق.

وقد تأثر المؤلفون في علوم كثيرة كالأدب والتاريخ والتراجم وغيرها، بمنهج المحدثين في نقل المواد الشفهية والكتابية»[٣]، فابن قتيبة (ـ ٢٧٦هـ) مثلًا، يعتمد اعتمادًا كبيرًا في مواضع كاملة من كتابه «عيون الأخبار» على كتابي «الحيوان» و«البيان والتبيين» للجاحظ، وكان الجاحظ قد أجاز ابن قتيبة برواية بعض كتبه[٤].

٣ ـ تَدَخُّلُ ظروفٍ تاريخية معينة كالغزوات المدمِّرة على العالم الإسلامي، وقد أدى ذلك إلى اهتمام بعض المؤلفين بتلخيص نصوص بأكملها وتوثيقها في مجاميعهم وموسوعاتهم. . . إلخ.

٤ ـ اعتماد بعض المؤلفين على أن النص الذي ينقلون عنه معروف

---

(١) روزنتال، ف، مناهج العلماء المسلمين، ص١٠٢.

(٢) محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث، ص٣٧٩، ٣٨٣.

(٣) المرجع السابق.

(٤) عبد السلام هارون، المرجع السابق، ص٦٠.

في وسطهم العلمي أو متداول بين تلاميذهم، ولعل كثيرًا منهم لم يتحسَّب لمظنة السرقة عند تضمينه نصًّا سابقًا في كتاب دراسي تعليمي مثلًا... وربما كان البعض يكتب في محيط ضيق خاص، لشخص أو أشخاص معدودين، ولا يتصور أن يخضع تجميعه لمحاكمة أو مقايسة ببليوجرافية بعد مئات السنين، مما يدعونا إلى إيثار التأني في إصدار الأحكام عند تقييم مظاهر احتواء النصوص.

٥ ـ إحساس بعض المؤلفين عند النقل من كتاب معين، أنه أيضًا تجميع سابق من مؤلفات أسبق، مما يعني فقدان خصوصية النص ونسبية علاقته بالمؤلف، وخاصة إذا كان مترجَمًا من لغة أخرى، ولعل ذلك من أسباب ما يلاحظه عبد الرحمٰن بدوي ـ بوجه عام ـ على المؤلفين العرب الذين نقلوا عن حنين ابن إسحاق في كتابه «آداب الفلاسفة»، ولم يذكروا أنهم نقلوا عنه[1].

٦ ـ عدم التزام بعض المؤلفين بأدبيات التأليف، ولا يمكن أن تخلو ١٤ قرنًا من التأليف العربي، من غافل أو مستهين بأصول التأليف وتقاليده.

نسبة تأليف الحاويات إلى المؤلفين

١ ـ لا يعني احتواء كتاب معين على نصوص سابقة بأكملها أو بصورة جزئية، فقدانه للقيمة العلمية أو الأصالة، فقد يكون الكتاب «الحاوي» (المجموع) في مجمله قيمًا ينتسب إلى مؤلف متمكن، رأى لسبب من الأسباب استضافة نص معين داخل كتابه، مضيفًا إلى جواره جهده وإبداعه، ولكنه لا يفكك النص المتضمَّن أو يمزجه بتأليفه، وقد

(١) عبد الرحمٰن بدوي (محقق)، مقدمته في (آداب الفلاسفة، لحنين ابن إسحاق... ص٢٧).

يكون جهد الصانع في حالة أخرى منحصرًا في الضم والاحتواء والتجميع، ولا يُحسب له فضل في التأليف، وقد يُحمد له جهده في التجميع.

٢ ـ وكان احتواء النصوص مصحوبًا في بعض الأحيان بالإشارة إلى المؤلف الأصلي لها، **وقد يتبع في ذلك ما يلي:**

أ ـ الإشارة الكاملة المحددة إلى المصدر، وذلك عن طريق الإشارة إلى اسم المؤلف الأصلي، أو إلى عنوان الكتاب الأصلي، وكان البعض يشير إلى انتهاء النص المنقول بكامله بقوله: «انتهى بنصِّه»[١].

ب ـ الإشارات القليلة إلى المؤلف أو عنوان الكتاب الأصلي، والتي لا تتناسب مع حجم المادة المنقولة منه، كما فعل التبريزي (ـ ٥٢٠هـ) في نقله معظم شرحه للحماسة عن شرح المرزوقي (ـ ٤٢١هـ)، حيث تُظهر الموازنة بينهما أنه كان كَلًّا (معتمدًا) على المرزوقي، وكذلك اعتمد التبريزي اعتمادًا كبيرًا في شرحه للقصائد العشر، على ابن الأنباري (ـ ٣٢٨هـ) في شرحه للمعلقات[٢].

٣ ـ وفي بعض الأحيان كانت تُغفل الإشارة إلى الأصل ومؤلفه، وكان ذلك الإغفال يحدث إما عفوًا أو عمدًا، وكان النقل في هذه الأحوال يحدث حرفيًّا أو بتصرف[٣].

وبصرف النظر عن هذه الاعتبارات، فقد احتفظت لنا الحاويات بكنوز من النصوص أمكن ويمكن استخلاص كثير منها بحالته الأولى تقريبًا.

أما النصوص التي فقدت نسبتها إلى مؤلفيها بالاحتواء، فإننا

---

(١) عبد السلام هارون. المرجع السابق، ص٣١.

(٢) المرجع السابق، ص٦١.

(٣) المرجع السابق، ص٣٠ ـ ٣١.

لو خُيرنا بين فقدانها تمامًا، لضياع الأصل، وبين وصولها بهذه الصورة لفضلنا الاختيار الأخير، فالتراث الإنساني في النهاية هو رصيد إجمالي لوجدان الإنسان وعقله، تتحد عناصره في تركيب جدلي متجدد.

مصطلحات الاقتباس والاحتواء

نظرًا لتعدد صور الأخذ من نصوص أخرى في التأليف العربي، فقد اختلفت الأوصاف التي تطلق عليها تبعًا لدرجة الأخذ ومدى التزامه أو تجاوزه لتقاليد العلم والتأليف والنقل عن الآخرين، وقد استخدمتُ لذلك كلمات معينة لوصف علاقات المؤلفين بنصوص سابقيهم، وجادت اللغة العربية ـ كعهدها ـ بالكثير من الكلمات التي تتدرج في معناها للدلالة على:

١ ـ **الاقتباس** والأخذ المشروع من النصوص مع الإشارة المناسبة إلى المصدر.

٢ ـ **الأخذ البريء** الذي لا يثير شبهة السطو وخاصة لمن له إجازة بالرواية عن أستاذه.

٣ ـ **الإغارة** على نصوص الآخرين وضمها وتلفيقها وإغفال مصدرها.

وفي ما يلي بعض هذه الكلمات[1]، في حدود ما جادت به عينة الكتب:

ملحوظة (١): الكلمات بين قوسين استخدمت أحيانًا في عناوين بعض الكتب في كشف الظنون وغيره.

(١) إن حصر هذه المفردات يهدف إلى توثيق وحصر مصطلحات ببليوجرافية تكوينية تفيد في التعرف على نسب ودرجات متعددة في علاقات التأليف، سواء التأليف النصي أو الاستشهادي، ولعلها تثري الخلفية العربية للقياسات والمقايسات الببليوجرافية بين النصوص. (المؤلف)

ملحوظة (٢): الكلمات الدالة أحيانًا على الأخذ المشروع ميزت بعلامة (*).

الكلمات المستخدمة لوصف الاقتباس أو الأخذ	مصدرها اللغوي
جمع(*)، (جامع)(*)، (جوامع)(*)[١]	جمع
(خزانة)(*)[٢]	خزن
اختلس	خلس
سرق، (سرقات)	سرق
أدرج(*)	درج
سطا	سطو
استقى(*)	سقى
سلخ(*)، ـ سلخات(*)[٣]	سلخ
استشهد(*)	شهد
اعتمد(*)	عمد

---

(١) انظر المؤلفات بعنوان جامع وجوامع في: (كشف الظنون ١/ ٥٦٧)، وانظر: جامع المتون، لحاجي خليفة (ـ ١٠٦٧هـ)، ويتضمن ٣٠ متنًا في عدة فنون. (كشف الظنون ١/ ٥٧٢).

(٢) أ ـ ترتبط تسمية «**خزانة**» أحيانًا بالتجميع والاحتواء، مثل خزانة الأكمل في الفروع، لأبي يعقوب الجرجاني (بدأه ٥٢٢هـ) في ٦ مج، وهو محيط بِجُل (معظم) مصنفات المذهب الحنفي (كشف الظنون ١/ ٧٠٢).

ب. توجد علاقة بين الأصل العربي «مخازن» وكلمة Magazine بمعنى مخازن وبمعنى مجلة.

انظر:

The American heritage dictionary of English Language... (Magazine).

(٣) تستخدم كلمة **سلخ** للإشارة إلى النقل والانتقاء من نص لاحق، بغير إدانة أو اتهام في بعض الأحيان، إذا أشار المؤلف إلى مصدره الأصلي، فقد «**سلخ**» ابن حجر العسقلاني كتاب المعجم المختص بمحدثي العصر، للذهبي ونقل عنه في معظم التراجم. . . انظر: (بشار عواد معروف، الذهبي، ص١٨٦).

مصدرها اللغوي	الكلمات المستخدمة لوصف الاقتباس أو الأخذ
غور	أغار..........
قبس	اقتبس(*)..........
قطف	اقتطف(*)..........
قمش	قمش/ تقميش[1]..........
كلل	كَلٌّ على فلان (معتمد عليه)..........
نحل	انتحل..........
نزع	انتزع..........
نسخ	استنسخ..........
نقل	نقل(*)، (نقُول)(*)[2]..........
ودع	أودع..........
وكأ	الاتكاء (الاعتماد على نص معين)..........

نماذج لاحتواء النصوص

أولًا: النقل الكامل أو شبه الكامل للنص:

كانت النصوص المنقولة في هيئة **رسائل صغيرة** في بعض الأحيان، أو **مؤلفات كبيرة** نسبيًا في أحيان أخرى. ومن أمثلة الحاويات لنصوص أخرى:

نموذج (١):

- «خزانة الأدب»، للبغدادي (ـ ١٠٩٣هـ).

يحتوي على كثير من صغار الكتب النادرة[3].

---

(١) **التقميش**؛ تعني: الجمع من ههنا وههنا، ومنه قماش البيت وهو متاعه، والقماش: الفتات. (ابن منظور، لسان العرب.. قمش).

(٢) انظر العنوانين: «النقول المشرقة»، للسيوطي، و«النقول المشرقة» للسبكي (كشف الظنون ٢/ ١٩٧٦م).

(٣) أ ـ يطلق عبد السلام هارون على هذه المؤلفات اسم: الأصول المضمنة. =

نموذج (٢):

- «شرح نهج البلاغة»، لابن أبي الحديد (ـ ٦٥٥هـ)[(١)].

استخرج منه عبد السلام هارون نسخة كاملة من كتاب: «وقعة صفين»، لنصر بن مزاحم المنقري (ـ ٢١٢هـ)[(٢)]، لا ينقصها إلا نحو عشرين صفحة من نحو ٣٥٠ صفحة[(٣)].

(نموذج ٣):

- «فوات الوفيات»، لابن شاكر الكتبي (ـ ٧٦٤هـ).

- «عقود الجمان»، للزركشي (ـ ٧٩٤هـ).

ويرى إحسان عباس أنهما صورتان متشابهتان أو متقاربتان لكتاب «الوافي بالوفيات»، للصفدي (ـ ٧٦٤هـ)، مع اختلافات قليلة، وأنهما مؤلَّفان بالاتكاء على كتاب الصفدي[(٤)].

نموذج (٤):

- «المقدمة»، لابن خلدون (ـ ٨٠٨هـ).

- يشير سيد حنفي إلى «أن ابن خلدون لجأ إلى كتاب بعنوان: «المقتطف من أزاهر الطرف»، لابن سعيد الغرناطي (ـ ٦٧٣هـ)[(٥)] ووضعه

= انظر: عبد السلام هارون، المرجع السابق، ص٣٠.
ب ـ ورد العنوان هكذا «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب»، للبغدادي (في الباباني، إيضاح المكنون ١/ ٢٤٩).

(١) المنسوب للإمام علي. انظر: كشف الظنون، ٢/ ١٩٩١م.

(٢) شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي، ١٣٦٥هـ.

(٣) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص٣٠.

(٤) إحسان عباس، «مقدمته» في (فوات الوفيات والذيل عليها، لابن شاكر الكتبي، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٣م ـ مج١، ص٥، ٨).

(٥) أ ـ الباباني، إيضاح المكنون، ٢/ ٥٤٠.
ب ـ مخطوطة في مكتبة الإسكوريال.

حرفيًّا في الفصل الأخير من المقدمة، في الباب الخاص بالموشحات والأزجال، دون أن يذكر مؤلفها أو مصدرها»[1].

نموذج (٥):

ـ «إرشاد الساري» (شرح صحيح البخاري)، للقسطلاني (ـ ٩٢٣هـ).

ـ وقد قال في مقدمته: إن «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، لابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)، مندرج في شرحه[2].

نموذج (٦):

ـ «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»، لابن أبي أصيبعة (ـ ٦٦٨هـ). لجأ المؤلف إلى رسالة بعنوان «رسالة حنين بن إسحاق إلى علي بن يحيى في ذكر ما تُرجِم من كتب جالينوس بعلمه وما لم يُترجَم[3]، لحنين بن إسحاق (ـ ٢٦٠هـ)، واستنسخ منها كل ما قاله حنين عن كتب جالينوس (ـ حوالي ٢٠١م) المترجمة إلى العربية والسريانية[4].

ثانيًا: النقل الجزئي (السلخ من النص):

ويشمل ذلك نقل جزء من نص معين، ومن الأمثلة التي حدث فيها ذلك:

نموذج (١):

«الفهرست»، للنديم (ـ ٤٣٨هـ).

فقد اقتبس من كتاب حنين بن إسحاق (ـ ٢٦٠هـ) السابق ذكره، أسماء كتب

---

(١) «المقتطف من أزاهر الطرف، اقتطفها ابن خلدون»، الأنباء الكويتية (الكويت)، ٢١/٣/١٩٨٣م، ص١.

(٢) كشف الظنون، ١/٥٥٢.

(٣) رسالة حنين نشرها برجستراسر عام ١٩٢٥م. انظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: السيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، ص١٠٨.

(٤) برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب... ص٤٢.

جالينوس (ـ حوالي ٢٠١م) المترجمة إلى **العربية فقط**، وأسماء مترجميها[١].

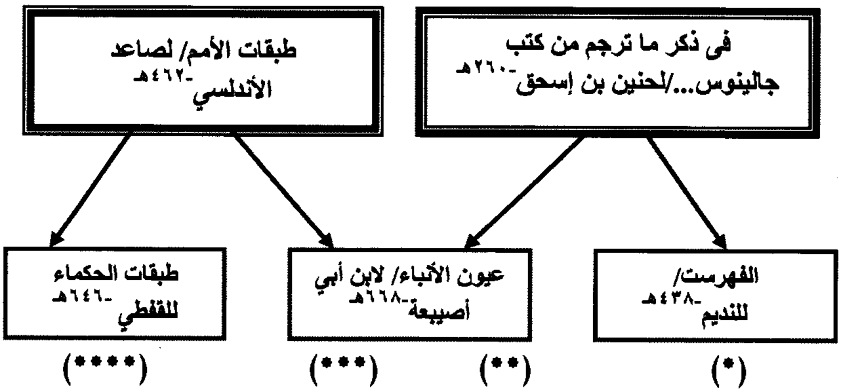
نموذج (٢):

طبقات الحكماء وأصحاب النجوم والأطباء، للقفطي (ـ ٦٤٦هـ)[٢].

ويذهب «بلاشير» إلى أن القفطي نقل ربع كتابه عن كتاب، «طبقات الأمم»، لصاعد الأندلسي (ـ ٤٦٢هـ)[٣]، ولكنه لم يذكره سوى ثلاث مرات[٤].

ببليوجرام احتواء

(نموذج حنين وصاعد)



(*) اقتبس الترجمات العربية فقط لمؤلفات جالينوس في الطب.
(**) اقتبس الترجمات العربية والسريانية لمؤلفات جالينوس في الطب.
(***) ذكر المصدر في معظم الأحيان.
(****) نقل ربع الكتاب من صاعد.

شكل (٨٣)

---

(١) برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب... ص٤٢.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٠٩٧.

(٣) كشف الظنون، ٢/ ١٠٩٦.

(٤) Blachère, R. ((Une source de I' histoire des sciences chez les Arabes, les Tabakat al - Umam de Said al - Andalusi)), in (Hesperis, vol.8, 1928, pp. 357 - 361).
نقلًا عن حياة بو علوان (محققة): «مقدمتها» في (طبقات الأمم، لصاعد الأندلسي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥م، ص٣٠).

ثالثًا: نقل الكتب بعد تلخيصها:

وهو نوع من التصرف في النص الأصلي، من أجل استخدامه في تأليف كتاب جديد، وكان الذهبي يجري تلخيصًا لكتب كثيرة من أجل إدخالها في كتبه، وقد فعل ذلك بكتاب: «أُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة»، لابن الأثير (ـ ٦٣٠هـ)، ثم زاد عليه من عدة مصادر وألف كتابه الجديد: «تجريد أسماء الصحابة»[(١)].

كما اشتملت بعض الذيول على ملخص كامل للنص المذيَّل عليه، يتبعه التذييل الجديد.

التنقيب عن النصوص المتضمَّنَة

كانت حالات النقل والاحتواء مجالًا للبحث والاستقصاء عند العلماء العرب، وكان بعضهم للبعض بالمرصاد، يرجعون الأقوال والنصوص إلى مصادرها الأصلية.

فابن الأثير (ـ ٦٠٦هـ) مثلًا يقول في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر»: اختصر ابن الجوزي (ـ ٥٩٧هـ) في كتابه «غريب الحديث»، من كتاب «**الهروي**» (ـ ٤٠١هـ) وانتزع أبوابه شيئًا فشيئًا، ولقد قايست ما زاده في كتابه على ما أخذه من الهروي فلم يكن إلا جزءًا يسيرًا[(٢)].

وقد أصبحت هذه الظاهرة مجالًا للدراسات النصِّية في عصرنا، ومن نماذجها: «منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان:

(١) كشف الظنون، ١/ ٨٢.

(٢) أ ـ ابن الأثير (ـ ٦٠٦هـ). النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، (د.م)، المكتبة الإسلامية، د.ت، ١/ ١٠.
ب ـ كشف الظنون، ٢/ ١٢٠٦.

نصوص ودراسة»، تأليف وديعة طه نجم[1].

المقايسة[2] الببليوجرافية

يمكن لنا من كلام ابن الأثير، أن نشتق مصطلح «المقايسة الببليوجرافية»، ونميز في المقايسة بين ثلاثة أنواع، هي:

١ ـ المقايسة النصِّية:

وهي مقارنة نص لاحق بنص سابق، لقياس مدى النقل والاحتواء أو السطو، كما فعل ابن الأثير في المثال السابق.

٢ ـ المقايسة الأدبية:

وهي الدراسة المقارنة بين استخدامات الأدباء للتشبيهات والاستعارات، لتحديد مدى احتواء الصيغ والأفكار وخاصة في الشعر، كما نجد في التنقيب عن السرقات الأدبية، **ومن أمثلة ذلك**:

ـ «الإبانة عن سرقات المتنبي»، للعبيدي (ـ ٤٣٣هـ)[3].

٣ ـ المقايسة المرجعية:

وهي تعني مقارنة مصادر كتاب معين بمصادر كتاب آخر، لمؤلف واحد أو لمؤلفين مختلفين، كما حدث في المقارنة بين مصادر كل من «**المخصص**» و«**المحكم**»، وكلاهما **لابن سيده**[4]، والمقايسة المرجعية

---

(١) الكويت، معهد المخطوطات العربية ١٩٨٥م.

(٢) المقايسة من القياس، واللفظ مستخدم في التأليف القديم، وهناك كتاب عنوانه: المُقايس في النحو، للأخفش الأوسط (ـ ٢٢١هـ)، وذلك للتوضيح اللغوي فحسب. (انظر: كشف الظنون ٢/ ١٧٩٢).

(٣) الباباني، إيضاح المكنون، ١/ ٧.

(٤) رودريجث، داريو كابانيلاس، ابن سيده المرسي: حياته وآثاره، ترجمه عن =

وسيلة لضبط مصادر النصوص ومقارنتها، ومعرفة أسباب التشابه أو الاختلاف أو التفوق بين نص وآخر.

ورغم وجود مصطلح القياس الببليوجرافي Bibliometry والقياسات الببليوجرافية Bibliometrics، فإنني أرى أن **مصطلح المقايسة الببليوجرافية** شيء مختلف عن الإحصاءات الببليوجرافية، و**المقايسة** دراسة تحليلية مقارنة لمحتوى النصوص ومكوناته، وهي أكثر دلالة على المعايرة والمقارنة بين متغيرين أو نصَّين أحدهما بالنسبة للآخر، ومعيار القياس هنا مرتبط بالحالة نفسها؛ أي: بمدى التطابق أو الاختلاف الكمي أو الكيفي بين النصَّين.

أما القياس، فقد يعني: المعايرة الكمية لمتغير أو شيء واحد، بمقارنته بمعيار نمطي محدد من قبل أي تدريج أو مقياس معياري.

ومن الملاحظات المهمة ما يلي:

أ ـ أن إحسان عباس يستخدم لفظ **المقايسة** عند توضيحه لاتكاء «فوات الوفيات»، للكتبي على «الوافي بالوفيات»، للصفدي ونقله عنه بحيث لا يتعداه[(١)].

ب ـ أن هناك دراسة مهمة في هذا المجال لبروكلمان (عام ١٨٩٠م) باللغة الألمانية، عنوانها: «العلاقة بين كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ـ ٦٣٠هـ)، وكتاب «أخبار الرسل والملوك» للطبري (ـ ٣١٠هـ)»[(٢)]. وهي تهمنا في مجال دراسة العلاقة بين النصوص.

= الأسبانية: حسن الوراكلي، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٠م، ص١٤١ ـ ١٤٧.

(١) إحسان عباس، المرجع السابق، ص٥.

(٢) أ ـ رسالة دكتوراه، جامعة ستراسبورغ، ١٨٩٠م (بالألمانية) انظر: صلاح الدين =

المبحث الثالث

نمذجة[1] النص (محاكاة النموذج)

يلعب النمط أو الشكل الدال pattern دور المثال أو النموذج الشكلي الذي يَمثُل في ذهن الفنان أو الأديب، ويحتذيه في الإبداع أو التأليف[2].

ولا تتيسر البداية بالنسبة للمؤلف عندما يشرع في تأليف كتاب، إلا إذا تبلور لديه ـ ولو بالتقريب ـ **نموذج** في التأليف، يستطيع أن يوظفه لكي يحقق الغاية من التأليف ويوصل رسالته إلى القارئ.

والنموذج المقصود هو جزء من **صنعة التأليف**، سواء في طريقة العرض أو التقسيم أو التعريفات أو العلاقة بنصوص سابقة، ولا يقتصر تأثير النصوص السابقة في المؤلفات التالية على توفير مادة علمية أو آراء،

= المنجد. المنتقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية، ط٢، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦م، ١/ ٢٧.

ب ـ ويذكر حاجي خليفة عنوان كتاب الطبري هكذا: «تاريخ الأمم والملوك». (كشف الظنون ١/ ٢٩٧).

(١) يقصد **بالنمذجة**، اتخاذ نموذج أو مثال من المؤلفات السابقة، للتأليف على منواله، وتنصب النمذجة على الصنعة والطريقة والشكل والإطار العام للكتاب المُنَمْذَج، ومصطلح النمذجة مستخدم في بعض المؤلفات العربية كمقابل لمصطلح: Typology انظر:

غولدمان، لوسيان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي. راجع الترجمة: محمد سبيلا، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م، ص١٦٨.

(٢) Magdi Wahba. op. cit., p.939 (pattern).

أو أفكار تعتمد عليها هذه المؤلفات بأي شكل من أشكال الاستشهاد أو الاقتباس أو تشغيل النص أو التأليف المرتبط به كما رأينا من قبل فحسب، بل يحدث التأثير أحيانًا بالمحاكاة، عن طريق اتخاذ نص سابق كنموذج للتأليف على منواله، وهو ما نسميه «**تشغيل النموذج**» في التأليف، أو **نمذجة** النص في طريقة التأليف وصنعته.

وقد يتأثر المؤلف بعدة نماذج مجتمعة، ينتقي ويمزج بين خصائصها وميزاتها وأساليبها وفنونها.

وقد شهد التأليف العربي نماذج أصلية[١] Prototypes ينسج على منوالها المؤلفون؛ إما لأنها كانت تمثل إبداعات نادرة في التأليف، أو لأنها لقيت رواجًا وإعجابًا في الوسط العلمي أو التعليمي، أو بين جماعة مؤثرة في جيل أو أجيال متعاقبة.

ويبدو أن **تأثير النموذج** في التطور الحضاري والتأليفي يبلغ شأنًا يفوق أحيانًا تأثير المحتوى الفكري في المؤلفات، وخاصة عند التأثُّر بحضارة ومؤلفات أجنبية، قد لا يهم محتواها نفسه للحضارة الناقلة، كمعاجم اللغات أو الموسوعات في ثقافات أجنبية، وإنما يهم طريقتها في التأليف والدور الذي تلعبه كنموذج لا يلبث أن يتطور في حضارة تالية، وذلك بالإضافة إلى دور النموذج والمثال المبكر أو المبدع في داخل الحضارة ذاتها، حينما يمتد تأثيره في سلاسل وأجيال تالية من التأليف المتأثر بالنموذج، وإن كان من الممكن أن يتطور في أجيال تالية من حيث الشكل والمحتوى والعمق والتفصيل والدقة.

ويمكن أن تأخذ **النمذجة** الأبعاد التالية:

أولًا: المماثلة، أو **المحاكاة** ، أو التأليف **على مثال**.

ثانيًا: مخالفة النموذج، أو الابتعاد عنه، أو البحث عن نموذج

---

(١) Ibid. p447. (prototype).

بديل في التأليف، ويشمل ذلك **مقابلة النموذج**، أو إيجاد **مقلوبه أو عكسه**.

وفي هذا المجال، نستطيع التوقف عند كلمات استخدمت في التأليف العربي للدلالة على معنى النمذجة أو المحاكاة في التأليف، وهي:

- **المُسايَرة**.
- **الإحذاء** (من أُستاذ لتلميذه).
- **المُحاذاة** (من مؤلف تالٍ لمؤلف سابق).

وسوف ترد هذه الكلمات في سياقها، في أمثلة الأشكال التالية من النمذجة.

*** وفي ما يلي نستعرض أبعاد النمذجة في علاقات التأليف بين كتاب يُتخذ كنموذج أصلي، وبين كتاب يتأثر بهذا النموذج، في إطار ما نسميه «بأسرة النموذج»**[1].

أولاً: مجال المماثَلة أو المحاكاة أو التأليف على مثال

وقد أمكن في هذا المجال حصر الأشكال التالية:

١ ـ مماثلة أسلوب الخطاب أو الشكل الأدبي لنص سابق:

ويشمل ذلك مماثلة نص سابق في طريقة الخطاب أو العرض، سواء بالخطاب المباشر، أو على ألسنة الحيوان، أو السؤال والجواب، أو النَّظْم، أو الرحلات... إلخ.

ومن أمثلة ذلك:

---

(١) وقد سبق إطلاق تسمية «أسرة النص» على المؤلفات التي بنيت على تشغيل النص اختصارًا أو انتقاءً أو تنظيمًا... إلخ.

(مثال ١):

***** **النموذج الأصلي:** «كليلة ودمنة»، ترجمة عبد الله بن المقفع (ـ ١٤٢هـ).

الكتب المماثلة:

أ ـ كتاب «تلعة وعفر»، لسهل بن هارون الدستميساني (ـ ٢٤٤هـ) (ألفه للمأمون وعارض فيه (أي: ألفه على مثال) «كليلة ودمنة»، في أبوابه وأمثاله)[١].

ب ـ كتاب «القائف»، لأبي العلاء المعري (ـ ٤٤٩هـ). (ألفه على مثال «كليلة ودمنة»، في ستين كراسة، ولم يتمه)[٢].

(مثال ٢):

***** **النموذج الأصلي:** «قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر»، تأليف «ديپنج» (Depping)، ترجمة رفاعة الطهطاوي.

الكتاب المماثل:

ـ «تخليص الإبريز في تلخيص باريز»، لرفاعة الطهطاوي (ـ ١٢٩٠هـ).

---

(١) أ ـ كشف الظنون، ٢/١٥٠٨ (حاشية ١).
ب ـ الباباني، هدية العارفين، ١/٤٤١، تحت مادة: (الدستميساني).
ج ـ ويبدو أن سهل بن هارون الذي خدم المأمون في خزانة الحكمة، كان ميالًا إلى هذا اللون من التأليف، باستخدام أسماء وشخصيات الحيوان، فقد نسبت له أيضًا المؤلفات التالية: «أسد بن أسد»، «النمر والثعلب»، وفي المجال نفسه الذي تدور فيه كليلة ودمنة ألّف أيضًا كتابًا بعنوان: «تدبير الملك والسياسة». انظر: (الباباني، المرجع السابق).

(٢) أ ـ وقد ألف المعري لكتابه تفسيرًا أسماه «منار القائف» في عشر كراريس. انظر: (كشف الظنون ٢/١٤٤٨).
ب ـ «والقائف» من «قوف»، وهو الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه عن طريق القيافة. (ابن منظور. لسان العرب. . . «قوف») ويبدو لهذا العنوان علاقة بمماثلة القائف لكليلة ودمنة.

يرجح أن يكون رفاعة الطهطاوي في تأليفه (لتخليص الإبريز. . .) قد استرشد بمثال من كتب الرحلات، قرأه بالفرنسية ثم ترجمه وهو كتاب ديپنج السابق، فثمة تشابه بين هذا الكتاب وبين رحلة رفاعة في كتابه «تخليص الإبريز»، من حيث الشكل الأدبي وهو الرحلة، والطابع الموسوعي للرحلة، وفن تقسيم المادة وتبويبها، كما يتضح من المقارنة بين فهرسي الكتابين[١].

٢ ـ مماثلة الفكرة أو العلاقة المعرفية التي بُني عليها النموذج الأصلي:

هناك علاقات بين الأشياء كالتشابه والتضاد، والمقارنة والتفضيل. والأسبقية الزمنية، والبحث عن أوائل الأشياء، أو تاريخها، ومواقف وحيل ونماذج أدبية وإنسانية للبخيل والذكي والمغرور والنقَّاع (المدَّعي أو الفشَّار). . . إلخ، تصلح كمداخل للمعالجة يمكن أن يطرق الواحد منها عدة مؤلفين، وأن تمثل علاقات في التأليف يمكن نمذجتها.

ومن الممكن أن يأخذ المؤلف فكرة كتاب سابق، وأن ينحو بها في اتجاه آخر يختاره لها. وثمة مثال قريب من ذلك، فقد أشار أحمد حسن الزيات إلى أنه ألف كتابًا بعنوان «عبقرية الإسلام»، على مثال كتاب «**عبقرية المسيحية**»، تأليف شاتوبريان[٢] Chateaubriand.

وقد ينمذج المؤلف نفسُه واحدًا من كتبه ليؤلف بعده عدة كتب

---

(١) (Depping. Apercu historique sur les noers et coutumes des nations).
ومعناه: «لمحة تاريخية عن أخلاق الأمم وعاداتها». وقد ترجمه: رفاعة الطهطاوي بقلائد المفاخر. . . انظر المرجع التالي: أنور لوقا. ربع قرن مع رفاعة الطهطاوي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م، ص٨٩.

(٢) انظر: أحمد حسن الزيات، عبقرية الإسلام، الرسالة (القاهرة)، س١٢، ع٥٥٠، (١٧/١/١٩٤٤م)، ص١ ـ ٢.

شقيقة في أسرة النموذج، متبعًا المنهج الأول نفسه، فالعقاد (ـ ١٩٦٤م) أصدر «**خلاصة اليومية**» (ـ ١٩١٢م)، ثم أصدر بعدها خمسة كتب نهج فيها منهج الخلاصة، وهي[١]:

«**الشذور**»[٢] و«**الفصول**»[٣] و«**مطالعات في الكتب والحياة**»[٤] و«**مراجعات**»[٥] و «**ساعات بين الكتب**»[٦].

وفي مجال التأثر بالفكرة (على الأقل)، يمكن أن تُساق العلاقات التالية بين نصوص داخل نطاق الأدب العربي:

النموذج الأصلي: «المقامات»، لبديع الزمان الهمذاني (ـ ٣٩٨هـ).

الكتب المماثلة:

أ ـ «المقامات»، للحريري (ـ ٥٦٨هـ).

(ألَّف الحريري مقاماته على منوال الهمذاني، وذكر في خطبتها أنه مرشده في طريق التأليف)[٧].

ب ـ «رسالة التوابع والزوابع»، لابن شُهَيْد الأندلسي (ـ ٣٩٣هـ) (وهي رحلة خيالية في عالم الجن والشياطين، وينبه شوقي ضيف إلى وجود مقامة في مقامات الهمذاني (ـ ٣٩٨هـ) يحاور فيها إبليس بعض الشعراء، ويرى أنه ينبغي أن تدور المقارنة بين هذين العملين المتشابهين، لا بين «رسالة الغفران»، للمعري (ـ ٤٤٩هـ)، و«رسالة

---

(١) حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م، ص٤٠٧.

(٢) القاهرة، مطبعة المعاهد الدينية، ١٣٣٣هـ، ص٩٦.

(٣) القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٢٢م، ٢٩٦ص.

(٤) القاهرة، المكتبة التجارية، ١٣٤٣، ٣١٠ص.

(٥) القاهرة، ١٩٢٤م، ٢٧٦ص.

(٦) القاهرة، مطبعة المقتطف، ١٩٢٩م، ٢٦٩ص.

(٧) كشف الظنون، ٢/ ١٧٨٥.

ابن شُهَيْد»[١].

وفي مجال الأدب المقارن، تجدر الإشارة إلى قضية مهمة، وهي قضية «التشابه بين قصة «حي بن يقظان»: لابن طُفَيل (ـ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) وبين الأعمال الأوروبية التالية:

أ ـ كتاب «El Criticon» لجراثيان Gracian.

(نشر بين ١٦٥٠ ـ ١٦٥٣م) والنصف الأول منه يشبه تمامًا حي بن يقظان.

ب ـ قصة روبنسن كروزو Robenson Crusoe لدانييل دي فويه[٢] de Foé (نشرت سنة ١٧١٩م).

ويندرج في هذا المجال فكرة **النظير أو المثيل** Analogue وهو وجود أثر أدبي شبيه بآخر في الفكرة التي يقوم عليها العمل الأدبي؛ كمعالجة كل من طه حسين وتوفيق الحكيم لموضوع شهرزاد معالجة قصصية[٣].

وقد شهدت مصر في أواخر القرن التاسع عشر اهتمامًا بسرِّ تقدم الأمم وتأخرها، فظهر كتاب:

«حاضر المصريين، أو سر تأخرهم»، لمحمد (أفندي) عمر (نشر ١٨٩٩م)[٤].

ويبدو تأثره بكتاب أوروبي أثار دويًّا في العالم العربي، هو:

---

(١) شوقي ضيف، البحث الأدبي... ط٥، ص٤٨.

(٢) أ ـ انظر: عبد الرحمٰن بدوي، موسوعة الفلسفة، ١/ ٧٥ (ابن طفيل).

ب ـ وهناك رسالة لابن سينا (ـ ٤٢٨هـ) بعنوان «حي ابن يقظان»، وهي سابقة على حي ابن يقظان، لابن طفيل. انظر: عبد الرحمٰن بدوي، المرجع السابق، ص٤٣.

(٣) Magdi Wahba. Op. Cit., p. 15 (Analogue).

(٤) القاهرة، ١٨٩٩م.

«سر تقدم الإنجليز السكسونيين»، للكاتب الفرنسي إدمون ديمولان[1]، ترجمة أحمد فتحي زغلول، وهو الكاتب نفسه لمقدمة كتاب محمد عمر (نشر عام ١٨٩٩م)[2].

ويبدو الاهتمام بالفكرة مستمرًّا حتى الربع الأول من القرن العشرين، فقد نُشر كتابان في الموضوع نفسه.

الأول هو: «سر تقدم اليابان»، لأحمد فضلي (نشر عام ١٩١١م)[3].

والثاني هو: «سر تطور الأمم»، لجوستاف لوبون، ترجمه أحمد فتحي زغلول (نشر عام ١٩١٣م)[4].

٣ ـ مماثلة الترتيب أو التنظيم المرجعي:

وتبدو المماثلة في مجال التنظيم والترتيب من أهم عناصر الصنعة التي تنتقل من نموذج أصلي إلى مؤلفات تالية، وفي هذا المجال إما أن يتناول الترتيب داخل الكتاب وحدات معرفية كبيرة تتسلسل في إطار وحدة موضوعية، أو في تتابع منطقي كفصول وأبواب، أو ترتيب مشهور في مجال علم معين كالحديث، حيث يقسم الكتاب «**الجامع في الحديث**» إلى كتب (فصول) كل منها في موضوع معين[5].

---

(١) القاهرة، مطبعة المعارف، ١٨٩٩م، وطبع ثلاث طبعات أخرى آخرها عام ١٩٢٢م.

(٢) انظر: فاروق أبو زيد، عصر التنوير العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨م، ص١٠١.

(٣) القاهرة، ١٩١١م، وله أيضًا النفس اليابانية، مصر، ١٩١٠م.

(٤) القاهرة، ١٩١٣م، وأعيد طبعه مرتين آخرهما عام ١٩٢٢م.

(٥) مثل كتاب الصوم، كتاب الصلاة، كتاب الطب، وهي تقسيمات موضوعية للحديث حسب أبواب الفقه.

ومثال ذلك تبويب «الجامع الصحيح»، للبخاري (ـ ٢٥٦هـ). وهو مقسم إلى أكثر من مئة كتاب[(١)]، وكذلك «الجامع الصحيح»، لمُسْلم (ـ ٢٦١هـ)[(٢)].

وإما أن يتناول الترتيب وحدات معرفية دقيقة، مثل مفردات اللغة أو تراجم الأشخاص... إلخ، ويتم تنظيمها في نسق أو آخر من أنساق الترتيب المرجعي الملائم لشكل أو آخر من الاسترجاع.

ومن هذه الأشكال:

أ ـ الترتيب الزمني:

وقد استخدم هذا الترتيب في كثير من التراجم وكتب التاريخ، حيث ترتب الوحدات والمعلومات ترتيبًا حوليًّا، ويرجع الفضل في ابتكار هذه الطريقة إلى الهيثم بن عدي (ـ ٢٠٦هـ)، في كتابه «تاريخ الأشراف»، وقد «احتذاها» البلاذري (ـ ٢٧٩هـ) في ما بعد[(٣)] في كتابه «أنساب الأشراف»[(٤)].

وقد تتابعت عمليات النمذجة لهذه الطريقة قرونًا عديدة بعد ذلك.

ب ـ الترتيب الهجائي:

ويندرج تحت الترتيب الهجائي أشكال متعددة من ترتيب الحروف، منها: الألفبائي والترتيب الحلقي للحروف بحسب مخارجها من جهاز النطق لدى الإنسان، مثل ترتيب الخليل بن أحمد للحروف العربية، ويتسلسل هكذا (ع ح هـ خ غ ق... إلخ)[(٥)].

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٥٤٤.

(٢) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، مج١، ١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٣) محمود إسماعيل، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، ١/ ٢٦٣.

(٤) أ ـ سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، مج١، ٢/ ٥٩ ـ ١٥٣.
ب ـ كتب منه عشرين مجلدًا ولم يتم (كشف الظنون ١/ ١٧٩).

(٥) انظر: السيوطي، المزهر في اللغة، ١/ ٨٩.

ومن أهم ظواهر النمذجة في التأليف العربي، ما حدث في مجال المعاجم اللغوية، حيث لعبت النماذج المبكرة دورًا تاريخيًّا[١] في خلق أسر كبيرة لكل نموذج، ابتداء من الخليل بن أحمد، وحتى عصرنا الحاضر، وهي شديدة الخصوبة والتعدد، ولعلها من أندر الظواهر في الفكر الإنساني عمومًا، وفي صنعة التأليف المرجعي المعجمي خصوصًا.

ومن أكثر النماذج إثارة للجدل والاهتمام في مجال المعاجم العربية، **معجم «العين»**، للخليل بن أحمد (ـ ١٧٥هـ)، ولا يدخل الخلاف الذي وقع بين اللغويين حوله في نطاق هذه الدراسة[٢]، وإنما تهتم به كنموذج في تأليف المعاجم. فإذا كان هناك خلاف حول نسبة المحتوى اللغوي إلى الخليل بن أحمد، فإن نسبة الترتيب والمنهج إليه **أكثر ثبوتًا**، ويذكر النديم أن الليث بن نضر بن سيار، صحب الخليل فترة يسيرة، وأن الخليل عمل له العين، وأحذاه، وعاجلت المنية الخليل، فتممه الليث[٣].

ففكرة الإحذاء والاحتذاء السابقة، هي فكرة **نموذج** لا محتوى فكري، تساق بحثًا عن تحديد للعلاقة بين العين، والخليل بن أحمد.

وهناك قول آخر بأن «كتاب العين» هو أصلٌ في معناه، وهو الذي **نهج طريقة** تأليف اللغة على الحروف[٤].

وتبدو عبقرية النموذج في استمرار تأثيره، ومن مشاهير معاجم اللغة

---

(١) انظر: بواكير هذه النماذج في المعاجم العربية، في: سعد محمد الهجرسي. المراجع العامة، ص١٧ ـ ١٨.

(٢) انظر: تفاصيل هذه القضية في المرجع التالي: حسين نصار، المعجم العربي، القاهرة، مكتبة مصر، د.ت. ١/ ٢٢٧.

(٣) النديم، الفهرست، ص٤٢ ـ ٤٣.

(٤) السيوطي، المزهر في اللغة (١/ ٨٩). (وأصلٌ في معناه؛ تعني: أنه «النموذج الأصلي المبتكر»). (المؤلف)

التي نسجت على منوال العين، «**البارع**»، للقالي (ـ ٣٥٦هـ)، و«**التهذيب**»، للأزهري (ـ ٣٧٠هـ)، و«**المحيط**»، لابن عباد (ـ ٣٨٥هـ)، و«**المحكم والمحيط الأعظم**»، لابن سيده (ـ ٤٥٨هـ)، والرابطة المشتركة التي تجمعها هي ترتيبها لحروف الهجاء بحسب مخارجها مع اختلاف جزئي في ترتيب البارع[١].

وتمخض الأمر في مجال المعاجم اللغوية عن مدارس تضم كل منها عدة معاجم[٢]، كان **النموذج** عنصرًا مشتركًا في كل منها، مع اختلافات واجتهادات واسعة في كل منها.

ج ـ الترتيب المصنف:

ومن أشهر نماذجه قواميس المعاني، التي تصنف مفردات اللغة بحسب المعاني.

ومن أمثلة التدرج الزمني بين مؤلفات هذا النوع، والتي قد تعني وجود نمذجة بين السابق واللاحق، ما يلي:

النموذج الأصلي: «المصنَّف»، لابن سلام (ـ ٢٢٣هـ).

(في ألف باب، وهو أول معجم عربي كبير رتب على الموضوعات).

الكتاب المماثل: «المُخَصَّص»، لابن سيده (ـ ٤٥٨هـ). (وهو يشبه المصنف تمامًا)[٣].

---

(١) حسين نصار، المعجم العربي، ١/ ٣٩٣.

(٢) انظر أمثلة لهذه المدارس في المرجع التالي: حسين نصار، المعجم العربي، ص٢١٧ ـ ٣٩٦.

(٣) أ ـ شوقي ضيف، البحث الأدبي، ط٥، ص٢١٩.
ب ـ انظر: مقارنة الهجرسي للمخصص، بمعجم «روجيه» المصنف بعنوان: «Thesaurus» في الإنجليزية (ق١٩م) والفارق الزمني بينهما حوالي ألف سنة: (سعد محمد الهجرسي، المراجع العامة، ص٢٦ ـ ٢٧. ويزداد الفارق الزمني عند مقارنة معجم روجيه «بالمصنف» لابن سلام (ـ ٢٢٣هـ)، فيصل إلى أكثر من (١٢) قرنًا.

٤ ـ مماثلة إطار التغطية لنص سابق:

ويتم ذلك سواء بمعالجة موضوع النص السابق نفسه أو جزء منه، بنفس المنهج أو بمنهج مختلف، أو بتكميله والتذييل عليه. سواء بتغطية فترات تالية له، أو بتغطية راجعة تشمل فترات سابقة عليه، أو بالتذييل الموازي في مجال معلوماتي أو أدبي ليس له أبعاد زمنية محددة كمختارات الأدب وغيرها، وقد تشمل المماثَلة الإطار الجغرافي نفسه أو تمديده أو تصغيره أو مماثلة الإطار الزمني للتغطية.

وقد لوحظ أن بعض المؤلفات نظرًا لموسوعيته وأهميته يخلق مجالًا يتحرك فيه كثير من المؤلفات التالية.

ومثال ذلك: كتاب «تاريخ الإسلام»، للذهبي، فقد تناول كثير من المؤرخين في ما بعد، بعض نطاقه أو معظمه، مثل الصفدي، وابن شاكر، والكتبي، والسبكي، والإسنوي، وابن كثير، وابن رجب... إلخ[١]، وفي ما يلي نموذج للمماثلة في الإطار الموضوعي لنص سابق:

(مثال ١):

* **النموذج الأصلي:** «الرسالة القدسية بأدلتها البرهانية»، للغزالي (ـ ٥٠٥هـ).

الكتاب المماثل: «المُسايَرة في العقائد المُنْجِيَة في الآخرة»، لابن الهمام (ـ ٨٦١هـ)، فقد شرع ابن الهمام أولًا في اختصار الرسالة القدسية وهي في علم الكلام، ولم يزل يزيد عليها حتى خرج التأليف عن القصد وصار تأليفًا مستقلًّا، غير أنه ساير الغزالي في تراجمه، وزاد عليها مقدمة وخاتمة[٢].

(١) بشار عواد معروف، الذهبي، ص١٥.

(٢) كشف الظنون، ١/ ٨٨١ ـ ٨٨٢، ٢/ ١٦٦٦.

ويلاحظ هنا إطلاق لفظ «المسايرة»[1]، وهو قريب في دلالته من النمذجة والمماثلة.

(مثال ٢):

* **النموذج الأصلي:** «سراج الملوك»، للطُّرطُوشي (ـ ٥٢٠هـ).

الكتاب المماثل (رقم أ): «المقدمة»، لابن خلدون (ـ ٨٠٨هـ).

فيلاحظ أن المقدمة مشابهة في موضوعاتها وأبوابها للسراج، ولكن ابن خلدون يذكر أن الطُّرطُوشي لم يتعمق في طرح الموضوعات، بل إنه طرح الموضوع ثم اهتم بالنقل التقليدي لأقوال أشبه بالمواعظ[2].

الكتاب المماثل (رقم ب): «تحفة الفقير إلى صاحب السرير»، للإيجي (فرغ منه ٨٠٠هـ)، ويشبه كُلًّا من كتاب الطرطوشي وكتاب ابن خلدون، ويلاحظ أن كتاب الإيجي به فصل حول مبادئ التاريخ ونقد الخبر التاريخي يشبه محتوى المقدمة[3].

---

(١) أ ـ المسايرة مفاعلة من السير، وهو أن يسير الاثنان متحاذيين، أطلقه ابن الهمام مجازًا على محاذاة كتابه لكتاب الغزالي في تراجمه وإن خالف بعضها. انظر: (كشف الظنون ٢/١٦٦٦ حاشية ٢).
ب ـ وثمة لفظ آخر في هذا المجال، وهو من المحاذاة، فقد أشار ابن سينا إلى أنه في كتبه المنطقية، يحاذي نص أرسطو. (عبد الرحمٰن بدوي، موسوعة الفلسفة، ١/ ٤٤ (ابن سينا).

(٢) أ ـ عزيز العظمة. ابن خلدون وتاريخيته، ص٢٠٨.
ب ـ كشف الظنون (٢/ ٩٨٤). (سراج الملوك) وأبوابه أربعة وستون بابًا.

(٣) أ ـ يذكر عزيز العظمة عنوان مخطوط هو: تحفة الفقير إلى صاحب السرير، تأليف: محمد بن إبراهيم الإيجي (فرغ منه سنة ٨٠٠، كما يذكر البابانى في هدية العارفين ٢/١٧٦)، ويرى العظمة أن ابن خلدون لم يكن الباحث الوحيد الذي سعى للقيام بمراجعة عامة لمادة التاريخ، فقد أدخل الإيجي في كتابه السابق فصلًا حول مبادئ التاريخ ونقد الخبر التاريخي قسمه إلى اثني عشر قسمًا تشبه محتوى المقدمة لابن خلدون. (عزيز العظمة، المرجع السابق ص٢١٦). =

ولكن من المهم هنا توضيح الفرق الواسع بين «**النموذج**» و«**المماثل**»، فقد يكون ابن خلدون متأثرًا بنموذج أو هيكل سابق في تخطيطه لموضوعه، ولكن منهج ابن خلدون في المعالجة جعل المضمون شيئًا مختلفًا في عمقه وبذريته ومنهجيته عن النموذج السابق عليه.

وربما تُظهر المقارنة بنصوص أخرى مزيدًا من العلاقات أخذًا وعطاءً بين مقدمة ابن خلدون وغيرها.

ولا يفوتنا الحديث عن النصوص التي ظهرت متأثرة في الموضوع والمنهج والرأي بمقدمة ابن خلدون، والتي سبق ذكرها في ببليوجرام مقدمة ابن خلدون في هذا الكتاب(١).

تسلسل النموذج

هناك سلاسل من المؤلفات المتتالية، يبدو بينها خط أساسي مشترك يتمثل في نموذج معين من التأليف، سواء كانت النمذجة في إطار التغطية، أو الشكل الأدبي، أو التنظيم المرجعي، أو غير ذلك.

ولا يصح القول بأن الارتقاء ضرورة حتمية في سلسلة النمذجة، فهناك من الناحية النظرية ثلاثة احتمالات عند التأليف على مثال سابق، هي:

١ ـ أَنْ يزيد التأليف الجديد على القديم ويتجاوزه إبداعًا وإتقانًا.

٢ ـ أَنْ يساويه.

= ب ـ ويلاحظ أن الإيجي كان معاصرًا لابن خلدون، ومن الصعب القول بأن هناك نمذجة بين المقدمة والتحفة أو العكس، ولكن الأمر متروك للمزيد من الدراسة. (المؤلف)

(١) انظر: ببليوجرام «المقدمة»، ص١٨٩.

٣ ـ أَنْ ينقص عنه.

كما لا يعني ذكر سلسلة من المؤلفات كأمثلة للنمذجة، القفز إلى الحكم بأن هناك نمذجة محددة بين نصَّين لاحق وسابق، ولكن الفكرة والأمثلة مطروحة للدراسة، على أساس تصور افتراضي بوجود النموذج، وفي إطار التتابع الزمني.

وسوف يرد في ما يلي سلاسل من النمذجة في التأليف، بدأ كل منها بنص مبكر، وتتالت بعده مؤلفات تبدو نوعًا من **التفارع على النموذج** وليس على النص ذاته.

ويبدو التسلسل ارتقائيًّا أحيانًا في بعض هذه السلاسل، حيث يزدهر التأليف ويكتسب مزيدًا من الإتقان في حلقات تالية من السلسلة، كما يبدو الأمر مختلفًا في بعض الحلقات، حيث يبدو النموذج الأصلي أحيانًا محتفظًا بإبداعه وتفوقه وتميزه كنموذج وفكرة وصنعة في التأليف.

وبشكل عام، فإن هذه السلاسل مطروحة لدراسة العلاقة التطورية بينها، من زاوية المنهج والطريقة في التأليف، ويكفينا منها الآن إظهار المسار المتصل لتتابع النموذج في كل مجموعة منها.

ويمكن بشكل إجمالي ذكر بعض هذه السلاسل، في ما يلي:

١ ـ سلسلة كتب الجوامع والسنن (في الحديث النبوي):

ومنها كتابان بعنوان الجامع: للبخاري (ـ ٢٥٦هـ)، ومسلم (ـ ٢٦١هـ)، وأربعة سنن: لابن ماجه (ـ ٢٧٣هـ)، وأبي داود (ـ ٢٧٥هـ)، والترمذي (ـ ٢٨٧هـ)، والنسائي (ـ ٣٠٣هـ) (وتتكون منها الكتب الستة)[١].

٢ ـ سلسلة المسانيد: وهناك كثير من الكتب بعنوان (المُسَند)، وقد ذكر حاجي خليفة ٦٤ كتابًا بهذا العنوان، من أشهرها:

---

(١) مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العرب، ص٤٥.

(مسند أبي حنيفة (ـ ١٥٠هـ)، ومسند الشافعي (ـ ٢٠٤هـ)، ومسند ابن حنبل (ـ ٢٤١هـ)، ومسند البخاري (ـ ٢٥٦هـ))[1].

٣ ـ سلسلة كتب الأطراف: لتكشيف الحديث النبوي.

٤ ـ مجموعة «المسلسلات» في الحديث النبوي[2].

٥ ـ سلسلة تراجم القرون، من القرن السابع وحتى الرابع عشر الهجري[3].

٦ ـ سلسلة الببليوجرافيات، من ببليوجرافية حنين بن إسحاق (ـ ٢٦٠هـ) لترجمات كتب جالينوس، ثم ابن النديم، والطوسي، وطاش كبري زاده، وحاجي خليفة وذيولهو وبروكلمان، وسزكين، ورمضان شَشَن... وغيرها.

٧ ـ سلسلة برامج الشيوخ: ويسمَّى الواحد منها: برنامج، وفهرست، ومعجم، وثَبَت، ومشيخة...

٨ ـ سلسلة كتب الطبقات (للمحدِّثين).

٩ ـ سلسلة كتب الطبقات (للشعراء).

١٠ ـ سلسلة كتب الأمالي.

١١ ـ سلسلة الموسوعات العربية: قبل وأثناء العصر المملوكي[4].

١٢ ـ سلسلة الرحلات العربية القديمة.

١٣ ـ سلسلة كتب الحماسة والاختيارات الشعرية.

١٤ ـ سلسلة كتب المعاني (في الشعر والمُقطَّعات الأدبية).

١٥ ـ سلسلة التواريخ المحلية.

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٦٧٨ ـ ١٦٨٥.
(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٦٧٧ وقد ذكر منها تسعة عناوين.
(٣) انظر: ص٣٦٢.
(٤) مصطفى الشكعة، مرجع سابق، ص٧٢٩ ـ ٧٦٠.

١٦ ـ سلسلة كتب الخِطَط.

١٧ ـ سلسلة الدراسات الفِقْلَغِيَّة (في فقه اللغة)[١].

١٨ ـ سلسلة كتب المسالك والممالك[٢].

١٩ ـ سلسلة كتب التراجم، وتراجم القرون من القرن ٧ ـ ١٤ الهجري. (وقد وردت في الجزء الخاص بالذيول).

٢٠ ـ سلسلة المقامات[٣].

٢١ ـ سلسلة كتب تصنيف العلوم[٤].

---

(١) سيأتي تفصيلها في (مثال ٥).

(٢) وهي في جغرافية أقاليم الأرض، ذكر منها حاجي خليفة بنفس العنوان تقريبًا: **المسالك والممالك** «بدءًا من ترجمة ابن خُرْدَاذْبُهْ (ـ ح٢٨٠هـ) للمقدمة الجغرافية لبطليموس (ـ ح١٥٠م)، عشر مؤلفات عربية، وأضاف البابانى ذكر ثلاثة عناوين عربية أخرى، إلى جانب مؤلَّفين بالفارسية ذكرهما حاجي خليفة، انظر:
(كشف الظنون ٢/ ١٦٦٤ ـ ١٦٦٥)، (البابانى، إيضاح المكنون ٢/ ٤٧٣).
وانظر: بروكلمان، المرجع السابق، ٤/ ٢٣٤.

(٣) انظر كشف الظنون، ٢/ ١٧٨٤ ـ ١٧٩٢.

(٤) أ ـ يشير سزكين إلى أقدم النماذج التي لم تصلنا، متتبعًا مسار هذا النوع من المؤلفات التي تحمل المحاولات المبكرة لتصنيف العلوم حتى أوائل المخطوطات التي وصلتنا، ويذكر مؤلفات لواصل بن عطاء (ـ ١٣١هـ)، ويعقوب الكندي (ـ ٣٥٥هـ)، وأبي زيد البلخي (ـ ٣٢٢هـ)، والفارابي (ـ ٣٣٩هـ)، والخوارزمي (ـ ٣٨٧هـ)، وإخوان الصفاء (ق٤هـ)، وابن الكوفي (ـ ٣٤٨هـ) والنديم (ـ ٤٣٨هـ)، وابن فريعون تلميذ البلخي (ق٤هـ)، وربما تثري دراسة هذه النماذج المبكرة تاريخ التصنيف عند العرب. انظر: سزكين، المرجع السابق، مج١، ٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٧.
ب ـ نضيف إلى ذلك التطور الهائل للتصنيف على يد طاش كبري زاده (ـ ٩٦٢هـ) في: مفتاح السعادة ومصباح السيادة (في موضوعات العلوم)، الذي ذكر فيه مئة وخمسين فنًّا (موضوعًا) مع التشجير والتفريع في مستويات =

٢٢ ـ سلسلة كتب فلسفة التاريخ والسياسة، (وقد وردت في هذا المبحث تحت: مماثلة إطار التغطية لنص سابق، «حول السراج»، للطرطوشي، و«المقدمة» لابن خلدون، «وتحفة الفقير» للإيجي).

وفي ما يلي تفصيل لخمس من هذه السلاسل:

(مثال ١): سلسلة كتب الحماسة والاختيارات الشعرية:

النموذج الأصلي: «الحماسة»، اختيار أبي تمام (ـ ٢٣١هـ).

ـ اختار فيه من أشعار العرب ورتبه على عشرة أبواب: (الحماسة، المراثي، وغيرهما...[١])، وسُمِّي بالحماسة نسبة لأول باب فيه.

ـ وذاع نموذج الحماسة في مجال المختارات الأدبية، في كتب كثيرة تالية.

ـ وحتى عنوان «**الحماسة**» استمرت مماثلته في عناوين هذه الكتب، في وقت لم تعد موضوعات المختارات تشبه حماسة أبي تمام شبهًا يذكر، ولم يعد الباب الأول أو أحد الأبواب التالية يشمل موضوع الحماسة كما حدث في النموذج الأصلي وهو حماسة أبي تمام[٢].

الكتب المماثلة: وقد حصر سزكين من كتب الحماسة التي جاءت بعد كتاب أبي تمام، فكانت اثني عشر كتابًا[٣].

= للتصنيف. (كشف الظنون ٢/ ١٧٦٢). ونلاحظ تطور هذه الأعمال من التصنيف الفلسفي للعلوم إلى التصنيف الببليوجرافي وخصوصًا عند ابن فريعون والنديم وطاش كبري زاده.

(١) أ ـ كشف الظنون، ١/ ٦٩١.

ب ـ مصطفى الشكعة، مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص٤٦٧ ـ ٥٣٣.

(٢) سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، مج٢، ١/ ١٠٦ ـ ١٢٠.

(٣) المرجع السابق.

(مثال ٢): سلسلة كتب المعاني:

(وتشمل مجموعات من الأبيات والمقطعات الأدبية، مرتبة وفق مفاهيم ومعانٍ وموضوعات محددة).

النموذج الأصلي: (وربما كان أقدم تأليف في هذا النوع).

كتاب «معاني الشعر»، للضَّبي (ـ ١٧٠هـ).

الكتب المماثلة:

ـ حصر سزكين ثلاثة وثلاثين كتابًا في المعاني، منها كتب تتدرج بين الكبير والصغير.

ـ وتحمل هذه الكتب كلمة (المعاني) كعنصر مشترك في كل عناوينها[١].

(مثال ٣): سلسلة كتب التواريخ المحلية:

عرف التأليف العربي جهودًا متواصلة لكتابة تواريخ المدن والأمصار، وتبدو علاقة المماثلة والنمذجة واضحة أحيانًا في سلسلة طويلة من المؤلفات تغطي أنحاء العالم الإسلامي المترامية[٢]، **ومن أهم أمثلتها ما يلي:**

ـ «تاريخ بغداد»، لابن طيفور (ـ ٢٤٠هـ)[٣].

ـ «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي (ـ ٤٦٣هـ).

ونلاحظ أن التأريخ للمدن والأقاليم يعود إلى وقت مبكر في القرن الثالث الهجري مثل: ابن طيفور، في «تاريخ بغداد»، والواسطي في «تاريخ واسط»، وابن الفرضي (ـ ٤٠٣هـ) في «تاريخ علماء الأندلس»،

---

(١) انظر: سزكين، المرجع السابق، ص٩١ ـ ٩٦.

(٢) انظر: التاريخ المحلي وتاريخ المدن في سزكين، المرجع السابق، مج١، ٢/ ١٩٣ ـ ٢٥٣.

(٣) المرجع السابق، مج١، ٢/٢١٦.

ورغم ذلك يُروى أن تاريخ الخطيب كان نموذجًا لتأليف: «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس»، للحُميدي (ـ ٤٨٨هـ)، الذي قابل البغدادي (ـ ٤٦٣هـ) في بغداد وروى عنه، وهناك طُلِب منه أن يؤلف عن تراجم أهل الأندلس[١].

ولكن هناك إشارة إلى أن الحُميدي (ـ ٤٨٨هـ) ليس البادئ بالتأليف في هذا الكتاب بل إنه اختصر فيه كتاب: «المقتبس في تاريخ علماء الأندلس»، لابن حماد الأندلسي[٢]، **ويمكن أن نلاحظ ما يلي**:

أ ـ أن كتاب الحُميدي في تراجم ولاة الاندلس، أما المقتبس فهو في تراجم علماء الأندلس.

ب ـ إذا صحَّ أن الحُميدي اختصر كتابه من المقتبس، فإن النموذج الذي تأثر به الحُميدي يكون أندلسيًّا وليس بغداديًّا، وهذا ما أُرجِّحه، وان كان ذلك لا ينفي إمكانية تعدد مصادر النمذجة.

كما كان كتاب البغدادي نموذجًا لتأليف: «تاريخ دمشق»، لابن عساكر (ـ ٥٧١هـ)، وقد ذكر فيه تراجم الأعيان والرواة ومروياتهم على نسق «تاريخ بغداد» للخطيب، لكنه يبلغ ثمانين مجلدًا[٣].

ويبدو أن هذه النماذج في التاريخ المحلي، قد حفزت المقريزي (ـ ٨٤٥هـ) إلى تأليف كتاب يتعلق بمصر، بعنوان: «**المُقفَّى في تراجم أهل مصر والواردين عليها**»[٤].

---

(١) انظر: الحميدي (ـ ٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، مقدمة المحقق ص (و)، ومقدمة المؤلف، ص١.

(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٧٩٢.

(٣) كشف الظنون، ١/ ٢٤٩.

(٤) أ ـ وقد ضمنه تراجم أهل مصر: ملوكها وأمرائها وعلمائها والواردين عليها من سائر الأقطار، ورتبه على حروف المعجم. وتوجد منه أجزاء متفرقة في =

وربما أنجز المقريزي منه أكثر من خمسة عشر مجلدًا، وكان يتمنى أن يجعله أيضًا في ثمانين مجلدًا، كما يُرجَّح من رواية السخاوي[1].

كما يُنسب للسيوطي (ـ ٩١١هـ) كتاب بعنوان «المضبوط في تاريخ أسيوط»[2]، وهو يبدو إسهامًا في هذه السلسلة من النماذج.

ويصور الجدول التالي عينة محدودة من كتب التواريخ المحلية «مدن وعواصم وأقاليم»، ولم أذكر بعضها هنا لأنه ورد من قبل؛ لأن كثيرًا من هذه الكتب موسوعي في تغطيته للتراجم والتاريخ المحلي والخطط وغيرها.

ويلاحظ من هذه العينة سعة الامتداد زمنيًّا (ق٣ ـ ق١١هـ) وجغرافيًّا من بلدان من آسيا وأفريقيا وأوروبا (الأندلس):

= بعض المكتبات، ففي ليدن يوجد مجلد من مسودة المقريزي، في (٨٠٠) ورقة تقريبًا، وعليه سماعات وقراءات على المقريزي وإجازات بخطه بصحة السماع، وفي السليمية يوجد الجزء الأول من أول الكتاب (٤٩٦ ورقة) وبعض من الجزء الثاني (٤٤٩ ٦ ورقة)، انظر: معهد المخطوطات العربية (القاهرة). فهرس المخطوطات المصورة: الجزء الثاني: التاريخ: ٧ القسم الثاني، إعداد: لطفي عبد البديع، ص٢٥٩، والقسم الثالث، إعداد فؤاد سيد، ص٢٨٩.

ب ـ وكتب العنوان خطأ كما يلي (المقتفي) ضمن مؤلفات المقريزي في: البابانى. هدية العارفين (١٩/ ١٢٧).

(١) في قائمته المفصلة بكتب التواريخ المحلية لكثير من البلدان، يشير السخاوي إلى كتاب حافل للمقريزي في تاريخ مصر، في خمسة عشر مجلدًا فأكثر، وهو يروي عن المقريزي قوله: إنه لو توجه له (أي: تفرغ له) لجاء في ثمانين مجلدًا... ولم يذكر السخاوي عنوان هذا الكتاب صراحة. انظر: السخاوي (ـ ٩٠٢هـ). الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق: فرانتز روزنتال، ١٥/ ٢٧٨.

(٢) جزء للسيوطي ذكره في فهرست مؤلفاته في التاريخ. انظر: (كشف الظنون ٢/ ١٧١٢).

م	العنوان/ المؤلف
١	تاريخ بغداد، لابن طيفور (ـ ٢٤٠هـ)
٢	تاريخ واسط، للواسطي (ـ ٢٩٢هـ) (الباباني ١/ ٢١٨)
٣	تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي (ـ ٤٠٣هـ) (وذيوله السبعة)
٤	تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (ـ ٤٦٣هـ) (وذيوله الثلاثة)
٥	جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحُميدي (ـ ٤٨٨هـ)
٦	المفيد في أخبار زَبيد، لجياش بن نجاح (من ملوك اليمن) (ـ ٤٩٨هـ) (كشف الظنون ٢/ ١٧٧٧)
٧	تاريخ دمشق الكبير، لابن عساكر (ـ ٥٧١هـ)
٨	بُغية الملتمس في رجال أهل الأندلس، للضّبي الورقي (ـ ٥٧٧هـ) (الباباني ١/ ١٩١)
٩	المفيد في أخبار صَعيد، للإدريسي (ـ ٦٤٩هـ) (كشف الظنون ٢/ ١٧٧٧)
١٠	بُغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم (ـ ٦٦٠هـ) (١٠مج)
١١	اختصره مؤلفه في كتاب: (زبدة الحَلَبْ في تاريخ حلب)
١٢	وعليه ذيل: (الدر المنتخب في تاريخ حلب، لابن خطيب الناصرية (ـ ٨٤٣هـ) * وكان الدر مصدرًا (مأخذًا) أخذ منه ابن الحنبلي (ـ ٩٧١هـ) في كتابه:
١٣	(الزبد والضَّرَبْ في تاريخ حلب)
١٤	وعلى البغية أيضًا ذيل: (كنوز الذهب في تاريخ حلب، لسبط العجمي (ـ ٨٨٤هـ))
١٥	وذيل: (دَرُّ الحبب في تاريخ أعيان حلب (في المئة التاسعة)، لابن الحنبلي (ـ ٩٧١هـ))
١٦	الإحاطة في تاريخ غرناطة، لابن الخطيب القزويني (ـ ٧٧٦هـ) (كشف الظنون ١/ ١٥)
١٧	المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي (ـ ٨٤٥هـ)
١٨	المقفى في تراجم أهل مصر والواردين عليها، للمقريزي (ـ ٨٤٥هـ)
١٩	حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للسيوطي (ـ ٩١١هـ) (لخص فيه ٢٨ كتابًا عن مصر) (كشف الظنون ١/ ٦٦٧)
٢٠	المضبوط في تاريخ أسيوط، للسيوطي (ـ ٩١١هـ)
٢١	تاريخ نيسابور، للنيسابوري (كتب ٩٠٠هـ) (الباباني ١/ ٢١٨)
٢٢	تاريخ صنعاء اليمن، لأحمد الرازي (كتب ٩٦٢هـ) (الباباني ١/ ٢١٦)

وهناك مدن وأقاليم كثيرة تناولتها كتب التاريخ المحلي، وأود أن أُجمل ما توصلتُ إليه منها في مَسْردٍ هجائي لتوضيح مدى الانتشار الجغرافي لهذه التواريخ، التي كتبت منذ القرن الثالث الهجري وتواصلت حتى القرن الحادي عشر الهجري[1]. **ويلاحظ ما يلي:**

١ ـ أن المؤرخين تناولوا تاريخ مدن صغيرة أحيانًا مثل أسوان، وأقاليم واسعة أحيانًا أخرى مثل الأندلس كلها.

٢ ـ أن بعض المدن والأقاليم حظيت بعدة مؤلفات متتابعة يكمل بعضها بعضًا في تواصل زمني، مثل حلب، والأندلس، وغيرهما.

٣ ـ ذُكرت بعض الأماكن باختلاف في نطقها مثل أصبهان وأصفهان.

ويشمل هذا المسرد ما يلي:

آذربيجان ـ أبيورد (أبيوردونسا) ـ أدرنة ـ أرَّان ـ أربل ـ استراباد ـ إسكندرية ـ أسوان ـ أصبهان (وكذلك أصفهان) ـ أسيوط ـ إفريقية (تونس) ـ الأنبار ـ الأندلس ـ بجاية ـ بُخارى ـ البصرة ـ بَطَلْيوس ـ بغداد ـ بَلْخ ـ بلَنسية (في الأندلس) ـ بَيْهَق ـ تكريت (في العراق) ـ تلمسان ـ تيمور ـ جرجان ـ الجزاير ـ حلب ـ دمشق ـ الرقة ـ الري ـ زَبيد ـ الصعيد ـ سامرّا ـ سبتة ـ صنعاء ـ صنهاجة ـ طبرستان ـ طرن ـ غَرْناطة (في الأندلس) ـ فاس ـ قزوين ـ قنسرين ـ القيروان ـ الكوفة ـ لمتونة ـ المدينة ـ مراغة ـ مرسية ـ مرو ـ مصر ـ ميافارقين ـ نَسَا ـ نَيْسابور ـ واسط.

(مثال ٤): سلسلة كتب الخِطَط[2] (لمدينة القاهرة):

ثمة مسلسل آخر من كتب الخطط وكلها تشمل خِطط مصر، ويذكر حاجي خليفة أن أول من أَلَّف فيها:

---

(١) انظر: كشف الظنون، ١/ ٢٧٧ ـ ٣٠٦، البابانى، مرجع سابق، سزكين، مرجع سابق.

(٢) **الخِطَّة** بمعنى: مَحلة أو بلد (كشف الظنون ١/ ٧١٥). والخِطة كذلك هي المكان المحدد بالخط والمخصص للعمارة والسكان، والجمع: خِطَط.

١ ـ الكِنْدي المصري (ـ ٣٥٥هـ) في كتابه «خطط مصر».

٢ ـ ثم ابن زولاق (ـ ٣٨٧هـ) في كتابه «خطط مصر».

٣ ـ ثم القضاعي (ـ ٤٥٤هـ) في «المختار في ذكر الخطط والآثار». (وصف القاهرة قبل خرابها في الشدة المستنصرية من ٤٥٧ ـ ٤٦٤هـ).

٤ ـ ثم تلميذه ابن بركات النحوي (ـ ٥٢٠هـ) في «خطط مصر».

٥ ـ ثم الجَوَّاني (ـ ٥٨٨هـ) في «النُّقط لعَجْم ما أُشْكِلَ من الخطط».

٦ ـ ثم ابن عبد الظاهر بن نشوان (ـ ٦٩١هـ) في «الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة».

٧ ـ ثم ابن المتوج الزبيري (ـ ٧٣٠هـ) في «إيقاظ المُتغفِّل واتعاظ المتأمل»، وهو في أخبار مصر وخططها إلى سنة (٧٢٥هـ)، وقد اندثرت بعده معظم هذه الخطط(١).

٨ ـ ثم المقريزي (ـ ٨٤٥هـ) في «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»(٢).

٩ ـ ثم علي مبارك باشا (ـ ١٣١١هـ/ ١٨٩٢م): «الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة» (١٨٨٧م ـ ٤مج).

وتبدو المؤلفات في الخِطط مقصورة على «القاهرة» عبر القرون، ولكن هناك كتابًا في خطط بغداد، لأبي سهل يزدجرد بن مهبذار الكسروي (ـ ق٤هـ)، تكلم عن الخطط وعدد السكان والحمامات والأموال والأقوات اللازمة لكل يوم.

---

(١) وورد العنوان ـ أيضًا ـ كما يلي: إيقاظ المتغفِّل واتّعاظ المتوسِّل، كما سُمِي: إيقاظ المتأمل. انظر: كشف الظنون، ١/٨، ١/ ٢١٤.

(٢) أ ـ كشف الظنون، ١/ ٧١٥ ـ ٧١٦، ١/ ٢١٤.

ب ـ والباباني، هدية العارفين (٢/ ٤٦) تحت اسم: (الكندي)، ٢/ ٨٤ تحت اسم (السعيد، أبو البركات النحوي).

(مثال ٥): سلسلة الدراسات الفَقْلَغِيّة[١]:

وهناك نموذج لمجموعة من ثلاثة مؤلفات ظهرت ما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين، يرى محققها محمد عبد الجواد أنها تمثل: «النشوء والارتقاء في تأليف وابتكار العلوم اللغوية»[٢]، وهي:

١ ـ «المُداخَل»، للمُطرِّز (ـ ٣٤٥هـ).

٢ ـ «شجر الدر»، لأبي الطيب اللغوي (ـ ٣٥١هـ).

٣ ـ «المُسَلْسَل في غريب لغة العرب»، للتميمي الاشتركوني (ـ ٥٣٨هـ).

ويستشف المحقق تحديًا يبديه التميمي مؤلف «**المسلسل**»، للمطرِّز في كتابه «**المُداخَل**»[٣] رغم وجود قرنين من الزمان بينهما.

ثانيًا: مخالفة النموذج (النَّمْذَجَةُ العكسية)

ينطوي **تعمد مخالفة نموذج** سابق في التأليف، على محاولة إيجاد النموذج البديل أو المخالف أو التعويضي، ويلعب النموذج المتروك دورًا في إثارة الرغبة في التغيير. ويمكن أن تأخذ **مخالفة النموذج** الشكل التالي:

مقابلة النموذج، أو إيجاد مقلوبه ومعكوسه:

ويعني ذلك: إيجاد نص يختلف في تنظيمه عن النموذج الأصلي،

---

(١) **الفقلغية**، نسبة إلى الفَقْلَغَة، كلمة نَحتَها محمد عبد الجواد من كلمتي (فقه اللغة). انظر: محمد عبد الجواد (محقق). «مقدمته» في «المسلسل في غريب لغة العرب» تأليف: أبي الطاهر التميمي الاشتركوني (ـ ٥٣٨هـ)، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، ١٩٥٧م، ص٤.

(٢) المرجع السابق، ص٥.

(٣) المرجع السابق، ص٨.

وفي مجال التنظيم المرجعي، يعني ذلك: إيجاد **مداخل استرجاع بديلة**؛ كاختيار الترتيب الهجائي في مقابل تصنيف وحدات المعلومات، ويمكن أن نجد ذلك عند المقارنة بين عملين لابن سيده (ـ ٤٨٥هـ)، وهما:

- المُحكَم (وهو معجم لغوي هجائي).
- المُخَصَّص (وهو معجم لغوي مصنف بالمعاني).

فهناك تشابه كبير بين مصادر المُحْكَم والمُخصَّص، كما أن هناك تطابقًا جوهريًّا بين المواد اللغوية في المعجمين[1]، ولكنَّ كليهما يوصل إلى المطلوب من خلال مدخل مخالف. وتبدو فكرة ابن سيده واضحة في رغبته في إتاحة **نظامين متكاملين للاسترجاع في اللغة العربية**، سواء بالكلمات وما يقابلها من معانٍ في (المحكم)، أو بالمعاني وما يقابلها من كلمات في المُخصَّص.

مصطلحات النمذجة

ويمكن أن نوجز المصطلحات والكلمات التي استخدمت للدلالة على نمذجة النصوص في الجدول التالي:

(١) رودريجث، داريو كابانيلاس، ابن سيده المرسي: حياته وآثاره، ترجمة: حسن الوراكلي، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٠م، ص١٤٥ ـ ١٤٧.

جدول مصطلحات نمذجة النصوص

ملحوظة: علامة (*) تميز الكلمات التي صاغها المؤلف.

م	المصطلح/ الكلمة	ملاحظات
١	نَمْذَجَة النص *	
٢	تشغيل النموذج *	
٣	التفارع على النموذج *	
٤	سلسلة النموذج *	
٥	التأثر بالنموذج *	
٦	المُحاكاة *	
٧	المُمَاثَلَة *	التأليف على مثال كذا
٨	التشابه *	
٩	المسايرة	
١٠	الإحذاء	(الليث بن نضر صحب الخليل فعمل له كتاب العين وأحذاه، وعاجلت المنية الخليل فتممه الليث. (ابن النديم، الفهرست ٤٢ ـ ٤٣).
١١	المحاذاة	(.. لعل الحريري (ـ ٥١٦هـ) حذا حذوَ المقابَسات للتوحيدي (ـ ح٤٠٠هـ) (كشف الظنون ٢/١٧٧٨)
١٢	المعارَضَة	(التأليف على مثال كذا...) وقد ألف سهل بن هارون للمأمون كتابًا عارض فيه كليلة ودمنة في أبوابه وأمثاله سماه تلعة وعفر (كشف الظنون ٢/١٥٠٨)
١٣	النظير	
١٤	المنوال	ألَّف الحريري (ـ ٥١٦هـ) على منوال مقامات بديع الزمان الهمذاني (ـ ٣٩٨هـ) (كشف الظنون ٢/ ١٧٨٥)
١٥	النسج على منوال	(المقامات المسيحية، لابن ماري البصري (ـ ٥٨٩هـ))، نسج فيها على منوال مقامات الحريري (ـ ٥١٦هـ) (كشف الظنون ٢/ ١٧٩١)
١٦	القائف	(عنوان كتاب القائف على مثال كليلة ودمنة لأبي العلاء المعري (ـ ٤٤٩هـ)) من المصدر قَوَف، وهو من القيافة وهي تتبُّع الأثر، وكذلك تسمَّى العيافة (كشف الظنون ٢/ ١٣٦٦ ـ ١٣٦٧، ٢/١٤٤٨)
١٧	النمذجة العكسية *	(التأليف عكس نموذج معين)
١٨	مقابلة النموذج *	(التأليف عكس نموذج معين)

الباب الثالث

النتائج والملاحظات العامة

وفيه فصلان:

الفصل الحادي عشر: هيكل تصنيف علاقات التأليف النصِّي.

الفصل الثاني عشر: ملاحظات عامة حول التأليف النصِّي وسوسيولوجية الاتصال العلمي في الحضارة العربية ـ الإسلامية.

الفصل الحادي عشر

هيكل تصنيف علاقات التأليف النصِّي

الفصل الحادي عشر

الهيكل العام لتصنيف علاقات التأليف النصِّي

يشمل هذا الفصل تصنيف علاقات التأليف النصِّي، التي أمكن استنباطها من خلال استقراء عينة الكتب العشوائية المنتظمة والعمدية، ومن خلال المعاينة والفحص للمؤلفات ذاتها.

وقد سبق في الباب السابق معالجة كل نوع من العلاقات على حدة، مع تعريف وتوضيح بقدر الإمكان لما يلي:

١ ـ المصطلح الذي أطلق على نوع التأليف في هذا البحث إذا كان المصطلح جديدًا.

٢ ـ تعريف نوع التأليف وتحديد خصائصه التأليفية وأبعاد الجهد العلمي المبذول فيه.

٣ ـ وظائفه الأساسية في خدمة المعلومات وفي خدمة العملية التعليمية أو القراءة، بصورة أو بأخرى.

٤ ـ علاقته بأنواع أخرى قريبة منه أو متداخلة معه.

وعلى هذا الأساس، تم **تبويب** هذه العلاقات **وتصنيفها**، في إطار أو هيكل عام يضمُّها بحسب تسلسلها المنطقي، في جدول تصنيفي شامل.

وهذا التصنيف يُطرح كأساس مبدئي وبذري قابل للتطوير والتعديل والإضافة، وكان من الممكن أن يتضمن أضعاف ما هو موجود

من علاقات، لولا الحرص على الارتباط **بسند أدبي** واضح بقدر الإمكان، وعلى استبعاد ما هو افتراضي بالنسبة للمؤلف حتى الآن، وما يحتاج إلى متابعة وبحث لمزيد من العينات والمؤلفات، للتأكد من وضوح سنده الأدبي.

ومن البدهي أن العرض المجرد لأنواع العلاقات المختلفة، لا يعني وجودها خالصة متميزة في المؤلفات ذاتها، فالواقع أنها كثيرة التداخل، وغالبًا ما نجد أكثر من علاقة أو نوع من التأليف النصي في عمل واحد، مثل تداخل التلخيص مع التذييل، وتداخل الشرح مع الاستدراك، وغير ذلك في كثير من الأحيان، وقد كان بعض المؤلفين يمزجون بين مختلف الأشكال والمعالجات لخدمة الموضوع وخدمة القراء المتوقعين.

وقد أغفلتُ في الدراسة التفصيلية السابقة بعض العلاقات والعمليات؛ لأنها تحظى بالاهتمام المعاصر بدراستها، مثل الطبعات المختلفة للنص، بينما عالجتُ الأشكال التي تقابلها في عصر المخطوط كالإبرازات والعَرضات والهيئات، ولكن مثل هذه المسائل التي تركت تفصيلًا في الدراسة، قد وردت إجمالًا في سياقها الطبيعي من هيكل التصنيف المقترح.

كما يتضمن هيكل التصنيف أشكالًا من العلاقات والعمليات التي ترد في سياق التصنيف، لعلاقتها بمجالها الذي ترد فيه، وقد سمح بذلك وجودها الفعلي في مجال التأليف، ويمكن لأي دارس أن يجد لها كثيرًا من الأسانيد الأدبية والنماذج التي تمثلها.

ومن أمثلة ذلك: التوليفات Kits التي تشمل النص التقليدي وما يصاحبه من أوعية مختلفة كالتسجيلات الصوتية وغيرها، مما يمكن أن يُكوّن صورًا أخرى للنص.

وبعد أن ينتهي جدول تصنيف العلاقات، سوف يرد جزء لا يحتوي على علاقات للنص. وبالتالي لا يحتاج إلى سند أدبي من المؤلفات، وهو يتعلق بتصوري للَحظةٍ تاريخيةٍ في تاريخ النص، هي: «**انقطاع النص**»؛ أي: توقفه عن التأثير في إيجاد مؤلفات نصية أخرى تتعلق به وتتفارع عنه، مثل الشروح والتلخيصات والحواشي والتهذيبات... إلخ.

ولكن ذلك لا يعني اعتبار النص عديم الأهمية، فقد يستمر كنص تعليمي أو علمي يدرس، أو كنص توثيقي مهم في مجال تراكم المعرفة، وقد يستمر تأثيره في الدورة الاتصالية للتأليف عن طريق أشكال أخرى من العلاقات التأليفية، مثل الاستشهاد، أو الاقتباس، أو الاستلهام الأدبي والفني، أو النمذجة والتقليد، أو غيرها.

وفي ما يلي الجدول التفصيلي الذي يتضمن هذا التصنيف المقترح:

ملاحظات

١ ـ العلاقات الموضحة بالجدول، هي علاقات نصِّية، تختص بالتأليف النصِّي، فهي علاقات ببليوجرافية تكوينية. ونقطة البداية في أي تصور بالجدول التالي، تبدأ من «**نص أصلي محوري**» افتراضي، ثم يتطرق الحديث إلى علاقته بنص أو بنصوص أخرى، سابقة عليه، أو تالية له ومرتبطة به في بنائها أو محتواها أو منهجها... إلخ.

٢ ـ علامة (*) توجد أمام بعض أشكال العلاقات والعمليات التي لم ترد لها معالجة تفصيلية بهذا الكتاب.

المرحلة التكوينية لعلاقة التأليف	نوع العلاقة	الترقيم	العملية التأليفية وخصائصها (ومن خلالها توجد علاقة التأليف بين نص وآخر)
أ ـ العلاقات القبْلية الصاعدة للنص (علاقة النص بنصوص سابقة عليه تعد من مصادره وجذوره)	«يمكن أن يكون للنص علاقات بنص أو نصوص سابقة عليه، وينطبق عليها كل العلاقات الواردة في (ج) وملحقاتها بهذا الجدول».		«انظر العمليات والخصائص الواردة في (ج) وملحقاتها بهذا الجدول، وهي ممكنة الحدوث في العلاقات القبلية الصاعدة للنص».
ب ـ مراحل تكوين النص	١ ـ الأشكال المختلفة للنص.	١/١ ١/٢ ١/٣	العرضات (والإبرازات والنسخ). هيئات النص (*) طبعات النص
ج ـ العلاقات البَعْدية النازلة للنص (علاقة النص بنصوص تالية له، تتفارع عنه وتعد من توابعه)	٢ ـ التأليف التمهيدي للنص.	٢/١ ٢/١/١ ٢/١/٢ ٢/١/٣ ٢/١/٤ ٢/١/٥	مقدمات ومداخل النص: ـ مقدمات متصلة بالنص. ـ مقدمات منفصلة عن النص. ـ مقدمات سابقة زمنيًا للنص. ـ مقدمات مصاحبة زمنيًا للنص. ـ مقدمات تالية زمنيًا للنص.
	٣ ـ تشغيل النص.	٣/١ ٣/١/١ ٣/١/٢ ٣/١/٣ ٣/١/٣/١ ٣/١/٣/٢	تشغيل النص: التصرف في النص وتغيير بنيته أو جزء منها بالأشكال التالية: ـ التلخيص (تكثيف النص ـ ضغطه وتصغيره. . .) ـ التهذيب (ويشمل الحذف) ـ إعادة الترتيب أو التنظيم ويشمل: ـ مَعْجَمَةُ النص (أو أَلْفَبَةُ النص): ترتيب وحدات المعرفة بأحد أشكال الترتيب المعجمي. ـ تبسيط مَعْجَمةِ النص (تحويل النسق الثنائي الهجائي إلى أحادي؛ كتحويل ترتيب الباب والفصل إلى هجائي مباشر).

المرحلة التكوينية لعلاقة التأليف	نوع العلاقة	الترقيم	العملية التأليفية وخصائصها (ومن خلالها توجد علاقة التأليف بين نص وآخر)
		٣/١/٣/٣	ـ تزمين النص: (ترتيب وحدات المعرفة زمنيًّا).
		٣/١/٣/٤	ـ تصنيف النص (أو مَوْضَعَةُ النص): ترتيب وحدات المعرفة بحسب تصنيف أو تقسيم موضوعي معين).
		٣/١/٣/٥	ـ جدولة النص (ترتيب وحدات المعرفة بالنص جدوليًّا مثل الجداول الفلكية).
		٣/١/٣/٦	ـ مؤْسَعَةُ النصوص (تحويل مجموعة النصوص إلى تنظيم موسوعي بشكل أو بآخر).
		٣/١/٤	الاختيار والمجانسة ويشمل:
		٣/١/٤/١	ـ الاختيار عمومًا لأجزاء من النص على أساس معين.
		٣/١/٤/٢	ـ المجانسة: وهي اختيار معلومات عن جنس معين أو في موضوع معين (كالتراجم/الأشعار/الأماكن... إلخ).
		٣/١/٥	ـ تدريج النص (قيام المؤلف بتأليف مستويات متعددة من النص مثل المطول والوسيط والوجيز... إلخ).
		٣/٢	تحويل النص (تحويل طبيعة أو لغة أو شكل أو وعاء النص بالصور التالية:
		٣/٢/١	ـ نَظْم أو ترجيز النص (النظم العلمي الوظيفي التعليمي للعلوم، بعيدًا عن الأغراض الأدبية للشعر).
		٣/٢/٢	(*) ـ ترجمة النص من لغة إلى أخرى (ويشمل: الترجمة الكاملة، والترجمة بتصرف...).

المرحلة التكوينية لعلاقة التأليف	نوع العلاقة	الترقيم	العملية التأليفية وخصائصها (ومن خلالها توجد علاقة التأليف بين نص وآخر)
		٣/ ٢/ ٣	ـ الترجمة الأدبية الموازية (مثل ترجمة نص شعري إلى نص شعري. . . إلخ).
		٣/ ٢/ ٤	ـ تَبْييء النص: تكييف النص مع بيئة أو مجتمع أو ثقافة ما، مثل التعريب والتمصير، . . . أو تحوير بعض عناصر النص مثل تحوير أسماء الآلهة في بعض النصوص القديمة المترجمة إلى العربية.
		٣/ ٢/ ٥	ـ ازدواج النص (إصدار النص بصورتين: عامية، وفصحى، أو تحويله من عامية إلى فصحى أو العكس).
		٣/ ٢/ ٦	(*) ـ التحويل الأدبي من شكل إلى آخر: مثل مَسْرحة النص؛ أي: تحويله إلى مسرحية. (*) ـ تحويل الشعر إلى نثر، وتحويل النثر إلى شعر. . . إلخ.
		٣/ ٢/ ٧	ـ التحويل التعليمي والانقرائي للنص (التحويل لأغراض تعليمية أو لمستوى قرائي معين).
		٣/ ٢/ ٨	(*) ـ التحويل الوعائي للنص: مثل: ـ تحويل القصة إلى فيلم، أو برمجة النص بإحدى لغات الحاسب الآلي لاختزانه.
		٣/ ٣	مُصَاحَبَة النص (أو مُداخَلَةُ النص) وتشمل:
		٣/ ٣/ ١	ـ شرح النص وتفسيره ـ الجهود المبذولة لتوصيل محتوى النص أو تأويله. . . إلخ.
		٣/ ٣/ ٢	ـ تحشية النص وتشمل: الحواشي ـ النكت ـ التعليقات ـ الملاحظات ـ الهوامش ـ الطُّرَر، . . . إلخ.

المرحلة التكوينية لعلاقة التأليف	نوع العلاقة	الترقيم	العملية التأليفية وخصائصها (ومن خلالها توجد علاقة التأليف بين نص وآخر)
		٣/ ٣/ ٣	ـ تخريج النص (بالنسبة للأحاديث والشعر. . . إلخ).
		٣/ ٣/ ٤	(*) ـ عَصْرَنَةُ النص (مصاحبة النص بدراسة عصرية تُبرِز ما فيه أو تقارنه بتقدمات علمية حديثة لإظهار سبقه التاريخي وبذريته وثرائه وخصوبته. . .).
		٣/ ٣/ ٥	(*) ـ دراسة خصائص النص (الجمالية أو البلاغية أو اللغوية أو التوثيقية. . . إلخ).
		٣/ ٣/ ٦	(*) ـ تصوير النص (مصاحبة النص بالرسوم مثل تصوير القصص ودواوين الشعر. . . إلخ).
		٣/ ٣/ ٧	(*) ـ المصاحبة الوعائية للنص (مثل الجمع بين النص في توليفات Kits تضم تسجيلات صوتية ومرئية وغيرها).
	٤ ـ خدمة ومحاورة النص	٤/ ١	الاستدراك على النص (التكامل مع النص في تأليف تالٍ من أجل ما يلي:
		٤/ ١/ ١	ـ تكملةِ نقص في التغطية.
		٤/ ١/ ٢	ـ تصويب أخطاء في النص الأصلي.
		٤/ ٢	التذييل على النص: تواصل النصوص واستمرار التغطية بعد النص الأول، **زمنيًّا**: بتغطية وقائع تالية للنص. **مكانيًّا**: بتوسيع التغطية المكانية. **موضوعيًّا**: بتوسيع المجال الموضوعي. . .).
		٤/ ٢/ ١	ـ الذيول (وتأخذ تسميات مثل: ذيل/ تتمه/ صلة/ تكملة. . .).
		٤/ ٢/ ٢	ـ أشباه الذيول.

العملية التأليفية وخصائصها (ومن خلالها توجد علاقة التأليف بين نص وآخر)	الترقيم	نوع العلاقة	المرحلة التكوينية لعلاقة التأليف
ـ الحلقات (مثل تراجم القرون العربية، والببليوجرافيات العربية التراثية مثل الفهرست ـ مفتاح السعادة ـ كشف الظنون).	٤/ ٢/ ٣		
البناء على النص (احتواء النص الأصلي واتخاذه أساسًا لبناء نص جديد أوسع وأشمل).	٤/ ٣		
ـ البناء على النص بصورته الأصلية.	٤/ ٣/ ١		
ـ البناء على النص بعد تلخيصه.	٤/ ٣/ ٢		
إدماج النصوص (تفكيك أكثر من نص وإدماجها في نص واحد).	٤/ ٤		
ردود النص (الردود المهاجمة والمؤيدة والمُحَاوِرة للنص).	٤/ ٥		
ـ الرد المحايد على النص (التراسل بين الأدباء والعلماء. . .).	٤/ ٥/ ١		
ـ معارضة النص.	٤/ ٥/ ٢		
ـ تأييد النص.	٤/ ٥/ ٣		
ـ محاكمة النصوص المتخاصمة.	٤/ ٥/ ٤		
مسائل النص وتطبيقاته. وتشمل:	٤/ ٦		
ـ مسائل مؤلفة على النص: فقهية، لغوية/ رياضية/ علمية. . . إلخ).	٤/ ٦/ ١		
ـ نصوص تطبيقية عملية مكملة للنص الأصلي النظري.	٤/ ٦/ ٢		
مفاتيح النص: وتشمل:	٤/ ٧		
ـ الأطراف (في علم الحديث أساسًا).	٤/ ٧/ ١		
ـ الكشافات التحليلية والمعاجم المُفهرسَة للنصوص.	٤/ ٧/ ٢		

المرحلة التكوينية لعلاقة التأليف	نوع العلاقة	الترقيم	العملية التأليفية وخصائصها (ومن خلالها توجد علاقة التأليف بين نص وآخر)
		٤/٨	استخراج النص (تجميع أجزاء النص المشتت في نصوص متعددة أو إعادة تركيبه).
		٤/٩	(*) استعادة النصوص الشاردة: ـ النصوص العربية القديمة التي فُقد أصلُها العربي والموجودة في ترجمات سريانية أو عبرية أو لاتينية... إلخ، والنصوص العربية المكتوبة بحروف غير عربية (أي: المُنَقْحَرة أو المُكَرْشَنَة).
		٤/١٠	ـ تحقيق ونشر النصوص.
	٥ ـ نمذجة وأحتواء النص	٥/١	التوليد من النص (استنبات المؤلِّف لنصوص جديدة من النص الذي يعتبر كتاب الأساس أو العمدة): وتسمَّى النصوص في هذه الحالة بالكتب الشقيقة.
		٥/٢	احتواء النص داخل نص آخر، سواء بالإشارة إلى ذلك أو عدم الإشارة، ويشمل الاحتواء الأشكال التالية:
		٥/٢/١	ـ النقل الكامل أو شبه الكامل للنص.
		٥/٢/٢	ـ النقل الجزئي (السلخ من النص).
		٥/٢/٣	ـ نقل النص بعد تلخيصه مع تمييز التلخيص.
		٥/٢/٤	ـ تفكيك النص إلى وحدات ومزجه مع نصوص أخرى في أعمال موسوعية أو جامعة.
		٥/٢/٥	ـ مزج النص بنصوص أخرى وتلخيصها جميعًا وهو ما يعرف بالمتون الجامعة المختصرة والمكثفة في علم معين.

المرحلة التكوينية لعلاقة التأليف	نوع العلاقة	الترقيم	العملية التأليفية وخصائصها (ومن خلالها توجد علاقة التأليف بين نص وآخر)
			(*) ويلي ذلك مستوى آخر وهو الاستخدام الاستشهادي للنص والاقتباسات الصغيرة (تنصيص النص)، سواء قام بذلك مؤلف النص نفسه وهو ما يسمَّى بالاستشهاد الذاتي بين مؤلفاته، أو قام بذلك مؤلفون آخرون.
		٥/ ٣	نَمذَجةُ النص (تشغيل النموذج):
		٥/ ٣/ ١	ـ محاكاة النص الأصلي كنموذج لصنعة التأليف، ويشمل:
		٥/٣/١/١	ـ مماثلة أسلوب الخطاب أو الشكل الأدبي للنص.
		٥/٣/١/٢	ـ مماثلة الفكرة أو العلاقة المعرفية في النص.
		٥/٣/١/٣	ـ مماثلة الترتيب أو التنظيم المرجعي بالنص.
		٥/٣/١/٤	ـ مماثلة إطار التغطية في النص.
		٥/ ٣/ ٢	مخالفة النموذج: التأثر العكسي بالنص، أو إيجاد مقلوبه ومعكوسه لإتاحة وسائل بديلة للاسترجاع والاستخدام.
د ـ انقطاع النص: (توقف النص عن التواصل من خلال مؤلفات نصية تالية)	٦ ـ التعطل الوظيفي للنص	٦/ ١	(*) إزاحة النص، واستبداله **وظيفيًا** بنص آخر يستوعب مادته، ويفوقه مضمونًا وتنظيمًا، وينوب عنه في مجال الاستخدام العلمي والتعليمي والمرجعي، بحيث تتمحور حوله المؤلفات النصِّية التابعة ويترك النص المنقطع، مع استمرار أهميته العلمية.
		٦/ ٢	(*) تقادم النص وتحوله إلى حلقة أو مرحلة في تاريخ العلم.

المرحلة التكوينية لعلاقة التأليف	نوع العلاقة	الترقيم	العملية التأليفية وخصائصها (ومن خلالها توجد علاقة التأليف بين نص وآخر)
	٧ ـ التجاوز الإبداعي أو الأدبي للنص (لا تنطبق فكرة التعطل على النصوص الأدبية)	٧/ ١	(*) تطور الإبداع والأشكال والمعالجات الجديدة في مجال فني أو أدبي معين، وتعاملها مع معطيات وأساليب ومناهج جديدة، واستقدامها لآفاق جديدة.
		٧/ ٢	(*) تجاوز النص مع الاحتفاظ بجدارته كمنهج أو إبداع أو تراث.
		٧/ ٣	(*) الانفلات من مدار النص وتأثيره سواء في عصره نفسه أو في عصر لاحق.
	٨ ـ تحاشي النص وتجاهله	٨/ ١	(*) بسبب التحريم والمنع والتخويف لأسباب دينية أو سياسية.
		٨/ ٢	(*) بسبب تعالي النص والطفرة ومخالفة النص للتقاليد العلمية أو أساليب التأليف أو للتناسب الوضعي للعلوم في عصره.
		٨/ ٣	(*) بسبب الصعوبة أو الغموض أو الرمزية أو السرية.
		٨/ ٤	(*) التجاهل كأحد أشكال العدوان والقهر في مجال العلم، والتواطؤ على المؤلف بعدم التعامل مع النص أو الإشارة إليه وخصوصًا بين أبناء عصره.

الفصل الثاني عشر

ملاحظات عامة حول التأليف النصِّي وسوسيولوجيَّة الاتصال العلمي (في الحضارة العربية ـ الإسلامية)

أولًا: المحورية والتمركز.

ثانيًا: الاستخدام المتكامل للنصوص.

ثالثًا: الاستجابة والملاءمة.

رابعًا: حدود التكرار والإبداع في التأليف النصِّي.

خامسًا: تقاليد التأليف.

سادسًا: تكامل التأليف النصِّي وأصول الصنعة.

سابعًا: الخصائص التراكمية للعلم والنصوص.

ثامنًا: خدمة النصوص وتطويرها.

تاسعًا: مصفوفات علاقات التأليف النصِّي.

عاشرًا: النموذج الاتصالي للتأليف النصِّي.

الفصل الثاني عشر

ملاحظات عامة حول التأليف النصِّي وسوسيولوجية الاتصال العلمي (في الحضارة العربية ــ الإسلامية)

يتضح من الدراسة التفصيلية في الباب الثاني، أن التأليف النصِّي يتضمن ظواهر **اتصالية ومعلوماتية وببليوجرافية تكوينية متعددة**، وهي تعد من أهم الركائز والمداخل لفهم قطاع كبير من التأليف العربي، ووظائفه وآلياته.

ويحاول المؤلف هنا أن يرى كل التفاصيل السابقة بمنظور شامل، وأن يبدي بعض الملاحظات التي تختزل كثيرًا من التفاصيل في سبيل الوصول إلى نتائج عامة بقدر الإمكان.

وكلما ازداد الاقتراب من تفاصيل هذه الظاهرة تكشَّفت بعض الأوهام حول التأليف العربي، ومن ذلك مثلًا ما اتضح من أن ظاهرة المتون وظاهرة ترجيز ونظم النصوص هما أقدم مما كان معتقدًا. ويتوقع الباحث أنه كلما ازدهر البحث والتأصيل **لسوسيولوجية المعرفة العربية والإسلامية**، والظواهر الببليوجرافية العربية، على ضوء المناهج الحديثة، فسوف تتضح أبعاد جديدة في مجال التأليف العربي، تتخلَّص من النظرة التعميمية، سواء في نزعتها المتحمِّسة للقديم، أو المتجنيَّة عليه.

ويمكن أن تُطرح الملاحظات العامة التالية حول التأليف النصِّي، سعيًا وراء تفهم بعض جوانبه وربط بعض ما ورد منفصلًا من قبل:

أولاً: المحورية والتمركز

إن أهم خاصية في التأليف النصِّي، هي **تمحور مؤلفات على نصٍّ أصلي**، وهي في أول أمرها تدور في «**مدارات للنص الأصلي**»، وإن كان بعضها لا يلبث أن يصبح **مركزًا** تدور حوله مؤلفات جديدة، في مستويات متعددة من التفارع.

وليست ظاهرة التأليف النصِّي والتمركز حول نص أصلي شيئًا جديدًا يحتاج إلى من يكتشفه، ولكن الجديد وصفها وتعريفها وتصنيفها، ثم هو محاولة **طرح تفسيرات لها**، وفي ما يلي يطرح المؤلف بعض ما يصلح لتفسير **ظاهرة التمركز** هذه، حول نصوص محورية أصلية:

١ ـ النزعة إلى التأصيل:

عندما يصف حاجي خليفة كتاب: «ما لا يسع الطبيب جهله»، لابن الكبير (فرغ منه ٧١١هـ)، يقول: «وهو كتاب جليل المقدار، وجلالته **بجلالة أصله** (وهو): جامع مفردات الأدوية، لابن البيطار (ـ ٦٤٦هـ)، وخصوصًا بما زاد عليه[١]».

ولا يزال العلم يقدر **مصادر** الباحث التي يستقي منها، في حالة التأليف الاستشهادي، ولعل الأمر يصبح أكثر أهمية إذا كان المؤلف يستند إلى نص أصلي له أهميته وخطورته، ويبدو في التقييم السابق عنصران أساسيان، هما:

- **جلالة الأصل** (أي: أهمية النص الأصلي).
- قيمة الزيادة والإضافة الجديدة التي يحتويها ويضيفها النص الجديد.

---

(١) قام ابن الكبير باختصار مفردات ابن البيطار، وزاد أسامي أدوية لم يذكرها، فهو كالمختصر من جهة، وكالشرح من جهة، وككتاب مفرد من جهة، (كشف الظنون ٢/ ١٥٧٥، ٢/ ١٧٧٢).

ولا يبدو وصف حاجي خليفة السابق فريدًا في هذا الميدان، فقد تحدَّث السخاوي (ـ ٩٠٢هـ) بالطريقة نفسها عن واحد من مؤلفاته، حيث يقول: «وجمعت كتابًا حافلًا على حروف المعجم، **أصَّلْتُهُ من «تاريخ الإسلام»** للذهبي (ـ ٧٤٨هـ)، **وزدت عليه** خلقًا أغفلهم أو تجدَّدوا بعده. . .»[1].

ففكرة تأصيل النص بوَصْلِهِ بأَصْلٍ مرموق، تبدو جوهرية عندما نحاول النفاذ إلى أسرار ظاهرة التأليف النصِّي، وهي تنطوي في بعض جوانبها التأصيلية والتوثيقية على حرص المؤلف على تقديم شهادة نسب تثبت قوة سنده واستناده إلى أصل راسخ من النصوص السابقة، سواء بالاستناد النصِّي عليه، أو بالتسمية المتصلة به، كما كان يحدث في الذيول (الذيل على كذا. . .، صلة كذا. . .)، وإما بالاستشهاد بنصوصه لاتصال السند بمؤلفه، أو بالبناء عليه كما حدث في بعض المعاجم اللغوية.

٢ ـ سيطرة كتب الإحاطة والتمام، والكتب الأمهات:

هناك كتب تتمتع في تاريخ كل علم بأهمية بالغة، وكانت تتمتع بذلك لقرون عديدة، وكان بعضها ينتمي إلى عصور قديمة سابقة على الحضارة الإسلامية ذاتها مثل كتب اليونان والهند وغيرها.

وتتضح لنا تلك الفكرة، إذا توقفنا عند حديث صاعد الأندلسي (ـ ٤٦٢هـ) عن بعض المؤلفات، بقوله: «وعند بطليموس، اجتمع ما كان متفرقًا من علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك. . . وما أعرف أحدًا بعده تعرَّض لتأليف مثل كتابه المعروف **بالمَجِسْطِي** ولا تعاطى معارَضَته[2]، بل تناوله بعضهم **بالشرح** والتبيين، كالفضل بن حاتم

---

(١) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ. . . ص٢٣١.

(٢) **المعارضة**: هي التأليف على نموذجه ومثاله.

النيريزي، وبعضهم **بالاختصار** و**التقريب** كمحمد بن جابر البتاني، وإنما غاية العلماء عنده... فَهْمُ كتابِه على ترتيبه، وإحكام جميع أجزائِه على تدريجه، ولا أعرف كتابًا أُلِّف في علم من العلوم قديمها وحديثها، فاشتمل على جميع ذلك، وأحاط بأجزاء ذلك...»[١].

ويذكر صاعد الأندلسي (ـ ٤٦٢هـ) ثلاثة كتب من هذا المستوى، وهي:

١ ـ كتاب «المِجِسْطِي» في علم هيئة الفلك وحركات النجوم، لبطليموس (ـ ح١٥٠م)[٢].

٢ ـ كتاب أرسطو طاليس (ـ ٣٢٢ق.م) في علم المنطق.

٣ ـ كتاب سيبويه البصري (ـ ١٨٠هـ) في علم النحو العربي.

ويقول: «فإن هذه الكتب الثلاثة، لا يَشِذ عن كل واحدٍ منها من أصول عِلْمِه ولا من فروعه إلَّا ما لا خَطْبَ له، ولله وحده مَزِيَّةُ الإحاطة وفضيلة التمام»[٣].

وينبهنا حديث صاعد الأندلسي إلى فكرة **الكتاب المسيطر**، الذي يقف في قمة شامخة في مجاله، سواء بما يختط من **منهج**، أو بإلمامه **بتفاصيل الموضوع**، وأبعاد الظاهرة المدروسة، مما يحقق له قوة الجذب بالنسبة لمؤلفات تالية، تدور حوله، وتسعى في مداره.

ولا يقتصر الأمر على ما ذكره صاعد من مؤلفات، فهناك كثير

---

(١) صاعد الأندلسي (ـ ٤٦٢هـ)، طبقات الأمم، تحقيق: حياة بو علوان، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥م، ص٨٨ ـ ٩١.

(٢) وهو (Ptolemy) المصري الدمياطي (الباوزي أو الفلوزي بالفاء) مولدًا، ثم الإسكندراني، العالم في الفلك والرياضيات والجغرافيا، عاش في الإسكندرية بمصر في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي في عصر الرومان وتوفي حوالي ١٥٠م، وكان يؤلف باللغة اليونانية.

(٣) المرجع السابق، ص٩١.

من الكتب ينطبق عليها ذلك القول، ويكفي أن يشار إلى «**الجامع الصحيح**»، **للبخاري** (ـ ٢٥٦هـ) ومؤلفاته التابعة التي أمكن حصر ٩٤ مؤلفًا منها، و«**ألفية ابن مالك**» (ـ ٦٧٢هـ)، «التي بلغت المؤلفات التي عملت عليها وذكرها كشف الظنون ٧٢ دراسة»[١].

ويبدو أن **النصوص الجاذبة** القوية التي دارت حولها نصوص تابعة، هي في الأصل أعمال هاضمة شديدة البأس، استوعبت ما قبلها من مؤلفات في مجالها، تلخيصًا واقتباسًا، وهي بذلك تضم إليها قطاعًا مكثفًا من الإنتاج الفكري في **الماضي**، ثم تكتسب قوة مسيطرة على قطاع عريض من **المستقبل**، تظل لها النجومية، وتحاول الأعمال التالية الانتساب إليها بالاسم أو الإشارة... إلخ، حتى ولو كانت أعمالًا مستقلة تتناول قطاعًا زمنيًا تاليًا، مثل الذيول التي كانت تحمل في تسميتها علاقة الارتباط بأصل سابق له أهميته، رغم أن الذيل يمكن أن يصدر مستقلًا، وإن كانت **ميزة الارتباط والتواصل مع أصل**، تكسبه مكانًا في مسار **النصوص** ومكانةً في عُرْفِ **العلماء**[٢].

وفي هذا المجال ـ أيضًا ـ يبرز وصف **الكتب** «**الأمهات**»، وهو يبدو أكثر ارتباطًا بالعلوم الحيوية في التراث الإسلامي **كالدين واللغة**، فقد اعتبرت هذه «الكتب **أصولًا**، واستمر تأليف الشروح والحواشي والتعليقات عليها»[٣].

وتبدو هنا أهمية مصطلح «**النص الفوقي**» الذي سبق توضيحه في هذا الكتاب في مجال شرح النص، ومدى سيطرته وتأثيره في مجال التأليف النصِّي.

---

(١) سليمان إسحاق محمد عطية بحوث في التربية من كشف الظنون، ٢/٧٦.

(٢) انظر: تقييم ظاهرة الذيول، ص٢٦٨.

(٣) عبد الستار الحلوجي. تراثنا الفقهي... ص١٦٦.

ولقد كان الإعجاب يصل أحيانًا ببعض النصوص إلى درجة بالغة، مثلما حدث مع كتاب «إحياء علوم الدين»، للغزالي (ـ ٥٠٥هـ)، فقد ذهب البعض إلى أنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي «الإحياء» لأغنى عما ذهب»[١].

ومن الملاحظات المهمة، أن «**إحياء علوم الدين**» ظل يُشرح ويُلخَّص حتى عصرنا هذا، وآخر اختصار له نشره عبد السلام هارون باسم «تهذيب إحياء علوم الدين»[٢].

ويمكن أن نلاحظ في ظاهرة **الكتاب الأم** الخصائص الثقافية، من أهمها:

أ ـ الزمان الثقافي المتصل في الحضارة الإسلامية.

ب ـ أهمية النص في اتصال الثقافة الدينية أساسًا.

ج ـ تأثير النمط الديني على الأنماط المعرفية الأخرى كالأدب واللغة وغيرها، وفي أنظمة الاتصال العلمي والتعليم والتلمذة والإجازة والرواية، ووجود المدرسة الفكرية التي تنتمي إليها أجيال من الأساتذة والطلاب وغيرها، مما انعكس على التأليف عمومًا، والتأليف النصِّي خصوصًا.

د ـ أوجه الشبه بين الاعتماد على «أصل» في **التأليف النصِّي**، وبين الاشتقاق من «أصل» في **اللغة**، فالصلات **الاشتقاقية والتوليدية والتركيبية** متشابهة في كليهما، ولا يبعد أن تخلق اللغة **نظامًا في التفكير** ينعكس على **أدبيات ونِسَبٍ إدراكية وسلوكية** متعددة للإنسان، ومن بينها التأليف.

---

(١) كشف الظنون، ١/ ٢٣.

(٢) عبد السلام هارون، التراث العربي، بيروت، المركز العربي للثقافة والعلوم، د.ت، ص٥٩.

هـ ـ الحركة البطيئة في نمو المعرفة، فليس عصر المخطوط عصر انقلابات مفاجئة في العلم والمعرفة، بل هو عصر نمو وتراكم متئد، ولا يبدو هناك مجال يفرض إيقاعًا سريعًا بدرجة ما، سوى مجال التراجم والتاريخ، فكلاهما يرتبط بتراكمات حتمية تفرضها دورات الحياة، وإن كانت تتم معالجتها داخل التقسيمات والمعالجات المطروحة في التأليف، وما توصل إليه المؤلفون العرب من تسلسل المؤلفات وتكامل النصوص وتراكمها.

ولكن السؤال الجدير بالطرح هو: أليس في عصرنا الأكثر سرعة وتغيرًا من المؤلفات العربية الحديثة ما يستحق أن يؤلف عليه: استدراكًا ونقدًا وتلخيصًا وتذييلًا... إلخ، حتى تكتمل حلقات المعرفة وأوجهها المتعددة؟ ويبدو غياب مثل هذا التأليف نقصًا وخللًا، وليس ميزة أو سمة عصرية؛ فإن أهمية أنواع معينة من النصوص لا تزول مهما بدا من سرعة التغير والتطور في مجالات معينة من المعرفة(١).

٣ ـ طبيعة النظام المعرفي العربي الإسلامي:

تبدو العلاقة قوية بين «**ببليوجرام أو مخطط علاقات التأليف**» و«**سوسيوجرام المعرفة**»، فإذا سعينا إلى تصور «**سوسيوجرام للمعرفة**» في الحضارة العربية الإسلامية يتكوَّن من علاقات العلوم والنظم المعرفية والحياة الفكرية، وعلاقة كل ذلك بالمؤسسات الاجتماعية في العصور

---

(١) الواقع أن الأمة المتكلمة بالعربية في عصرنا ليست لها حياة علمية وثقافية سوية، فهي ليست مقبلة على استيعاب القديم والمعاصر، كما أنها ليست منشغلة بإبداع الجديد المتطور، وبتعبير آخر: فإن هذه الأمة في لحظتها الراهنة تفقد ذاكرتها الحضارية، فهي لا تمتلك تراثها ولا تعي حاضرها ولا تصنع مستقبلها.

المختلفة، فيمكن القول بأن «**ببليوجرام التأليف**» الذي تصوره هذه الدراسة، هو أحد الأدلة التي يمكن أن توصل إلى التعرف إلى «**سوسيوجرام المعرفة**»، الذي يتسم بوجود «**الأستاذ**» المحور في النظام التعليمي، ويقابله **الكتاب الأم** في النظام التأليفي، الذي يستقطب من حوله **النصوص المتفارعة** عليه كما **يتحلّق الطلاب حول أستاذهم** في نظام من الانتماء والتواصل والتأصيل العلمي.

ويبدو تواصل النص الأصلي مع نصوص أخرى، مرتبطًا بأهمية «**الأستاذ المؤلف**» بالنسبة لتلاميذه، ولعل من الشواهد على ذلك ما نجده بالنسبة لكتاب «الفهرست» للنديم، الذي يُرَجَّحُ أنه لم يلق ما يستحق من اهتمام في مجال التأليف النصِّي، سواء بالتذييل أو الاستدراك أو غيره، نظرًا لعدم وجود تلاميذ للنديم؛ لأنه لم يعمل بالتدريس، وقد وجد على صفحة عنوان مخطوطة الفهرست بمكتبة Beatty فقرة تقول: إنه لم يَرْوِ عنه أحد، مما يعني: أنه لم يكن له تلاميذ يتابعون علمه ونصوصه[١].

ويعكس «**ببليوجرام**» **التأليف النصِّي - أيضًا - «سوسيوجرام» العلاقات الاجتماعية**، التي تتضمن اتجاهات العداوة والصراع والمنافسة على المستوى الشخصي أو المذهبي أو غير ذلك، مما نجده متمثلًا في كثير من ردود النص.

وتنبهنا ظاهرة التأليف النصِّي، سواء في وجودها أو غيابها، إلى مسألة مهمة، هي **التاريخ الاجتماعي للنص**، أو المكانة الاجتماعية المكتسبة من النظام التعليمي وعلاقاته، حيث تبدو أهمية النص نابعة من مكانة مؤلفه وأهميته، ولعل ذلك يفسر ما نجده أحيانًا في المؤلفات

---

(١) Dodge, B (ed.) ((Introduction)) in (The Fihrist of al - Nadim...vol.1,p. xviii, xxv).

العربية، من الإشارة إلى **اسم المؤلف** وليس إلى عنوان الكتاب المقتبس منه.

ويبدو من نتائج القرون المتتالية من التأليف، أنه كلما تعاظم حجم الماضي ازدادت سطوته وقوة جذبه، ويتجلَّى الارتباط الروحي والعقلي بالماضي، في ظاهرة الاشتغال بالنصوص القديمة، انتماء إلى **نظام عقائدي وقيمي ومعلوماتي وببليوجرافي مركَّب**، لا يزال يحتاج إلى دراسة لكل عناصره، من زوايا متعددة.

كما يبدو أن تعاظم إنتاج الماضي قد جعل المؤلفين، في قرون متأخرة من التأليف العربي، يعكفون على مؤلفات السابقين ويؤلفون عليها، وذلك أمر طبيعي؛ فكلما زاد الإنتاج الفكري ضاق حيز المعالجة (نسبيًّا)، ولعل تلك الأعمال والمؤلفات الكثيرة المتراكمة منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن السابع الهجري وما يليه، قد ضيَّقت من هامش الحركة أمام المؤلفين، فطالما أن مؤلفات السابقين قد التهمت كثيرًا من الظواهر والمسائل في معظم الميادين، فقد أصبح من الطبيعي أن يزداد الإقبال على التهام هذه المؤلفات ذاتها **في حركة نشطة من التأليف النصِّي شرحًا وتلخيصًا وتخريجًا وانتقاء... إلخ**. وإن كانت قيمة ما يحتويه ذلك التأليف النصِّي خاضعة لتقييم المتخصصين، كلٌّ في مجاله.

ورغم أن فكرة سيطرة النصوص والإحساس بفوقيتها وسيطرتها تبدو معقولة نسبيًّا، وخاصة في القرون الهجرية المتأخرة، فإننا نشهد روح المقاومة **ضد الإحساس بالعجز أمام القدماء**، ويبلور ابن خلدون (ـ ٨٠٨هـ) شعار هذه المقاومة في قوله: «**إن الفضل ليس منحصرًا في المتقدمين**»[١].

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٣٢.

وتُتخذ ظاهرة الشروح والتعليقات والإضافات وغيرها إلى كتب ماضية دليلًا في رأي بعض المفكرين على حالة السبات والغيبوبة العميقة Coma الشبيهة بما ينشأ عن مرض أو أذى أو تسمم، التي يصف بها الدكتور حسين مؤنس حالة التأليف العربي في القرن السابع الهجري وما يليه، والتي جعلت الشيوخ **يهتمون بالماضي وحده، حتى أجادوا في خدمته**(١).

كما ينسب كمال عبد اللطيف نمط إنتاج الأفكار إلى النظام المعرفي الإسلامي (الإپستيمي الإسلامي) ونظام القياس كنظام محتكر للسيادة. ويشير إلى رأي عابد الجابري، حول **اللحظة المعرفية التكرارية في العقل العربي**، حيث تأسس **الكتاب النموذج، والكتاب النظام**، وتتابعت **النسخ والأشباه**، لحظة اكتفت داخل زمانيتها المغلقة باستعادة **الأوليات والآليات** القديمة، وهو ما يصدق ـ أيضًا ـ على حاضرنا من حيث إنه **امتداد أو تكرار** للأنظمة التي تأسست في عصر التدوين(٢).

والمهم في هذا الكتاب هو إبراز اعتماد المؤرخين على ظواهر التأليف العربي والتأليف النصِّي خاصة، كمدخل لدراسة علمية للنظام المعرفي الإسلامي، وهي ظاهرة مهمة، وليس من اختصاص هذا الكتاب تقييم ومناقشة هذه الآراء في مجالاتها الفلسفية والتاريخية، ولكن المهم هو الاقتصار على الجانب الببليوجرافي التكويني؛ أي: الجانب التأليفي من الموضوع، حيث يرى المؤلف أن ما نشهده في

---

(١) حسين مؤنس، الفكر العربي يدخل العصر الحجري، مجلة أكتوبر (القاهرة ع٣٩٩، (١٧ يونية/ حزيران ١٩٨٤م)، ص٣٤.

(٢) كمال عبد اللطيف، مشروع النقد في قراءة التراث: حول التكامل في أعمال محمد عابد الجابري ومحمد أركون، (ندوة حول كتاب: تكوين العقل العربي)، نظمها اتحاد كتاب المغرب، الرباط، مارس/آذار ١٩٨٥م)، المستقبل العربي، (ص٨، ع٨٦، إبريل/ نيسان ١٩٨٦م)، ص٣٠ ـ ٣١.

التأليف النصّي - في حدود هذا الكتاب - يمثل في كثير من جوانبه نظامًا متكاملًا ومتطورًا من التعامل مع المعلومات في مختلف حالاتها ووظائفها، ولعل ذلك يقودنا إلى إعادة اكتشاف وتقييم هذه العصور، في إطار منهجي يطور أدواته، ويتخلص من المبالغة في الإعجاب أو الازدراء لهذه العصور(١).

ويرى «بيدرسن Pedersen»، أن مؤلف الكتاب الإسلامي نادرًا ما كان يعبر عن نفسه كشخص، فهو يهتم بالرواية عن الآخرين.... ويصل من ذلك إلى أن الكتاب الإسلامي يمثل **تراثًا شفهيًّا غير مقطوع**، ويصطبغ بالعلاقات بين أهل العلم(٢).

وقد تبدو الصورة مكررة بالنسبة للتأليف النصّي الذي تحكمه النزعة نفسها إلى «**الوصل بالأصل**»(٣)، ولكن تعامل الباحث مع كثير من المؤلفات كالذيول والشروح والتلخيصات وغيرها، يدفعه إلى طرح المسألة بصورة مختلفة، تصلح لمعالجة الموضوع في دراسات تالية، وهي «**عمومية النص، وخصوصية المؤلف**»، فإذا كان الأساس في

---

(١) يشير حسين مؤنس كمثال على استغراق العلماء في الماضي إلى كتاب النوازل، للونشريسي المغربي (ق٩هـ)، وهو يعرض القضايا وآراء العلماء فيها، ويرى أن الونشريسي لا يعرف إلا آراء الماضين **بل يلغي نفسه فلا يذكر رأيًا خاصًّا به**.. (حسين مؤنس، المرجع السابق)، ولكنني أعتقد أن الاستخدام **متعدد الأوجه** لهذه المصادر سوف يحول مثل هذا الكتاب للونشريسي من مجرد كتاب فقهي، إلى مصدر خصب لدراسة الحياة الاجتماعية وعلاقات ومشكلات الإنسان والمجتمع في هذه العصور، لأن القضايا الفقهية أمام القضاة في زمن معين هي في الواقع قضايا اجتماعية وإنسانية ترتبط بواقع تاريخي وسوسيولوجي وثقافي وجغرافي معين؛ ولذلك فإن تطوير منهج جديد للدراسة يُكسب هذه المؤلفات أبعادًا جديدة ومهمة.

(٢) Pedersen, J. The Arabic book... p22 - 36.

(٣) القنوجي. أبجد العلوم، ١/ ٢٠٩.

التأليف النصِّي هو نص مركزي عام، فإن المؤلف كانت له **خصوصيته**: في **ميزاته** أو **نواقصه** التي تظهر في تأليفه النصِّي.

ويمكن في هذا المجال أن تستوقفنا فكرة بالغة العمق لـ «ماكلوهان»، حيث يقول: «ولا شك أن أعظم الهدايا التي قدَّمتها الطباعة للإنسان هي قدرته على التجرد، أو على الترفع؛ أي: القدرة على أن **يفعل دون أن يتفاعل**... أو ينفعل أو يلتزم»[1].

ومن الواضح ـ في مقابل ذلك ـ أن عصر المخطوط يتميز بالتفاعل، وهو ما يتمثل في الاندماج والاشتغال بالنصوص، والاتصال الوثيق ـ ولو عن بُعد جغرافي أو زمني ـ بالنص وصاحبه وعصره.. ولعل ذلك يلقي الضوء على بعض خصائص **الاتصال وسيكولوجيته** التي تميز التأليف النصِّي، وتميز **الخصائص النفسية** التي تحرك مؤلفًا للاستغراق في تأليف نص على نص، بينما كان من الممكن أن يُبرز نفسه وقدراته بأن يؤلف كتابًا أو أكثر بغير ارتباط بنصوص سابقة.

٤ ـ استثمار النص:

كانت بعض النصوص تتميز بخصوبة فائقة، وقدرة متصلة على العطاء أو الإيحاء، وكان بعضها يتضمن من **البذور** ما يكفي **لاستزراعه** في مؤلفات كثيرة تالية، بصور مختلفة من التأليف النصي.

ويبدو أن هناك قدرًا من المعقولية والمنطقية في التأليف النصِّي تلخيصًا أو تهذيبًا أو شرحًا أو تحشية... إلخ، على بعض النصوص الأصلية، حيث وجد مؤلفوها أن لا داعي لتأليف يُدَّعى أنه جديد، ولكن التأليف النصِّي لم يكن كله تكراريًّا، فالاستثمار النصِّي السابق هو عمل

---

(١) ماكلوهان، مارشال، كيف نفهم وسائل الاتصال؟ ترجمة: خليل صابات وآخرين، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٥م، ص١٩٢، ١٩٨.

قد تضاف فيه قيم جديدة إلى قِيم قديمة في بعض الأحوال.

ثانيا: الاستخدام المتكامل للنصوص

إذا اعتبرنا أن كثيرًا من أشكال **التأليف**، تحدث استجابة **لحاجات قرائية** معينة، فمن الممكن أن نفهم بعض دوافع التأليف النصِّي، على ضوء عادات بعض العلماء والمتعلمين في القراءة والبحث.

فمن الواضح أنه كان من عادات العلماء العرب والمسلمين أن يستخدموا مجموعة من النصوص المترابطة **المتكاملة**، وخاصة النصوص المتجمِّعة حول نص أساسي، وقد أدرك كراتشكوفسكي هذه الظاهرة وأشار إليها لدى **علماء اللغة** الذين يلزمون أنفسهم ـ ولكن لا يلزمون الآخرين ـ باستخدام النص إلى جانب المؤلفات التابعة له، ويسمَّى ذلك **طبيعة ثانية** لهؤلاء العلماء، ونوعًا من **لزوم ما لا يلزم**، فيقول: «... وهكذا ـ أيضًا ـ علماء اللغة، من الصعب عليهم أن يقلعوا عن عاداتهم التي تبدو زائدة للقارئ العادي، وهم لا يشعرون بالرضا إلا عندما تقف إلى جوار «**النص الأساسي**»، ملحقات **الشروح وتعليقات** على الشروح، وأيضًا عندما توجد في «هذه الملاحق» **الملاحظات والفهارس** و**معاجم المفردات**. وكل هذا «ما لا يلزم» للكتاب... وإن لزوم مثل هذه الملحقات «غير اللازمة» أصبح لهم طبيعة ثانية، لا يمكن تغييرها»[1].

ويتطرق عالم معاصر هو العلّامة الدكتور شوقي ضيف، إلى الفكرة نفسها خلال حديثه القيِّم عن تجربته الشخصية في التعليم بالمعهد الأزهري عن طريق **الاستخدام المتكامل للنص وتوابعه**، في صورة

---

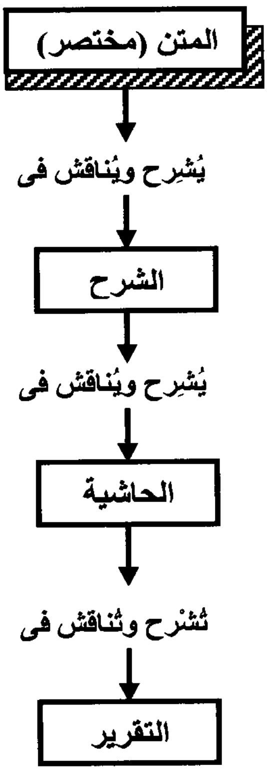
(١) كراتشكوفسكي، إغناطيوس، مع المخطوطات العربية: صفحات من الذكريات عن الكتب والبشر، تعريب محمد منير مرسي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٩م، ص٢٢٣.

«**المتون والشروح والحواشي والتقارير**...»؛ فالفكرة في **المتن** مختصرة أشد اختصار، وتُشرَحُ وتُناقَش في **الشرح**، والفكرة في الشرح تشرح بدورها وتناقش مناقشة واسعة في **الحاشية**، وليس ذلك فحسب، بل أيضًا الفكرة في الحاشية يناقشها مؤلف **التقرير**»(١).

ويشيد شوقي ضيف بما كان يتاح للدارس من الاستفادة من اعتراض شارح الشرح (أي: مؤلف الحاشية) على مؤلف الشرح، ومن اعتراض الشارح أو **المُحشِّي** على **الماتن** أو صاحب المتن الأصلي، واستزادة الطالب من قراءة ما كتبه بعض المؤلفين عليه من ملاحظات، ووجوه نقد ومراجعات كانت تتضمَّنها تقارير مطبوعة على هوامش الحواشي للتنبيه على خطأ أو تصحيح هنا أو هناك.

ويرى أن هذه الصورة الجدلية في مختلف العلوم والفنون، وخاصة في الفقه وعلم الأصول وفي النحو والبلاغة، كان لها دور بالغ الأهمية في صقل العقول وبنائها بناءً منطقيًّا سديدًا، وإلى تحوُّل المتون والشروح والحواشي والتقارير إلى مختبرات كبيرة لعقول أنبه العلماء في كل فرع من فروع العلوم الدينية واللغوية(٢).

نموذج شوقى ضيف
فى الاستخدام المتكامل للنص
أو (احتمالات النصوص)



شكل (٨٤)

---

(١) شوقي ضيف، معي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١م، ص٦٦.

(٢) المرجع السابق.

ويصل شوقي ضيف إلى تسمية لهذا المنهج **التأليفي النصِّي، القرائي التكاملي**، ويطلق عليه «**احتمالات النصوص**»؛ أي: ما يمكن أن يؤدِّيه منطوق النص ومفهومه وما يمكن أن يُؤَوّل ويُفسر به، ويقترح أن يستفاد من هذا المنهج في إنشاء «**علم احتمالات النصوص**»، تدرس فيه الوجوه المختلفة لفهم النصوص الأدبية والفلسفية والقانونية، بل واحتمالات النصوص في الاقتصاد والسياسة(١).

ويتضح أن هناك مجالًا واسعًا لدراسة هذه العملية الاتصالية النادرة دراسة علمية مقننة، ولعلها تفرز مناهج مستقبلية متطورة في التعليم، تمتد جذورها في الماضي، وإن كانت أدواتها قابلة للتطوير، وتتمثل تلك الأدوات في كل ما سبق عرضه من أشكال وعلاقات التأليف النصِّي، أو ما يمكن تسميته «**ببطارية النصوص**»، أو «**المنظومة المترابطة من المؤلفات**».

وقد أدرك عصر الطباعة أهمية هذه الظاهرة، فنشرت مجموعات كاملة من النصوص المترابطة في مطبوع واحد، ومن أمثلة ذلك: «**الكشاف عن خصائص غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**»، **وهو تفسير القرآن الكريم، للزمخشري** (ـ ٥٣٨هـ)(٢). ـ فقد نُشر عام (١٩٥٣م) وبذيله أربعة كتب، هي:

١ ـ «الانتصاف»، للإسكندري (ـ ٦٨٣هـ).

٢ ـ «الكاف الشاف في تخريج [أو تحرير] أحاديث الكشاف»، للعسقلاني (ـ ٨٥٢هـ).

٣ ـ «حاشية على تفسير الكشاف»، للمرزوقي.

٤ ـ «مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف»، للمرزوقي.

---

(١) المرجع السابق، ص٦٧ ـ ٦٨.

(٢) ط٢، القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٩٥٣م، مج٤.

وهذه المجموعة تحتوي على ما يناقش ويرد على اعتزال الزمخشري، وما يوازن ويحاكم بين الهجوم والإنصاف، وما يشرح، وما يلخص... إلخ[1]

ثالثًا: الاستجابة والملاءمة

يتسم أي نظام اتصالي جيد بالعلاقات التبادلية بين **التأثير والاستجابة الملائمة**، ويكاد التأليف النصِّي في بعض الأحيان يمثل نظامًا اتصاليًّا مرهف الحساسية لاحتياجات العلم، والمجتمع، والمؤسسة التعليمية، والظروف التاريخية المختلفة، ومن خلال إدراك احتياجات وظواهر معينة، وفَّر هذا النظام **حلولًا متعددة** من خلال أشكال وعلاقات التأليف النصِّي.

ومن خلال منظور الاستجابة والملاءمة، يمكن عرض الملاحظات التالية:

الشكل والوظيفة والمنفعة:

يبدو كثير من أشكال وعلاقات التأليف النصِّي، مرتبطًا بوظائف معينة، وخاصة في ما يتعلق **بتسهيل التحصيل** في عملية التعلم، أو بتيسير الاسترجاع، في عمليات قرائية أخرى، فالتأليف النصِّي في جوهره، وفي معظم أشكاله وعلاقاته مُنصب على خدمة حاجات محددة، من جانب مستفيدين معروفين (في إطار تعليمي محدد)، أو متوقَّعين (في إطار ثقافي ومعرفي واضح المعالم).

ويلاحظ أن كثرة الشروح والحواشي والمختصرات ترتبط بحركة

---

(١) انظر مجموعة المؤلفات على كشاف الزمخشري في: (كشف الظنون ٢/ ١٤٧٥ ـ ١٤٨٤).

مستمرة من الدراسة والجهود التدريسية من جانب الشيوخ، ومحاولاتهم لتقريب العلم إلى أفهام طلابهم، كل بطريقته الخاصة، ولكن في إطار **تقاليد سائدة** في التدريس والتأليف، وقد استمرت هذه التقاليد سائدة في أقاليم بعيدة، حتى نجد في الهند حركة لتأليف الحواشي والشروح على الكتب المستخدمة في الدروس والإقراء، حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر[١]، لوجود المنهج التعليمي نفسه واحتياجاته.

ولا تبقى النصوص القديمة في هذه الحالة بصورتها القديمة، بل تتجدد وتتسع دائرتها لكي تشمل أبعادًا جديدة، ولكن تتأثر بعوامل اجتماعية وبيئية وتاريخية متعددة.

كما يبدو **الشكل** ـ أيضًا ـ مرتبطًا **بالمحتوى** الذي يسعى النص إلى توصيله، وهو يتأثر بالمحتوى بقدر ما يؤثر فيه، فالتلخيص والشرح والاستدراك والتذييل والبناء والتدريج وغيرها، لا يمكن أن تنفصل عن التأثر والتأثير في المحتوى.

ولعل من أوضح هذه العلاقات، ما نجده في مجال علوم **الحديث** من ارتباط جوهري بين **أشكال التأليف وعلاقاته**، وبين **طبيعة هذا العلم واحتياجاته وشروطه**.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك أنواع التأليف النصي التي خدمت علم الحديث كالأطراف والمستفادات والمستخرجات والتجريدات (أو الانتقاءات) والتجنيسات في موضوعات معينة، والوحدانيات والثنائيات والثلاثيات... حتى الأربعينيات والمئات الحديثية، وإدماج بعض النصوص وإعادة الترتيب والتكمِلات والتذييلات في تراجم المُحَدِّثين والزوائد والتلخيصات والتهذيبات والتدريجات بين وجيز ووسيط ومطول،

---

(١) انظر: جميل أحمد، حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ص١٧.

والشروح. والحواشي والتنكيتات والمستدرَكات والمنظومات. . . إلخ[1].

ويكفي أن نشير إلى دور **الاستدراك** وحده في إصلاح النصوص التي وصلتنا من هذه القرون البعيدة وضبطها وتصحيحها، فقد قام هذا النوع من التأليف بحماية النصوص من غوائل الزمن والتحريف والخطأ وانعدام النقط في الكتابة العربية فترة من الزمن، وفي ما عدا القرآن الكريم الذي حفظه الحفظ ثم التدوين المبكر، فإن بقية النصوص كانت مهددة بأخطار وصعوبات كثيرة لولا وجود هذه الأنواع من التأليف النصِّي الذي خدمها.

كما يبدو التأليف النصِّي في بعض الأحيان وسيطًا بين النص الأصلي والقارئ، عندما يَشرحُ أو يلخِّص أو يُكشِّف أو يُطرِّف (عند تأليف الأطراف)، ورقيبًا عندما يَنقُد ويَرُد ويَستَدرِك. . . إلخ.

ومثلما حدث في علم الحديث فرض كل علم حاجاته، واستجاب التأليف النصِّي لهذه الحاجات، مستفيدًا مما ظهر من أنواع في خدمة العلوم الدينية وأهمها الحديث، ومضيفًا ومبتكرًا لأشكال أخرى تلائم كل علم على حدة، مثلما نجد في اللغة العربية، التي عرفت أشكال البناء على النصوص والإدماج والتلخيصات والشروح والحواشي والتعليقات وغيرها.

وقد أدرك المؤلفون طبيعة اللغة ككيان هائل ومجال واسع، يحتاج إلى تكامل وتواصل وتراكم النصوص، كما سبق توضيحها في الباب السابق، وكان من الضروري أن توجد هذه الحلول، ولم يكن من الصحيح ولا الممكن أن يؤلَّف معجم متطور في اللغة بغير علاقة نصية بواحد أو أكثر من المعاجم السابقة، سواء بالتذييل، أو الاستدراك، أو الإدماج، أو البناء عليها، أو نَمذَجتها.

ونجد الاستجابة واضحة في مجال التاريخ والتراجم، حيث قدم

(١) انظر: الكتاني، الرسالة المستطرفة، ص٢٦ ـ ٢١٤.

التأليف النصِّي وأدى دورًا متقنًا ومبدعًا في **تواصل النصوص** عن طريق **التذييلات** (أو **التكملات والصلات**). . . إلخ، و**النمذجات** مثل تراجم القرون التي تشكل سلسلة من الحلقات، مما جعل القرون العربية الإسلامية متصلة رغم كل عوامل التلف والتفكك والدمار.

وقد عولجت أشكال وعلاقات التأليف النصِّي وعلاقاته في هذه الدراسة معالجة شاملة لا تتقيد بعلم معين، ولكن مزيدًا من الربط بين أشكال التأليف النصِّي وموضوعات محددة، سوف يبرز حقائق مهمة في مجال العلاقة بين التأليف النصِّي وخصائص العلوم المتعددة، ولعل أهم الدراسات الببليوجرافية التي أظهرت ما يمكن أن يفرزه هذا المنهج من نتائج مهمة، دراسة الكتاني (ـ ١٣٤٥هـ)، بعنوان «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السُّنَّة المشرفة»[١]. وإن كان هدفها هو التغطية الببليوجرافية الشاملة للإنتاج الفكري في مجال الحديث والسُّنَّة، إلا أن بين ثناياها علمًا وإحاطةً رائعة بأنواع الكتب ووظائفها وعلاقاتها في مجال السُّنَّة، وقد أفادتني هذه الدراسة إفادة قيمة يتضح كثير منها في هذا الكتاب.

وكان تأليف بعض المختصرات والمطولات يأتي ـ أحيانًا ـ استجابة لطلب من فئة معينة، قد تكون من الطلاب أو الأصدقاء أو المجتمع العلمي المحيط بالمؤلف، وتبدو الاستجابة هنا مباشرة وإنسانية بقدر ما هي تأليفية ووظيفية[٢].

---

(١) انظر: الكتاني، محمد بن جعفر الفاسي، الرسالة المستطرفة، مع مقدمات وفهارس [كشافات] لمحمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني، ط٤، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٦م، (٣٤٢ص).

(٢) انظر كمثال: ظروف تأليف بعض المؤلفات المتعلقة بالجامع الصغير في: الفروع للشيباني، في: (كشف الظنون ١/ ٥٦٣).

الأبعاد الوظيفية لأشكال التأليف:

يمكن بمزيد من الدراسة تحديد الأبعاد الوظيفية لأشكال التأليف النصِّي المختلفة، حيث يوضع في مقابل كل **نوع من أنواعه الوظائف الأساسية** التي يخدمها، إلى جانب **الاحتمالات** المتعددة الأخرى للاستخدام، ويمكن أن يساق مثال لذلك في الجدول التالي:

شكل التأليف النصِّي	الوظيفة الأساسية التي يخدمها
المختصرات/ المنظومات	للحفظ[1] في الذاكرة للمبتدي، والتذكر للمنتهِي (العالِم)، أو للقراءة... إلخ.
الشروح/ الحواشي....................	للفهم[2]
الذيول...........................	لمتابعة التغطية لما يستجد في الموضوع.
الاستدراكات	لتكملة النقص والتصحيح
المفاتيح والأطراف (والكشافات)..........	للبحث والاسترجاع من النص
التهذيب	للسيطرة على النص وتطويعه
الردود............................	للجدل والمناقشة والمعارك الفكرية وتبديد الوهم حتى في العلم.
النمذَجَة	لمحاكاة كتاب رائع أو للتفوق عليه.

وقد اتضح من قبل في مبحث التلخيص ـ على سبيل المثال ـ مدى حيوية الوظائف وتعددها التي أداها استجابة لاحتياجات تعليمية وعلمية وثقافية واجتماعية وتاريخية وحضارية متعددة[3].

---

(١) انظر:
أ ـ كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٤٤ ـ ٤٥.
ب ـ ابن خلدون، المقدمة، ص٥٣٢ ـ ٥٣٣.

(٢) انظر:
أ ـ كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٣٧ ـ ٣٨.
ب ـ ابن خلدون، المقدمة، ص٥٣٢ ـ ٥٣٣.

(٣) انظر: مبحث التلخيص، ص١٩٩.

وتتضح الملاءمة والاستجابة في الدوافع التي أوضحها الإمام ابن عمر العتابي (ـ ٥٨٦هـ)، عند تأليفه شرحًا لكتاب «الزيادات في فروع الحنفية» للشيباني (ـ ١٨٩هـ)، حيث يقول العتابي: «لما رأيت في أهل الزمن زمانة (أي: ضعفًا وتقصيرًا) في اقتباس العلم، **ولاختصار** هممهم **اختاروا المختصر من كل شيء**، حملني ذلك أن أكتب شرح الزيادات موجز العبارات والنكات... حتى يكون أجمل وأسهل»[1].

وإذا تأملنا العلاقة بين **التلخيصات** وبين **ظروف الحروب** والأخطار في عصور معينة، فيمكن القول بأن التأليف النصِّي قد خدم كشكل من **أشكال المقاومة الحضارية والثقافية**، وكسلاح في **مواجهة ضياع النصوص الأصلية أو إتلافها خلال الحروب**.

وتبدو ظاهرة تلخيص ابن منظور المصري (ـ ٧١١هـ) لحوالي ٥٠٠ كتابٍ، أمرًا يحتاج إلى دراسة لأسبابها ودوافعها، والبحث عن حالات مماثلة لابن منظور.

ولم تكن الاستجابة دائمًا **ثنائية** البُعد؛ أي: بين احتياجات المستفيدين والتأليف النصِّي، بل كانت **ثلاثية** أيضًا، حينما خدم التأليف النصِّي تأليفًا نصيًّا سابقًا، لخدمة المستفيدين أيضًا.

فكثيرًا ما نجد ظاهرة المختصرات والمتون، شديدة التأثير والإغراء بشرحها، وكان ذلك يحدث أحيانًا بمجرد تأليف المختصر، وأحيانًا على يد مؤلف المختصر نفسه، وكانت الشروح محركًا لتأليف الحواشي عليها، والحواشي محركة لتأليف التعليقات عليها، كما كانت الردود المعادية للنص محركًا لتأليف الرد على الرد، وهكذا... حتى نجد المحاكمات بين الردود، والتعليق على المحاكمة في بعض الأحيان.

كما تبدو ظاهرة تدريج النصوص وإخراج أكثر من مستوى للنص

---

(١) كشف الظنون، ٢/ ٩٦٣ (تحت مدخل الزيادات... للشيباني).

الواحد، بين مطول ووسيط ووجيز ووجيز للوجيز، مسألة شديدة الأهمية كظاهرة من ظواهر الاستجابة والملاءمة مع احتياجات القراء، ابتداء من القارئ «المنتهِي» الذي يكتفي سريعًا بالقدر اليسير؛ لأنه أنهى مراحل التعلم ويحتاج إلى تذكر رؤوس المسائل فحسب، ومتابعةً مع القارئ «المبتدِي» الذي سيواصل البحث والتحصيل في مراحل التعلم القادمة.

ولا يتسع المجال لإظهار أبعاد الاستجابة في التأليف النصِّي بكل أشكاله، ولكن هذه البداية البذرية تظهر مدى ما كان يتوافر في هذه **الظاهرة الاتصالية التأليفية** من **مرونة وملاءمة لعصرها وبيئتها وجمهورها وموضوعاتها**، ولا يخفى أن كثيرًا من هذه الاحتياجات قائم في عصرنا، وإن كانت الاستجابة تأخذ أشكالًا أخرى في بعض الأحيان، أو لا توجد في أحيان أخرى.

رابعًا: حدود التكرار والإبداع في التأليف النصِّي

يبدو الأمر عسيرًا ـ على عكس ما هو متصور ـ إذا ما طرح السؤال: ما هي حدود التكرار والإبداع، أو التبعية والاستقلال في التأليف النصِّي؟ ومتى يعتبر التأليف جديدًا؟ وبصرف النظر عن ارتباط عنوان الكتاب بنص سابق مثل شرح كذا، أو تلخيص كذا، أو تهذيب كذا. . .؟

لعل من المفيد أن تساق الملاحظات التالية سعيًا وراء إجابة معقولة لهذا السؤال:

ـ يقول العقاد: لا أظن أن هناك كتبًا مُكرَّرة لأخرى. . . والفكرة الواحدة إذا تناولها ألف كاتب، **أصبحت ألف فكرة**، وأتعمد أن أقرأ في الموضوع الواحد أقوال كُتّاب عديدين، وأشعر أن هذا أمتع وأنفع

من قراءة الموضوعات المتعددة»[١].

ـ ويشير إدوارد سعيد، حول **التكرار والإبداع**، إلى أن تقابل هذين المصطلحين لا يعني: أنهما ضدان، فكثيرًا ما يحوي «التكرار» خلقًا وتجديدًا، كما أن «الإبداع» قد لا يكون جديدًا بقدر ما هو أصيل... وهو يقدم نماذج فلسفية لمفهوم التكرار: **التكرار والبعث** عند فيكو في كتابه «**العلم الجديد**»، ـ **التكرار والتاريخ** عند ماركس في كتابه «**١٨ برومير**».

ـ **التكرار والأصالة** عند كيركجارد في كتابه «**التكرار**».

وعند هؤلاء المفكرين، استهجان للتكرار **كتبعية وتقليد ونسخ**، وتقييم له عندما **يشكل إحياءً أو بعثًا**[٢].

ويمكن الآن محاولة الإجابة على السؤال السابق، في ما يلي:

إن التأليف النصِّي كان أحيانًا **فِعْلَ تجاوز وحركة**، ولا ينطبق عليه دائمًا وصف **التكرار بمعناه السلبي**، وقد ينطبق بمعناه **التأصيلي** الذي أوضحه إدوارد سعيد.

كما أن بعض المؤلفات التابعة كالتلخيصات أو الشروح... إلخ، قد وجدت كثيرًا ممن يؤلفون عليها من جديد، مثل شرح التلخيص أو تلخيص الشرح...، وكان من الممكن لهؤلاء أن يؤلفوا على الأصل الأول، ولكن ذلك يعني: أن بعض المؤلفات التابعة كان عملًا متميزًا عن الأصل، **فتحوَّل إلى أصل**، يتجاوز سابقه ويختلف عنه ربما في **المحتوى أو الوظيفة أو التنظيم أو المنهج**... إلخ. «ولقد وجد أن كثيرًا

(١) عباس محمود العقاد، «لماذا هويت القراءة؟، في (لماذا نقرأ؟ لطائفة من المفكرين، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص٢٩).

(٢) إدوارد سعيد. العالم والنص والنقد، ١٩٨٣م: عرض فريال جبوري غزول، فصول (القاهرة)، مج٤، ع١، (أكتوبر ـ ديسمبر/ تشرين الأول ـ كانون الأول ١٩٨٣م)، ص١٩٢.

من الشروح والمختصرات تكاد تكون في حكم الكتب المستقلة»[1].

وكان من الممكن لكثير من مؤلفي النصوص التابعة، لو تسلَّحوا بمنطق عصرنا، وهو **عصر الفردية «والتعالي وعدم التفاعل»** كما يرى ماكلوهان، أن يظهروا مؤلفاتهم بعناوين مستقلة تأنف من الارتباط أو التبعية أو الانتماء إلى نصوص سابقة، وكان كثير من هذه المؤلفات يمثل إبداعًا جديدًا متميزًا بالفعل، ولكن وراء ذلك خصائص اجتماعية وثقافية أوجدت شكلًا ملائمًا لها من تقدير القديم وتقديم الجديد (بمعنى تأصيل الجديد)، ولم يُفلت القديم من النقد والتدقيق، في اتصال علمي بين العلماء والنصوص.

ويمكن القول بأن كثيرًا من المختصرات والتهذيبات والشروح وغيرها، كانت بديلًا لما نعرفه الآن من **تجاوز النص**، مع الحفاظ على **تقاليد العلم** في تثبيت قيمة النصوص المهمة واستمرارها بشكل أو بآخر، وخاصة في مجال العلم القياسي، وقد احتوى معظم الأعمال التابعة على شيء جديد، من **العرض أو التوضيح أو الإضافة أو التصحيح أو المقارنة أو النقد أو الإدماج، وحتى الحذف نفسه كان يمثل أحيانًا تدخلًا ووجهة نظر وفعل تجاوز.**

كما كان الاشتغال بنصٍّ سابق؛ يعني: تحريكه في **اتجاه معين،** لخدمة **غرض ووظيفة معينة،** أو **إبطال اتجاه سابق،** كما حدث مع تفسير الزمخشري (ـ ٥٣٨هـ) للقرآن الكريم، حينما تدخل بعض اللاحقين لإبعاد ما يرونه من ملامح مذهب الاعتزال لدى المؤلف. وأبقوا على ما هو مشترك بعد تجاوز الخلاف الاعتقادي[2].

ولقد كان التأليف النصِّي أحيانًا نوعًا من **الثورة والتفوق والتحليق،**

---

(١) يوسف أحمد المطوع، جهود علماء النحو في القرن الثالث الهجري، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٦م، ص٧٥.

(٢) انظر: كشف الظنون، ٢/ ١٤٧٧.

حيث تظهر المواهب الجديدة والطاقات المتفجرة، مما جعل النص التابع أصلًا.

كما تبدو كلمات العقاد صياغة مركزة لقانون مهم في مجال التعامل مع الفكرة الواحدة في عدة أوجه وصور، وهو ما عبَّر عنه شوقي ضيف عندما اقترح «**علم احتمالات النصوص**»، وروى تجربة التعلم من خلال نصوص متعددة، وما أشار إليه كراتشكوفسكي حول **العادات القرائية لعلماء اللغة** وحرصهم على وجود النص وتوابعه.

ويمكن القول بأن الاشتغال بالتأليف النصِّي كان يمثل أحيانًا نوعًا من **المشاركة في تأليف النص الأصلي**، ولو بعد مئات السنين على ظهوره، وذلك بإضافة شيء جديد، قد يكون منهجًا أو معلومات جديدة أو إكمالًا لشيء ناقص أو تصحيحًا أو ترتيبًا أو حذفًا لزائد أو دخيل أو ضعيف... إلخ، ويمكن القول بأن ابن رشد **كان مشاركًا لأرسطو** في نصوصه عندما قام «بتعديل وإعادة ترتيب كلام أرسطو، لتحقيق الفائدة التي ابتغاها في عمله»[(١)]، وقد حدث ذلك كثيرًا عندما ألف العلماء العرب والمسلمون نصوصًا ينتقدون ويصحِّحون ويناقشون ما كتبه علماء وفلاسفة اليونان قبلهم منذ قرون طويلة، في الطب والفلسفة والعلم.

وكان التأليف النصِّي أحيانًا يمثل نوعًا من التوازن بين الثبات والحركة؛ لأن ثبات النص أمر لا يتفق مع حركة الحياة وتغيرها، ولذلك أصبح **التعادل بين الثابت والمتحرك**، يتمثل أحيانًا في **التعادل بين النص والمؤلفات المتعلقة به**، من شروح وتلخيصات وتهذيبات واستدراكات وتذييلات... إلخ.

---

(١) بترورث، تشارلز، وأحمد عبد المجيد هريدي، «مقدمة» في (تلخيص كتاب العبارة، لابن رشد، تحقيق: محمود قاسم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص١٩).

وإذا نظرنا إلى التناسب بين الأفكار، فسوف نجد **أفكارًا رئيسة بذرية** تمثل مراحل من الإبداع، وأفكارًا فرعية مساعدة، **تستثمر الأفكار البذرية وتنمِّيها** وتجني فوائدها، ويتمثل هذا النوع في بعض المؤلفات التابعة كالشروح وغيرها...

ويُعد الانتقال من **الرئيسي** إلى **الرئيسي** في قفزات مباشرة أمرًا لا يتفق مع طبيعة التطور. والشيء المنطقي هو أن يتم الانتقال من الرئيسي إلى تفصيلاته حتى تكتمل وتختمر مرحلة معينة من التطور، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة ملائمة لتوليد الجديد، وذلك ما عرفه التأليف العربي النصِّي إلى حد ما.

ويمكن أن يلاحظ في حركة النصوص **ثلاث مراحل**:

أ ـ مرحلة إبداع النصوص.

ب ـ مرحلة استيعاب النصوص.

ج ـ مرحلة تجاوز النصوص وابتكار نصوص جديدة.

أما المؤلفات المستقلة التي نراها اليوم، فهي ليست متوازية في قيمتها ووظائفها، وليست كلها قممًا، بل إن كثيرًا منها تكرار بائس غير ناضج، وخاصة في الكتب الجامعية الدراسية، وكان القدماء أكثر صدقًا حينما التزموا **بالحركة حول نصوص لها** وزنها وقيمتها، وألَّفوا عليها في **نشاطهم التدريسي**، ولكنهم لم يُغرقوا الأسواق بعشرات من العناوين المستقلة اسمًا، والمكررة بعدد تكرار الكليات الجامعية والمعاهد التي تُدرِّس المادة الواحدة، في البلد الواحد، في العام الواحد، متبعةً أكثر من «**لا منهج**» في أخطائها اللغوية وخلطها العلمي وسوء عرضها وإخلالها بأصول التأليف وأدبيات الاقتباس العلمي، وإفسادها لعقول دارسيها، تشويشًا للأفكار وتسطيحًا للتفكير، بعكس ما تحقق في الماضي من خلال قراءة نص أصلي وشروحه وحواشيه ونقده... إلخ؛ مما صنع **ذهنيات عبقرية**، كابن حجر العسقلاني والسيوطي وابن خلدون وابن منظور

وغيرهم؛ ولذلك تبدو جوانب الإبداع في بعض أشكال التأليف النصِّي المدرسي القديمة **أكثر تقدمًا** من بعض ما نشهد في مثيلها المعاصر.

كما أن خصوبة الحياة الفكرية ومعارك النصوص التي شهدناها في مبحث «ردود النص»، يندر أن نجد لها مثيلًا من الحماس والعمق والجهد في عصرنا، وإن بقيت منها قسوة الاتهام للمفكر بغير تعب في التفكير.

ولعل من الصحيح أن هناك عصور إبداع وبدايات جريئة واندفاع في العلم والتأليف، وعصورًا تالية عرفت الإبداع كما ساد فيها تحصيل القديم واستيعابه، وغلب عليها الجمع والشرح والتفسير.

ولكن هذه العصور التالية ـ وهي عصور المماليك خصوصًا ـ، حفلت بابتداعٍ وتطويرٍ لكثير من أشكال التأليف، وعرفت علماء أفذاذًا كانت الحضارة العربية الإسلامية ستخسر كثيرًا لو لم يظهروا، وكانوا امتدادًا عبقريًّا لعلماء العرب والمسلمين السابقين.

*** العصر المملوكي: التوازن بين الإبداع والجمع والتوثيق:**

يوضح استقراء الشواهد الأدبية للتأليف النصِّي في هذا الكتاب ذلك الإسهام الرائع من علماء عاشوا قبل العصر المملوكي وأثناء العصر المملوكي على حد سواء.

ومن المهم أن أؤكد هنا أن الحديث عن التأليف والعلماء شيء منفصل تمامًا عن أي تقييم للنظم السياسية والحكام الذين عاصرهم هؤلاء العلماء، فليس من أهداف هذا البحث تقييم هذه النظم وأولئك الحكام في كل عصور الحضارة العربية والإسلامية مَهْمَا كان لهم أو عليهم.

ولا يمكن من منظور علمي أن يُنسب إلى العصر المملوكي وعلمائه صفة التسجيل والجمع والتوثيق للإنتاج الفكري السابق عليهم فحسب ـ

وهو فضل علمي عظيم ـ بل كان لهم إبداعهم ومدارسهم الفكرية وأعمالهم الفذة.

وقد سجل العلامة الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة تقييمه لإنتاج هذا العصر في كثير من أعماله، وهو يرى أن الموسوعات والمؤلفات التي كتبها علماء العصر المملوكي في مصر والشام، كانت حافلة بالخَلْق موسومة بالإبداع، إذ ليس من المعقول في شيء أن يقال عن عمل ضخم مثل «لسان العرب»، لابن منظور (ـ ٧١١هـ) الذي يضم ثمانين ألف مادة في ٢٠ مجلدًا، أنه عمل تسجيلي، وكذلك «مسالك الأَبصار في ممالك الأمصار»، للعُمري (ـ ٧٤٩هـ)، وغيرهما لهذين المؤلفَيْن فقط على سبيل المثال، بالإضافة إلى علماء أفذاذ منهم بالتسلسل من القرن الثامن الهجري إلى العاشر:

النويري (ـ ٧٣٣هـ)، والصفدي (ـ ٧٦٤هـ)، وابن شاكر الكتبي (ـ ٧٦٤هـ)، وابن خلدون (ـ ٨٠٨هـ)، والقلقشندي (ـ ٨٢١هـ)، والمقريزي (ـ ٨٤٥هـ)، وابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)، وابن تغري بردي (ـ ٨٧٤هـ) ـ ومعنى اسمه بالتترية (عطاء الله) ـ، والسخاوي (ـ ٩٠٢هـ)، وغيرهم ممن خدموا العلم والثقافة العربية والإسلامية، كما مثلوا البيئة المصرية وسماتها الثقافية.

ولذلك فليس صحيحًا أن يكون العصر عصر جمع وتسجيل وليس عصر خلق وإبداع، وقد ظهر فيه عالِمٌ من قمم الفكر الإنساني وهو ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع ومبتدعه(١).. فالظاهرة الخلدونية لا يمكن أن تظهر في مجتمع متخلف الفكر جامد العطاء، كل مهمَّته تسجيل ما فات وتحبير نتاج فكر مضى، وإنما معنى ذلك أن المجتمع

---

(١) مصطفى الشكعة. الأصول الأدبية في صبح الأعشى، ط٢، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٩٣م، ص٧ ـ ٨.

ـ رغم أن حكامه لم يكونوا عربًا ـ كان مجتمع علم اتسم بالوقار واتصف بالعمق[١].

خامسًا: تقاليد التأليف

لا يمكن وصف حضارة ذات أربعة عشر قرنًا بكلمات محدودة، ولكن من الممكن وصف **اتجاه غالب**، كانت له آثار معينة. ولعل أهم تلك الاتجاهات هي **تقاليد التأليف**، المستمدة من **تقاليد العلم ونظم التعليم**..

ويبدو أن الارتباط بتقاليد راسخة قد حقق عدة أشياء، بعضها إيجابي وبعضها سلبي بتقييم عصرنا، وهو ما يمكن أن يوجد عند تقييم التقاليد والنظم في أي عصر أو مجتمع.

ولكن يبدو أن ما حققته التقاليد للتأليف العربي الإسلامي من مظاهر إيجابية كان أكثر مما يقابلها من مظاهر سلبية.

فمن المظاهر الإيجابية[٢]:

أ ـ الحرص على التوثيق والتدقيق في مصدر المعلومات.

ب ـ الحرص على الإشارة إلى المصدر.

ج ـ تقنين العلاقة بين **الطالب والأستاذ** في **إطار بنائي** تنتقل فيه الخبرة والمنهج **والنصوص**، وخاصة في نظام الإجازة، وفي إطار أخلاقي أدبي يربط بالولاء طالبًا بشيوخه، ويكسبه ذلك الولاء فضلًا يفيض على أجيال تالية، تنهل منه وتقطف ثماره في دورات تالية من **التلمذة والولاء**، ويتجلَّى ذلك في اعتزاز العلماء بذكر شيوخهم في

(١) المرجع السابق، ص٢٣.

(٢) سوف يجد المستزيد كثيرًا من المظاهر التي يراها إيجابية أو سلبية في تقاليد العلم والتأليف، ويُكتفى في هذا البحث بما يخدم أغراضه وحدودَه.

مؤلفات خاصة هي **برامج الشيوخ** بأنواعها، **وينعكس ذلك مباشرة في العلاقة بالنصوص السابقة، كما سبق توضيحه في العلاقة بين سوسيوجرام المعرفة وببليوجرام التأليف النصِّي**.

وتتجلّـى أدبيات التأليف في ما ينبه إليه حاجي خليفة من احترام القدماء والإشارة إليهم بتأدب وإنصاف في ما عسى أن يكون موضع نقد وتصويب، وذلك بالتنبيه عليه **بالتعـريض** أو **التصـريح**، وانتحال الأعـذار إما لسهـو إنساني أو لتصحيف الوراقين. . . إلخ[١].

كما تتجلَّى في إعلاء شأن الأمانة العلمية في النقل عن السابقين، ودقة الإشـارة إلـى درجـات الـخـطأ بـعـبـارات خـاصـة تـسـمَّـى عـبـارات **التمريض**[٢]، وفي المصطلحات المستخدمة عند **النقل أو الإضافة أو التصحيح**، في نصوص السابقين.

ولقد وجد في كل عصر من يغفل عن الالتزام بشيء ولو يسير من التقاليد سهوًا أو عمدًا، ووجدت حالات من السطو على نصوص

---

(١) يقول حاجي خليفة حول آداب الشارح عند تناول أعمال السابقين: من آداب الشارح أن يكون غير ناقض وجارح. . إلا إذا عثر على شيء لا يمكن حمله على وجه صحيح، فينبغي أن يُنبِّه عليه بتعريض أو تصريح متمسكًا بالإنصاف متجنبًا الاعتساف؛ لأن الإنسان محل النسيان. . .، فينبغي أن يتأدب (الشارح) عن الطعن للسلف، ويُكنِّي بمثل قيل وظُن ووُهم، وأعترض وأجيب، كما هو دأب الفضلاء، فإنهم أتقنوا في أسلوب التحرير وتأدبوا في الرد والاعتراض على المتقدمين تعظيمًا لحقهم، وربما حمَّلوا هفواتهم على الغلط من الناسخين.

انظر: كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) التمريض هو إظهار الخطأ، ومن وسائله أن يُمد على الكلمة خط أوله كحرف الصاد إذا وُجد فيها تصحيف أو تغيير، ويسمَّى كذلك التضبيب من «الضبَّة».

(انظر: أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي: معجم مصطلحات المخطوط العربي ص٧٦، ٨٦).

الآخرين، أو تزييف نسبتها إلى مؤلف معين، ونستطيع أن نجد مثل هذه المشكلات حتى في أعرق مراكز البحث العلمي في عصرنا، فنجد «جارفيلد» عند حديثه عن أخلاقيات التأليف العلمي the ethics of scientific authorship يشير إلى **الانتحال الببليوجرافي** (Bibliographic Plagiarism) أو **السطو العلمي** لبعض الأساتذة على أبحاث المساعدين في المعامل وكتابة أسمائهم عليها(١).

*** ومن المظاهر السلبية للالتزام بالتقاليد (في التأليف):**

ـ تقييد الحركة في بعض الأحيان وسطوة بعض التقاليد أو النصوص، وسيطرة الاعتقاد باكتمال الفضل للقدماء واقتصاره عليهم بحيث اعتقد البعض بأن **القدماء لم يتركوا للمعاصرين شيئًا**.

ولعل ذلك أدى أحيانًا إلى شيء من الجمود والثبات والتكرار الذي خلا من أي مظهر من مظاهر التجديد أو الإضافة، مهما كان للتكرار من جوانب أخرى فلسفية وإبداعية، ولا يوجد ضمان في أي نشاط إنساني يجعل كل مظاهره بعيدة عن الضعف والخلل، والتأليف مجال مفتوح لكل من يشاء، ويتدخل قانون التوزيع الطبيعي normal distribution ليوزع بالتقريب ما هو شديد الجودة في مقابل ما هو شديد الضعف، وبينهما نسبة سائدة من القيم المتوسطة. ولعل ذلك ما يفسر لنا أن وجود ما لا قيمة له أمر حتمي يفرضه المنحنى الطبيعي للقانون الرياضي الإحصائي(٢).

---

(١) Garfield, Eugene. ((Current comments,)) in, Essays of an information scientist, Philadelphia, ISI Press, 1983., (vol. 5, 1981 - 1982. p. 621).

(٢) يثير ذلك قضية التكرار في التأليف العربي المعاصر، والاعتماد على نقول متراصة وادعاء التأليف في أحيان كثيرة، والابتعاد عما هو شاق غير مطروق إلى ما هو آمن ميسور مضمون العائد، وسلخ أفكار من الأعمال الفذة والنأي عن التصدي لإكمالها ومتابعة منهجها وعطائها، أو دراستها وتحليلها =

ولا يمكن أن يقال إن تقاليد العلم والتأليف في ذاتها تعوق الإبداع والتجاوز والإضافة، فكل ذلك ممكن الحدوث في حدود تقاليد علمية ونصوص قوية التأثير، ولكن لكل وضع قوانينه التي ينبغي الإلمام بها وتدبير التعامل معها من جانب المؤلف، بقدر ما يملك من مهارة وموهبة.

ويبدو أنه لم يكن من السهل دائمًا على المؤلف ـ إذا شاء ذلك ـ أن يخرج عن الإطار الثقافي النصوصي في عصره، أو أن يقفز فجأة خارج السور، إلا بمهارة خاصة وفي ظروف مواتية.

ولقد حدث في بعض المرات أن **تجاوز التأليف حدود المألوف في مجاله**، وانفلت عن مدار المعالجات والعلاقات السائدة **بين العلوم والنصوص في عصره**، وكذلك عن الارتباط والانتساب إلى نصوص سابقة ذات ثقل، حتى ولو هاجمها.

وربما حدث شيء من ذلك مع كتاب «**منهاج البلغاء**»، **لحازم القرطاجني** (ـ ٦٨٤هـ)، الذي تجاهله دارسو البلاغة، ويعلل ابن عاشور تلك الظاهرة بأن القرطاجني «قد تجاوز بعلم البلاغة، الظواهر التي وقف الناس عندها، ولكنه **لم يصل يده بأيدي السابقين في هذا المجال**، . . . واتخذ كتابه موقف **المهيمن المتعالي**، فجفاه دارسو البلاغة. . . لقد خرج القرطاجني بكتابه عن التناسب الوضعي الذي يربط **الفنون بالكتب في وحدة الثقافة الإسلامية**، فكل علم إلى جانب كيانه الذاتي، يستند إلى العلوم الأخرى، ويرتبط **بوضع عام**، تتصرف

= وهضمها، وقد أصبح واجبًا أن يشار إلى كثرة حالات التأليف التي تدعي المنهجية، التي نشهدها في التأليف المعاصر، حيث يؤلف الكثيرون ويكررون ويتقمشون نتفًا من المعرفة المبتورة هنا وهناك، حيث تفقد الإشارات المرجعية قيمتها وجدواها في تواصل البحث العلمي وأمانته وتوثيقه. وكثيرًا ما يتحول إلى شكل بلا مضمون. (المؤلف)

بمقتضاه العلوم تصرفًا **تناسبيًّا توالديًّا**»[1].

ومن المهم أن نلاحظ أن ظاهرة التأليف النصِّي عندما شملت نوعًا من التكرار والإسراف في الدوران حول مركز معين (أو نصٍّ معين)، وخصوصًا في بعض الشروح والحواشي والملخَّصات، كان وراء هذه الظاهرة غالبًا دافع **التعليم والتدريس**، ونظام **الحفظ للمتون** المنظومة والنثرية في مقتبل عمر الطالب، حتى ولو اتَّسم ذلك بالقسوة والمبالغة، وكان العيب أحيانًا في نظام التعليم نفسه. وقد تلقَّينا من هذه العصور الماضية آلاف النصوص المدرسية المخطوطة التي وضعت للتعليم، واعتبرناها نصوصًا تخضع للتقييم على محك الإبداع أو التكرار، في حين أنها كانت مدرسية تخدم وظيفة محددة، وترتبط بالأستاذ والطالب في زمانها ومكانها وموضوعها؛ ولذلك فإن النظرة الموضوعية ينبغي أن تراعي ذلك، حتى يصبح تقييمنا لما أداه التأليف النصِّي وعلاقات النصوص متوازنًا، بين ما هو إيجابي وما هو سلبي.

ونلاحظ: أن هذه مشكلة تعليمية وليست تأليفية أساسًا، وإن كان لها تأثير على كثرة المختصرات، وقد أشار ابن خلدون إلى هذه المشكلة التعليمية بقوله: «كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مُخِلَّة بالتعليم، [وقد] ذهب كثير من **المتأخرين** إلى اختصار الطرق في العلوم... [فهم] يدوِّنون منها برنامجًا مختصرًا في كل علم، يشتمل على حصر مسائله وأدلتها، باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة في ذلك الفن... وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون...

---

(١) محمد الفاضل بن عاشور. «تصديره» في (منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم بن محمد القرطاجني (ـ ٦٨٤هـ)، تحقيق وتقديم: محمد الحبيب بن الخوجة، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م، ص١١.

فاختصروها؛ تقريبًا [تسهيلًا] للحفظ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه... وابن مالك في العربية... وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل»[1].

كما ندَّد ابن خلدون «بكثرة التآليف في العلوم... ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحفظها كلها أو أكثرها... مثل الفقه في المذهب المالكي، ففيه كتاب «المدونة» [الجامعة لفقه ابن مالك (ـ ١٩١هـ)]، وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس، واللخمي، وابن بشير، والتنبيهات، والمقدمات، والبيان والتحصيل على العُتْبية، وكتاب ابن الحاجب وما كُتب عليه... والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها، والعمر ينقضي في واحد منها»[2].

وهناك فارق كبير بين ما عرفناه من مزايا التلخيص بالنسبة للعلم وللنصوص، وفائدته للمنتهِي ـ أي: الذي أتم تعليمه ـ وبين مشكلة حفظ الملخصات في مراحل التعلم الأولى.

سادسًا: تكامل التأليف النصّي وأصول الصّنعة

يبدو التأليف النصِّي في كثير من الأحيان متميزًا بوضوح المقاصد والأهداف، وتحديد الأصول التي تحكم صنعة التأليف، مع حرية المؤلف في المزج بين أكثر من شكل ومنهج وأسلوب.

ومن أهم علامات الوضوح في **أصول التأليف النصِّي**، التي توارثتها الأجيال مع تراكم الخبرة ونماذج المؤلفات نفسها، ما يذكره بعض العلماء والببليوجرافيين في ثنايا أحاديثهم سواء عن الكتب أو عن نظم التعليم.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق ودراسة: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر، مج ٢، ص١٢٤٢.

(٢) المرجع السابق، ٢/ ١٢٤٠.

فقد اهتم حاجي خليفة بالحديث عن **أقسام التدوين وأصناف المدوَّنات**، وتحدث عن الكتب التي تمثل **قواعد علوم**، وهي المختصرات، والمبسوطات (المطولات)، والمتوسطات، وعن وظائفها[(١)] كما سبق ذكره في الكتاب.

كما أشار القنوجي إلى أن هناك «شروطًا» بعضها عامة لكل علم، في المعلم والمتعلم، وزمان التعليم والتصنيف، وقد حُرِّر فيه رسائل تسمَّى **آداب المعلمين وآداب المصنِّفين**[(٢)] (أي: المؤلفين).

ويهتم القنوجي بالحديث عن تواصل واستمرار المسؤولية في العلم والتأليف بقوله: «وأما فاعل الكتاب حقيقة **فَمُصنِّفه**، وينوب مَنَابَه مَنْ عليه الاعتماد في **روايته وتوجيهه وإصلاحه**، ومنها الغاية وهي بيان الحاجة الماسة إلى تدوينه وتصنيفه[(٣)].

ومن غايات التأليف الخاصة، يذكر القنوجي **ما يلي**:

«توضيحُ مُجْمَلٍ، أو تلخيصُ مُطوَّلٍ، أو تعميم انتفاع، . . . أو إبَانةُ حق، أو إزالة شك. . . أو تبكيتُ لئيمٍ إلى غير ذلك»[(٤)].

ويتحدث القنوجي عن النصوص الأصلية والتابعة خلال حديثه عن التصنيف (التأليف) عمومًا، فيقول:

«فما لم يتعلق بغيره صريحًا **فَمَتْنٌ**، أو تعلق صريح **فشرح** مدمج، أو مفصولًا بقال أقول ونحوها، . . . أو **تعليق وحاشية**، ومن كُلٍّ **وجيز وسيط** و**بسيط** (مطول)، **وله أغراض**، **(منها)**[(٥)]:

---

(١) كشف الظنون، المقدمة، ١/ ٣٥.

(٢) القنوجي، أبجد العلوم. . . ١/ ٢٠٢.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠١.

(٤) المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٥) أ ـ القنوجي، المرجع السابق، ص٢٠٢، ٢١٣ ـ ٢١٤. =

١ ـ اختراعُ شيء جديد لم يُسبق اليه.
٢ ـ إتمام شيء ناقص.
٣ ـ ضبطُ قديم أو إصلاح شيء أخطأ فيه مصنفه.
٤ ـ ترويج خامل.
٥ ـ جمع شيء متفرق.
٦ ـ تجريدٌ عن زائدٍ أو فاسدٍ لفظًا أو معنى.
٧ ـ تتميمٌ بِلاحِقٍ؛ كاستثناءات وقيود وأمثلة وأدلة ومسائل ومآخذ.
٨ ـ إبانة حق، أو إزاحة باطل بكشف شبهة أو ضلال، أو إزالةُ شكٍّ أو تبكيتُ لئيم.
٩ ـ اشتراك في تَفَرُّد.
١٠ ـ إصلاحُ ترتيب لشيء مختلط.
١١ ـ شرح وتسهيلُ شيء مغلقٍ (صعب) بحلٍّ أو بسطٍ.
١٢ ـ انتزاعُ أصلٍ من منتشرٍ.
١٣ ـ تفريع شُعبٍ لمُجَمْلٍ، أو توضيح مجمل.
١٤ ـ تلخيصُ واختصار شيء طويل دون الإخلال بشيء من معانيه.
١٥ ـ تحقيق مقالٍ أو كتاب أو فن بجمع مَا لَهُ أو عَلَيهِ.
١٦ ـ تبديلُ نثر بنظم (أو العكس).
١٧ ـ تبديل لغة بأخرى (الترجمة).
١٨ ـ وتتركب كثيرًا (أي: كثيرًا ما تجتمع بعض الأغراض السابقة في عمل واحد)».

= ب ـ كشف الظنون، ١/ ٣٥ (المقدمة).

ج ـ وانظر أيضًا: مقاصد التأليف السبعة عند ابن خلدون. (المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي...) مج ٢، ص١٢٣٧ ـ ١٢٣٩.

ويمكن أن نضيف إليها بحسب تسميات عصرنا: وإن كان ليس جديدًا على ما سبق تمامًا:

- المقارنة.
- التحقيق.
- التطوير.
- العصرنة.
- الاقتباس.

... إلخ.

ومن الواضح أن معظم هذه العناصر شديد الارتباط بتأليف النص، وهي توضح أن أغراض التأليف كانت تتحقق من خلال وسائل مقننة وأساليب مدروسة، خاصة وأن حاجي خليفة الذي توفي عام (١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م)، والقنوجي الذي توفي عام (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) يحصدان ويُجملان تراث وتقاليد التأليف في ما سبقهما من قرون.

ويحدِّد القنوجي **تدريج التأليف** تبعًا لحاجات القارئ والمتعلم بقوله:

«وللحاذق من كل علم: **مبسوطٌ** (مطوَّل)، وفي البداية تعليمُ **مَتْنٍ** سهلٍ لمعرفة الاصطلاحات وأصول القواعد، و**شرح** مستوفٍ لفوائد القيود والأدلة والأبحاث والاختلافات المشهورة، و**حاشيةٍ** لمَلَكَةِ التدقيق جَرْحًا وتعديلًا وترجيحًا»[1].

وحينما تطالعنا مصطلحات مثل: «**التقرير**»، و«**التحرير**» في عناوين الكتب، نجد أن هناك تعريفًا محددًا لكل منهما، يبدو أن المؤلفين كانوا يلتزمون به، فالجرجاني يُعرِّف «**التحرير**» بأنه بيان المعنى بالكتابة،

---

(١) القنوجي، المرجع السابق، ص٢٠٧.

«**والتقرير**» بأنه بيان المعنى بالعبارة[(١)].

ويمكن أن يتضح الأمر إذا توقفنا أمام العنوانين التاليين:

- «**التحرير في أصول الفقه**»، لابن الهمام (ـ ٨٦١هـ)، وقد شرحه تلميذه ابن أمير الحاج (ـ ٨٧٩هـ) شرحًا ممزوجًا وسمَّاه: **التقرير والتحبير**[(٢)].

وتبدو العلاقة واضحة بين **تحرير** الأستاذ و**تقرير** الطالب بالشرح في اصطلاح تأليفي دقيق.

وتتعدد مجالات الحركة أمام المؤلف في استخدام النص الأصلي السابق في تأليفه الجديد، وكمثال لذلك نجد حاجي خليفة يتحدث عن كتاب «ما لا يسع الطبيب جهله، لابن الكبير» فيقول: «اختصر فيه مفردات ابن البيطار، المسمَّى بالجامع، وشرح منفعة الدواء، وزاد أسامي أدوية، فهو **كالمختصر** من جهة، و**كالشرح** من جهة، وككتابٍ **مفردٍ** من جهة»[(٣)].

ويرصد عبد الرحمٰن بدوي أشكال التأليف النصِّي التي استخدمها ابن رشد في اشتغاله بكتب أرسطو المنطقية الثمانية، فيقول: «إنه تناوله على الأنحاء المعهودة عنه في تناول أرسطو؛ أي: **الجوامع**، و**التلخيصات**، و**الشروح**»[(٤)]. ويتضح أن ابن رشد اعتمد نظامًا ملائمًا في التعامل مع نصوص أرسطو، كلٍّ بما يلائمه.

---

(١) الجرجاني، التعريفات، ص٦٥.

(٢) كشف الظنون، ١/١٥٨.

(٣) أ ـ كشف الظنون، ٢/١٥٧٥.
ب ـ المفرد هو الكتاب المستقل الذي لا يتبع نصًّا سابقًا.

(٤) عبد الرحمٰن بدوي، (محقق)، «مقدمته» في (شرح البرهان لأرسطو وتلخيص البرهان، الكويت، وكالة المعارف، ١٩٨٤م، ص١٢.

* **نوع التأليف وعلاقته بالموضوع:**

يمكن أن نجد بُعدين أساسين في استخدام أشكال التأليف النصِّي:

- اختصاص نوع معين بموضوعات معينة أو شدة ارتباطه بها.
- تنوع أشكال التأليف النصِّي في الموضوع الواحد.

فقد كان **للتذييل** مثلًا، مجالات معينة يصلح لها ويلائمها أكثر من غيرها، ويغلب استخدامه لخدماتها؛ **كالتراجم والتاريخ**، وإن كان متاحًا للاستخدام في مجالات متعددة أخرى. ونلاحظ أن مجال التراجم لا يحتاج إلى الشروح أو الحواشي مثلًا، وإن كان قد شهد التلخيص والاستدراك.

ونجد أنفسنا بإزاء **منهج واضح** في التأليف والاستمرار والضبط والتكملة، ورؤية محددة واضحة **لوظيفة** كل من **الاستدراك والتذييل**، في قول ابن الأثير الجزري (ـ ٦٣٠هـ) وهو يقدم لجهده العلمي في كتابه «اللباب في تهذيب الأنساب» الذي هذب فيه كتاب «الأنساب»، للسمعاني المروزي (ـ ٥٦٢هـ)، حيث يقول ابن الأثير: «ولم **أستدرك عليه إلا بما قبله، وفي أيامه**، وأما **من حدث بعده** (من التراجم) فلا؛ **لأنه بالتذييل أولى منه بالاستدراك**[١]».

وبالنسبة **للتلخيص**، يحدد القنوجي وظيفته بأنها: «تقريب الأدلة بتصريح المطويات **والوصل بالأصل**»[٢].

وفي إطار الاستخدام الأمثل لأشكال التأليف النصِّي، فقد حظيت معاجم اللغة **بالاستدراكات وأشكال البناء على النصوص القديمة**، إلى

(١) ابن الأثير (ـ ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، د.ت، ١/ ١٢.

(٢) القنوجي، المرجع السابق، ١/ ٩ ـ ١٢. (والمقصود هو: سرعة توصيل المعاني الكامنة في النصوص المطولة).

جانب أشكال أخرى متعددة. بينما نجد في فن واحد من فنون التأليف النصِّي وهو **التفسير** ألوانًا مختلفة من التأليف، يلتزم كل منها نظامًا معينًا **يحتذيه ويسير عليه**»[1].

ومن خلال نظام متكامل من أشكال التأليف وحيل الصَّنعة وهندستها، تحقق **تكامل النصوص (الاستدراك) وتواصلها (بالتذييل) وتوضيحها (بالشرح)، وتوضيح توضيحها (بالتحشية)، وإعادة ترتيبها والانتقاء منها وتهذيبها وتلخيصها... إلخ**.

ولذلك يمكن أن تُجدولَ بعضُ أساليب هذه الصنعة في ما يلي:

الأسلوب	الشكل المقابل من التأليف
البديل..........	التلخيص أو التهذيب الذي ينوب عن الأصل...
المصاحِب......	الشرح أو الحاشية المصاحبة للنص...
المُكمِّل	الاستدراك على النقص والخطأ.
المتصل المتابع ..	التذييل والتغطية التالية للنص.
المُطوِّر..........	البناء على النص الأصلي وإضافة ما يتراكم من معرفة.
الناقد	ردود النص وردود الردود
...	....
...	....

ومن خلال هذه الحركة المتكاملة من التأليف النصي وأشكاله، وجد المؤلف العربي القديم مَنْ يتابع جهده بالتذييل، ومن يرد عليه فينقضه، أو يرد فينصفه، ومن يشرحه ويوصله إلى الآخرين... وكان أسعد حظًّا من مؤلف اليوم الذي نادرًا ما يجد من يرد عليه أو يشرحه أو يكمل بعده... إلخ[2].

---

(١) عبد السلام هارون. التراث، ص٣٥.

(٢) عبد السلام هارون. التراث، ص٣٥.

فتلك الأصول والتقاليد في صنعة التأليف النصِّي، هيأت للعلماء سبلًا متعددة للتعامل مع النصوص بحسب الحاجة والغرض، ووجد «**مجتمع النص**» من الأدوات والأشكال والأساليب ما **ابتُكر وطُوِّر وامتزج** لخدمة هذا النوع من التأليف، ونجد أمامنا طاقات متفجرة من البحث والدراسة والتأليف يتميز في الوقت نفسه بقدر وافر من الالتزام والمنهجية التأليفية المنظمة عند العرب، تتمثل في الصنعة والتكنيك، وحتى عندما وهنت قوة الدفع في إبداع الأفكار لم تتوقف قوة الدفع في **صنعة التأليف**.

ويبقى أمام الاستنباط والتنظير في عصرنا أن يسعى لترسيخ «**علم اجتماع الشكل الأدبي**» أو «**سوسيولوجيا الشكل الأدبي**»[١] في التأليف العربي إلى جانب «**علم اجتماع علاقات التأليف**» أو ما يمكن أن يسمَّى: Biblio - Sociology، فهذه العلاقات والأشكال لها دور حيوي في خدمة المضمون، بل إن من الصحيح القول بأن «**الشكل هو شكل ولكنه ـ أيضًا ـ مضمون**»[٢].

سابعًا: الخصائص التراكمية للعلم والنصوص

يشير برنال إلى إحدى سمات العلم وهي **طبيعته التراكمية**، وإلى أن العالِم لا بد أن تتوافر له حصيلة ضخمة من معارف الأسبقين وخبراتهم، وقد لا تكون هذه المعارف صحيحة تمامًا، إلا أن فيها من الصحة ما يكفي العالم النشط لأن يستخرج **نقاط انطلاق** إلى علم المستقبل، فالعلم كيان دائم النمو من المعارف المبنية على تتابع

---

(١) انظر: لوسيان جولدمان. علامات من الثقافة المغربية الحديثة، ص٩٢.

(٢) فردريك معتوق، منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، ص١٩.

التصورات والأفكار[1].

وقد أدى التأليف النصِّي دورًا مهمًّا في مجال تركيم المعرفة، فقد تبلورت في هذا البحث من خلال الاستقراء الظواهر التالية:

أ ـ ظاهرة **تكامل النصوص** (التي تحققت من خلال الاستدراك).

ب ـ ظاهرة **تواصل** النصوص واستمرارها، (التي تحققت من خلال التذييل).

ج ـ ظاهرة **تنمية النصوص**، (التي تحققت من خلال البناء على النص).

د ـ ظاهرة **تركيم النصوص** (التي تحققت من خلال إدماج النصوص).

هـ ـ ظاهرة الأدوار المتعاقبة في التأليف، وتتمثل في التفارع متعدد الرتب، الذي شهدناه في تفارع نصوص تابعة على نصوص أصلية، ثم تابعة للتابعة، ثم تابعة لتابعة التابعة.

وقد وَصَل التفارع أحيانًا إلى **الرتبة الرابعة**، ويعني التفارع مزيدًا من تزاوج الأفكار والتصورات بين النصوص ومؤلفيها.

وكان في مقابل هذه الظواهر **التركيمية**، ظواهر أخرى تخدمها وتكملها، تتمثل في ما يلي:

١ ـ الطابع الانتقائي للمعرفة (ويخدمه الانتقاء والاستبعاد والتهذيب).

٢ ـ الطابع التكثيفي للمعرفة (ويخدمه التلخيص ونَظْمُ النصوص).

٣ ـ الطابع التفسيري للمعرفة (ويخدمه الشرح والحواشي والتقارير...).

---

(١) برنال، جون ديزموند، العلم في التاريخ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م، ١/٤٨.

٤ ـ الطابع النقدي للمعرفة (وتخدمه ردود النص أو أصداؤها التي تتابعت عليها لتأييد الردود أو معارضتها ثم المحاكمات).

وقد تحقق من خلال الظواهر والخصائص السابقة ما يلي:

ـ الاستمرارية والتتابع في النصوص العربية.

ـ البنيان المعرفي المتكامل: وفي ظل هذا البنيان أمكن أن نتعرف إلى ظاهرة التشجير في التأليف النصِّي، الذي تتحقق فيه كل مظاهر **النمو النباتي**، في المستويات التالية:

١ ـ **الجِذْريّة**: (وتتمثل في النصوص الأصلية والعلاقات القَبْلية للنص).

٢ ـ **الساقِيَّة**: (وتتمثل في النص الجديد).

٣ ـ **الفرعيَّة**: (وتتمثل في النصوص المتفارعة على النص الجديد).

٤ ـ **البَذرِيّة**: (وتتمثل في خمائر الإيحاء وعناصره المتجددة من الأفكار في عقول الآخرين، وفي **النموذج** الذي يطرحه النص في مجال التأليف).

٥ ـ **الإنبات**: (ويتمثل في دورات جديدة من الإبداع والتأليف سواء كان مستقلًّا أو متفارعًا).

ويمكن أن نتوقف أمام هذه الظواهر المعلوماتية التي خدمت عصورها، ويمكن أن يستمر بعضها صالحًا لخدمة عصور تالية، وأن نتصور الثغرات التي نتجت عن **فقدان التتابع في بعض مجالات التأليف أو حلقاته، والضعف والتشتت وصعوبة التحكم في النصوص التي لم يخدمها البناء على النصوص أو الإدماج، وهو أمر مطروح للمعاصرين للقيام به في بعض المجالات كالتراجم العربية والببليوجرافيات وغيرها.**

ثامنًا: خدمة النصوص وتطويرها

يشكل التأليف النصِّي في بعض جوانبه نشاطًا حيويًّا يشبه تجديد الخلايا في الكائن الحي، مع الاحتفاظ بصفاته الأساسية في بعض الأحيان، أو إدماجه في دورة تالية من دورات الطبيعة واستخدام عناصره في تكوين جديد.

فبغير التأليف النصِّي، كان كثير من النصوص الأساسية في الثقافة العربية والإسلامية سيلقى مصيرًا حتميًّا هو الاندثار والتعطل والانقطاع، أو ما يمكن أن يسمَّى «**تشَيُّخ النص**» وتقادمه، وصعوبة استعماله وتحركه من خلال إفهام الأجيال التالية، على فرض بقائه المادي وعدم ضياعه.

وتتحقق قوانين تحسين السلالة من خلال امتزاج العناصر المتباعدة والجديدة في التأليف النصِّي، فقد تزاوجت كتب أرسطو وغيره بثقافة الفلاسفة والعلماء العرب المسلمين، عندما اشتغلوا بنصوصهم شرحًا وتلخيصًا وتعليقًا ونقدًا. . . . وخضع كثير من النصوص **للتصفية والانتقاء عن طريق التهذيب**، ويبدو التهذيب عملًا ومسؤولية هائلة يتحمَّلها المهذِّب تجاه الأجيال التالية، وبدونه كان بعض النصوص القديمة سيطالعنا **بهيئة غريبة موحشة لغةً ومضمونًا**، وربما وصلنا مختلًّا أو مُهوَّشًا أو مفسودًا.

وقد لعب هذا التأليف النصِّي دورًا مهمًّا في تقريب كثير من النصوص إلى أجيال بعيدة تالية، وإلى جانب التهذيب لعب التأليف النصي دورًا في تقريب كثير من النصوص إلى أجيال تالية، من خلال الشرح والنقد والتعليق، وإعادة الترتيب، والتلخيص، والنَّظْم، والمَفْتَحَة (أي: إعداد مفاتيح النصوص كالأطراف والكشافات)، والإدماج. . . . إلخ.

ولا تبعد هذه الجهود الخصبة عما نسمِّيه اليوم «**إحياء التراث**»، وكمثال لذلك نجد واحدًا وعشرين شرحًا لحماسة أبي تمام (ـ ٢٣١هـ)،

ونجد أكثر من ٥٥ عالمًا قاموا بشرح أو خدمة كتاب سيبويه (ـ ١٨٠هـ)، ولمؤلف واحد هو الشريشي (ـ ٦١٩هـ) ثلاثة شروح على مقامات الحريري (ـ ٥١٦هـ)، تتدرج بين كبير وأوسط وصغير[١]، وذلك بالإضافة إلى ما ذكر من قبل حول «الجامع الصحيح» للبخاري، و«ألفية ابن مالك»، و«تفسير الزمخشري». . . إلخ.

ومن خلال حيوية الفكر والجدل والمناقشة والخلاف الفكري، بل والعداء السافر في بعض الأحيان، اكتسبت النصوص مزيدًا من الحيوية والشهرة والدلالة، وتصارعت الأفكار وتكشفت الحقائق.

ويوضح محمد أبو الفضل إبراهيم بعض خصائص التأليف النصِّي، من خلال «الشرح والتفسير للنصوص المبهمة، والبسط والإيضاح للنصوص الموجزة، حيث كان المؤلف يزيد في النص الأصلي بما يتاح له من المعاني، وما وقع له من الخبرات والمشاهدات، ثم يستطرد بما يتداعى إلى ذهنه من فنون الكلام، مما قرأ وحفظ، أو سمع وروى، فيكون الكتاب بعد ذلك شيئًا آخر، **حفيلًا بالفوائد، جامعًا لشتيت المسائل**، وبهذا المنهج المفيد حفظ كثير من أبواب العلوم والفصول في الآداب ومرويات الشعر وأطراف الفنون، ونقل إلينا ما أودع في بطون كتب وأسفار ربما تكون قد ذهبت بها عوادي الأيام»[٢].

ولقد كان بعض النصوص يلقى من ضروب الاهتمام والتوثيق والتحقيق والتدقيق والتصحيح ما يفوق رعاية الأم لوليدها، وعاد ذلك

---

(١) محمد أبو الفضل إبراهيم، محقق، «مقدمته» في (تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، لخليل بن أيبك الصفدي، بيروت المكتبة العصرية، د.ت، ص٣.

(٢) المرجع السابق.

بالفائدة على **تراكم المعرفة كمًّا وترقيتها نوعًا**، وأسهم في **تدعيم النصوص**، وهي من أهم **دعائم الثقافة**.

وإذا كان بعض النصوص القديمة قد توارت وانقطعت بعد ظهور نصوص جديدة اعتصرت منه رحيق الحياة، فتدفق في دورة حياة جديدة ـ فلا يبعد ذلك الحال في النصوص عما نشهده في الأحياء من تسلسل الأجيال، الذي يعبر عنه القول البليغ: «ما نحن إلا قطار يركبه الأجداد».

تاسعًا: مصفوفات علاقات التأليف النصّي

من الملاحظ على التأليف النصِّي أنه كثير التنوع واسع المدى، يتغلغل في كل المجالات، وقد تعددت صور **التداخل والتركيب** بين أنواع التأليف النصِّي ذاته، حيث ظهرت مؤلفات تابعة تتفارع على مؤلفات تابعة أخرى، وشهدنا نوعين من هذا التفارع، وهما:

أ ـ التفارع المتجانس: حيث يحدث تلخيص لتلخيص، أو تذييل لتذييل... إلخ.

ب ـ التفارع المختلط: حيث يحدث شرح لتلخيص، أو حاشية على شرح... إلخ.

وقد استخدمتُ طريقة المصفوفة matrix لتفريغ العلاقات التي أمكنني التوصل إليها، وقد أظهرت المصفوفات مدى تداخل هذه الأنواع، ونشاط المؤلفين المتعدد الذي أخضع معظم أنواع التأليف النصِّي لتأليف نصِّي جديد، ولم يعد الأمر مقتصرًا على التأليف التابع لنص أصلي، فكثير من النصوص التابعة قد تحول إلى نصوص أصلية تؤلَّف أو تتفارع عنها نصوص جديدة.

وفي ما يلي هذه المصفوفات:

مصفوفة (١)

أنواع الشروح على النصوص الأصلية والتابعة وعلاقة الشروح بالشروح[١]

(في تفارع متجانس)

على كتاب / نوع الشرح	مبسوط (مطول)	متوسط	مختصر	شرح	شرح ومتن معًا	شرح منظوم	شرح على منظوم	نثر النظم[٢]
شرح	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓
شرح مبسوط	✓	✓	✓					
شرح متوسط	✓	✓	✓					
شرح مختصر	✓	✓	✓					
شرح منظوم						✓		

مصفوفة (٢)

أنواع الحواشي على النصوص الأصلية والتابعة[٣]

على / نوع الحاشية	كتاب عادي	مبسوط (مطول)	متوسط	مختصر	شرح	حاشية	حاشيتين	شرح وحاشية معًا	نظم الألفية	نثر النظم	شرح النظم
حاشية تامة	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓	✓		✓
حاشية مبسوطة	✓								✓		
حاشية متوسطة	✓										

---

(١) أعددتُ هذه المصفوفة بالاستعانة بالجدول الإحصائي لأنواع الكتاب المدرسي المذكورة في كشف الظنون لحاجي خليفة، من إعداد: سليمان إسحاق محمد عطية. انظر كتابه: (بحوث في التربية من كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، ج٢: الكتاب المدرسي في التراث العربي والفارسي والتركي، القاهرة، الأنجلو، ص٧٣ ـ ٧٤.

ـ وقد اخترت في كل المصفوفات علاقات المؤلفات باللغة العربية فقط، وتركت الفارسية والتركية.

(٢) هذا النوع من الشرح ينطبق على كتاب: نثر ألفية ابن مالك. (المصدر السابق ص٧٧).

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٧٤ ـ ٧٥.

نوع الحاشية / على	كتاب عادي	مبسوط (مطول)	متوسط	مختصر	شرح	حاشية	حاشيتين	شرح وحاشية معًا	نظم الألفية	نثر النظم	شرح النظم
حاشية مختصرة	✓										
حاشية ناقصة	✓										
تعليق										✓(*)	

مصفوفة (٣)

أنواع الاختصارات للنصوص الأصلية والتابعة(١)

لكتاب	عادي	مبسوط (مطول)	متوسط	مختصر	شرح	حاشية	منظوم
اختصار	✓	✓	✓	✓	✓	✓	اختصار منظوم للمنظوم ✓

مصفوفة (٤)

أنواع نَظْم النصوص(٢)

لكتاب	مبسوط	متوسط	مختصر	شرح
نَظْم	✓	✓	✓	✓

(*) تعليق على نثر الألفية.

(١) انظر: المرجع السابق، ص٧٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٧٥.

مصفوفة (٥)

علاقات أنواع مختلفة من التأليف مع نص منظوم وهو (ألفية ابن مالك)[١] ونصوص تابعة للألفية

نوع التأليف / لـ:	للمنظوم	لنثر المنظوم	لشرح المنظوم
شرحٌ	✓	✓(*)	✓
تعليق/حاشيةٌ	✓	✓	✓
اختصارٌ	✓ نَظْمًا		
نثرٌ	✓		

ويلاحظ على هذه المصفوفات ما يلي:

١ ـ أن هناك مجالات معينة لا توجد فيها علاقة بين نوعين من التأليف النصي التابع، **وقد يعني ذلك أحد أمرين:**

أ ـ عدم وجود علاقة بين النوعين.

ب ـ احتمال وجود علاقة في حالات من التأليف لم يتوصل إليها البحث.

٢ ـ أن التوليف بين أنواع التأليف النصِّي شديد التركيب والتعدد بشكل يفوق أي تصور، ففي مصفوفة الشروح مثلًا (رقم ١) شملت الشروح معظم أنواع الشروح في دورة تأليف تالية وهي تفارع متجانس (أي: شرح للشرح)، كما شملت الشروح مختلف تدرجات الشروح المبسوطة (المطولة) والمتوسطة والمختصرة، والأشكال المنثورة والمنظومة من الشرح.

٣ ـ وفي مصفوفة الحواشي (رقم ٢) شملت الحواشي نصوصًا

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٧٦ ـ ٧٧.

(*) أطلق على هذا الشرح كلمة (تعليق).

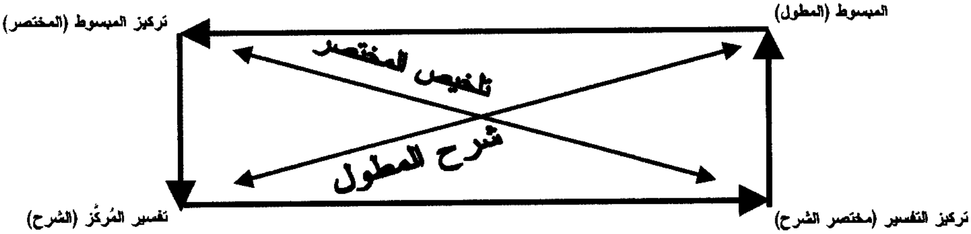
أصلية بمختلف تدريجاتها، كما شملت شروحًا، وحواشي (في تفارع متجانس للحواشي على الحواشي) وتحشية على حاشيتين معًا، وتحشية على شرح مع حاشيته، وتحشية على نظم وعلى نثر النظم وشرح النظم.

٤ ـ شملت الاختصارات معظم أنواع التأليف (مصفوفة ٣)، وكان هناك اختصار منظوم لأصل منظوم (مصفوفة ٥).

٥ ـ شمل النظم نصوصًا أصلية بتدريجاتها المختلفة، كما نُظِم الشرح أيضًا (مصفوفة ٤).

٦ ـ وفي مصفوفة (٥) نلاحظ أن الشرح شمل النصوص المنظومة، والنصوص التي أعيد فيها نثر المنظوم، كما شمل الشرح شرح النصوص المنظومة.

٧ ـ ويلاحظ أن التأليف النصِّي كان شديد المرونة، وكان يمكن أن يتمدد وينكمش في دورات تبادلية، حيث نجد المستويات التالية:



شكل (٨٥)
أبعاد التمدد والانكماش في التأليف النصِّي

عاشرًا: النموذج الاتصالي للتأليف النصي

يميز علماء الاتصال أدوار «**مبتكر الفكرة**» و«**ناقل الفكرة**»[(١)]،

(١) محمود عودة، أساليب الاتصال والتغيُّر الاجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية، د.ت، ص١٢٢.

ويمكن أن نجد هذه الأدوار واضحة في بعض أنواع التأليف النصِّي، وأن نزيد عليها ـ أيضًا ـ أدوار «**مُطوِّر الفكرة**»، «**ومُوسِّع الفكرة**»، «**ومُختزِل الفكرة**»، «**ومُبرمِج الفكرة**» للحفظ، (كما شهدنا في نظم النصوص العلمية)... وهكذا يمكن إضافة الأدوار بعدد الأنواع التي سبق عرضها من التأليف النصِّي.

ولقد كانت بعض أشكال التأليف النصِّي تنطوي على الاقتناع والتبني للنصوص الأصلية التي يتم الاشتغال بها، والحرص على بثها وتدعيمها. ويمثل كثير من المؤلفات التابعة حلقات إضافية أو امتدادات في دورة الاتصال للنص الأصلي، ويلاحظ أن كثيرًا منها قد جاء من خلال عملية اتصال أخرى هي **التدريس**.

وهناك جانب اتصالي آخر في التأليف النصي ينطوي على بُعد **جغرافي** إقليمي، فالتأليف على النصوص الأمهات في الثقافة العربية، كان يعد أحد أشكال الاتصال الذي تسهم به بعض الأقاليم العربية الإسلامية البعيدة، أخذًا وعطاءً، من وإلى المجرى الرئيسي لهذه الثقافة، ويتضح ذلك في تقييم أجراه باحث **للتأليف الموريتاني**، حيث يقول: «في نطاق تنسيقاتهم مع علماء الخارج، تناول المؤلفون (الموريتانيون) بالشرح والنَّظم الكثير من المؤلفات، ولعل أبرزها: مختصر خليل... وألفية ابن مالك، التي شرحت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر»(١).

وتُعد **أشكال الببليوجرام** السابقة بالبحث، **نماذج اتصالية** بالغة الأهمية، تمثل النص وتوابعه، ولا يكاد يوجد لها نظير في نماذج الاتصال المعاصرة في تعقيدها وخصوبتها وجدَّتها.

ففي هذه النماذج «**الاتصالية ـ الببليوجرافية ـ التكوينية**» التي اتضحت من خلال دراسة المؤلفات العربية، يتجلى كثير من **ديناميات**

---

(١) خليل النحوي، آلاف المؤلفات ومئات المؤلفين في مجال التاريخ (الموريتاني)، الفكر (تونس)، س٢٣، ع٢، (نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٧م)، ص٧٥.

الاتصال العلمي ومدى انعكاسها في نماذج **الاتصال التأليفي**.

وتمثل بعض هذه النماذج دورة اتصال **مغلقة** كَتِيمَة بين نصٍّ أصلي ونص أو اثنين، ثم تغلق دورة التأليف والتفارع، ويمثل البعض الآخر دورة اتصال **فسيحة** تفتح الباب أمام دورات تالية من التفارع والتأليف التابع، ومن التغطية العلمية؛ كالردود وردود الردود... إلخ، والتذييل **المتصل** على النص، والمفتوح لمزيد من التذييل سواء حدث ذلك أو لم يحدث.

ويمكن تصور العملية **الاتصالية المركبة**، التي يقوم بها قارئ لنص أصلي، يصاحبه شرح ثم حاشية... ففي هذا المثال يلتقي القارئ **بثلاثة مؤلفين** في عملية **اتصال واحدة**، ويثير ذلك سؤالًا مهمًّا، وهو: هل يحدث **تفسير القارئ** في ثلاث دوائر متجاورة، أم أنه يختزل كل ذلك في مسار تفسيري واحد لرسالة مجملة واحدة رغم تعدد النصوص؟

ولا توجد إجابة محددة على ذلك، سوى ما يذكره شوقي ضيف، عن دور هذه العمليات الاتصالية المركبة في إكساب الدارس «**قوة الجدال ودقة البرهنة والنفوذ إلى دقائق الأفكار، وتكوين عقول أنبه العلماء في كل فرع من فروع العلوم الدينية واللغوية**»[(١)].

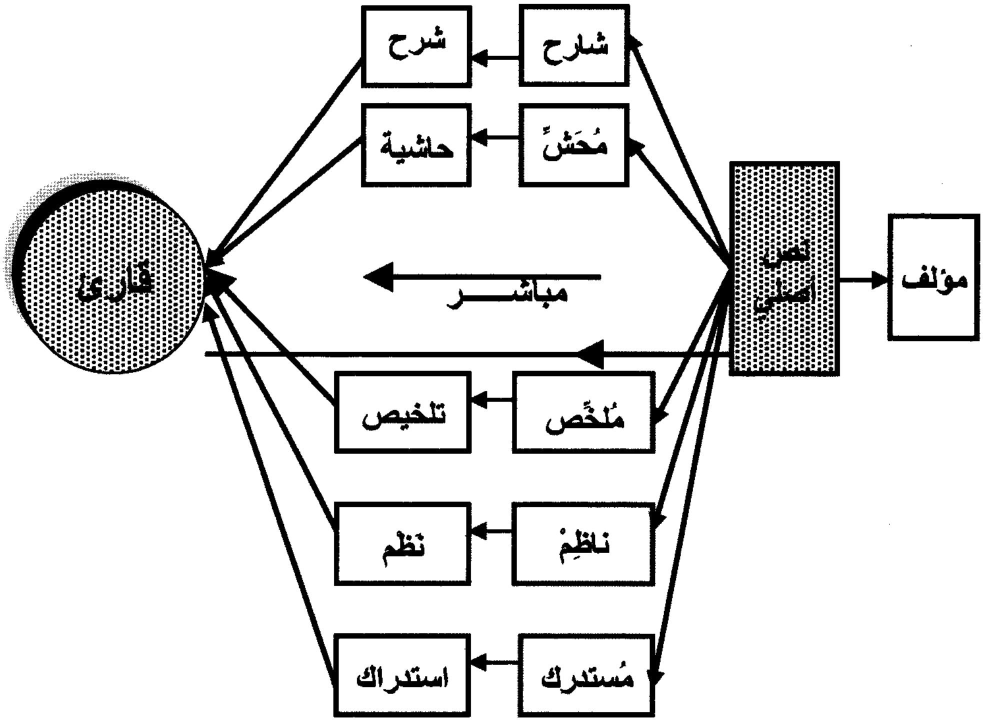
وتشبه دورة الاتصال في التأليف النصي ما يحدث للنص الذي يخرج إلى المسرح، فهو يمر من **المؤلف إلى المُخرج إلى الممثلين إلى الجمهور**، وكل من هؤلاء يترك بصمته على العمل. وفي هذه الحالة نجد على الأقل المرسل رقم (١)، ثم المرسل رقم (٢)، ثم المرسل رقم (٣)... ثم المستقبِل.

وعلى هذا الأساس، يمكن تصور نموذج اتصالي مبسَّط للتأليف النصَّي، في ما يلي:

---

(١) شوقي ضيف، معي ص٦٦، ٦٨.

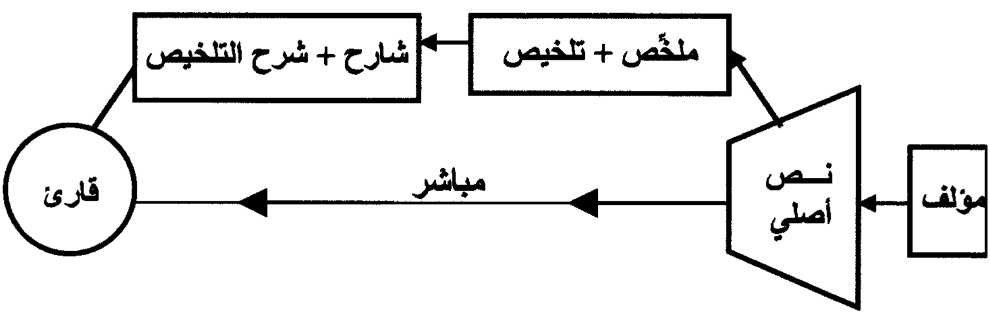
نموذج اتصالي للتأليف النصِّي التابع (رتبة التفارع الأول)



شكل (٨٦)

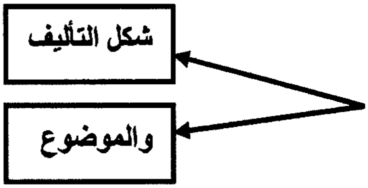
ويلاحظ أن النموذج السابق يقتصر على رتبة التفارع الأول فقط، ويمكن أن يزداد تعقيدًا مع التفارع الثاني والثالث... إلخ كما يلي:

نموذج اتصالي للتأليف النصِّي (رتبة التفارع الثاني)

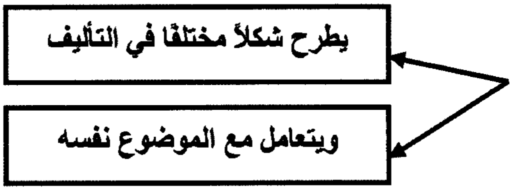


شكل (٨٧)

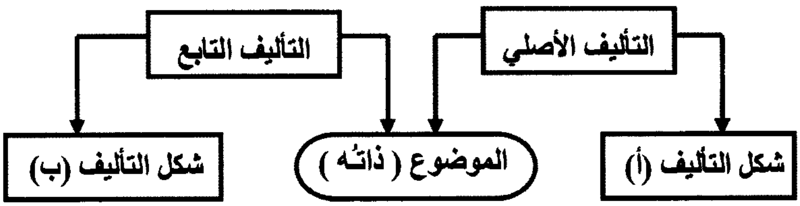
ويلاحظ أن النص الأصلي، غالبًا مـا يطرح



أما التأليف التابع، فهو غالبًا ما



وبذلك يمكن تصوير نقاط التلامس لكل من التأليف الأصلي والتأليف التابع في ما يلي:



شكل (٨٨)
نقاط التلامس لكل من التأليف الأصلي والتأليف التابع

ويلاحظ أن نماذج التأليف النصِّي العربية قد أثرت في التأليف بلغات أخرى، بعضها في إطار إسلامي كالتركية والفارسية، فقد عرفت النَّظْمَ والشرح وغيرهما، كما يُرجح انتقال فكرة **المنظومات العلمية** من **العرب إلى أوروبا** في عصور الاتصال بينهما، عندما كان العلم يتكلم العربية، والعربية تُعلِّم العلم.

تَـمَّ بِـعَـوْنِ الله

قائمة المراجع

قائمة المراجع

ملاحظات:

** تقتصر هذه القائمة على المراجع والمصادر التي تم الاستشهاد بها، حيث ينسب القول إلى قائله والفكرة إلى مصدرها، والجهد إلى صاحبه.

** أما المؤلفات التي ذكرت بالنص كنماذج وسند أدبي، والتي تم استقراؤها للخروج بتصنيف لعلاقات التأليف، ومعرفة خصائصه وملامحه.

- فهي تعد مادة أولية للبحث، ولم تدرج في قائمة المراجع، وهي واردة داخل البحث، موثقة بالمصادر البيليوجرافية التي تُعرِّف بها، أو ببيانات النشر إذا كانت منشورة، أو أماكن وجودها إذا كانت مخطوطة، وقد وردت في كشاف عناوين الكتب في نهاية الكتاب.

** وعندما استخدمت بعض كتب النماذج كمراجع بالاستناد إلى شيء ورد في نصِّها أو في مقدمة مؤلفها أو محققها... إلخ، فقد اعتبرت من مراجع البحث وأدرجت في القائمة، إلى جانب استخدامها كسند أدبي في عينة البحث.

** أدخلت مراجع البحث بأسماء المؤلفين، بينما ذكرت كتب العينة في داخل النص بمداخل العناوين تمييزًا لها كنماذج، وإظهارًا للعنوان؛ لأنه أكثر دلالة بالنسبة للمطلوب في البحث.

** عند الترتيب الهجائي لأسماء المؤلفين لم تحسب كلمة أبو، أو ابن، فابن منظور مثلًا وردت في (منظور)... إلخ.

أولًا: المراجع العربية

١ - **ابن الأثير**، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجَزَرِي (المؤرِّخ) (- ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، (د.ت)، مج٣.

٢ ـ **ابن الأثير**، مجد الدين أبو السعادات مبارك بن محمد الشيباني (المحدّث) (ـ ٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، القاهرة، طبعة حامد الفقي، ١٣٦٨هـ.

٣ ـ **ابن الأثير**، مجد الدين أبو السعادات مبارك بن محمد الشيباني (المحدِّث)، (ـ ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، د.م.، المكتبة الإسلامية، ١٩٦٣م، مج٥.

٤ ـ **إحسان عباس**، «مقدمته» في (فوات الوفيات والذيل عليها، لابن شاكر الكتبي (ـ ٧٦٤هـ)، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٣م، ص٣ ـ ٨).

٥ ـ **أحمد أمين مصطفى**، المناظرات في الأدب العربي إلى نهاية القرن الرابع، القاهرة، د.ن، ١٩٨٤م، (٢٤٤ص).

٦ ـ **أحمد بدر**، تحقيق النصوص والببليوجرافيا النصية في بحوث علم المكتبات، (عالم الكتب)، الرياض، مج٧، ع١، (مارس/آذار ١٩٨٦م)، (ص٣٣ ـ ٤١).

٧ ـ **أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبى**، معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي)، ط٢، الرباط، الخزانة الحسنية، ٢٠٠٤م.

٨ ـ **أحمد عبد الرازق أحمد**، دراسات في المصادر المملوكية المبكرة، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٨١م، (١٩٨ص).

٩ ـ **أحمد عزت عبد الكريم**، «مقدمته» في أبو العباس القلقشندي وكتابه: صبح الأعشى، تأليف: مجموعة من الأساتذة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت، (ص٩ ـ ١٦).

١٠ ـ **أحمد الغاني**، «التبسيط»، ندوة الكتاب العربي: تونس، (٣١ مارس/آذار ـ ٢ إبريل/نيسان ١٩٧٥م)، (ص٨٩ ـ ١٠٦).

١١ ـ **أحمد محمد شاكر** (محقق)، «مقدمته» في (الرسالة، للشافعي (ـ ٢٠٤هـ)، ط٢، القاهرة مكتبة دار التراث، ١٩٧٩م، ص٥ ـ ٢٩).

١٢ ـ **أحمد محمد شاكر** (محقق)، «مقدمته» في (المُعَرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، للجواليقي (ـ ٥٤٠هـ)، القاهرة، دار الكتب، ١٩٦٩م، ص٩ ـ ٢٣).

١٣ ـ **أحمد محمد شاكر**، «مقدمته» في (مفتاح كنوز السُّنَّة، **فنسنك**، ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٣٤م، ص(ت ـ و)).

١٤ ـ **أحمد محمد منصور وآخرون**، دليل المطبوعات المصرية (١٩٤٠ ـ ١٩٥٦م)، القاهرة، قسم النشر بالجامعة الأمريكية ١٩٧٥م، (٤١٩ص).

١٥ ـ **إدوارد سعيد**، العالم والنص والنقد، عرض: فريال جبوري غزول. فصول (القاهرة)، مج٤، ع١ (أكتوبر ـ ديسمبر/تشرين الأول ـ كانون الأول ١٩٨٣م)، (ص١٨٥ ـ ١٩٧).

١٦ ـ **إسحاق موسى الحسيني**، ابن قتيبة، ترجمة: هاشم ياغي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م، (١٣٤ص)، (رسالة دكتوراه، جامعة لندن، بإشراف هـ. أ. جب، ١٩٣٤م).

١٧ ـ **إسكاربيه، روبير**، ثورة الكتاب، نقل إلى العربية بإشراف اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو، طبعة منقحة بمعرفة المؤلف، بيروت، اليونسكو، د.ت.، (٢٤٤ص).

١٨ ـ **ألتوسير، لوي**، البنية ذات الهيمنة: التناقض والتضافر، تقديم وترجمة: فريال جبوري غزول، فصول (القاهرة)، مج٥، ع٣ (إبريل ـ يونيو/نيسان ـ حزيران ١٩٨٥م)، (ص٤٤ ـ ٥٦).

١٩ ـ **أمين الخولي**، «مقدمته» في (أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م، ص(وـ ل)).

٢٠ ـ **أمينة محمد جمال الدين**، النويري وكتابه نهاية الأرب في فنون الأدب: مصادره الأدبية وآراؤه النقدية، القاهرة، دار ثابت، ١٩٨٤م، (٣٥٨ص).

٢١ ـ **أنور الجندي**، المعارك الأدبية في مصر منذ (١٩١٤ ـ ١٩٣٩م)، القاهرة، الأنجلو، ١٩٨٣م.

٢٢ ـ **أنور لوقا غبريال**، ربع قرن مع رفاعة الطهطاوي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م، (٢٤٧ص) (اقرأ، ٥١٠).

٢٣ ـ **أويسترب، ج**. «ألف ليلة وليلة»، دار المعارف الإسلامية، طهران، انتشارات جهان، د.ت، مج٢.

٢٤ ـ **البابانى**، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ـ ١٣٣٩هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. إستانبول، وكالة المعارف، (١٩٤٥ ـ ١٩٤٧م)، مج٢.

٢٥ ـ **البابانى**، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ـ ١٣٣٩هـ)، هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إستانبول، وكالة المعارف ١٩٥١م، مج٢.

٢٦ ـ **بترورث، تشارلز**، وأحمد عبد المجيد هريدي «مقدمة» في (تلخيص كتاب العبارة، لابن رشد)، تحقيق: محمود قاسم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، (ص١٧ ـ ٢٥).

٢٧ ـ **بتلر، كريستوفر**، التفسير والتفكيك والأيديولوجية، ترجمة وتقديم: نهاد صليحة، فصول (القاهرة)، مج٥، ع٣ (إبريل ـ يونيو/نيسان ـ حزيران ١٩٨٥م)، (ص٧٩ ـ ٩٦).

٢٨ ـ **برجستراسر**، أصول نقد النصوص ونشر الكتب: محاضرات المستشرق الألماني برجستراسر بكلية الآداب سنة (١٩٣١ ـ ١٩٣٢م)، إعداد وتقديم: محمد حمدي البكري، القاهرة، وزارة الثقافة. مركز تحقيق التراث، ١٩٦٩م، (١٤٢ص).

٢٩ ـ **برنال، جون ديزموند**، العلم في التاريخ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م، مج٤.

٣٠ ـ **بروكلمان، كارل**، تاريخ الأدب العربي. نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، السيد يعقوب بكر، رمضان عبد التواب، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٠م ـ ١٩٧٧م، مج٦.

٣١ ـ **بشار عواد معروف**، الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٦م، (٥٤٠ص). (رسالة دكتوراه من جامعة بغداد).

٣٢ ـ **بلسنر، م**، «التبريزي»، دائرة المعارف الإسلامية، طهران، انتشارات جهان. (د.ت)، مج٤، (ص١٦٧ ـ ١٧٠).

٣٣ ـ **التهانوي، محمد علي الفاروقي** (نحو ١١٥٨هـ) كشاف اصطلاحات الفنون، حققه: لطفي عبد البديع؛ ترجم النصوص الفارسية: عبد النعيم محمد حسنين؛ مراجعة: أمين الخولي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (١٩٦٣ ـ ١٩٧٧م)، مج٤.

٣٤ ـ **توفيق الحكيم**، سجن العمر، القاهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها، ١٩٦٤م، (٢٧٢ص).

٣٥ ـ **جارفي، وليم د**، الاتصال أساس النشاط العلمي، ترجمة: حشمت قاسم، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٣م، (٤٧٢ص).

٣٦ ـ **جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**، عمادة شؤون المكتبات. فهرست المخطوطات والمصورات، الرياض، الجامعة، ١٩٨٥م، ج٣، مج١: (الحديث الشريف).

٣٧ ـ **جبرائيل جبور**، ابن عبد ربه وعقده، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩م، (٢١٢ص)، (رسالة ماجستير في الآداب).

٣٨ ـ **جبور عبد النور**، المعجم الأدبي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، (٦٦٣ص).

٣٩ ـ **الجرجاني**، علي بن محمد بن علي (ـ ٨١٦هـ)، التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، (٢٦٢ص).

٤٠ ـ **جرجي زيدان**، «كُتَّابُ العربية وقراؤها» الهلال (القاهرة)، س٥، ج١٢، (١٥/ ١٢/ ١٨٩٧م)، (ص٤٤٨ ـ ٤٥٩).

٤١ ـ **جعفر آل ياسين**، فيلسوف عالم: دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م، (٣٢٨ص).

٤٢ ـ **جلال شوقي**، العلوم العقلية في المنظومات العربية: دراسة وثائقية ونصوص، الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٩٠م، (٩٣٤ص).

٤٣ ـ **جلال شوقي**، المثلثات اللغوية، فنونها ونظرياتها حتى نهاية المئة السابعة للهجرة، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (جامعة قطر)، ع٩، ١٩٨٦م، (ص١٦٩ ـ ٢١٥).

٤٤ ـ **جلال شوقي**، منظومات العلم الرياضي، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (جامعة قطر)، ع٧، ١٩٨٤م، (ص١٨٧ ـ ٢٣٥).

٤٥ ـ **ابن جماعة**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ـ ٧٣٣هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٣هـ، (٢٣٦ص).

٤٦ ـ **جمال الدين الشيال**، سراج الملوك للطرطوشي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٥م، (سلسلة تراث الإنسانية).

٤٧ ـ **جمال حمدان**، شخصية مصر، القاهرة عالم الكتب، ١٩٨٠م، مج٤.

٤٨ ـ **جمعية دائرة المعارف العثمانية**، مقالة تاريخية تحتوي على أخبار جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٩٣٥م، (٢٠ص).

٤٩ ـ **جميل أحمد**، حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٧٧م، (٦٤٧ص).

٥٠ ـ **جميل جبر**، الجاحظ في حياته وأدبه وفكره، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٥٩م، (٣٠٩ص).

٥١ ـ **جميل العظم** (١٩٣٢م)، السر المصون على كشف الظنون، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤م، (ص٢١٩). (الجزء الأول: يحتوي هذا الذيل على حرفي أ، ب فقط).

٥٢ ـ **جورج قنواتي**، دراسة ببليوجرافية لموسوعة الشفاء، عالم الكتاب (القاهرة)، ع١، (يناير ـ مارس/كانون الثاني ـ آذار ١٩٨٤م)، (ص٤ ـ ٥).

٥٣ ـ **حاجي خليفة**، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني (ـ ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، استانبول، وكالة المعارف، ١٩٤١م، مج٢.

٥٤ ـ **حامد ربيع**، التجديد الفكري للتراث الإسلامي وعملية إحياء الوعي القومي، ط١، دمشق، دار الجليل، ١٩٨٢م، (٩٣ص).

٥٥ ـ **ابن حجر العسقلاني**، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ـ ٨٥٢هـ). إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

٥٦ ـ **حسين كامل الصيرفي** (محقق)، «مقدمته» في (ديوان المثقب العبدي، القاهرة، معهد المخطوطات العربية ١٩٧١م، ٣١ص).

٥٧ ـ **حسين مؤنس**، الفكر العربي يدخل العصر الحجري، مجلة أكتوبر (القاهرة)، ع٣٣٩، (١٧ يونية/حزيران ١٩٨٤م)، (ص٣٢ ـ ٣٤).

٥٨ ـ **حسين نصار**، المعجم العربي: نشأته وتطوره، ط٢، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٦٨م، ج٢.

٥٩ ـ **حشمت محمد علي قاسم**، دراسات في علم المعلومات، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٤م، (٢٥٣ص).

٦٠ ـ **حلمي مرزوق**، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م، (٥٢٦ص).

٦١ ـ **الحميدي**، أبو عبد الله بن أبي نصر محمد بن فتوح الأزدي (ـ ٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٦م، (٤١٤ص).

٦٢ ـ **حياة بو علوان** (محققة)، «مقدمتها» في طبقات الأمم، لصاعد الأندلسي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥م، (ص٥ ـ ٩).

٦٣ ـ **خانجي زاده، محمد بن محمد**، تذييل كشف الظنون، (مخطوط)، تم جمعه عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) في مدينة سراي بوسنة (سراييفو)، مكتبة غازي خسرو بك، رقم ٩٦ = R، (المجلد الأول: غير مرتب على حروف المعجم، يحتوي على ٤١١ عنوانًا بين مخطوط ومطبوع).

٦٤ ـ **الخطيب البغدادي**، أحمد بن علي بن ثابت (ـ ٤٦٣هـ)، الكفاية في علم الرواية، ط٢، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٩٧٠م، (٥٩٨ص).

٦٥ ـ **ابن خلدون**، عبد الرحمٰن بن محمد (ـ ٨٠٨هـ)، المقدمة، تحقيق ودراسة: علي عبد الواحد وافي، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، مج٣.

٦٦ ـ **ابن خلدون**، عبد الرحمٰن بن محمد (ـ ٨٠٨هـ)، المقدمة، بيروت، دار القلم، ١٩٧٨م، (٥٩٢ص).

٦٧ ـ **خليل النحوي**، آلاف المؤلفات ومئات المؤلفين في مجاهل التاريخ، الفكر (تونس)، س٢٣، ع٢، نوفمبر/تشرين الأول ١٩٧٧م، (ص٦٤ ـ ٨٣)، (عدد خاص عن الأدب الموريتاني).

٦٨ ـ **الخوارزمي**، محمد بن يوسف (ـ ٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م.

٦٩ ـ **دار الكتب المصرية**، فهرس المخطوطات التي اقتنتها الدار من سنة (١٩٣٦ ـ ١٩٥٥م)، إعداد: فؤاد السيد، القاهرة، الدار، ١٩٦٢م، القسم الثاني: (ش ـ ل): (٢٨٩ص).

٧٠ ـ **داود حلمي السيد**، المعجم الإنجليزي بين الماضي والحاضر: دراسة في منهج مَعْجَمَة اللغة الإنجليزية، الكويت، جامعة الكويت ١٩٧٨م، (٣٤٦ص).

٧١ ـ **دوجلاس، ألن**، المؤرخ والنص والناقد الأدبي، ترجمة: فؤاد كامل، فصول (القاهرة)، مج٤، ع١ (أكتوبر ـ ديسمبر/تشرين الأول ـ كانون الأول ١٩٨٣م)، (ص٩٥ ـ ١٠٥).

٧٢ ـ **ربيع بن هادي بن عمير** (محقق)، «مقدمته» في (النكت على كتاب ابن الصلاح، (تنكيت) ابن حجر العسقلاني (ـ ٨٥٢هـ)، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٩٨٤م، ١/ ٧ ـ ١٨).

٧٣ ـ **رودريجث، داريو كابانيلاس**، ابن سيده المرسي: حياته وآثاره، ترجمة حسن الوراكلي، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٠م، (٢٢١ص).

٧٤ ـ **روزنتال، فرانتز**، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة: أنيس فريحة؛ مراجعة: وليد عرفات، ط٣، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م، (٢٣٠ص).

٧٥ ـ **رياضي زاده** (ق١١هـ). أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون، تحقيق: محمد التونجي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م، (٤١٥ص).

٧٦ ـ **ريتر، هـ**، «كتاب باتانجيل لأبي الريحان البيروني»، في: صلاح الدين المنجد، المنتقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية، ط٢، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦م، (١/ ٥٩ ـ ٧٢).

٧٧ ـ **الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني** (ـ ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة، المطبعة الخيرية (١٤٠٦هـ).

٧٨ ـ **الزركلي**، خير الدين، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٤، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، مج١٠.

٧٩ ـ **زكي نجيب محمود**، لا أظن أنني أشبه العقاد، مجلة الحرس الوطني (الرياض)، مايو/أيار ١٩٨٥م، (ص٤٠ ـ ٤٣).

٨٠ ـ **ستاروبنسكي، جان**، النقد والأدب، ترجمة: بدر الدين القاسم؛ مراجعة: أنطون المقدسي، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٧٦م، (٣٢٣ص).

٨١ ـ **السخاوي**، شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن (ـ ٩٠٢هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، حققه وعلق عليه بالإنجليزية: فرانتز روزنتال؛ ترجم التعليقات والمقدمة، وأشرف على نشر النص: أحمد العلي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، (٤٦٠ص).

٨٢ ـ **السخاوي**، شمس الدين محمد بن عبد الرحمٰن (ـ ٩٠٢هـ) الذيل على رفع الإصر، أو بغية العلماء والرواة، تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبح، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، (٥٨٩ص).

٨٣ ـ **سزكين، فؤاد**، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي، الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٣م، مج١، ٤ج، مج٢، ج٥.

٨٤ ـ **سزكين، فؤاد**، محاضرات في تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت ١٩٨٤م، (١٨٢ص).

٨٥ ـ **سعد محمد الهجرسي**، الإطار العام للمكتبات والمعلومات، أو نظرية الذاكرة الخارجية، ط٢، القاهرة، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٠م، (٥٧ص).

٨٦ ـ **سعد محمد الهجرسي**، الببليوجرافيا ودراستها في علوم المكتبات، القاهرة، جمعية المكتبات المدرسية، ١٩٧٤م، (١٠٨ص).

٨٧ ـ **سعد محمد الهجرسي**، قضية الاختزان والاسترجاع الإلكتروني للمعلومات الببليوجرافية مع نموذج معياري لأشكال الاتصال، تقديم وتعريب: سعد محمد الهجرسي، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والمعلومات ١٩٧٧م، أ ـ هـ، ١٩٩، (ص٥٩ ـ ١٤٤).

٨٨ ـ **سعد محمد الهجرسي**، المراجع العامة: دراسة نظرية نوعية عن القواميس اللغوية ودوائر المعارف، القاهرة، مطبعة القاهرة، ١٩٨٠م، (٧٠ص).

٨٩ ـ **سعد محمد الهجرسي**، «مقدمة علمية» في (بنوك المعلومات، أو المصادر والمراجع الببليوجرافية المحسبة، تأليف: سيد حسب الله، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٠م، (ص١١ ـ ٤٢).

٩٠ ـ **سعيد عبد الفتاح عاشور**، «مقدمته» في (فهارس كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا، إعداد: محمد قنديل البقلي، القاهرة، عالم الكتب ١٩٧٢م، ص(ج ـ س)).

٩١ ـ **سليمان إسحاق محمد عطية**، بحوث في التربية من كشف الظنون لحاجي خليفة، الجزء الثاني: الكتاب المدرسي في التراث العربي والفارسي والتركي، القاهرة مكتبة الأنجلو، ١٩٧٧م، (٨٠ص).

٩٢ ـ **سليمان إسحاق محمد عطية**، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٧م، (٨٤ص).

٩٣ ـ **السمرقندي**، علاء الدين أبو منصور محمد بن محمد (ـ ٥٣٩هـ)، ميزان الأصول في نتاج العقول (المختصر)، تحقيق: محمد زكي عبد البر، الدوحة قطر، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٤م، (أ ـ و)، (٨٠٢ص).

٩٤ ـ **السمعاني**، عبد الكريم بن محمد (ـ ٥٦٢هـ)، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: ماكس فايسفايلر، ليدن، مطبعة بريل ١٩٥٢م، (ص٥١، ١٩٠).

٩٥ ـ **سيد حنفي**، «المقتطف من أزاهر الطرف اقتطفها ابن خلدون»، الأنباء الكويتية (صحيفة)، ٣١/٣/١٩٨٣م، (ص١).

٩٦ ـ **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمٰن (ـ ٩١١هـ) بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م، مج٢.

٩٧ ـ **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمٰن (ـ ٩١١هـ)، التعريف بآداب التأليف، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٥م.

٩٨ ـ **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمٰن (ـ ٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، القاهرة دار التراث، د.ت، مج٢.

٩٩ ـ **شاكر محمود عبد المنعم**، ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة، بغداد، دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٨م، ٢مج: المجلد الأول، (٨١٣ص).

١٠٠ ـ **شاوول، بول**، علامات من الثقافة المغربية الحديثة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م، (١٦٠ص).

١٠١ ـ **شتاينمتز، هورست**، حول إهمال الوظيفة الاجتماعية للتفسير، ترجمة: مصطفى رياض، فصول (القاهرة)، مج٥، ع٣، (إبريل ـ يونية/ نيسان ـ حزيران ١٩٨٥م)، (ص٦٥ ـ ٧١).

١٠٢ ـ **شرف الدين علي الراجحي**، مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م، (٣٠٦ص).

١٠٣ ـ **شوقي ضيف**، الأدب العربي المعاصر في مصر، ط٨، القاهرة، دار المعارف،١٩٨٣م، (٣٠٧ص).

١٠٤ ـ **شوقي ضيف**، البحث الأدبي: طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، (٢٧٨ص).

١٠٥ ـ **شوقي ضيف**، البلاغة تطور وتاريخ، ط٦، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٣م، (٣٨١ص).

١٠٦ ـ **شوقي ضيف**، الترجمة الشخصية، القاهرة دار المعارف، ١٩٥٦م، (١٢٥ص).

١٠٧ ـ **شوقي ضيف** ، (محقق) «مدخل» في (المُغْرب في حُلِيِّ المَغْرِب، تأليف: الحجاري وآخرين، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م، (ص١ ـ ٣٠).

١٠٨ ـ **شوقي ضيف**، معي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١م، (١٣١ص).

١٠٩ ـ **شوقي ضيف**، النقد، ط٤، القاهرة، دار المعارف ١٩٧٩م، (١٤٣ص).

١١٠ ـ **صاعد الأندلسي** أبو القاسم صاعد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن صاعد التغلبي الأندلسي (ـ ٤٦٢هـ)، طبقات الأمم، تحقيق: حياة بو علوان، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥م، (٢١٦ص).

١١١ ـ **صلاح الدين المنجد**، قواعد تحقيق المخطوطات، ط٥ بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦م، (٣١ص).

١١٢ ـ **صلاح الدين المنجد**، المنتقى من دراسات المستشرقين: دراسات مختلفة في الثقافة العربية، ط٢، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٦م، (١/ ٢٤٥).

١١٣ ـ **طاش كبري زاده**، أحمد بن مصطفى (ـ ٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق: كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م، مج٤.

١١٤ ـ **الطاهر الزاوي**، «مقدمته» في (بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تأليف: حسين خوجة، تونس، الدار العربية للكتاب، د.ت، ٩ص).

١١٥ ـ **طنطاوي محمد دراز**، ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية، القاهرة، المؤلف، (مطبعة عابدين) ١٩٦٠م، (٢٦٠ص).

١١٦ ـ **طه إسحاق الكيالي**، أرجوزة الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب، أبحاث الندوة العلمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب، المنعقدة بجامعة حلب من ٥ ـ ١٢ نيسان (إبريل) ١٩٧٦م، حلب، معهد التراث العلمي، جامعة حلب ١٩٧٧م، (١/ ٧٧١ ـ ٧٨٥).

١١٧ ـ **طه حسين**، على هامش السيرة، ط١٨، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨م، مج٣.

١١٨ ـ **طيبة صالح الشذر**، ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي، القاهرة، د.ن، ١٩٨٩م.

١١٩ ـ **عارف تامر**، نصير الدين الطوسي في مرابع ابن سينا، بيروت، مؤسسة عز الدين، ١٩٨٣م، (١٥٠ص).

١٢٠ ـ **عايدة إبراهيم نصير**، الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٥م)، القاهرة، قسم النشر بالجامعة الأمريكية، ١٩٨٣م، (٥٦٩ص).

١٢١ ـ **عايدة إبراهيم نصير**، الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي (١٩٢٦ ـ ١٩٤٠م)، القاهرة، قسم النشر بالجامعة الأمريكية، ١٩٨٠م، ٣١٥، (ص٧).

١٢٢ ـ **عباس محمود العقاد**، «تقديم» في مقدمة الصحاح، تأليف: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، دار الكتاب العربي، (١٩٥٦م)، (ص١ ـ ٨).

١٢٣ ـ **عباس محمود العقاد**، «لماذا هويت القراءة»؛ في «لماذا نقرأ؟»، لطائفة من المفكرين، القاهرة دار المعارف (د.ت)، (ص١٩ ـ ٢٧).

١٢٤ ـ **عبد الباسط محمد حسن**، أصول البحث الاجتماعي، ط٥، القاهرة مكتبة وهبة، ١٩٧٦م، (٥٨٤ص).

١٢٥ ـ **ابن عبد البر القرطبي**، جمال الدين أبو عمر يوسف النمري (ـ ٤٦٣هـ)، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣م، (٢٥١ص).

١٢٦ ـ **عبد الجبار عبد الرحمٰن**، ذخائر التراث العربي الإسلامي: دليل ببليوجرافي للمخطوطات العربية المطبوعة حتى عام ١٩٧٠م، بغداد، جامعة البصرة، ١٩٨١م، (١/ ٦٣١).

١٢٧ ـ **عبد الرحمٰن بدوي** (محقق)، «مقدمته» في (آداب الفلاسفة، لحنين بن إسحاق (ـ ٢٦٠هـ)، اختصره: محمد بن علي الأنصاري، الكويت، معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥م، ص٦ ـ ٨).

١٢٨ ـ **عبد الرحمٰن بدوي** (محقق)، «مقدمته» في (الطبيعة، لأرسطوطاليس؛ ترجمة: إسحاق بن حنين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ١/١ ـ ٢٨).

١٢٩ ـ **عبد الرحمٰن بدوي**، موسوعة الفلسفة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مج٢.

١٣٠ ـ **عبد الرحمٰن بدوي**، مؤلفات الغزالي، القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ١٩٦١م، (٥٧٣ص).

١٣١ ـ **عبد الستار الحلوجي**، تراثنا الفقهي وقضاياه الببليوجرافية، الدارة (الرياض)، س٣ ع٢، (يونية/ حزيران ١٩٧٧م)، (ص١٦٣ ـ ١٧٥).

١٣٢ ـ **عبد الستار الحلوجي**، المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٧٨م، (٣٠٢ص).

١٣٣ ـ **عبد الستار الحلوجي**، مدخل لدراسة المراجع، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م، (١٤٤ص).

١٣٤ ـ **عبد الستار الحلوجي**، «مقدمته» في دليل المطبوعات المصرية (١٩٤٠ ـ ١٩٥٦م)، إعداد: أحمد منصور وآخرين، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٧٥م، ص(ز ـ ر).

١٣٥ ـ **عبد الستار الحلوجي**، نشأة علم الببليوجرافيا عند المسلمين، الدارة (الرياض) س٢، ع٣ ـ ٤، (أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٧٦م)، (ص١٧٦ ـ ١٨٣).

١٣٦ ـ **عبد السلام هارون**، تحقيق النصوص ونشرها، ط٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧م، (١٤٣ص).

١٣٧ ـ **عبد السلام هارون**، التراث العربي، بيروت، المركز العربي للثقافة والعلوم، د.ت، (٨٧ص).

١٣٨ ـ **عبد العظيم الديب**، (محقق)، «مقدمته» في الدرة المضية في ما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية لإمام الحرمين الجويني، الدوحة (قطر)، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٦م، القسم الأول: (ص١٣م ـ ١٢٤م).

١٣٩ ـ **عبد الغني الملاح**، رحلة في ألف ليلة وليلة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١م، (١٢٨ص).

١٤٠ ـ **عبد الفتاح أبو غدة**، فهارس سنن النسائي، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، (ـ ١٤٠٦هـ)، (٣٦٤ص)، (الجزء التاسع من مجموعة سنن النسائي).

١٤١ ـ **عبد الفتاح كليطو**، الأدب والغرابة: دراسات بنيوية في الأدب العربي، بيروت، دار الطليعة ١٩٨٢م، (١٢٠ص).

١٤٢ ـ **عبد الكريم اليافي**، مكانة ابن رشد في تاريخ المعرفة الإنسانية، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ع١ يونيو/حزيران ١٩٨٤م، (ص٩٣ ـ ٩٨).

١٤٣ ـ **عبد اللطيف العبد**، (محقق)، «مقدمته» في (الطب الروحاني، لأبي بكر الرازي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م، ٢٨٨ص).

١٤٤ ـ **عبد الله محمد الغذامي**، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية: قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٥م، (٣٧٩ص).

١٤٥ ـ **عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان**، الفكر الأصولي: دراسة تحليلية نقدية، ط١، جدة، دار الشروق، ١٩٨٣م، (٤٩١ص).

١٤٦ ـ **عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان**، كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، ط ٢، جدة دار الشروق، ١٩٨٣م، (٦٧٩ص).

١٤٧ ـ **عبد الوهاب أبو النور**، بحوث في المكتبة العربية، الكويت، دار القلم، ١٩٨٥م، (٢٣٤ص).

١٤٨ ـ **عزيز العظمة**، ابن خلدون وتاريخيته، ترجمة: عبد الكريم ناصف، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١م، (٢٣٩ص).

١٤٩ ـ **العسكري**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (نحو ٣٩٥هـ). كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧١م، (٥٥٠ص).

١٥٠ ـ **عفيفي عبد الرحمٰن** (محقق)، «مقدمته» في تقريب التقريب، لأبي حيان النحوي، بيروت، دار المسيرة، ١٩٨٢م، (١٣٨ص).

١٥١ ـ **علي حسين البواب**، (محقق)، «مقدمته» في (شرح كفاية المتحفظ، أو: تحرير الرواية في تقرير الكفاية، لمحمد بن الطيب الشركي الفاسي، (ـ ١١٧٠هـ) الرياض، دار العلوم، ١٩٨٣م، ٦٨٢ص).

١٥٢ ـ **علي عبد الواحد وافي**، عبد الرحمٰن بن خلدون: حياته وآثاره ومظاهر عبقريته، القاهرة الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٥م، (٣٤٦ص).

١٥٣ ـ **علي عبد الواحد وافي**، المدينة الفاضلة للفارابي، جدة، شركة مكتبات عكاظ، ١٩٨٤م، (١٢٠ص).

١٥٤ ـ **عمار الطالبي**: «مقدمته» في (شرح ابن رشد لأرجوزة ابن سينا في الطب، تحقيق: عمار الطالبي لكل من أرجوزة ابن سينا وشرح ابن رشد، الدوحة، جامعة قطر، ١٩٩٦م، ص١ ـ ٦١).

١٥٥ ـ **غولدمان، لوسيان** (وآخرون)، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، راجع الترجمة: محمد سبيلا، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م، (١٦٨ص).

١٥٦ ـ **فاروق أبو زيد**، عصر التنوير العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨م، (١٩٢ص).

١٥٧ ـ **فاير، ت.هـ**، «حاشية»، دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية أحمد الشنتناوي، وآخرون، طهران، انتشارات جهان، د.ت، مج٧، (٢٥٢ص).

١٥٨ ـ **فائز فارس** (محقق)، «مقدمته» في (شرح برهان العكبري، (ـ ٤٥٦هـ)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٤م، ١/ ٩ ـ ٧).

١٥٩ ـ **فتحية النبراوي** (محققة)، «مقدمتها» في (سنا البرق الشامي. . . مختصر كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني، اختصار الفتح بن علي البنداري، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م، ٣٧٤ص).

١٦٠ ـ **فرحات زيادة** (محقق)، «مقدمته» في (أدب القاضي للخصاف، (ـ ٢٦١هـ)؛ مع شرح الجصاص (ـ ٣٧٠هـ)، القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٧٨م، ٨٢٥ص).

١٦١ ـ **فردريك معتوق**، منهجية العلوم الاجتماعية عند العرب وفي الغرب، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٥م، (١٤٧ص).

١٦٢ ـ **فهيم محمد شلتوت**، (محقق)، «مقدمته» في (الدليل الشافي على المنهل الصافي، لابن تغري بردي، مكة، جامعة أم القرى، ١٩٧٩م، ١/ ٦ ـ ٨).

١٦٣ ـ **فو، كارادي**، «شرح»، دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية أحمد الشنتناوي وآخرون، طهران، انتشارات جهان، د.ت.، ـ مج١٣، (ص١٨٨).

١٦٤ ـ **القِنَّوْجي**، صديق بن حسن، (ـ ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م)، أبجد العلوم، أعده ووضع فهارسه: عبد الجبار زكار، دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٨م، مج٣.

١٦٥ ـ **قيصر أبو فرح**، (محقق)، «مقدمته» في (تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، تأليف: الخطيب (البغدادي)، (ـ ٤٦٣هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت، مج١، ص(ب ـ ج)).

١٦٦ ـ **الكتاني**، محمد بن جعفر الفاسي (ـ ١٣٤٥هـ)، الرسالة المستطرفة لبيان كتب السُّنَّة المشرفة، مع مقدمات وفهارس لمحمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني، ط٤، بيروت، دار البشائر الإسلامية ١٩٨٦م، (٣٤٢ص).

١٦٧ ـ **كراتشكوفسكي، أغناطيوس**، مع المخطوطات العربية: صفحات من الذكريات عن الكتب والبشر، تعريب: محمد منير مرسي، طبعة منقحة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٩م، (٢٤٠ص).

١٦٨ ـ **كمال أبو ديب**، الحداثة، السلطة، النص، فصول (القاهرة)، مج٤، ع٣ (إبريل ـ يونية/ نيسان ـ حزيران ١٩٨٤م)، (ص٣٤ ـ ٦٣).

١٦٩ ـ **كمال عبد اللطيف**، مشروع النقد في قراءة التراث: حول التكامل في أعمال محمد عابد الجابري ومحمد أركون، (ندوة كتاب: تكوين العقل العربي، نظَّمها اتحاد كتاب المغرب، الرباط، مارس/آذار ١٩٨٥م). المستقبل العربي، س٨، ع٨٦، (إبريل/ نيسان ١٩٨٦م)، (ص٢٥ ـ ٣٢).

١٧٠ ـ **كمال محمد عرفات نبهان**، البهرست والفهرست: الجذور الفارسية للمصطلح الببليوجرافي وتطوره في المشرق والمغرب العربي، (مجلة المكتبات والمعلومات العربية، س١٩، ع٣، (يوليو/ تموز ١٩٩٩م)، ص٤٧ ـ ٦٤).

١٧١ ـ **كمال محمد عرفات نبهان**، التواصل والصلة: «أخلاقيات وآليات في التأليف والنصوص العربية ـ الإسلامية». في (مقالات مهداة إلى د. صلاح المنجد، لندن، مؤسسة الفرقان، ٢٠٠٢م، ص١٣٩ ـ ١٩١).

١٧٢ ـ **كمال محمد عرفات نبهان**، دراسة ميدانية على قراءات الكبار بالمكتبات العامة بالقاهرة، القاهرة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم المكتبات والوثائق، ١٩٧٩م، (أ ـ ل)، ٤١٠، (ص٢٤). (رسالة ماجستير، إشراف: أ. د. أحمد أنور عمر).

١٧٣ ـ **لطفي عبد البديع**، فهرس المخطوطات المصورة، ج٢، التاريخ: القسم الأول، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، د.ت.

١٧٤ ـ **لطفي عبد البديع**، (محقق)، «مقدمته» في (كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣م، ج١، ص(أ ـ ح)).

١٧٥ ـ **ماجد فخري** (محقق)، «مقدمته» في (رسائل ابن باجه الإلٰهية، بيروت، ١٩٦٨م، ١٩٩ص).

١٧٦ ـ **ماس، پوْل**: «نقد النص» في (النقد التاريخي، مجموع من اختيار وترجمة: عبد الرحمٰن بدوي، ط٣، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٧م، ص٢٥٥ ـ ٢٧٨).

١٧٧ ـ **ماكلوهان، مارشال**، كيف نفهم وسائل الاتصال، ترجمة: خليل صابات وآخرين، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٥م، (٤١١ص).

١٧٨ ـ **مجدي وهبة، وكامل المهندس**، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٩م، (٢٧٢ص).

١٧٩ ـ **مجمع اللغة العربية**، مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع، القاهرة المجمع، ١٩٥٧م، (٦٣٩ص).

١٨٠ ـ **مجمع اللغة العربية**، المعجم الفلسفي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٩م، (٣٢٦ص).

١٨١ ـ **مجمع اللغة العربية**، المعجم الوسيط، ط٣ القاهرة، المجمع، ١٩٨٥م، مج٢.

١٨٢ ـ **محمد أبو الفضل إبراهيم** (محقق)، «تصديره» في (تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون، تأليف: خليل بن أيبك الصفدي، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت، ص٢ ـ ٣٠).

١٨٣ ـ **محمد أبو الفضل إبراهيم**، (محقق)، «مقدمته» في (ثمرات الأوراق، لابن حجة الحموي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧١م، (ج ـ و)).

١٨٤ ـ **محمد أديب صالح**، تفسير النصوص في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، ط٢، بيروت، الكتاب الإسلامي، د.ت ـ مج٢.
١٨٥ ـ **محمد التونجي** (محقق) «مقدمته» في (أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون، لرياضي زاده (ـ ق١١هـ)، القاهرة مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م، ص٣ ـ ١١).
١٨٦ ـ **محمد الحبيب بن الخوجة**، «مقدمته» في (بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تأليف: حسين خوجة، تونس، الدار العربية للكتاب، د.ت، ص٦).
١٨٧ ـ **محمد حجي** (محقق)، «مقدمته» في (البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تأليف: أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ـ ٥٢٠هـ)، (الجد الفقيه)، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٤م، (١/ ١٥)).
١٨٨ ـ **محمد حسن حسن جبل**، الاستدراك على المعاجم العربية في ضوء مئتين من المستدركات الجديدة على لسان العرب وتاج العروس، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٦م.
١٨٩ ـ **محمد رشاد الحمزاوي**، من قضايا المعجم العربي قديمًا وحديثًا. تونس، المعهد القومي لعلوم التربية ١٩٨٣م، (١٦٨ص).
١٩٠ ـ **محمد رشيد رضا**، «مقدمته» في (مفتاح كنوز السُّنَّة، أ. ي. فنسنك، ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٣٤م، ص(ن ـ ش)).
١٩١ ـ **محمد سويسي**، أدب العلماء في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري: البيروني وعمر الخيام، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٢م، (١٦٤ص).
١٩٢ ـ **محمد الصباغ**، الحديث النبوي: مصطلحه، بلاغته، كتبه، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٩٧٧م.
١٩٣ ـ **محمد عابد الجابري**، الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية، ط٢، دار الطليعة، ١٩٨٥م، (١٩٢ص).
١٩٤ ـ **محمد عاطف غيث**، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، (٥١٧ص).
١٩٥ ـ **محمد عبد الجواد** (محقق)، «مقدمته» في (المسلسل في غريب لغة العرب، تأليف أبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي (ـ ٥٣٨هـ)، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، ١٩٥٧م، (٤١٦ص).

١٩٦ ـ **محمد عبد الرحمٰن الهدلق**، مخطوط الروض الزاهر في محاسن المثل السائر، للسميساطي: قراءة تقويمية، مجلة كلية الآداب (جامعة الملك سعود)، مج١٠، ١٩٨٣م، (١/ ١١٣ ـ ١٣٨).

١٩٧ ـ **محمد عبد الكريم**، (محقق)، «مقدمته» في (بدائع السلك في طبائع الملك، لابن الأزرق الغرناطي (ـ ٨٩٦هـ)، تونس الدار العربية للكتاب، ١٩٧٧م، (١/ ٥ ـ ٤٦).

١٩٨ ـ **محمد عمارة**، تيارات الفكر الإسلامي، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٣م، (٣٩٢ص).

١٩٩ ـ **محمد عمارة**، دراسات في الوعي بالتاريخ، بيروت، دار الوحدة، ١٩٨١م، (٢٥٦ص).

٢٠٠ ـ **محمد الفاضل بن عاشور**، «تصديره» في (منهاج البلغاء وسراج الأدباء، صنعة أبي الحسن حازم بن محمد القرطاجني (ـ ٦٨٤هـ)؛ تحقيق وتقديم: محمد الحبيب بن الخوجة، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م، ص١١).

٢٠١ ـ **محمد فتحي عبد الهادي**، التكشيف لأغراض المعلومات، جدة، مكتبة العلم، ١٩٨٧م، (٢١٣ص).

٢٠٢ ـ **محمد فتحي عبد الهادي**، دراسات في الضبط الببليوجرافي، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م، (٢٠٧ص).

٢٠٣ ـ **محمد فتحي عبد الهادي**، الدليل الببليوجرافي للإنتاج الفكري العربي في مجال المعلومات (١٩٧٦ ـ ١٩٨٠م)، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والمعلومات، ١٩٨٣م، (٢٣١ص).

٢٠٤ ـ **محمد فؤاد عبد الباقي**، «مقدمته» في (تفصيل آيات القرآن الكريم، وضعه بالفرنسية جول لابوم؛ ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م، ص٦ ـ ٨).

٢٠٥ ـ **محمد كمال عز الدين**، التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، بيروت، دار اقرأ، ١٩٨٤م، (٥٦٠ص).

٢٠٦ ـ **محمد مصطفى الأعظمي**، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، الرياض، جامعة الرياض، ١٩٦٧م، (٧١٣ص). (رسالة دكتوراه من جامعة كمبردج).

٢٠٧ ـ **محمد مصطفى زيادة**، «تاريخ حياة المقريزي» في (دراسات عن المقريزي: مجموعة أبحاث، اشترك في إعدادها: محمد مصطفى زيادة وآخرون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١م، ص١٣ ـ ٢٣).

٢٠٨ ـ **محمد المنتصر بن محمد الزمزمي**، (محقق)، «مقدمته» في (الرسالة المستطرفة لبيان كتب السُّنَّة المشرفة، للكتاني، ط٤، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٦م، ص٥ ـ ٤٢).

٢٠٩ ـ **محمد يوسف البنوري**، (محقق)، «مقدمته» في (نصب الراية لأحاديث الهداية، للزيلعي، ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي ١٣٩٣هـ، مج١، ص٥ - ١٥).

٢١٠ ـ **محمود إسماعيل**، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي: محاولة تنظير: الجزء الأول: طور التكوين، ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة ١٩٨٠م، (٣١٢ص).

٢١١ ـ **محمود تيمور**، معجم الحضارة، القاهرة، مكتبة الآداب، ١٩٦١م، (١٧٨ص).

٢١٢ ـ **محمود الشنيطي**، «مقدمته» في (الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي (١٩٠٠ ـ ١٩٢٥م)، إعداد: عايدة نصير، القاهرة الجامعة الأمريكية، ١٩٨٣م، ص(ط)).

٢١٣ ـ **محمود عودة**، أساليب الاتصال والتغير الإجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية، (د.ت)، (٤٧٦ص).

٢١٤ ـ **محمود محمد شاكر**، (محقق)، «مقدمته» في (دلائل الإعجاز)، لعبد القاهر الجرجاني (ـ ٤٧١هـ)، القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٨٤م، (ص، ب، هـ).

٢١٥ ـ **محمود محمد الطناحي**، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة عن التصحيف والتحريف، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٤م، (٤٠٦ص).

٢١٦ ـ **محمود محمد الطناحي**، الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م، (١٨٨ص).

٢١٧ ـ **مخطوطات الأدب في المتحف العراقي**، إعداد: أسامة النقشبندي وظمياء عباس، الكويت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٥م، (٧٥٨ص).

٢١٨ ـ **المراكشي**، محمد بن محمد بن عبد الملك (ـ ٧٠٣هـ)، الذيل والتكملة لكتابَيْ الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٣م، مج٦.

٢١٩ ـ **مرتضى الزبيدي**، محمد بن محمد الحسيني (ـ ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٤٠٦هـ، مج١٠.
٢٢٠ ـ **ابن مسعود**، أبو الخير زيد بن رفاعة (ـ ق٤هـ)، جوامع كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٤هـ، (٢٥١ص).
٢٢١ ـ **المسعودي**، علي بن الحسن (ـ ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٣م، مج٤.
٢٢٢ ـ **مصطفى سويف**، الأسس النفسية للإبداع في الشعر خاصة، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م، (٤٢٧ص).
٢٢٣ ـ **مصطفى الشكعة**، الأصول الأدبية في صبح الأعشى، ط٢، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٩٣م، (١٨٨ص).
٢٢٤ ـ **مصطفى الشكعة**، مناهج التأليف عند العلماء العرب: قسم الأدب، ط١٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٩م، (٧٨٤ص).
٢٢٥ ـ **مطاع صفدي**، استراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية، بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦م، (ص٣٠٩).
٢٢٦ ـ **معهد المخطوطات العربية** (القاهرة). فهرس المخطوطات المصورة، القاهرة، المعهد د.ت، (القسم الثاني، إعداد: لطفي عبد البديع ـ القسم الثالث، إعداد: فؤاد سيد).
٢٢٧ ـ **مفيد قمحة**، (محقق)، «مقدمته» في (رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري (ـ ٤٤٩هـ)، والنص الكامل لرسالة ابن القارح، بيروت، دار الهلال، ١٩٨٤م، ص٢ ـ ١٢).
٢٢٨ ـ **ملز، ج**، نظم التصنيف الحديثة في المكتبات: أسسها النظرية وتطبيقاتها العلمية، ترجمة: عبد الوهاب أبو النور، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦م، (٣٨٥ص).
٢٢٩ ـ **ابن منظور**، جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ـ ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م، مج٢٠.
٢٣٠ ـ **الموسوي الخرسان**، (محقق)، «مقدمته» في (ذيل كشف الظنون: تعليقات وتقييدات، لآغا بزرك الطهراني)، في (هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، للباباني، استانبول، وكالة المعارف، ١٩٥٥م، مج٢، الملحق عمود ٣ ـ ٤). (يوجد الذيل لآغا بزرك الطهراني بالمرجع السابق مج٢، عمود ٧ ـ ١١٦).

٢٣١ ـ **ميدوز، جاك**، آفاق الاتصال ومنافذه في العلوم والتكنولوجيا، ترجمة: حشمت محمد علي قاسم، القاهرة، المركز العربي للصحافة، ١٩٧٩م، (٣٥٦ص).

٢٣٢ ـ **ناصر محمد السويدان ومحسن السيد العريني**، مداخل المؤلفين والأعلام العرب، الرياض، جامعة الرياض، ١٩٨٠م، (٦٤٢ص).

٢٣٣ ـ **النديم**، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ـ ٤٣٨هـ). الفهرست، تحقيق: جوستاف فلوجل، ليبتزج، ١٨٧١م، مج٢.

٢٣٤ ـ **هادي نهر**، (محقق)، «مقدمته» في (شرح اللمحة البدرية في علم اللغة العربية، لابن هشام الأنصاري (ـ ٧٦١هـ)، بغداد، الجامعة المستنصرية، ١٩٧٧م، مج١، ص١ ـ ٧).

٢٣٥ ـ **الهمذاني، عبد الجبار** (ـ ٤١٥هـ)، المنية والأمل، جمعه: أحمد بن يحيى المرتضى، تحقيق وتقديم: عصام الدين محمد علي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م، (١٩٦ص).

٢٣٦ ـ **هيوارث، ك**، «إمام»، في (دائرة المعارف الإسلامية، طهران، انتشارات جهان، د.ت، مج٢، ص٦١٢ ـ ٦١٤).

٢٣٧ ـ **ياسين محمد السواس**، (محقق)، «مقدمته» في (المَشُوفُ المُعْلَمْ في ترتيب الإصلاح على المعجم، تصنيف: أبي البقاء العكبري (ـ ٦١٦هـ)، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ١٩٨٣م، ١/٥ ـ ١٠).

٢٣٨ ـ **يالتقايا**، محمد شرف الدين: ترجمة كاتب جلبي (حاجي خليفة)، في (كشف الظنون. . .، لحاجي خليفة، إستانبول، وكالة المعارف ١٩٤١م، ج١ عمود ١٣ ـ ١٨).

٢٣٩ ـ **يالتقايا**، محمد شرف الدين. «تصديره» في (كشف الظنون. . .، لحاجي خليفة، إستانبول، وكالة المعارف، ١٩٤١م، ج١، عمود ٥ ـ ١٢).

٢٤٠ ـ **يوسف أحمد المطوع**، جهود علماء النحو في القرن الثالث الهجري، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٦م، (٥٤٢ص).

٢٤١ ـ **يوسف أحمد المطوع**، (محقق)، «مقدمته» في (التوطئة، للشَّلَوْبَتي، القاهرة، د.ت، ١٩٨١م، ص١١ ـ ١٦).

٢٤٢ ـ **يوسف عبد الرحمٰن المرعشلي**، علم فهرسة الحديث، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٦هـ.

ثانيا: المراجع الأجنبية

1 - The ALA glossary of library and information science /ed. by Heartsill Young, Chicago, ALA, 1983, 245p.

2 - The American Heritage Dictionary of English Language/ed. by William Morris. Boston, Houghton Mifflin Co, 1980, 155p.

3 - **Blum, Rudolf:** Bibliographia: an inquiry into its definition and designations / transl. From the German by Mathilde V. Rovelstad. Chicago, ALA, 1980, 251p.

4 - **Borgatta, Edgar F:** Sociometry - in (International Encyclopedia of the Social Siences /ed. By D.L. Sills, New York, Macmillan, 1972, vol 15,p53 - 56).

5 - **Bowers, Fredson:** Established texts and definitive editions. In (Bowers, F. Essays in bibliography, text, and editing, Charlottesville (USA), The Univ. Press of Verginia, 1975, p359 - 374)

6 - **Busha, Charles H:** Library science resrarch: the path to progress in (A library science research reader and bibliographic guide, Littleton (Colorado), Libraries Unlimited, 1981, p1 - 37.

7 - **Collins, Carmen:** Read, reflect, write, New Jersey, printice, Hall, 1984, 92p.

8 - **Dodge, Bayard** (ed): The Fihrist of al-Nadim: a tenth century survey of Muslim culture. N.Y. Columbia Univ. Pr, 1970, 2vols. Introduction: p.p. xiii - xxxiv.

9 - **Garfield, Eugene:** ((Current comments)) in (Essays of an information scientist. Philadelphia, ISI Press, 1983, vol.5, p.p621 - 626).

10 - **Gaskel, Philip:** A new introduction to bibliography. Oxford, Oxford Univ. Press, 1972, 438p.

11 - **Gaskell, Philip:** From writer to reader: studies in editorial method. Oxford: The Clarendon pr. 1978, 268p.

12 - **Gotteschalk, H.L. & others:** Catalogue of the Mingana Collection of Manuscripts, vol4: Islamic - Arabic Manuscripts -Zug, (Swizerland), Inter. Documentation Company, 1985, 428p.

13 - **Harrod, L.M:** Harrod's librarians' glossary of terms used in ilbrarianship, documentation and the book crafts, and reference book 5th ed. Hampshire, Gower, 1984, 861p.

14 - **Lindkvist, Kent:** Approaches to textual analysis, in (Advances in content analysis/ed. by Karl Erik Rosengren - London, Sage Publicatons, 1981, 23 - 41p).

15 - **Magdi, Wahba:** A dictionary of literary terms (English - French - Arabic). Beirut Librairie du Liban, 1974, 703p.

16 - **Pedersen, Johannes:** The Arabic book/ transl. From the Danish by Geoffrev French. Princeton, Prenceton Univ. pr. 1984, 175p.

17 - **Rosenthal, F:** Hashiya In (The Encyclopaedia of Islam/ ed. by B. Lewis & others. New ed. Leiden, E. J. Brill, 1979, vol3, p268 - 269).

18 - **Tansell, G.:** Thomas Greg's theory of copy-text and the editing of American literature. In (Tansell, G.T. Selected studies in bibliography. Charrlottrsville, The Univ. Pr. of Verginia, 1979, p245 - 303).

19 - **Tinker, M.A.:** ((Reading)). In (Encyclopaedia Britannica, Chicago, Benton, 1972, vol.19, p9c - 10).

20 - **Wilson, Patrick:** Two Kinds of power: an essay on bibliographical control. Berkeley, Univ, of California press, 1968, 155p.

فهرس الأشكال

شكل	الصفحة

شكل	الصفحة

شكل	الصفحة

فهرس المحتويات (الموجز)

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث:

النتائج والملاحظات العامة

فهرس المحتويات (التفصيلي)

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني: علاقات التأليف النصِّي:
أنواعها وخصائصها التأليفية والوظيفية:
(من خلال استقراء عينات من الكتب)

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	**الصفحة**

مؤلف الكتاب

الأستاذ الدكتور كمال عرفات نبهان.

- ولد بمحافظة القليوبية في مصر عام ١٩٤١م.
- حصل على ليسانس وماجستير ودكتوراه بمرتبة الشرف الأولى في علم المكتبات والمعلومات من كلية الآداب بجامعة القاهرة.
- عمل في دار الكتب المصرية وليبيا خبيرًا للمكتبات، وفي جامعة قطر وجامعة ٦ أكتوبر أستاذًا لعلم المعلومات والمكتبات.
- أمين عام مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن (سابقًا).
- أسس علم النصوص العربية ووضع نظرية الببليوجرافيا التكوينية كأساس لدراسة النصوص، وصمَّم برنامجًا لوصف علاقات النصوص أطلق عليه: مخطط علاقات النصوص (وأطلق عليه بالإنجليزية مصطلحًا قام باشتقاقه لأول مرة وهو Bibliogram وكذلك مصطلح Biblio - chronogram لوصف الامتداد الزمني لتأثير النص).
- طوَّر نظرية في مجال علم المعلومات وهي نظرية الذاكرة الخارجية أطلق عليها نظرية الهجرسي تكريمًا لجهود الأستاذ الدكتور سعد الهجرسي التي بدأها كإطار نظري لعلم المعلومات.
- كما وضع إطارًا نظريًا للسلوك القرائي ودوافعه النفسية والاجتماعية، وقام بدراسة ميدانية شاملة عل قراءات الكبار بالقاهرة.
- قام بإنشاء بنك مصور يحتوي على صور لجميع المخطوطات بمكتبة خسروبك في البوسنة وتبلغ حوالي ١١ ألف مخطوط، وهي محفوظة في مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن.
- له دراسات في جذور الببليوجرافيا العربية من حنين بن إسحاق في القرن الثالث الهجري وجذور المصطلح الببليوجرافي الفارسي واليوناني والعربي، كما اهتم بدراسة التأثيرات النفسية والاجتماعية للطباعة والقراءة منذ عصر جوتنبرج، وفي إطار نظرية مارشال ماكلوهان ودراسات روبير إسكاربيه وويبلز وبيرلسون وتوفلر وحنه أرنت وغيرهم في مجال القراءة وحضارتها.
- أنشأ مركز دراسات المعلومات والنصوص العربية لخدمة علم النصوص الذي أسسه لتطبيق تكنولوجيا المعلومات والنصوص العربية.
- عميد المكتبات الجامعية بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

قائمة إصدارات

الوعي الإسلامي

- ❖ القدس في القلب والذاكرة.
- ❖ حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية.
- ❖ المجموعة القصصية الأولى للأطفال.
- ❖ الحوار مع الآخر.. المنطلقات والضوابط.
- ❖ النقد الذاتي.. رؤية نقدية إسلامية لواقع الصحوة الإسلامية.
- ❖ المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.
- ❖ الحج.. ولادة جديدة.
- ❖ الفنون الإسلامية.. تنوُّع حضاري فريد.
- ❖ لا إنكار في مسائل الاجتهاد.
- ❖ المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.
- ❖ التجديد في التفسير.. نظرة في المفهوم والضوابط.
- ❖ مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي.
- ❖ مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي.
- ❖ رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام.
- ❖ موسوعة الأعمال الكاملة للإمام الخضر حسين.
- ❖ علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي.
- ❖ براعم الإيمان.. نموذج رائد لصحافة الأطفال الإسلامية.
- ❖ الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره.
- ❖ الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام.
- ❖ الحوالة.
- ❖ التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس.
- ❖ الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي.
- ❖ الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة.
- ❖ التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد.
- ❖ فقه المريض في الصيام.
- ❖ القسمة.
- ❖ أصول الفقه عند الصحابة ـ معالم في المنهج.

- ❖ السنن المتنوعة الواردة في موضع واحد في أحاديث العبادات.
- ❖ لطائف الأدب في استهلال الخطب.
- ❖ نظرات في أصول البيوع الممنوعة.
- ❖ الإعلاء الإسلامي للعقل البشري (دراسة في الفلسفات والتيارات الإلحادية المعاصرة).
- ❖ ديوان شعراء مجلة الوعي الإسلامي.
- ❖ ديوان خطب ابن نباتة.
- ❖ الإظهار في مقام الإضمار.
- ❖ مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم.
- ❖ الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي، وجهوده في كتابه «تهذيب الكمال».
- ❖ في رحاب آل البيت النبوي.
- ❖ الصعقة الغضبيّة في الردّ على منكري العربية.
- ❖ منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب.
- ❖ معجم القواعد والضوابط الفقهية.
- ❖ كيف تغدو فصيحاً.
- ❖ موائد الحيس في فوائد امرئ القيس.
- ❖ إتحاف البريّة فيما جدّ من المسائل الفقهية.
- ❖ تبصرة القاصد على منظومة القواعد.
- ❖ حقوق المطلقة في الشريعة الإسلامية.
- ❖ اللغة العربية الفصحى، نظرات في قوانين تطورها، وبلى المهجور من ألفاظها.
- ❖ المذهب عند الحنفية ـ المالكية ـ الشافعية ـ الحنابلة.
- ❖ منظومات في أصول الفقه.
- ❖ أجواء رمضانية.
- ❖ المنهج التعليلي بالقواعد الفقهية عند الشافعية.
- ❖ نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده.
- ❖ دراسات وأبحاث علمية نشرت في مجلة الوعي الإسلامي.
- ❖ ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه.
- ❖ التقصِّي لما في الموطأ من حديث النبيِّ.
- ❖ المجموعة القصصية الثانية للأطفال.
- ❖ كرّاسة لوِّن لبراعم الإيمان.
- ❖ موسوعة رمضان.
- ❖ جهد المقِلّ.

- العذاق الحواني على نظم رسالة القيرواني.
- قواعد الإملاء.
- العربية والتراث.
- النسمات النّدية من الشمائل المحمّدية.
- اهتمامات تربويّة.
- أثر الاحتساب في مكافحة الإرهاب.
- القرائن وأثرها في علم الحديث.
- جهود علماء الحديث في توثيق النصوص وضبطها.
- سيرة حميدة ومنهج مبارك (الدكتور محمد سليمان الأشقر).
- أبحاث مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول.
- نظام الوقف والاستدلال عليه.
- من أمالي العلّامة أبي فهر محمود محمد شاكر على كتاب الأصمعيات للأصمعي.
- من أمالي العلّامة أبي فهر محمود محمد شاكر على كتاب الكامل للمبرد.
- الترجيح بين الأقيسة المتعارضة.
- التلفيق وموقف الأصوليين منه.
- التربية بين الدين وعلم النفس.
- مختصر السيرة النبوية.
- معجم الخطاب القرآني في الدعاء.
- المسائل الطبية المعاصرة في باب الطهارة.
- المسائل الفقهية المستجدة في النكاح.
- مقالات ودراسات إسلامية، أدبية، فكرية.
- دليل قواعد الإملاء ومهاراتها.
- علم المخطوط العربي (بحوث ودراسات).
- التراث العربي.
- من قضايا أصول النحو عند علماء أصول الفقه.
- نهاية المرام في معرفة من سماه خير الأنام (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ١).
- الجزء المسلسل بالأولية والكلام عليه (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٢).
- مولد رسول الله ﷺ (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٣).
- السراج الوهاج في ازدواج المعراج (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٤).
- تلوين الخطاب (دراسة في أسلوب القرآن الكريم).
- التاريخ في الإسلام.

- ❖ رسالة في الوقف.
- ❖ أغاريد البراعم.
- ❖ الاستدراك (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٥)
- ❖ أخلاقنا الجميلة.
- ❖ قصص الأطفال.
- ❖ قواعد العدد والمعدود.
- ❖ جواب العلامة السفاريني (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٦).
- ❖ أسرار العربيَّة.
- ❖ علماؤنا وتراث الأمم، القوس والعذراء وقراءة التراث.
- ❖ المسائل الأصوليّة.
- ❖ إتحاف المهتدين.
- ❖ الحسبة على المدن والعمران.
- ❖ عبقرية التأليف العربي (علاقات النصوص والاتصال العلمي).
- ❖ الأمالي اللغوية في المجالس الكويتية.
- ❖ التقريب والإرشاد في أصول الفقه.
- ❖ سلسلة أشيائي (قصص الأطفال).
- ❖ مأخذ العلم (ذخائر مجلة الوعي الإسلامي ٧).
- ❖ حكايات لا تنسى مع ديمة.